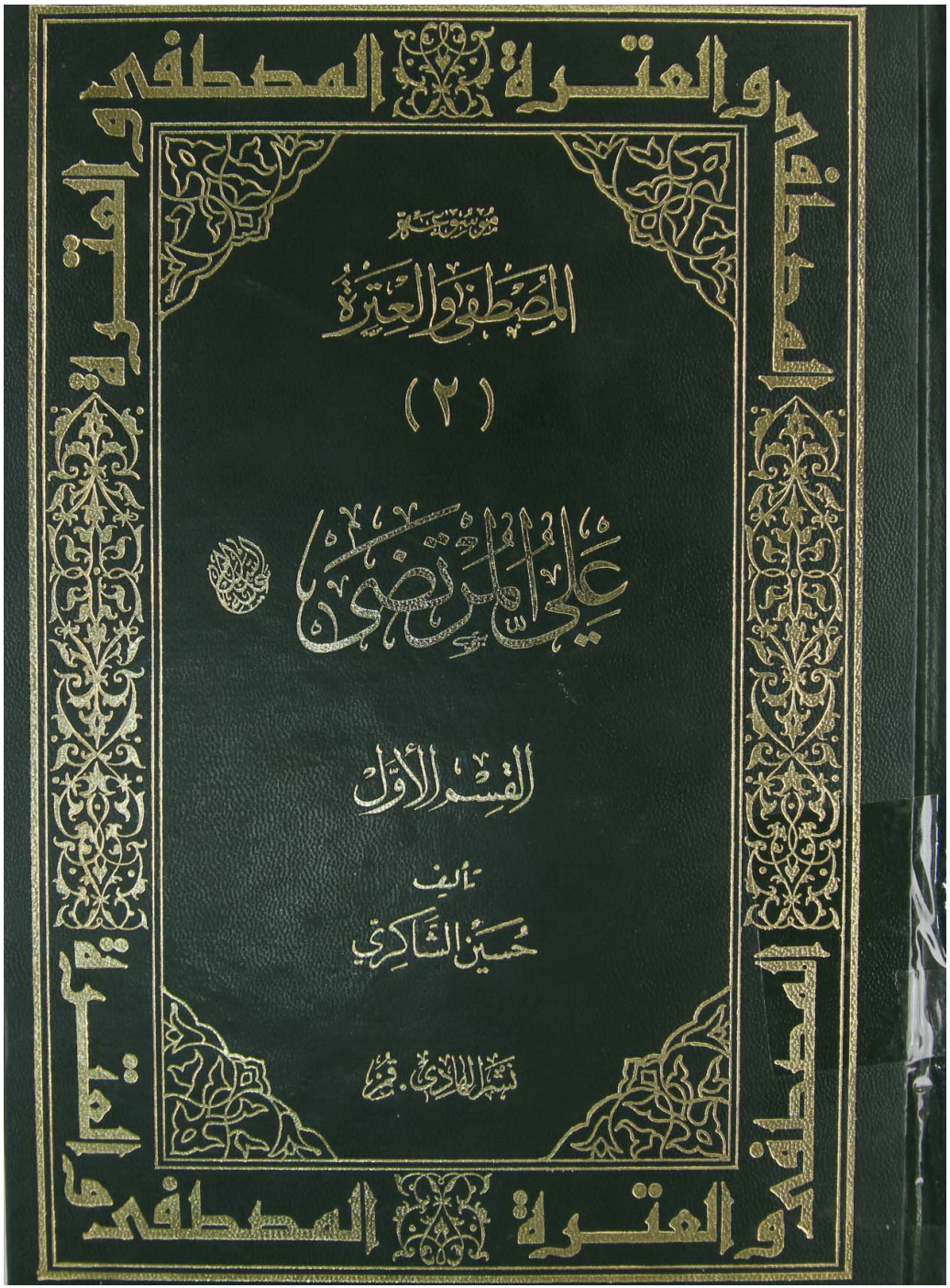
موسوعة
المصطفى والعترة
(٢)
علي المرتضى
القسم الأول
تأليف
حسين الشاكري
نشر الهادي - قم
المصطفى والعترة

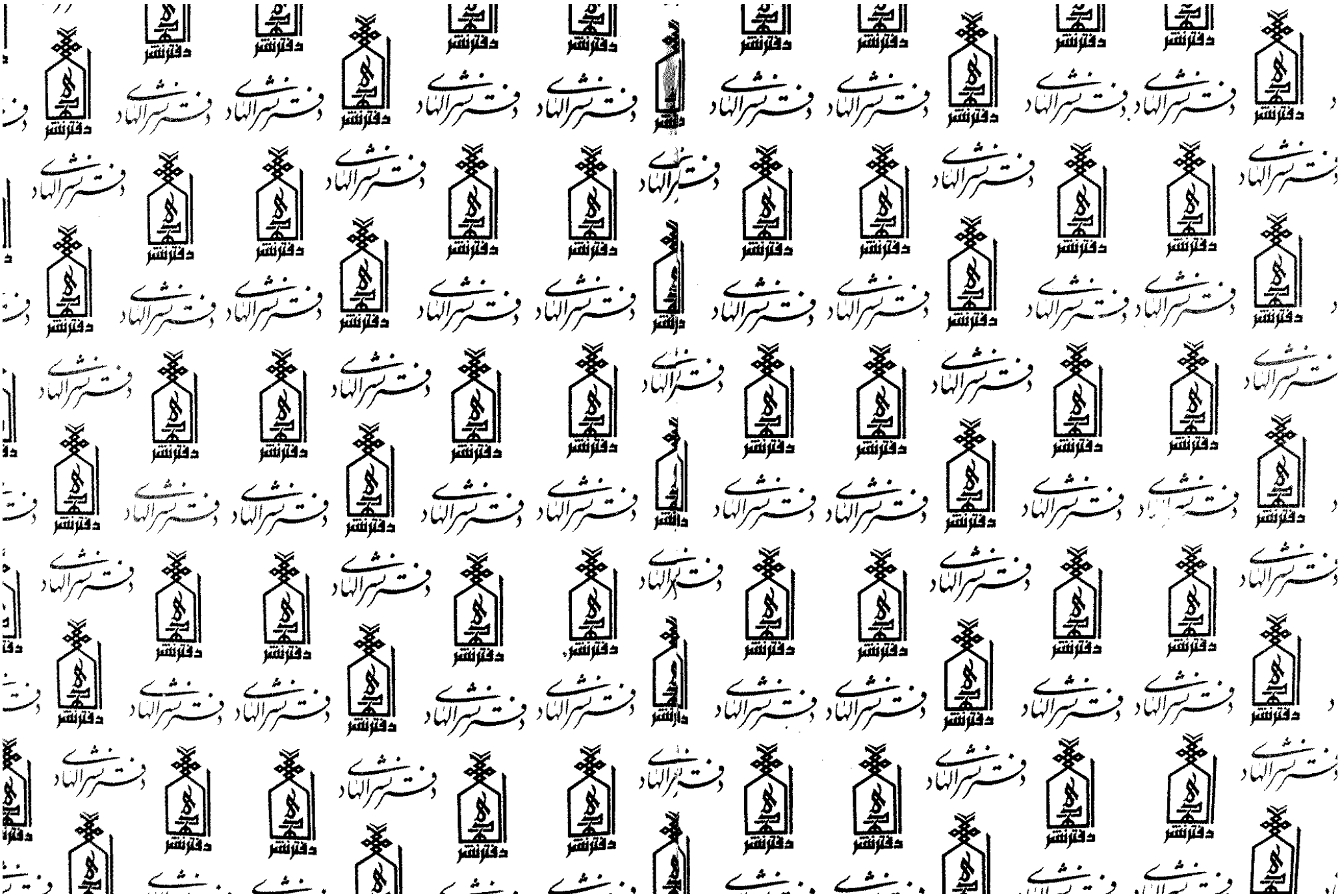
دفتر نشر الهاد

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤١٩٠
تاريخ ٢٤ / ٢٠٠٥
٧٨٥

موسوعة

المصطفى والعترة

(٢)

علي المرتضى عليه السلام

كتاب علمي، أدبي، تاريخي

يبحث في حياة النبي والعترة الطاهرة

تأليف

حسين الشاكري

وبعدها تبرعمت معركة النهروان من قبل الخارجين على الإمام بعد معركة صفين ، نتيجة مكر عمرو بن العاص في رفع المصاحف ، يوم صفين .

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في كتابنا هذا وقبله في كتاب «علي في الكتاب والسنة» فراجع .

أحسَّ بعض اصحاب الإمام (عليه السلام) بخطر أولئك المتآمرين الذين يريدون شن حربٍ شعواءٍ على النظام الإسلامي العادل الذي يديره الإمام علي (عليه السلام) .

تقدموا بطلب من الإمام (عليه السلام) أن يعطي بعض الاموال إلى بعض الاشراف من العرب وقريش وتفضيلهم على الموالي والعجم ، ومن يخاف خلافه من الناس وفرارهم ، شعوراً منهم لدفع ذلك الشر بحلٍ وسط .

فأجابهم الإمام (عليه السلام) قائلاً :

أتأمروني أن اطلب النصر بالجور ؟! والله لا افعل ما طلعت شمس ، وما لاح في السماء نجم ، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم ، فكيف وانما هي اموالهم؟!![1]

وهكذا ظلت مبدئية علي (عليه السلام) وصلابته في الاسلام .

«إن امرئتين أتتا علي (عليه السلام) عند القسمة ، احداهما من العرب والاخرىٰ من الموالي ، فاعطىٰ كل واحدة منهن خمسة وعشرين درهماً ، وكرّاً من الطعام ، فقالت العربية ، يا أمير المؤمنين ، أني إمرأة من العرب ، وهذه من العجم ، فقال علي (عليه السلام) اني والله لا اجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً علىٰ بني اسحاق» .

(١) كتاب الغارات ج١ ص٧٥ ـ للنفعي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ .

وهذه مقاطع من توجيهات الإمام (عليه السلام) إلى ابن عباس حين استخلفه على البصرة .

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك ، وإياك والغضب ، فإنه طيرة من الشيطان ، واعلم ان قربك من الله يباعدك من النار ، وما باعدك من الله يقربك من النار» .

على الرغم من اهتمام الإمام بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة ، فإنه كان شديد الحرص على الإحاطة باساليب معاملة الولاة للأمة ، وكان يحاسبهم على اقل هفوة او زلة تصدر منهم .

فقد بلغه ان عثمان بن حنيف عامله على البصرة ، على ما عليه من الورع ، دعاه بعض أهلها إلى «وليمة» مأدبة ، فخشىٰ الإمام (عليه السلام) ان تستميله تلك الوسائل او سواها فينحرف عن خط العدالة ، فكتب كتاباً جاء فيه .

«أما بعد يااابن حنيف ، فقد بلغني ان رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة ، فاسرعت إليها ، تستطاب لك الألوان ، وتنقل لك الجفان ، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ ، عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم ، فما اشتبه عليك علمه فالفضه ، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه» .

«ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به ، ويستضيء بنور علمه ، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»[1] .

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على «أردشير خرّة» مهدداً اياه ومتوعداً .

(١) نهج البلاغة رسالة رقم ٤٥ .

«بلغني عنك أمراً أن كنت فعلته ، فقد اسخطت إلٰهك وعصيت إمامك ، وإنك تقسم فيء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأُريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من اعراب قومك ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً ، ولتخفن عندي ميزاناً ، فلا تستهين بحق ربك، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين اعمالاً» .

وهذا كتاب آخر إلى أحد عماله يقول فيه :

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر ، ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك ، وعصيت امامك ، واخزيت امانتك ، بلغني انك جردت الأرض فاخذت ما تحت قدميك ، واكلت ما تحت يديك، فارفع إليَّ حسابك ، واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس»[1] .

هكذا كان يحاسب الإمام (عليه السلام) ولاته وينصحهم ويسددهم عن الانحراف ، ولا يغفل عن نصح قادة جيوشه ، ويوضح لهم معالم الطريق ، وينهاهم عن البغي والفساد وهذه بعض توجيهاته لقادة جيوشه .

«لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة ، وتركككم إياهم حتىٰ يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا كانت الهزيمة بإذن الله [لاعدائكم]، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوَّراً[2] ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن اعراضكم وسبين أمرائكم»[3] وأردف قائلاً .

ألا وان لكم عندي ألا احتجز دونكم سرّاً إلاَّ في الحرب ، ولا أطوي

(١) نهج البلاغة رسالة ٤٠ .

(٢) المعوَّر : الذي عجز عن حماية نفسه أثناء الحرب .

(٣) نهج البلاغة في الوصية رقم ١٤ .

دونكم أمراً إلاَّ في الحكم ، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ، ولا اقف به دون مقطعه ، وان تكونوا عندي في الحق سواء ، فاذا فعلت ذلك وجبت لِلّٰهِ عليكم النعمة ، وَلِيَ عليكم الطاعة ، وألا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح ، وان تخوضوا الغمرات إلى الحق[1] .

جباية الأموال

وبالنظر لاهمية جهاز جباية الاموال للدولة الإسلامية التي تشكل الحقوق العامة في ملكة الافراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي فقد اولاه الإمام (عليه السلام) عناية خاصة ، فكان صريحاً على ان يلتزم موظفوا ذلك الجهاز باقصى درجات العدل في الجباية ، وان يلتزموا الحق في تعاملهم مع أفراد الأُمة ، ولا يجوز لهم ان يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية ، كما لا يجوز ابداً بيع كسوة انسان ، أو دابته ، أو داره من اجل استيفاء الحق الشرعي للدولة ، وان لا يستعلى عليهم ، وان يكون لطيفاً وَمَرِناً في معاملته اياهم ، ومن تعاليمه ووصايه قوله :

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد» وأردف قائلاً.

«وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأَقُودَنَّ الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارهاً» .

عن الحكم قال :

(١) نهج البلاغة من كتاب له إلى امراء جيشه رقم ٥٠ .

مكتبة الروضة الحيدرية
النجف الاشرف

موسوعة

المصطفى والعترة

(٢)

علي المرتضى عليه السلام

كتاب علمي، أدبي، تاريخي

يبحث في حياة النبي والعترة الطاهرة

تأليف

حسين الشاكري

مؤسسة المصطفى والعترة

الكتاب:	علي المرتضى ج ١ (ع)
تأليف:	حسين الشاكري
الناشر:	نشر الهادي
الطبعة:	الأولى ١٤١٥ هـ ق
المطبعة:	الهادي
العدد:	٢٠٠٠ نسخة
الفيلم و الزنك:	ليتوگرافي النور

دفتر نشر

نشر الهادي ـ قم ـ خيابان صفائيه ـ مقابل كوچه ورزشگاه.

جميع حقوق الطبع
محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

علي مع القرآن والقرآن مع علي عليه السلام

الإهداء

إلى سيد المرسلين، وشفيع المذنبين.

إلى حامل لواء الحمد، قبلة العالم، وناموس الحقيقة.

إليك يا رسول الله الأمين، يا سيدي وسيد العالمين.

أرفع لمقامك السامي صحائف ولائي وبضاعتي المزجاة، وجهدي المتواضع. مظهراً بعض مناقب أخيك وابن عمك، وخليفتك من بعدك، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الإمام الذي عجز عن إدراك عظمته عباقرة العالم وفلاسفته.

راجياً التفضل بالقبول، لأنال بذلك الحظوة عندك في يوم عز فيه الشافع وقل فيه الناصر، إلا رحمة الله وشفاعتكم، وهو حسبي.

حسين الشاكري

توطئة

تفضل سماحة حجة الإسلام والمسلمين المجاهد الشيخ محمد مهدي الآصفي الأُستاذ في الحوزة العلميّة بقم المقدّسة بتقديم هذه الديباجة الرائعة مشكوراً، موضحاً فيها بعض الحقائق من فضائل ومناقب ومنزلة الرسول الأعظم وآله الطاهرين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

فله الشكر ومن الله الأجر والثواب.

المؤلف

بسم الله الرحمٰن الرحيم

الرسول الأعظم وأهل بيته الطاهرين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين خُلِقُوا من نور وهدىً فهم الأئمة والقادة الذين أورثهم الله تعالىٰ الإمامة في حياة البشرية، واصطفاهم الله مثال قادة للناس.

وقد صرح بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حديث الغدير الذي تضافر علىٰ روايته أئمة الحديث والثقاة من الرواة من السنة والشيعة.

وقد روىٰ مسلم في الصحيح عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «لا يزال الدين قائماً حتىٰ تقوم الساعة، أو يكون عليكم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[1].

وليس لهذه الكلمة النبوية تطبيق واقعي في تاريخ الإسلام إلّا في أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الأثني عشر الذين تولوا الإمامة في حياة المسلمين بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إماماً من بعد إمام ـ ابتداءً من الإمام الأول

---

(١) صحيح مسلم ٤/٦

علي بن أبي طالب إلىٰ الإمام الثاني عشر الحجة المهدي المنتظر.

وهم حجـج الله علىٰ عباده، قد طهرهم الله تطهيراً في آية محكمة بيّنة وواضحة من كتابه الكريم، ﴿**إنما يُريدُ الله ليُذهِبَ عَنكُمْ الرجْسَ أهلَ البيت ويُطهركُمْ تَطهيرا**﴾[1].

وقد صحت الرواية عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، عن شيوخ الحديث وحفاظه الثقاة إنّ هذه الآية نزلت في رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (عليهم السلام)، لا يشاركهم فيها غيرهم، واستفاضت بذلك الرواية كما صح عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قوله: «إني تاركُ فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما (أو ما أن اعتصمتم بهما) لن تضلوا أبداً كتاب الله وعترتي أهل بيتي أحدهما أثقل من الآخر، وإنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض، فاتقوا الله وانظروا كيف تخلفوني (أو كيف تحفظوني) فيهما، فلا تسبقوهم فتهلكوا، ولا تعلّموهم فإنهم أعلم منكم»[2].

فهم إذن حجج الله علىٰ خلقه، يحتج بهم الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ عباده، ولله الحجة البالغة، لا ينطقون كذباً، ولا يقولون باطلاً بصريح القرآن والسنة، وهم عدل القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وحديثهم ليس من الرأي والاجتهاد الذي يكون حقاً حيناً وباطلاً حيناً، وإنما هو حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسنته وليس لهم رأي وحديث عدا حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وسنته.

روىٰ ثقـة الإسلام الشيخ الكليني، عن حماد بن عثمان وغيره، قالوا:

(١) الاحزاب: ٣٣.

(٢) أورد هذا الحـديث، مسلم في الصحيح ج٧ ص١٢٢، والـترمذي في السنن ج٢ ص٣٠٧، والدارمي في السنن ج ص٤٣٣، وأحمد بن حنبل في المسند ج٣/١٤.٢١٧ وغيرهم من أئمة الحديث.

سمعنـا أبـا عبد الله (الصادق) (عليه السلام)، يقول: «حديثي حديث أبي، وحـديث أبي حديث جدي، وحـديث جدي حديث الحسين، وحديث الحسين حديث الحسن، وحـديث الحسن حديث أمـير المؤمنين، وحديث أمير المؤمنين حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قول الله عز وجل»[1].

روىٰ ثقة الإسلام الشيخ الكليني عن أبن شبرمة: قال: ما ذكرت حديثاً سمعته عن جعفر بن محمد (الصادق) إلّا كاد أن يتصدع قلبه. قال: «حدثني أبي عن جدي عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قال ابن شبرمة: واقسم بالله ما كذب أبوه علىٰ جده، ولا جده علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)»[2].

وهم (عليهم السلام) القدوة والأُسوة في حياة البشرية عامةً، وفي حياة هذه الأُمة خاصة، جعلهم الله تعالىٰ شهداء علىٰ خلقه ليكونوا أُسوة للناس، كما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أُسوة للناس، قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿**لقد كان لكمْ في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ**﴾ (الاحزاب: ٢١).

ليتخـذهم النـاس أُسوةً لهم في حياتهم وقياساً في معيشتهم، وحركتهم وسكونهم وكلامهم وصمتهم، وعلائقهم بالله، وبالناس، وبأنفسهم، فلا بدّ للناس من أُسـوة قائمة في حياتهم، يضعون خطاهم مواضع خطاهم، ويتخذون منهم منهجاً عملياً لسلوكهم وحياتهم وحركتهم، وهؤلاء هم الذين إتخذهم الله تعالىٰ شُهداء علىٰ خَلقِه.

يقول الله تعالىٰ: ﴿**وكذلك جَعلنَاكُمْ أُمَةً وسطاً لتكونوا شُهداءَ علىٰ الناسِ ويكون الرسول عليكمْ شهيدا**﴾ (البقرة: ١٤٣).

(١) أصول الكافي ج١/٥٣.

(٢) اصول الكافي ج١ ص٤٣.

وقد روىٰ سماعة عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿**فكيف إذا جئنا من كُلِ أُمةً بشهيد وجئنا بكَ علىٰ هؤلاءِ شهيدا**﴾ قال: «نزلت في أُمة محمد (صلّى الله عليه وآله) خاصة، في كلّ قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، ومحمد (صلّى الله عليه وآله) شاهد علينا»[١].

وعن بريد العجلي قال: سألت أبا عبد الله (الصادق) (عليه السلام) في قول الله عز وجل ﴿**وكذلك جعلناكم أُمةً وسطاً لتكونوا شهداء علىٰ الناس**﴾ قال: «نحن الأُمة الوسطىٰ، ونحن شهداء الله علىٰ خلقه، وحججه في أرضه».

قال: قلت قول الله عز وجل ﴿**ملة أبيكم إبراهيم**﴾ قال: «إيّانا عنىٰ خاصةً هو سماكم المسلمين من قبل في الكتب التي مضت، وفي هذا القرآن، ﴿**ليكون الرسول عليكم شهيدا**﴾ فرسول الله الشهيد علينا، بما بلغنا عن الله عزَّ وجَّل، ونحن الشهداء علىٰ الناس، فمن صَدّق صدقناه يوم القيامة، ومن كذَّب كذبناه يوم القيامة»[٢].

أذن أهل البيت (عليهم السلام) هم:

١ ـ قادة البشرية وأئمتهم.

٢ ـ حجج الله علىٰ خلقه وحديثهم حجة علىٰ العباد فيما ينطقون ويشرحون من حدود الله وأحكامه، وحلاله، وحرامه، وفيما يبلّغون عن الله ورسوله.

٣ ـ شهداء الله علىٰ خلقه، جعلهم الله تعالىٰ في خلقه مقياساً حياً للحق وأُسوة وقدوة في حياة الناس،ولكي نستهدي بهداهم ونأخذ مما آتاهم الله تعالىٰ من النور والهدىٰ لا بُدّ لنا من نحوين من الدراسات عن أهل البيت.

---

(١) اصول الكافي ج١ ص١٤٦، كتاب الحجة باب أن الأئمة شهداء.

(٢) اصول الكافي ج١ ص١٤٦، ١٤٧ كتاب الحجة باب أن الأئمة شهداء.

النحو الأول من الدراسات: عن «مسيرتهم وتاريخهم».

النحو الثاني: عن «سننهم وسلوكهم».

والأول متعلق بتاريخهم وتحركهم السياسي والجهادي ومواجهتهم لأئمة الظلم والجور في حياتهم، والثاني يتعلق بسلوكهم الشخصي في علاقتهم بالله تعالىٰ، وعلاقتهم بأنفسهم، وعلاقتهم بافراد اسرتهم، وعلاقتهم بالناس، وفي أُسلوبهم في السلوك في معيشتهم وحركتهم وسكونهم وصمتهم وكلامهم، و...

ونحن من هذا وذاك نستفيد فوائد جليلة كبيرة في حياتنا (السياسية، والذاتية)، وفي علاقتنا بالله تعالىٰ وبانفسنا وبالاخرين، ومن طريق تعاملنا مع أصدقائنا وأعدائنا، وفي حربنا وسِلْمنا، ومعاشنا ومعادنا،فإن أهل البيت (عليهم السلام) كانوا يعيشون في وسط هذا المجتمع وكانوا يخوضون فيما يخوضه الناس من حرب وسلم ويتحركون في الأسواق وفي وسط المجتمع كما يتحرك الناس، ويتزوجون، ويأكلون، ويشربون ويحبون ويبغضون، وفي كل ذلك يسددهم الله تعالىٰ، فلا يقولون إلّا صِدْقاً، ولا يعملون إلّا حَقاً.

ولذلك فإن دراسة (سيرتهم وسنتهم) تنفعنا ويمكننا من أن نقوّم بهم سلوكنا وحركتنا ونصحح بهم أخطاءنا ونجعلهم أمامنا نقتدي بهم في السراء والضراء، ونقتبس مما آتاهم الله تعالىٰ من النور والهدىٰ، وان القرآن الكريم ليدعوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعد أن يذكر له طائفة كبيرة من أنبياء الله ورسله أن يقتدي بهداهم.

يقول تعالىٰ: ﴿**أولئك الذين آتيناهم الكِتَابَ وَالحُكْم والنبوّة فإن يَكفر بها هؤلاء فَقَدْ وَكلْنا بها قوماً لَيْسوا بها بكافِرين*أولئِك الذينَ هَدىٰ اللهُ فَبِهُداهُم اقْتَده**﴾ (الانعام: ٨٨ ـ ٨٩).

وإذا كان الأمر كذلك بالنسبة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو أشرف خلق الله سبحانه ومن اصطفاه الله تعالىٰ لنوره وهداه دون سائر عباده

واجتباه علىٰ سائر خلقه... فأولىٰ بنا أن نجعل منه (صلّى الله عليه وآله) ومن أهل بيته الهداة المهديين (عليهم السلام) شهداء وقدوات نقتدي بهم ونقتبس من نورهم وهداهم.

وبين أيدينا دراسة موسعة عن (سيرة) رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأهل بيته الطاهرين (عليهم السلام) و(سنتهم) و(تاريخهم السياسي) و(سيرتهم الذاتية) ألّفها صاحب الفضيلة والاخلاق والأدب والتقوىٰ الوجيه الفاضل الحاج حسين الشاكري حفظه الله وهي الحلقة الثانية من موسوعته (المصطفىٰ والعترة). وفي هذه الدراسة يلتقي المؤمنون بروائع من حياتهم، وسلوكهم، وكلامهم (عليهم السلام)، وفي هذه الباقة العطرة من سيرة وتاريخ أهل البيت (عليهم السلام)، يجد القارئ من كل غصنٍ من هذه الشجرة الطيبة نكهة، ومن كل ثمرة من هذه الشجرة المباركة لوناً وطعماً جمعها لنا مؤلفه الفاضل حفظه الله علىٰ مائدة واحدة طيبة، وليس في هذه الدّنيا مائدة أطيب وأشهىٰ من مائدة أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولا روّاد أشرف وأفضل ممن يرتادون موائدهم.

رزقنا الله تعالىٰ حبهم وولاءهم والاقتداء بهداهم والاقتباس من نورهم في الدّنيا وشفاعتهم وجوارهم في الآخرة.

ولئن مَنّ الله تعالىٰ علىٰ مؤلف هذا الكتاب بهذا التوفيق فطالما وفقه الله تعالىٰ للاعمال الصالحة، وللمشاريع النافعة ولخدمة العلم وتراث أهل البيت ومصاحبة العلماء والعاملين ومرافقتهم، فحق عليه أن يشكر الله تعالىٰ علىٰ ما أولاه من نعمه والآئه وفضله، وهو من عباد الله الشاكرين أن شاء الله.

قم المقدسة

محمد مهدي الآصفي

٢٥ شعبان سنة ١٤١٢ هـ

المقدّمة

الحمد لله رب العالمين، بارئ الخلائق أجمعين، ثم الصلاة والسلام علىٰ رسوله خاتم النبيين، وعلىٰ آله الطاهرين.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «أنا مدينة العلم وعلي بابها ومَن أراد المدينة فليأتها من بابها»[١].

وقال: «أنا دار الحكمة وعلي بابها»[٢].

وقال: علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتىٰ يردا عليّ الحوض[٣].

وقال: «مَنْ كُنتُ مولاه فعلي مولاه. اللّهم وال من والاه، وعادِ مَنْ عاداه، وأنصر من نصره، وأخذل من خذله»[٤].

الأحاديث التي سمعتها هي شذرات متناثرةٌ مما قاله الرسول الأكرم (صلّى الله عليه وآله) في علي... وما أدراك ما عليّ؟!.. أمير المؤمنين، ووارث علم النبيين، والحاكم يوم الدين، ويعسوب المؤمنين، وباب حكمة رب العالمين، وباب حطّة من دخلها كان من الآمنين.

---

(١) كنز العمال ج١٣ حديث ٣٦٤٦٣. ط مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٢) كنز العمال ج١١ حديث ٣٢٨٨٩. ط مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٣) كنز العمال ج١١ حديث ٣٢٩١١. ط مؤسسة الرسالة. بيروت.

(٤) لقد تظافرت الامة برمتها علىٰ نقل هذا الخبر في عدة مواضع وبعدة الفاظ وطرق وقد رواه الأئمة في صحاحهم وفي كتب المناقب ومواضع أُخرى عديدة. وقد جمع طرق الحديث ورواته ومصادره شيخنا العلّامة الأميني (رحمه الله) في موسوعته (الغدير) فراجع.

وما عساي أقول في رجل جمع صفات الكمال طراً، واحتوىٰ علىٰ كل مكارم الاخـلاق، وحـيّر عقـول الفلاسفة والحكماء، فعجزت عن سِبر غَوره، وتضاءلت بين يدي عِلمهِ وحكمته.

وقد حاز قصَب السَبق في كل مضمار، من فضلٍ، وعلمٍ، وكرامةٍ، وكل من أتىٰ بعده فإنما هو عيال عليه، ينتهل من نمير علمه، ويستنشق من عبير فضله، وينحدر من حيث تسنم علي ذرىٰ العلوم وقمم المناقب السامقة.

وما أقول في من نَطق فيهِ محكم التَنزيل، وشهد بحقه الرّب الجليل، وقال إنّهُ نفس النبي (صلّى الله عليه وآله) في كل صِفاتهِ ومزاياه سوىٰ النبوة وهبوط الـوحي، كما جاء في آية المبـاهلة[١]، ثم شمله بلطفـه ومنّه في آية التطهير[٢]، والولاية[٣]، وخصّه بتبليغ سورة «البراءة»[٤]، وقرّب منزلته من نبيه ورسوله[٥] (صلّى الله عليه وآله)، وغيرها.

وماذا أقول فيمن ولد في أشرف بقاع الأرض طراً، فحباه الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ بهذه الكرامة التي لم يسبقه إليها أحد، ولن يلحقه بها أحد. ولد في قلب الكعبـة المشـرّفـة، واستشهد في محرابه بمسجد الكوفة مضرجاً بدم الشهادة

(١) انظر صفحة: ٦٩ من كتاب «علي في الكتاب والسنة» في تفسير الآية: ٦١ من سورة آل عمران.

(٢) انظر صفحة: ٤١١ من كتاب «علي في الكتاب والسنة» في تفسير الآية: ٢٢ من سورة الاحزاب.

(٣) انظر صفحة: ٩٥ من كتاب «علي في الكتاب والسنة» في تفسير الآية: ٥٥ من سورة المائدة.

(٤) انظر صفحة: ٢٣ الى ١٣٦ من كتاب «علي في الكتاب والسنة» في تبليغ سورة البراءة ـ آيات ٣، ٢٢، ١٠٠، ١١٩ خاصة فراجع.

(٥) انظر: الجزء الثاني من كتاب «علي في الكتاب والسنة» وبين منزلته (صلّى الله عليه وآله) لما استخلفه في المدنية قائلاً له (عليه السلام): أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنه لا نبي بعدي.

والصلاة بين شفتيه، وقلبه مفعم بذكر الله، ولسانه يلهج ببشرىٰ الفوز حيث صرَخ منادياً «فزتُ وربِّ الكعبة».

وكانت حياته (صلوات الله عليه) بين المسجدين حافلة بالكرامات، مليئة بالتضحيات والجهاد في سبيل إعلاء كلمة الله في الأرض، وتثبيت دعائم دينه الذي ارتضاه، ضارباً بذلك المثل الأعلىٰ، مجسّداً الإسلام علىٰ حقيقته. ولا غرو فهو القرآن الناطق، والإسلام الكامل المتحرك، وربيب الرسول الاكرم (صلّى الله عليه وآله).

عليٌ أمير المؤمنين، بحر لا ينَضب، ومعين لا يَنفد، وسلسل عذب يروي العـطاشىٰ، عميق الاغـوار، لا يدرك ضفـافـه، ولا يمـل عطاؤه، واضـح المعـالم وضوح الشمس في رائعة النهار، بل هو كما قال الشاعر:

«وصفات ضوء الشمس تذَهبُ باطلا».

وكما قال الإمام الشافعي لما سأله أحد أصحابه عن علي بن أبي طالب (عليه السلام):

ما أقول في رجل أسرّ أولياءه مناقبه تقيةً، وكتمها اعداؤهُ حنقاً وعداوةً، ومع ذلك فقد شاع ما بين الكِتمانين ما ملاء الخافقين.

وقد ألفّ في مناقبه العلماء والفلاسفة والحكماء مئآت الكتب والموسوعات، وأردف في حقه آلاف الادباء والشعراء من نظم ونثر، من كل الاديان والميول والنزعات، منذ أن عرفت أسمه الخلائق وإلىٰ يومنا هذا، ولا يزالون.

فانّىٰ لمثلي إن يطوف حول هذه الشخصية، أو ينال من بحر الامام الزاخر ولو قطرة واحدة، أو يذكر صفة من صفاته الحميدة التي لا تحصىٰ... انّىٰ لي ذلك؟! وهو الذي لا يعرفه إلّا الله ورسوله محمّد (صلّى الله عليه وآله) حيث قال: (صلّى الله عليه وآله): «يا علي ما عرف الله إلّا أنا وأنت وما عرفني إلّا الله وأنت وما عرفك إلّا الله وأنا».

عن مجاهد، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): «لو أنّ الغياض اقلام، والبحر مداد، والجن حسّاب، والإنس كتّاب ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

وعلىٰ هذا الاساس بنىٰ الامام الشافعي ونظم هذا المعنىٰ في شعره بعد أن عوتب في عدم نظمه في مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) قال:

يقولون لي قل في علي مدائحاً ... فإن أنا لم أفعل يقولوا معاندُ

إلىٰ ان قال، ونعم ما قال:

فلو أن ماء الأبحر السبعة التي ... خلقن مداداً والسماوات كاغدُ
وأشجار أرض الله أقلام كاتب ... اذا الخط أفناهن عدن عوائد
وكان جميع الجن والانس كتّباً ... اذا كَلَّ منهم واحدٌ قام واحدُ
ورامو جميعاً منقباً أثر منقب ... لما خطَّ من تلك المناقب واحدُ

كما نظم العوفي بهذا المعني حيث قال:

ولو كانت الآجام كلّ بأسرها ... تقطع أقلاماً وتبرىٰ وتحضر
وكانت سماء الله والأرض كاغذاً ... وكانت بأمر الله تطوىٰ وتنشر
وكان جميع الإنس والجن كتباً ... وكان مداد القوم سبعة أبحر
لكلّت أياديهم وغار مدادهم ... ولم يعط عُشر العُشر من فضل حيدر

بيد اني احبه بالفطرة والمعتقد في الله وفي رسوله، وأنا علىٰ بيّنة من ولايته وحبه، ومن يحب لا بد أن يعرف المحبوب.

وانطلاقاً من هذا فقد اكتفيت بتصوير معرفتي وترسيم محبتي بالمستوىٰ الذي إستطعت فهمه وإدراكه لا كما هو، والاغتراف من وجوده الفياض وكيانه المعطاء، وهو محكم متشابه، يعرفه الجميع ويجهله الجميع كيف لا وقد جعله

الصحابة والعظماء سيد الخطباء وأول المشافهين في الكتاب الكريم وسيد المؤمنين أجمعين.

قال حبرَ الأُمة عبد الله بن عباس: «ما في القرآن المجيد آية ﴿ يا أيها الذين آمنوا ﴾ إلّا وعلي سيدها وأميرها وشريفها، وما من أحد من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله) إلّا وقد عُوتِبَ في القرآن إلّا علي بن أبي طالب (عليه السلام) فإنه لم يُعاتب في شيءٍ فيها».

وعن ابن عباس أيضاً قال: «قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): ما أنزل الله آية في القرآن ﴿ يا أيّها الذّين آمنُوا ﴾ إلّا وعليٌ شريفها وأميرها».

وقد ذكرت في الجزء الاول من كتابي «علي في الكتاب والسنة» ما تيسر لي من الآيات القرآنية النازلة بشأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وأفردتها بمجلد خاص، ضمنته مائة وعشرة باباً تيمناً بعدد إسمه الشريف (علي) بحساب الجُمل، وأردفته بأربعة عشر باباً آخر في الآيات النازلة بشأن أهل البيت (عليهم السلام) تيمناً بعددهم الميمون.

واني ما قصدت الاستقصاء، كيف وهو الذي عجز عن فهمِه وإدراكه فطاحل العلماء وكبار المفسرين، اذ ما نزل على أحد في كتاب الله المجيد ما نزل في علي (عليه السلام)، كما قال حَبرُ الأُمة عبد الله بن عباس، ويزيد بن رومان.

فقد روىٰ الضحاك عن ابن عباس انه قال: نزلت في علي بن أبي طالب ثلثمائة آية (خاصة به).

وعندئذٍ وقفت متحيراً أسأل نفسي من أين أبدأ؟! ثم إلى أين أنتهي؟، وقد جمع أمير المؤمنين الأضداد، وافتخر صاحب كل علم وفضلٍ بالانتماء إليه، حتىٰ وصل الأمر ببعضهم إلىٰ أن عبدوه من دون الله سبحانه وتعالىٰ علواً كبيراً.

فهل يمكن لبشر مهما أوتي من علم وحكمة وعبقرية أن يُحَدِّدَ معالم شخصية الإمام تحديداً دقيقاً، أو يصل إلى كنهه ويسبر غوره ؟ حاشا وألف كلا .

ثم ما عساني أن أكتب، أو انقل، أو أقول، في شخص قال، وما قال غيره : قط : «لو كُشِفَ ليَ الغِطاء ما ازددت يقيناً» .

وقال (عليه السلام) :

سلوني قبل أن تفقدوني، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن طرق السموات فاني أعلم بها من طرق الأرض .

وفي رواية اخرى : لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وانبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من متشابهها، ومكيها من مدنيها، والله ما من فئة تضل أو تهدى إلّا أنا أعرف قائدها وسائقها، وناعقها إلى يوم القيامة .

فقوّة يقينه تدل على قوّةَ دينِه، ورجاحةِ موازينه ولكنّ عذري أن «لا يترك الميسور بالمعسور» .

عزيزي ـ القارئ ـ إليك في هذا الكتاب بعض مناقبه وفضائله وكراماته (عليه السلام) بصورة موجزة، لأني سبق أن استعرضت بعضها مفصلاً ـ قدر المستطاع ـ في مجموعتي الأُولىٰ (علي في الكتاب والسنة)[1]، وخصّصتها ـ كما مرّ ـ بالآيات النازلة . وذكرت في الجزئين اللّاحقين ـ الثاني والثالث ـ سِيرتَه مفصلة مزدانة ببعض فضائله ومناقبه وكراماته، وقد ضمّنت في الجزء الثاني، الحقبة الأولىٰ من حياته (عليه السلام)، منذ ولادته في الكعبة المشرفة إلىٰ يوم إلتحاق

(١) طبع طبعته الأُولىٰ في بيروت . والطبعة الثانية في ايران .

الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلىٰ .

وأتممت في الجزء الثالث الحقبة الثانية من حياته (عليه السلام) ابتداءً من يوم السقيفة إلىٰ يوم شهادته في محرابه بمسجد الكوفة .

وأخيراً وليس آخراً، أتقدم بكلتا يديَ رافعاً لمقامك السامي، بضاعتي المزجاة، وجهدي المتواضع، وخالص ولائي .

راجياً التفضل بالقبول، لأنال الشفاعة في يوم لا ينفع فيه مالٌ ولا بنون إلّا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم . فإنّه أرحم الراحمين .

وآخر دعوانا إن الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله الطاهرين .

حسين الشاكري

الفاتح من رجب الأصم ١٤١٢ هـ

الفصل الأول

ولادته وطفولته

تميّز الامام علي (عليه السلام) بمناقب وفضائل لم تكن لأحد قبله ولا بعده، وطالما تمنّى الصحابة ولو واحدةً منها وكما قال أحدهم «لكانت أحبَّ إليَّ من حُمُر النِعَم» ومن هذه الخصائص ولادته (عليه السلام) في بيت الله الحرام، تلك الفَضيلةِ التي طفَحت بها الكتب، وتظافر علىٰ نقلها كبار المحدّثين والمؤرخين، كالمسعودي في «مروج الذهب»، وسبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»، وابن طلحة الشافعي في «مطالب السؤول» وغيرهم.

وإليك نص ما قاله الحافظ الحاكم النيسابوري على ما أورده عنه الحافظ الكنجي الشافعي في «كفاية الطالب» قال:

«ولد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمكّة في بيت الله الحرام، ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام ، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحلّه في التعظيم».

وقال الحافظ نور الدين علي بن محمد بن الصباغ المكي المالكي (٧٨٤ ـ ٨٥٥ هـ) في الفصول المهمة: ص٣٠ ، والحافظ الشافعي السمهوري (٨٤٤ ـ ٩١١ هـ)، والحافظ برهان الدين الحلبي (٩٧٥ ـ ١٠٤٤ هـ)، والشيخ الشبلنجي، من علماء القرن الثالث عشر في نور الابصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص١٥٦، وغيرهم:

قالوا: عن ولادة علي (عليه السلام) في الكعبة.

«ولد بداخل البيت الحرام، ولم يُولدَ في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصّهُ الله تعالىٰ بها إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبَتِه، وإظهاراً لتكرمته».

وقال الحافظ القرشي الكنجي الشافعي ٦٥٨ هـ عن الحاكم النيشابوري ٣٢٣ ـ ٤٠٥ هـ في كفاية الطالب والعلّامة الشيخ المفيد ـ محمد ابن النعمان البغدادي ٤١٣ هـ في الارشاد ص٩.

والحافظ الأسدي الحلّي ـ المعروف بابن البطريق ٥٣٣ هـ ـ ٦٠٠ هـ في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٤.

والشيخ الوزير علي بن عيسىٰ الأربلي ت ٦٩٢ هـ في كشف الغمة ج١ ص٥٩.

والعلّامة الحلي ـ الحسن بن يوسف المطهر ـ ٦٤٨ ـ ٧٢٧ هـ في نهج الحق وكشف الصدق: ص٢٣٢.

وغيرهم قالوا: في ولادة عليّ (عليه السلام) في الكعبة، « لم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه، إكراماً له بذلك وإجلالاً لمحله في التعظيم».

هذه ثلاث روايات نقلتها لك بصورة موجزة واخترتها من مجموعة كبيرة مما قاله فطاحل العلماء والمحدثين والمؤرخين في صحاحهم ومسانيدهم وتاريخهم وقد ذكر ذلك الاستاذ شاكر شبع في بحثٍ له بهذا الصدد في العدد السادس والعشرين من مجلة تراثنا **الصادرة** في قم وبيروت سنة ١٤١٢ هـ فراجعه لتطلع علىٰ تفاصيل أوسع ومصادر أكثر.

بعد هذه المقدمة لا بُدّ من خوض غمار حديث ولادة حكيم في الكعبة هذه المزعمة الزائفة، والرواية المجعولة، وإخضاعها لشيء من البحث والتحقيق والتمحيص، لكشف زيفها وبيان وضعها، إذ فيها الكثير ممّا يوجب الشكّ والريب في سلامتها وصحّتها، وبراءة ساحة رواتها فان بعض ذوي النفوس المريضة، والحاقدة اختلقوا رواية ولادة حكيم بن حزام بن خويلد في الكعبة

المشرفة توهيناً لها ولمن ولد في جوفها حَسداً من عند أنفسهم وبُغضاً وثأراً من أمير المؤمنين (عليه السلام) في قتل شيوخهم علىٰ تنزيل القرآن وتثبيت الرسالة ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ (النساء/ ٥٤). ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ (الصف/ ٨).

فالولد الطاهر من النسّل الطاهر، وُلِدَ في الموضع الطاهر، فأين توجد هذه الكرامة لغيره؟!

فأشرف البقاع: الحرم، وأشرف الحرم: المسجد، وأشرف بقاع المسجد: الكعبة، ولم يولد فيه مولود سواه.

فالمولود فيه يكون في غاية الشرف، فليس المولود في سيد الأيام «يوم الجمعة» في الشهر الحرام «رجب الأصم» في البيت الحرام سوىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

هذه الكلمة قالها: الحافظ المؤرخ ابن شهر آشوب السَروي المازندراني المتوفىٰ عام ٥٨٨ هـ، بعد أن ذكر عدة أحاديث صحيحة ثابتة في ولادة علي عليه السلام في الكعبة المشرفة[1].

وقد اجاد فطاحل العلماء والأدباء والشعراء في نظم ما جادت به قرائحهم بهذه المناسبة الميمونة المباركة.

أذكر بعضاً منهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر وما هو أسرع إلىٰ السمع واوقع في القلب منهم:

العالم الأديب أبو الحسن علاء الدين عليّ بن الحسين الحلّي، من العلماء الشعراء في القرن الثامن الهجري، يقول في قصيدة دالية طويلة:

أمْ هل ترىٰ في العالمين بأسرهم ... بَشَراً سِواه ببيتِ مكّة يُولَدُ؟

(١) مناقب آل أبي طالب ج٢ ص١٧٥.

في ليلةٍ جبريل جاءَ بها مَع الملأ المقدَّسِ حَولَهُ يَتَعَبَّدُ
فلقدْ سَمَا مجداً عليّ كما عَلا شَرَفاً به دونَ البقاع المَسْجِدُ[1]

ومنهم العالم المتكلِّم المحدِّث الفقيه المولىٰ محمّد طاهر بن محمّد حسين القميّ، صاحب المؤلّفات القيّمة النافعة، المتوفىٰ سنة ١٠٩٨ هـ، في لاميّته البديعة التي مطلعها:

سَلامَةُ القَلْبِ نَحَّتْني عَن الزَّلَلِ وشُعْلَةُ العِلمِ دَلَّتني عَلىٰ العَمَلِ

إلىٰ أن يقول:

طُوبَىٰ لَهُ كَانَ بَيتُ اللهِ مَوْلِدُهُ كمِثلِ مولِدِهِ ما كَانَ للرُّسُلِ[2]

ومنهم الفقيه المحدِّث الشيخ محمّد بن الحسن الحرّ العاملي (١٠٣٣ ـ ١١٠٤ هـ) صاحبُ «وسائل الشيعة»، قال في أُرجوزةٍ له في تواريخ المعصومين (عليهم السلام):

مَوْلِدُهُ بمكّة قد عُرِفاَ في داخِلِ الكعبةِ زيدت شرفا
علىٰ رُخامةٍ هناك حمرا معروفة زادَتْ بذاكَ قدرا
فيا لها مزيّة عليّة تخفضُ كلَّ رُتبةٍ عليّة
ما نالها قط نبيٌّ مرسلُ ولا وصيّ آخرٌ وأوّلُ

ثمّ شرع بنظم حديث يزيد بن قعنب المشهور[3].

ومنهم الشيخ الفقيه حسين نجف التبريزي النجفي (١١٥٩ ـ

(١) تجد القصيد كاملة في الغدير ٦:٣٥٦ ـ ٣٦٤.
(٢) الغدير: ١١: ٣٢.
(٣) عليٌّ وليد الكعبة: ٣٦.

١٢٥١هـ)، حيث يقول في قصيدته الهائية:

جَعَلَ اللهُ بيتَهُ لعليّ مولداً يا لَهُ عُلا لا يُضاهَىٰ
لم يشاركهُ في الولادةِ فيهِ سيّد الرسلِ لا ولا أنبياها[1]

ومنهم العلّامة السيّد علي نقي النقوي الهندي اللكهنوي في موشّحة ميلاديّة طويلة، منها قوله:

لم يكن في البيتِ مولودٌ سواهْ إذ تعالىٰ عن مثيلٍ في عُلاهْ
أُوتي العلم بتعليم الإلٰهْ فغذاه درّه قبل الفطامْ
يرتوي منه بأهنىٰ مشربِ[2]

ومنهم آية الله السيّد محسن الأمين (١٢٨٤ ـ ١٣٧١هـ) صاحب الموسوعة القيّمة «أعيان الشيعة» حيث ذكر في أول باب سيرة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فصل في مولده، من موسوعته الآنفة الذكر:

وُلِدْتَ ببيتِ اللهِ وهيَ فَضيلةٌ خُصِصْتَ بها إذ فيكَ أمثالُها كُثُرُ[3]

وله أيضاً من مقصورة:

وَوُلِدْتَ في البيتِ الحَرامِ ولم يكن هذا لغيركَ مَن يكون ومَن مضىٰ[4]

ومنهم السيّد حسن بن محمود الأمين (١٢٩٩ ـ ١٣٦٨ هـ)، في قصيدة بائية طويلة:

(١) نقلها الشيخ الأوردبادي في عليّ وليد الكعبة: ٦٩ عن ديوان الشيخ المخطوط.
(٢) تجدها كاملة في عليّ وليد الكعبة: ٨٥ ـ ٨٨، والغدير٦: ٣٣ ـ ٣٥.
(٣) أعيان الشيعة ١: ٣٢٣.
(٤) عليٌّ وليد الكعبة: ١٠٨.

وُلِدتَ في البيتِ بيت الله فارتفعتْ أركانهُ بكَ فوقَ السَّبعةِ الحُجُبِ
وتلكَ منزلةٌ لم يؤتها بشرٌ بلىٰ ومرتبةٌ طالت علىٰ الرُّتُبِ[1]

ومنهم الفاضل الأديب الشيخ محمود عبّاس العاملي في قصيدته العلويّة المسماة بـ«الدرر السنية»:

مَن مثلهُ في بيتِ بارئهِ ولِدْ؟ ذي خصلةٍ قد خُصَّ فيها مُذ وُجِدْ
أمعن بها يا صَاح فكراً وٱعتمدْ وٱنظُر لَها النظَر الصحيحَ ولا تحِدْ
من واضحِ المنهاجِ وقيتَ الضررْ[2] .

وقال شهاب الدين الألوسي ـ صاحب التفسير المشهور ـ في «الخريدة الغيبية في شرح القصيدة العينية» لعبد الباقي أفندي العمري عند قول الشاعر:

أنت العليُّ الذي فوق العُلىٰ رُفعا
ببَطن مكّة عند البيت إذ وُضِعا

وكون الأمير ـ كرم الله وجهه ـ ولد في البيت أمر مشهور في الدنيا، وذكر في كتب الفريقين السنّة والشيعة...؛ وما أحرى بإمام الأئمة أن يكون وضعه فيما هو قبلة للمؤمنين، وسبحان مَن يضع الأشياء في مواضعها، وهو أحكم الحاكمين.

وقال عند قول الشاعر العمري:

وأنت أنت الذي حطّت له قدمٌ في موضع يده الرحمان قد وضعا

وأحبَّ عليه الصلاة والسلام أن يكافئ الكعبة حيث ولد في بطنها بوضع الصنم عن ظهرها.

(١) أعيان الشيعة ٥: ٢٨٥، دائرة المعارف الشيعية ١:١٥٣.
(٢) عليّ وليد الكعبة: ٨٣.

وفي رواية ان أباه أبو طالب سماه علياً، وقال شعراً:

سميته بعلي كي يدوم له عز العُلا وفخر العز ادومه

وقد ذكرت قصّة صعود علي (عليه السلام) على منكب النبي (صلّى الله عليه وآله) ورميه الأصنام في باب مستقل يأتي إن شاء الله.

أمّا تفاصيل حادثة الولادة الميمونة فمروية في مصادر معتبرة كثيرة.

منها:

أمالي الشيخ الصدوق ـ المتوفّى سنة ٣٨١ هـ ـ ص١١٤ ح٩ ط مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

ورواها في «علل الشرائع» ص١٣٥ ح٣ ط المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

وفي «معاني الأخبار» ص٦٢ ح١٠ ط قم.

والشيخ الفقيه عماد الدين أبو جعفر محمد بن علي الطبري ـ من أعلام القرن السادس ـ في كتابه «بشارة المصطفىٰ» ص٧ ط المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

والشيخ الأديب بهاء الدين علي بن عيسى الأربلي، المتوفىٰ في بغداد سنة ٦٩٢ هـ، في كتابه «كشف الغمّة» ج١/٦٠ط تبريز.

ومن بشائر المصطفىٰ مرفوعاً إلىٰ يزيد بن قعنب.

ومصادر أُخرىٰ كثيرة، يضيق المجال بذكرها. وإليك متن حديث الولادة المبارك:

روى هؤلاء جميعاً بإسنادهم إلىٰ سعيد بن جبير قال: قال يزيد بن قعنب:

كنتُ جالساً مع العبّاس بن عبد المطّلب وفريق من بني عبد العزّىٰ بازاء بيت الله الحرام، إذ أقبلت فاطمة بنت أسد ـ أمّ أمير المؤمنين علي (عليه السلام) وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق فقالت:

ربّ ، إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب ، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل ، وإنّه بنىٰ البيت العتيق ، فبحقّ النبيّ الّذي بنىٰ هذا البيت ، وبحقّ المولود الّذي في بطني لمّا يسرت عليَّ ولادتي .

قال يزيد بن قعنب : فرأينا البيت وقد انفتح من ظهره ، ودخلت فاطمة فيه ، وغابت عن أبصارنا ، والتزق الحائط ، فرُمنا أن ينفتح لنا قفل الباب فلم ينفتح ، فعلمنا أنَّ ذلك أمرٌ من أمر الله ـ عزَّ وجلَّ ـ .

ثمَّ خرجت في اليوم الرّابع وبيدها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ثمَّ قالت :

إنّي فُضّلتُ علىٰ مَن تقدَّمني من النساء ، لأنَّ آسية بنت مزاحم عبدت الله ـ عزَّ وجلَّ سرّاً في موضع لا يحبُّ أن يعبد الله فيه إلّا اضطراراً وأنَّ مريم بنت عمران هزَّت النخلة اليابسة بيدها حتّى أكلت منها رطباً جنيّاً .

وفي رواية : أُوحِيَ إليها أن أخرجي من بيت المقدس فإنّه بيت عبادة لا بيتَ ولادة ، فإنّي دخلتُ بيت الله الحرام فأكلت من ثمار الجنّة وأوراقها ، فلمّا أردتُ أن أخرج هتف بي هاتف :

يا فاطمة ، سمّيه عليّاً فهو عليٌّ ، والله العليّ الأعلى يقول : إني شققت إسمه من إسمي ، وأدّبته بأدبي ، ووقفته علىٰ غامض علمي ، وهو الّذي يُكسّر الأصنام في بيتي ، وهو الذي يؤذّن فوق ظهر بيتي ويقدّسني ويمجّدني ، فطوبىٰ لمن أحبّه وأطاعه ، وويل لمن أبغضه وعصاه .

وتسابق الشعراء إلىٰ نظم بدائع القصائد في هذه الحادثة الميمونة ، اخترنا منها[1] من موشّحة الشاعر «ميرزا إسماعيل الشيرازي» المتوفّىٰ سنة ١٣٠٥ هـ ، التي ذكرها العلّامة الأميني في كتابه «الغدير» ج ٦/٢٩ ـ ٣٠ ومطلعها :

(١) تجد بقية القصيدة في الجزء اللاحق من موسوعتنا هذه .

رغد العيش فزده رغداً ... بسلافٍ منه تشفي سَقمي
حبّذا آناء أُنس أقبلتْ ... أدركت نفسي بها ما أمّلتْ
وضعت أُمُّ العُلى ما حملتْ ... طاب أصلاً وتعالىٰ محتدا
مالكاً ثقل ولاء الأُممِ

آلىٰ آخر القصيدة .

أما نسبه فيتصل بنسب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مجداً ومحتداً ، ولا يحتاج إلى تعريف ، فقد سبق أن ذكرناه في سِيرَة النبي (صلّى الله عليه وآله) .

أما أمهُ : فهي فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف ، يتصل جَدّهَا بجد رسول الله وأمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) مباشرةً . وهي أول هاشميةٍ تلِدُ هاشمياً وأول من ولّده هاشم مرتين . وكانت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بمنزلة الأم ، ربّتهُ في حجرها ، وقدّمته على أولادها . وكانت من السابقات إلى الإيمان ، وهاجرت معه بصحبةِ ولدها والفواطم[1] إلى يثرب (المدينة المنورة) ولما ماتت شيعها النبي (صلّى الله عليه وآله) وكفّنها بقميصه ليدرأ به عنها هوام الأرض ، وتوسد في قبرها لتأمن بذلك ضغطة القبر ، ولقنها الإقرار بولاية ابنها علي كما اشتهرت الرواية .

قالت فاطمة : فولدت علياً ولرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثلاثون سنة ، فأحبّه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حباً شديداً ، وقال لها : إجعَلي مهده بقرب فراشي ، وكان (صلّى الله عليه وآله) يلي أكثر تربيته ، وكان يُطهّر علياً في وقت غسله ، ويؤجره[2] اللبن عند شربه ، ويحرك مهده عند نومه ، ويناغيه في

(١) الفواطم هنّ ـ فاطمة الزهراء ، فاطمة بنت أسد (أمه) ، فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب ، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب .

(٢) يؤجره اللبن ـ أي يسقيه .

يقظته، ويحمله على صدره ورقبته، ويقول هذا أخي ووليّي، وناصري، وصفيي، وذخري، وكهفي، وصهري، ووصيّي، وزوج كريمتي، وأميني علىٰ وصيتي وخليفتي. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يحمله دائماً ويطوف به جبال مكة وشعابها واوديتها وفجاجها (صلّى الله على الحامل والمحمول).

فاطمة بنت أسد الهاشمية

أُم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ومربية الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) فاطمة بنت أسد الهاشمية[1]، وأسد ابن هاشم بن عبد مناف، تجتمع هي وأبو طالب في هاشم.

أسلمت وهاجرت مع النبي (صلّى الله عليه وآله) وكانت من السابقات إلىٰ الايمان بمنزلة الأم من النبي (صلّى الله عليه وآله)، فلما ماتت بالمدينة كفنها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقميصه وأمر أُسامة بن زيد وأبا أيوب الأنصاري وغيرهم، فحفروا قبرها، فلما بلغوا لحدها، حفره النبي (صلّى الله عليه وآله) بيديه وأخرج ترابه فلمّا فرغ اضطجع فيه، وقال:

«الله الذي يحي ويميت وهو حي لا يموت، اللّهم اغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع عليها مدخلها بحق نبيك محمد والانبياء الذين من قبلي فإنك ارحم الراحمين».

فقيل: يا رسول الله رأيناك صَنعت شيئاً لم تكن صَنعته باحد **قبلها**.

فقال (صلّى الله عليه وآله): «البستها قميصي لتلبس من ثياب الجنة،

(١) هي أول امرأة هاجرت من مكة إلى المدنية، وأول امرأة بايعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بمكة بعد خديجة، وقال أهل السير: أول هاشمية ولدت خليفة هاشمياً ولا يعرف خليفة أبواه هاشميان سوىٰ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

واضطجعت في قبرها ليخفف عنها من ضغطة القبر إنها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليَّ بعد عمي أبي طالب رضي الله عنهما ورحمهما».

وقال (صلّى الله عليه وآله): «جزاك الله من أم خيراً».

وذكر العلامة ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة ـ الفصل الاول ـ ص٢٩ ـ ٣٢ «في ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه» ننقله بتصرف:

هو الامام الأول واسم أبيه «عبد مناف»، وكنيته أبو طالب، ويلقب بأبي البطحاء[1]، واسم أبيه عبد المطلب شيبة الحمد[2] وكنيته أبو الحارث[3]، والحارث أخو عبد الله والد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وعند عبد المطلب يجتمع نسب النبي (صلّى الله عليه وآله) بنسب علي (عليه السلام) لأنه جدهما.

أما عبد الله فولده الوحيد هو ـ محمد بن عبد الله ـ رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

وأما عبد مناف فأولاده أربعة مع بنت واحدة. الكبير منهم طالب الذي كُني أبوه به، فكان عقيباً لا عقب له، ومن بعده عقيل، ثم جعفر، ثم علي، وكل واحدٍ أسن من الآخر بعشر سنين، وأختهم أم هانئ، وأسمها فاخته، وأمهم جميعاً فاطمة بنت أسد الهاشمية، هكذا ذكر ذلك ضياء الدين أبو المؤيد موفق بن احمد الخوارزمي في كتابه المناقب.

أما طالب لم أعثر علىٰ ترجمةٍ له ولم يذكر التاريخ عنه شيئاً.

وأما عقيل فكان من أشراف قريش، ويعتبر الأول في أنساب العرب

(١) لانهم استقوا به سقياً فكنوه بذلك.

(٢) لشيبةٍ كانت في رأسه.

(٣) الحارث ـ وعبد مناف أبو طالب، وعبد الله، أشقاء لامٍ وأمهم فاطمة بنت عمرو بن عايذ.

وقريش، خلّف أربعة أولاد أكبرهم مسلم ثم عبد الله ثم عبد الرحمن ثم جعفر، وقد بعث الإمام الحسين (عليه السلام) مسلماً سفيراً له إلىٰ أهل الكوفة، فبويع له ثم خُذل وأستشهد وأستشهد بعده بعض أصحابه قبل وصول الإمام الحسين (عليه السلام) إلىٰ كربلاء في قصة مفصلة ذكرتها في الجزء الخامس من هذه السلسلة التي تخص حياة سيد الشهداء الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف بكربلاء.

أمّا جعفر بن أبي طالب، فقد هاجر إلىٰ الحبشة ومعه بعض المؤمنين هاربين من مطاردة قريش حين طغيانهم وذلك بأمر من النبي (صلّى الله عليه وآله). عاد إلىٰ المدينة المنورة في أوائل السنة السابعة للهجرة يوم فتح الله خيبر علىٰ يد رسول الله بقيادة أخيه أمير المؤمنين (عليه السلام) وأستقبله (صلّى الله عليه وآله) بكل حفاوة وتقدير وقال: «والله ما أدري بأيهما أشد فرحاً بفتح خيبر أو بقدوم جعفر»، وأسهم له من غنائم خيبر، وأستشهد جعفر في غزوة مؤتة مع من استشهد من قواد تلك الحملة وهم زيد بن الحارثة، وعبد الله بن رواحة وخلّف محمداً الذي قتل بين يديّ عمه علي بن أبي طالب بمعركة صفين، وأمّا عبد الله بن جعفر فقد تزوّج بالسيدة الطاهرة زينب الكبرىٰ فأولدت له عوناً ومحمداً وقد استشهدا بين يدي خالهم الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء بكربلاء.

ولد علي (عليه السلام) بمكة المشرفة، بداخل البيت الحرام، في يوم الجمعة الثالث عشر من شهر الله الأصم رجب الفرد سنة ثلاثين من عام الفيل، قبل الهجرة بثلاث وعشرين سنة، وقيل بخمس وعشرين سنة، ولم يولد في البيت الحرام قبله أحد سواه، وهي فضيلة خصه الله تعالى بها إجلالاً له، وإعلاءً لمرتبته وإظهاراً لتكرمه، وكان علي هاشمياً من هاشميين، وأول من ولده هاشم مرتين.

* * *

«القابه وكناه»

إنّ لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ألقاباً وكنى ونعوتاً يتعذّر حصرها أو الإلمام بها، وكلّها صادرة من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في شتىٰ المواقف والمناسبات. وقد استطاع الحبر الحجة السيد المرعشي النجفي ذكر بعضها في مواضع عديدة من موسوعته إحقاق الحق، منها: ج٤ ص٣٨٨، وفي ج٦ ص٥٣٨، وفي ج١٥ ذكر مائة وأربعة وأربعين نعتاً، ولكلٍّ نعت ذكر أكثر من ثلاثين مصدراً وحديثاً، كما أوردها في أوّل الجزء السادس إلى آخره، والذي يقع في أكثر من سبعمائة صفحة، فراجع. وفي الجزء العشرين تجد مائة وستة وعشرين نعتاً في ص٢٢٢ إلى ٥٩٠، بعدها يذكر دعاءه له (صلّى الله عليه وآله) ولأهل بيته في عدّة مناسبات إلى آخر المجلد ص٦٢٦ وغيرها.

هذا بعض ما جاء في كتاب إحقاق الحق، ولا أدّعي الحصر، وإنّما ذكرت هذا على سبيل المثال والايجاز.

أمّا اعلام القوم وحفاظهم الذين ذكروا القابه وكناه ونعوته (عليه السلام) فكانوا من الكثرة بمكان بحيث لا يمكن حصرهم بهذه العجالةِ والإيجاز، لأن كل لقب وكنيةٍ ونعتٍ يذكره كثيرون منهم، ولربما يربو عددهم علىٰ أربعين مصدراً، وما أظن أنّ أحداً تخلّف منهم عن ذكره.

وهذه أهم ألقاب أمير المؤمنين (عليه السلام) وكناه ونعوته أذكرها على سبيل المثال لا الحصر، وكلها صادرة من الرسول الأعظم (صلوات الله عليه وآله وسلّم)... منها:

أمير المؤمنين ـ إمام المتّقين ـ يعسوب الدين ـ قائد الغر المحجّلين.

أبــو الحســنــين ـ أبــو الحسن ـ أبــو تراب ـ أبــو السبــطين.

إمـام الـبررة ـ قاتـل الفجـرة ـ حامـل لواء الحمـد ـ النبأ العظيم.

باب مدينـة علم النبي ـ قسيم الجنّة والنار ـ الصراط المستقيم ـ ابو اليتـامىٰ والمسـاكين.

إخو رسول الله ـ خليفة رسول الله ـ وارث رسول الله ـ ولي كل مؤمن بعد رسول الله.

الفـاروق الأعـظم ـ الصدّيق الأكبر ـ أرحم الناس بالرعيّة ـ أبصر الناس بالقضية.

أشجع الناس قلباً ـ أحسن الناس خلقاً ـ أصدق الناس لساناً ـ أعلم الناس حكماً.

ونقل ابن الصباغ المالكي المكي في كتابه الفصول المهمة ص١٢٠ ط النجف وط طهران.

اما كنيته: أبو الحسن، أبو السبطين، وأبو تراب، كناه بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكان أحب الكنايات إليه كما سبق ذلك.

وأما لقبه: فالمرتضى، وحيدر، وأمير المؤمنين، والأنزع البطين، كذلك نعته بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وتكاد تكون منحصرة به، لا سيما في حياته (صلّى الله عليه وآله).

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) يوم فتح خيبر: «يا علي، لولا أن تقول فيك طوائف من أُمّتي ما قالت النصارىٰ في عيسى بن مريم لقلتُ فيك اليوم مقالاً لا تمرُّ بملأٍ من المسلمين إلّا أخذوا تراب رجليك، وفضل طهورك يستشفـون به؛ ولكن حسبك أن تكون منّي وأنا منك، ترثني وأرثك، أنت مني بمنزلة هارون من موسى، إلّا أنّه لا نبي بعدي... » إلى آخر حديثه (صلّى الله عليه وآله) مذكور في ج٤ ص٤٨٤ من إحقاق الحق.

وإلى هنا نكتفي بهذا القدر، ومن أراد الـزيـادة فعليه بمراجعة ما ذكرناه في أوّل الحديث من المصادر.

وإليك أسـماء بعض أعلام القوم ومحدِّثيهم الذين ذكروا ألقاب وكُنى ونعوت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

١ ـ الحافظ أحمد بن حنبل في «المناقب» وفي «المسند» وفي «فضائل الصحابة».

٢ ـ العلّامة النسائي في «الخصائص».

٣ ـ العلّامة الترمذي في «الصحيح».

٤ ـ الحاكم النيسابوري في «المستدرك».

٥ ـ الحافظ أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء».

٦ ـ الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي في «المناقب».

٧ ـ العلّامة أخطب خوارزم موفق بن أحمد في «المناقب».

٨ ـ العلّامة ابن الأثير في «أُسد الغابة».

٩ ـ العلّامة محبّ الدين الطبري في «ذخائر العقبى» وفي «الرياض النضرة».

١٠ ـ العلّامة جمال الدين الزرندي في «نظم درر السمطين».

١١ ـ العلّامة ابن أبي الحديد في «شرح النهج».

١٢ ـ العلّامة الحموينى في «فرائد السمطين».

١٣ ـ العلّامة الذهبي في «تاريخ الاسلام» وفي «تلخيص المستدرك».

١٤ ـ العلّامة الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية».

١٥ ـ الحافظ جلال الدين السيوطي في «الخصائص» وفي «الجامع الصغير».

١٦ ـ العلّامة ابن حجر العسقلاني في «الاصابة» وفي «الكاف الشاف».

١٧ ـ العلّامة ابن عبد البر في «الاستيعاب».
١٨ ـ العلّامة فخر الدين الرازي في «نهاية العقول».
١٩ ـ العلّامة البغوي في «التفسير».
٢٠ ـ العلّامة جار الله الزمخشري في «الكشّاف».
٢١ ـ العلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة».
٢٢ ـ الحافظ أبو بكر الهيثمي في «مجمع الزوائد».
٢٣ ـ العلّامة المولى المتقي الهندي في «كنز العمّال».
٢٤ ـ المؤرخ ابن سعد في «الطبقات الكبرى».
٢٥ ـ العلّامة الميرزا محمّد خان المعتمد البدخشي في «مفتاح النجا».

نكتفي بذكر هؤلاء، ونحيل القارىء الكريم إلى مراجعة المطولات في هذا المجال،فيما نؤكد إن أهم المصادر والمراجع الأساسية المهمة عند الطوائف المختلفة كالصحاح الستّة تكاد تجمع على رواية اسماءه وكناه (عليه السلام) بحيث لاتخلوا واحدة من ذكر بعضها ـ فراجع.

* * *

سيرة الإمام علي (عليه السلام)

كان الإمام (عليه السلام) مظلوماً منذ طفولته ، وقد صرح بذلك (عليه السلام) عدة مرات بقوله «ما لقي أحد في هذه الأمة ما لقيت»[١] .

لم يلق عظيم من عظماء التاريخ ما لقي الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من ظلم واثرة في حياته وبعد مماته . لانه كان كالسيف القاطع امام الباطل ، مدافعاً عن شريعة السماء بكل كيانه ، في كل مرحلةٍ من مراحل حياته ، بل هو في الحقيقة ، الإسلام المتجسد في شخصه ، كما قال (عليه السلام) ما ترك لي الحق من صديق ولا حميم .

وهذه شذرات من سيرته الشريفة منها :

معاناته

في طفولته عندما كان اخيه عقيل مصاباً في عينه بالرمد وكانت عيني اخيه علي سالمتان ، ومع ذلك يجبر عقيل اهله ان يضعوا الدواء في عين اخيه علي قبل عينيه .

اصيبت قريش بأزمة اقتصادية خانقة ، وكانت وطأتها شديدة على أبي طالب، اذ كان رجلاً ذا عيال كثيرة وكهفاً يلوذ به ذوي الحاجة من الناس والفقراء بحكم مركزه الإجتماعي في مكة .

---

(١) انساب الاشراف للبلاذري ج٢ ص١٧٧ .

مما حدى بالرسول العظيم (صلّى الله عليه وآله) ان يكلم عمه أبو طالب ويقنعه في تخفيف العبئ عن كاهله ، بأخذ أحد أولاده «عليّ» وهو ابن ست سنوات وابقاءه عنده واحتضانه والعناية في تربيته التربية النبوية ، سنذكر ذلك مفصلاً فيما بعد .

حصيلة الإعداد النبوي للإمام

ولقد اشار الإمام (عليه السلام) إلى ابعاد تربيته من لدن مربيه الأوّل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بقوله :

«وقد علمتم موضعي من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالقرابة القريبة والمنزلة الخصيصة ، وضعني في حجره ، وانا ولد ، يضمني إلى صدره ، ويكنفني في فراشه ، ويمسني جسده ، ويشمني عرفه ، وكان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه ، وما وجد لي كذبة في قول ، ولا خطلة في فعل» الى ان قال :

«ولقد قرن الله به (صلّى الله عليه وآله) منذ ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ، ومحاسن اخلاق العالم ، ليله ونهاره ، ولقد كنت اتبعه إتّباع الفصيل اثر أمه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالإقتداء به» الى ان قال :

«ولقد كان يجاور في كل سنة (حِراء)[1] فأراه ولا يراه غيري[2] ولم يجمع

(١) حِراء : غار في جبل ثور الواقع بين مكة ومنى كان (صلّى الله عليه وآله) يتعبد فيه .
(٢) نهج البلاغة / تبويب د . صبحي الصالح ط ١ ٢٦٧٠ / ٢٦٧٥ .

بيت واحد يومئذٍ في الإسلام غير رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وزوجته خديجة ، وانا ثالثهما ، وأرى نور الوحي والرسالة ، واشم ريح النبوة»[1] .

والذي يستقري هذا النص بامعان ، يتجلىٰ له ان علياً (عليه السلام) قد حظى برعايةٍ خاصة من لدن الرسول الكريم وحدبه ، وايثاره منذ ايام طفولته .

اما في صباه وشبابه ، فقد انصب جهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على تكوين شخصيته ، بالاضافة إلى المؤهلات الفذة التي يتمتع بها ، اذ كان يأمره بالاقتداء به ، وسلوك سبيله ، وفي كل يوم يرفع له من اخلاقه علماً ومعرفة وكان يتبع اثره خطوة خطوة ، كما وصف ذلك نفسه (عليه السلام) في حديثه .

ولقد كان الإمام (عليه السلام) من الصفاء الروحي ، والاستقامة الخلقية ، بحيث كانت تتكشف له الكثير من حجب المستقبل المستور ، كما صرح بذلك . واردف الإمام (عليه السلام) قائلاً :

ولقد سمعت رنة الشيطان حين نزول الوحي عليه (صلّى الله عليه وآله) فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة ؟ فقال : هذا الشيطان قد آيس من عبادته ، انك تسمع ما اسمع ، وترى ما أرىٰ إلّا انك لست بنبي ، ولكنك وزير وانك على خير[2] .

فإن أثر تربية الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) جعله يقطع شوطاً بعيداً في هذا المضمار في التقرب إلى الله عزّ وجلّ مما رشحه ان يكون خليلاً ووزيراً للنبوة .

ولقد عاش الإمام علي (عليه السلام) في كنف والديه ست سنوات ومع ذلك فقد كان دور الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) الدور البارز في رعايته

(١) عبدالفتاح مقصود «علي بن أبي طالب» ج١ ص٣٩ / الاخلاق الفقر .
(٢) نهج البلاغة ـ الخطبة القاصعة .

منذ طفولته وخلال تلك السنوات وبعدها .

انتقل علي (عليه السلام) الى دار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على اثر الضائقة المالية التي المّت بأبيه أبي طالب (عليه السلام) كما سبق ذكره .

ومنذ تلك السنين المبكرة عاش الإمام علي (عليه السلام) تحت رعاية الرسول (صلّى الله عليه وآله) سنين الصبا وفترة التفتح على الحياة والشباب حتى في ساعات تهجده وخلوته في غار حراء ، وغيرها .

عاش الإمام (عليه السلام) التحول الروحي الذي اشرف على نفس الرسول (صلّى الله عليه وآله) لينهض بمهمة الدعوة إلى الرسالة الإلٰهية .

فقد شهد الإمام (عليه السلام) الارهاصات التي تعتري الرسول (صلّى الله عليه وآله) بعد نزول الوحي عليه وخروجه من غار حراء في طريقه إلى مكة .

فقد اخرج البيهقي في دلائل النبوة عن علي (عليه السلام) ما يجسد هذه الحقيقة حيث قال (عليه السلام) :

كنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بمكة ، فخرج في بعض نواحيها ، فما استقبله شجر ، ولا جبل ، إلّا قال له ، السلام عليك يا رسول الله [١] .

كما قال أبي مسعود :

قدمت إلى مكة فانتهيت إلى العباس بن عبدالمطلب وهو يومئذ عطّار جالس إلى زمزم ونحن عنده ، اذ اقبل رجل من باب الصفا عليه ثوبان ابيضان ، عليه وفرة جعدة إلى انصاف اذنيه ، أشم أقنىٰ ، أدعج العينين ، كث اللحية ، ابلج براق الثنايا ، أبيض [الوجه] تعلوه حمرة ، وعلىٰ يمنيه غلام مراهق أو محتلم حسن الوجه ، تقفوهم إمرأة قد سترت محاسنها ، فقصدوا نحو الحجر فاستلمه الرجل ثم

(١) الاربلي / كشف الغمة ج١ ص٨٦ .

الغلام ، ثم طافوا بالبيت ثم استقبلوا الحجر ، وقام الغلام إلى جانب الرجل والمرأة خلفهما فأتوا باركان الصلاة مستوفاة فلما رأينا ما لا نعرفه بمكة ، قلنا للعباس : إنا لا نعرف هذا الدين فيكم ؟

قال : أجل والله ، فسألناه عن هؤلاء فعرّفنا اياهم [قال : الرجل هو ابن أخي محمد بن عبدالله ، والغلام هو أبن أخي علي بن أبي طالب ، والمرأة هي خديجة بنت خويلد ، زوجة ابن أخي محمد] .

ثم قال : والله ما علىٰ وجه الأرض احد يدين بهذا الدين إلّا هؤلاء الثلاثة ، وروي مثله عن عفيف بن قيس[١] .

عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) قال :

«كان علي(عليه السلام) يرىٰ مع النبي(صلّى الله عليه وآله) قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت»[٢].

ان هذا الإحساس المميز الذي يجري لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) يكشف عن كيان روحي خاص لا يختص به إلّا الأنبياء والأوصياء ، وخلفائهم ـ فقد ذكر أصحاب السنن باسانيدهم عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مخاطباً علي (عليه السلام) «أنت مني بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبي بعدي» كما وسبق ما ذكرنا ، بقوله (صلّى الله عليه وآله) «انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى ، إلاّ انك لست بنبي ، ولكنك وزير ، وانك لعلى خير» .

حينما تلقى الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) بيان التكليف الإلٰهي بحمل الرسالة السماوية ، عاد إلى بيته ، فاطلع علياً (عليه السلام) بالأمر فاستقبله (عليه السلام) بالتصديق واليقين فوراً دون ترديد أو استفسار ، وكذلك السيدة خديجة

(١) و (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج٤ ص٣١٥ .

بنت خويلد .

فانبثقت أول نواة مؤمنة لمجتمع المتقين في الأرض ومن الجدير بالذكر ان نعلم ونتيقن ان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لم يَدْعُ علياً (عليه السلام) إلى الإسلام ، كما دعا غيره فيما بعد لأن علياً كان مسلماً بالفطرة ، وحنيفياً موحداً منذ نعومة اضفاره ، ولم تصبه الجاهلية باوضارها ، ولم يتفاعل بشيء من عادتها ، وانما اطلعه على امر دعوته ومنهج رسالته ، وكان مؤهلاً لتصديق الوحي وأمر الرسالة ، واتباع الدعوة ، لان الرسول (صلّى الله عليه وآله) كان قد أنشأ شخصية علي (عليه السلام) وارسى لبناتها الاساسية ، ولم يفاجئ الإمام بأمر الدعوة المباركة طالما عاش في كنف الرسول (صلّى الله عليه وآله) وتفيأ ظلاله ، حيث كان الرسول (صلّى الله عليه وآله) يعبد ربه ، ويرتفع عن الجاهلية في مفاهيمه وسلوكه وعلاقاته ، قبل ان ينزل عليه وحي السماء ، وعليٌّ كان يعيش تلك العبادات ويتفاعل معها .

وحلت المرحلة الثانية من الدعوة حينما اذن الله عزَّ وجلَّ لرسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله) بدعوة عشيرته الأقربين من بني هاشم ، ليوسع مدار الدعوة ، فانزل هذه الآية المباركة :

﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ * وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * فَإِنْ عَصَوكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[1] .

عند ذلك صدع (صلّى الله عليه وآله) بالأمر ، وأمر علياً (عليه السلام) ان يصنع طعاماً لبني هاشم ويدعوهم إليه ، فحضرو إلى دار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكانوا أربعون رجلاً حينذاك أو يزيدون قليلاً إلى آخر الرواية التي

(١) الشعراء ٢١٤ ـ ٢١٦ .

ذكرناها في موضع آخر من كتابنا هذا .

استفحل أمر قريش بعد وفاة حاميه والمدافع عنه عمه ابو طالب (عليه السلام) ، حينما اجتمعت مشيخة قريش في دار الندوة للتشاور فيما بينها على صيغة قرار يقضي باغتيال الرسول (صلّى الله عليه وآله) وقد كشف الله عزَّ وجلَّ ذلك لرسوله بقوله عزَّ من قائل :

﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾[1] .

وابلغ جبرئيل (عليه السلام) الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) بأمر الله تعالى بالهجرة إلى يثرب ليفوّت الفرصة على المشركين ، وجاء دور الإمام علي (عليه السلام) ليفديه بنفسه وينام على فراشه ويلتحف ببردته ، ليوهم المشركين حتى يخرج الرسول (صلّى الله عليه وآله) من مكة ، ويختفي في الغار ، وعندما طلع الفجر اقتحم المتآمرون على الدار لتنفيذ جريمتهم ، فوثب علي (عليه السلام) في وجوههم كالاسد الضاري المدافع عن عرينه ، قائلاً لهم ما شأنكم ؟ قالوا : اين محمد ؟

قال :

«اجعلتموني عليه رقيباً ؟ ألستم قلتم نخرجه من بلادنا ، فقد خرج عنكم» .

فخرجوا وانقلبوا خاسرين ، وباءوا بالفشل الذريع هذه واحدة من مناقبه.

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في موضع آخر من كتابنا هذا . الخ ..

وبعد ايام من سيرة الركب الميمون وصل (صلّى الله عليه وآله) الى قبا ، منتظراً قدوم اخيه وابن عمه علي بن أبي طالب بالفواطم ، اذ كتب إليه يخبره

(١) الانفال / ٣٠ .

بالمسير إليه ، وقد حمل الكتاب أبو واقد الليثي بعد ان ادىٰ عليّ (عليه السلام) جميع الامانات إلى أهلها كما أوصاه بذلك (صلّى الله عليه وآله) وخرج من مكة بالفواطم في وضح النهار متحدياً بذلك جبابرة قريش وطغاتهم ـ والصورة متكاملة في موضع آخر من كتابنا هذا .

مرحلة ما بعد الهجرة

استقبلت يثرب عهداً جديداً من تاريخها الطويل بوصول الرسول (صلّى الله عليه وآله) اليها حيث باشر فور وصوله إلى ارساء قواعد دولة القرآن ، وعمل على تحصينها من كيد المشركين ، لتكون مناراً يشع نور الحق إلى الافاق ليبدد ظلام الجاهلية الحالك .

وقد امتلكت الدولة الفتية ، بعض الحماية لها والتحصين من اعدائها ، ولكن ذلك لا يعني انها سلمت من كيد المشركين وتحديهم وخططهم لاطفاء نور الإسلام ، بل العكس هو الذي كان ، فالجاهلية بقواها الكبيرة وواجهاتها المتعددة قد اجمعت على حرب دولة الإسلام ، اضف إلى ذلك مؤامرات وخطط مردة أهل الكتاب ، المحيطة قلاعهم بيثرب «مدينة الرسول المنورة» بعد ان ادركت ان وجودها في خطر بعد تثبيت دعائهم دولة الإسلام الفتية لذلك اجمعت على حرب دولة الإسلام والقضاء على المسلمين في مهدهم ، كما دخلت فصائل كثيرة إلى الميدان مؤازرة المشركين لمحاربة المسلمين بكل ما تملك من وسائل القوة والبطش .

وقد تحول بطبيعة الحال من صراع افراد إلى صراع عسكري مسلح ومنظم تقوده قوىً جمعتها المصالح والاهواء من قِبَل طواغيت المشركين لمحاربة افراد

عُزّل مسلمين لا يملكون غير دينهم وايمانهم وثقتهم بالله تعالى ، وكان الإمام علي (عليه السلام) قطب رحاها ، والمدافع الأول عن بيضة الإسلام ، وقد فاز بقصب السبق في التصدي لقوى الشرك بكل ابعاده .

كما ذكرنا ذلك ، في جميع التحديات والحروب التي خاضها الرسول الأعظم مع قوىٰ الكفر والشرك واولها واهمها حرب بدر ، واحد ، والاحزاب «الخندق» وحنين وغيرها بالاضافة إلى الحروب التي خاضها مع مردة أهل الكتاب من بني النضير ، وبني القينقاع ، وغيرهم .

لم يحظ رجل في الإسلام بما حظىٰ الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من تكريم وثناء في آيات القرآن العظيم وأحاديث الرسول الكريم ، وكلمات عظماء المسلمين ، بالإضافة إلى عظماء العالم وفلاسفتهم .

وقد احتوى القرآن الكريم والسنة الشريفة ، والتاريخ الصحيح على نصوص واحاديث وروايات تنطق بالثناء على فضائل علي (عليه السلام) ومكارم اخلاقه ، كما ذكرنا ذلك مفصلاً في ابواب متعدده من فصول كتابنا . على في الكتاب والسنة ، وفي فصول كتابنا هذا «عليّ المرتضى» من موسوعة «المصطفى والعترة» . فيما خص من فضائله ومناقبه ، من المبيت على فراش الرسول (صلّى الله عليه وآله) ليلة الهجرة ، وآية التطهير ، وآية المباهلة ، وآية المنزلة ، وآية التصدق بالخاتم ، وغيرها من الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية التي تنوّجته (عليه السلام) والتي نصت على فضله دون منازع ولا مدافع .

على رغم مما حاول المنافقون والمنحرفون من اغماط حقه ، كما صرح بذلك الإمام الشافعي ، وابن أبي الحديد والخليل بن احمد وغيرهم ومضمون قولهم : **كتم اعداء عليّ فضائله حقداً وحنقاً ، وكتم مواليه ومحبيه فضائله خوفاً وتقيةً ، وقد**

ظهر ما بين الكتمانين ما ملأ الخافقين .

وقال : أحمد بن حنبل «ما ورد لأحدٍ من اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) من الفضائل ما ورد لعلي رضي الله عنه» .

وما ان انتصر الإسلام والمسلمون بقيادة الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) وضرب اطنابه على الجزيرة العربية كلها واطمئن (صلّى الله عليه وآله) على مستقبل الإسلام والمسلمين وبعد فتح مكة وغزوة حنين والأوطاس والانتصارات الباهرة التي حققها المسلمون ، وكان بطلها وقائدها الأول في ميادين القتال علي بن أبي طالب (عليه السلام) !

اعلن (صلّى الله عليه وآله) عزمه علىٰ حج بيت الله الحرام ، وما ان سمع المسلمون النبأ حتى هرعوا واستعدوا للالتحاق بالركب الميمون ، وقد بلغ عددهم ما ينيف على المائة وعشرون ألفاً ، وقبل خروجه (صلّى الله عليه وآله) إلى مكة بايام كتب (صلّى الله عليه وآله) الى علي (عليه السلام) في اليمن ، وكان قد ارسله على رأس حملة الى بني مذحج ، ليوافيه إلى مكة حاجاً ، فخرج علي (عليه السلام) من اليمن ومن معه ، وما معه من الحلل والهدايا والجزية التي استلمها من نصارىٰ نجران ، واسرع عائداً ليلتقي بالنبي (صلّى الله عليه وآله) قبل دخوله مكة ، فادركه وقد اشرف على دخولها ، فسلم عليه واخبره بما صنع ، وبما معه من الغنائم والحلل ، فسر بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وابتهج بلقائه ، وقال له : «بم اهللت يا عليّ» ؟ قال : يا رسول الله لم تكتب إليَّ باهلالك ، فعقدت نيّتي بنيّتك ، وقلت اللّهم إهلالاً كاهلال نبيك ، وسقت الهدى معي من البدن اربعاً وثلاثين بدنة ، فقال (صلّى الله عليه وآله) : الله اكبر قد سقت انا ستاً وستين بدنة ، وانت شريكي في حجي ومناسكي ، وهدي ، فاقم [يا عليّ] على احرامك .

وبعد الأنتهاء من مناسك الحج عاد (صلّى الله عليه وآله) إلى المدينة المنورة ، وقبل ان يصل الجحفة هبط عليه الأمين جبرئيل (عليه السلام) بوحيٍ من السماء يأمره بنصب علياً (عليه السلام) ولياً واماماً وقائداً على المسلمين ، وقد صدع الرسول (صلّى الله عليه وآله) بتبليغ الرسالة في غدير خم الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة المباركة ، وبويع لعلي (عليه السلام) بإمرَةِ المؤمنين ، بامر السماء وبإشراف الرسول العظيم ، خليفةً لرسول رب العالمين كما ذكرنا ذلك مفصلاً في بيعة الغدير من كتابنا هذا .

فاضت نفس الرسول (صلّى الله عليه وآله) الطاهرة إلى ربها في حجر علي (عليه السلام) ورحل عن الدنيا والتحق بالرفيق الأعلىٰ وهو قلق علىٰ مستقبل الرسالة والامة ، وقد صرح بذلك عند زيارته الاخيرة للبقيع بقوله (صلّى الله عليه وآله) :

«السلام عليكم يا أهل القبور ، ليهنئكم ما اصبحتم فيه ، مما فيه الناس ، اقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع أولها اخرها»[1] الخ ..

وكان تأكيده المستمر على ضرورة التمسك بالثقلين ، كتاب الله والعترة الطاهرة[2] لحفظ المسيرة الاسلامية من بعده .

وطلب (صلّى الله عليه وآله) في آخر ساعة من حياته ، بدواة وكتف ليكتب للامة كتاباً لن تضل بعده ابداً ، ولكن الاطماع بالخلافة والمصلحة الذاتية أبت ذلك فضاعت الفرصة الثمينة .

---

(١) اخرجه النسائي في سننه ج ٤ / ص ٩٣ ، وابو داود ، وابن ماجة .

(٢) اخرجه الترمذي برقم ٨٧٤ ، من احاديث كنز العمال / ج ١ ص ٤٤ مسند احمد ج ٥ ص ١٨٢ ، ١٨٩ / الحاكم في المستدرك ج ٣ ص ١٤٨ وغيرها .

إلى غير ذلك من مصاديق توجسه وقلقه (صلّى الله عليه وآله) على مستقبل المسيرة الاسلامية وأهل بيته .

وما أن التحق بالرفيق الأعلى ، وانشغل الإمام علي (عليه السلام) وأهل بيته (عليهم السلام) بتجهيزه (صلّى الله عليه وآله) حتى عقدت الانصار اجتماعاً لها في سقيفة بني ساعدة ، خوفاً على مستقبلهم من قريش التي عزمت على صرف الخلافة عن علي بن أبي طالب وابعاده عن موقعه القيادي الذي نَصّبَهُ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم الغدير حينما بويع له بالخلافة وولاية العهد ، وبعد صراع عنيف حققت قريش هدفها الذي خططته ، والأمر الذي دبر بليل في ازاحة علي عن الخلافة كما سنوضح ذلك مفصلاً في احداث السقيفة .

عليٌّ واهل بيته (صلّى الله عليه وآله) والخلص من اصحابه مشغولون في تجهيز فقيدهم وفقيد الأمة الغالي ، اذ ظل جثمانه الطاهر ثلاثة أيام دون دفن ليتسنى للمسلمين توديعه والصلاة عليه .

وظل الامام (عليه السلام) متمسكاً بحقه الطبيعي الشرعي في الخلافة ولم يبايع على رغم المحاولات الأرهابية ، والتهديدات ظل متمسكاً بحقه .

وبعد شهادة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) والتحاقها بالرفيق الأعلى في مقعد صدق مع أبيها عند مليك مقتدر ، وسمع بِرِدَّةٍ بعض المنافقين ، وعصيانهم المسلح ، وجرت احداثاً خطيرة تهدد كيان الإسلام وامته بالفناء ، واشتد ساعد المنافقين وقويت شوكتهم داخل المدينة المنورة وخارجها وتحرك الرومان والفرس أو كادوا له بالمرصاد للقضاء على دولة الإسلام من جذورها وابادة المسلمين حين انشقاقهم ، عند ذلك اعاد الإمام (عليه السلام) النظر في موقفه والتعامل مع الخلافة ، حسب ما تحكم به المصلحة الإسلامية العليا

حتى ولو كانت على حساب حقه الشرعي في الخلافة ، حفظاً لشرع الاسلام وجمعاً لوحدة المسلمين من التمزق والضياع والانحراف .

كما صرح في كتاب له (عليه السلام) بهذا الصدد جاء فيه : «فأمسكت يدي حتى رأينا راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام ، يدعون إلى محق دين محمد (صلّى الله عليه وآله) فخشيت ان لم انصر الإسلام واهله ان أرى فيه ثلماً أو هدماً ، تكون المصيبة به عليَّ اعظم من فوت ولايتكم التي إنّما هي متاع أيام قلائل ، يزول منها ما كان ، كما يزول السراب او كما ينقشع السحاب ، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمأن الدين وتنهنه[1] .

بيد ان صوت عدل علي (عليه السلام) كان يعلو عندما يستشار ويجهر عندما يستفتي ، حين لا تجد غير عليّ (عليه السلام) مدبراً ومعالجاً لها ، وقاضياً بأمر الشريعة فيها.

والخلفاء الثلاثة لم يروا بداً من استشارته اذا التبست عليهم الأمور ، وهكذا نجده مرةً مرشداً إلى الحكم الإسلامي الصحيح ، ومرة تجده قاضياً في شأنٍ من شؤون الأمة ، واخرى تجده موجهاً للحاكم وناصحاً له إلى الوجهة التي تحقق المصلحة الإسلامية العليا ، وهكذا تجد دوره الرسالي في كل الابعاد التي تخص مصلحة الاسلام والمسلمين .

واليك بعض الصور التي التقطناها من المصادر المعنية بالأمر منها :

أ ـ في خلافة أبي بكر :

١ ـ فكر أبو بكر بغزو الروم فاستشار جماعة من الصحابة فقدّموا وأخّروا ،

---

(١) من كتاب له عليه السلام الى أهل مصر مع مالك الأشتر حين ولاه امارتها راجع نهج البلاغة .

ولم يقطعوا برأي ، فاستشار علياً (عليه السلام) في الأمر فقال : إن فعلتَ ظفرتَ . فقال أبو بكر : بشّرت بخير . وأمر أبو بكر الناس بالخروج بعد أن أمرّ عليهم خالد بن سعيد[١] .

٢ ـ أراد أبو بكر أن يقيم الحد على شارب خمر . فقال الرجل : إني شربتها ولا علم لي بتحريها ، فأرسل إلى الامام يسأله عن ذلك فقال (عليه السلام) : «مُر نقيبين من رجال المسلمين يطوفان به على المهاجرين والأنصار وينشدانهم هل فيهم أحد تلا عليه آية التحريم أو أخبره بذلك عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، فإن شهد بذلك رجلان منهم فأقم الحد عليه ، وإن لم يشهد أحد بذلك ، فاستتبه وخلِّ سبيله» . ففعل الخليفة ذلك ، فعلم صدق الرجل فخلى سبيله[٢] .

٣ ـ عن محمد بن المنكدر ، ان خالد بن الوليد كتب إلى الخليفة أبي بكر أنه وجد رجلاً في بعض ضواحي العرب ، ينكح كما تنكح المرأة ، وإنّ أبا بكر جمع لذلك ناساً من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وسلم) وكان فيهم علي ابن أبي طالب أشدهم يومئذ قولاً ، فقال :

إن هذا ذنب لم تعمل به أمة من الأمم إلا أمة واحدة ـ يعني قوم لوط ـ فصنع الله بها ما قد علمتم ، أرى أن تحرقوه بالنار ، فكتب أبو بكر بذلك إلى ابن الوليد[٣] .

٤ ـ قدم جاثليق النصارى يصحبه مائة من قومه ، فسأل أبا بكر أسئلة ، فدعا علياً (عليه السلام) فأجابه عنها ، ونكتفي منها ـ كنموذج ـ بسؤال واحد من

(١) تاريخ اليعقوبي / ج٢ ص١٣٣ .
(٢) ابن شهر آشوب / مناقب آل أبي طالب / ج٢ ص٣٥٦ .
(٣) علي والخلفاء / ص٣٦ ، كنز العمال /ج٣ /ص٩٩ .

أسئلة الجاثليق : ـ أخبرني عن وجه الرب تبارك وتعالىٰ !

فدعا علي (عليه السلام) بنار وحطب ، واضرمه ، فلما اشتعلت قال : أين وجه هذا النار؟ . قال الجاثليق : هي وجه من جميع حدودها . فقال علي (عليه السلام) : (هذه النار مدبرة مصنوعة ، لا يعرف وجهها ، وخالقها لا يشبهها ، وَللهِ المشرق والمغرب فأينما تولّوا فثم وجه الله ، لا تخفى على ربنا خافية)[١] .

٥ ـ أرسل ملك الروم رسولاً إلى أبي بكر يسأله عن رجل لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ، ولا يخاف الله ، ولا يركع ولا يسجد ولا يأكل الميتة والدم ، ويشهد بما لم يَرَ ويحب الفتنة ويبغض الحق ، فأخبر بذلك علياً (عليه السلام) فقال:

(هذا رجل من أولياء الله : لا يرجو الجنة ولا يخاف النار ، ولكن يخاف الله ولا يخاف من ظُلمه ، وانما يخاف من عدله ، ولا يركع ولا يسجد في صلاة الجنازة ، ويأكل الجراد والسمك ، ويأكل الكبد ، ويحب المال والولد ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ ويشهد بالجنة والنار وهو لم يرهما ، ويكره الموت وهو حق)[٢] .

ب ـ في خلافة عمر بن الخطاب :

١ ـ حين أراد عمر بن الخطاب أن يغزو الروم راجع الإمام (عليه السلام) في الأمر ، فنصحه الإمام بألا يقود الجيش بنفسه مبيناً علة ذلك قائلاً :

(فابعث إليهم رجلاً مجرّباً واحفز معه أهل البلاء والنصيحة ، فإن أظهره الله فذاك ما تحب ، وان تكن الأخرى كنت ردءاً للناس ، ومثابةً للمسلمين)[٣] .

(١) علي والخلفاء / ٦٠ ، التستري / قضاء أمير المؤمنين / ط . مؤسسة الاعلمي (بيروت) / ص٨٦ .
(٢) ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب /ج٢ / ٣٥٨ .
(٣) راجع نهج البلاغة . احفز : ادفع وسق ، أهل البلاء : أهل المهارة في الحرب .

٢ ـ ورد إلى بيت مال المسلمين مال كثير ـ من البحرين ـ فقسمه عمر بين المسلمين ، ففضل منه شيء ، فجمع عمر المهاجرين والأنصار واستفتاهم بأمره قائلاً : ما ترون في فضلٍ ، فضل عندنا من هذا المال ؟

قال الإمام (عليه السلام) : «أشير عليك أن لا تأخذ من هذا الفضل وأن تفضه على فقراء المسلمين» . فقال عمر : صدقت والله[1] .

٣ ـ بعث أبو عبيدة بن الجراح وبرة بن رومان الكلبي إلى عمر بن الخطاب : ان الناس قد تتابعوا في شرب الخمر بالشام ، وقد ضربت أربعين ، ولا أراها تغني عنهم شيئاً ، فاستشار عمر الناس . فقال علي (عليه السلام) : أرى أن تجعلها بمنزلة حد الفرية «ثمانون جلدة» . إن الرجل إذا شرب هذى ، وإذا هذى ، افترى ، فجلده عمر بالمدينة ، وكتب إلى أبي عبيدة ، فجلده بالشام[2] .

٤ ـ لقد ورد أن عمر بن الخطاب رأى ليلة رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس : أرأيتم أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشة . فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين ؟ قالوا : إنما أنت إمام .

فقال علي بن أبي طالب : «ليس ذلك لك ، اذن يقام عليك الحد ، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء» ثم إن عمر ترك الناس ما شاء الله ، ثم سألهم : فقال القوم مثل مقالتهم الأولى وقال علي (عليه السلام) مثل مقالته .

(١) نجم الدين العسكري / علي والخلفاء /ص٨٣ ، أحمد بن حنبل في مسنده / ج١ ص ٩٤ ، كنز العمال /ج ٤ ص٣٩ وغيرهم .

(٢) سنن البيهقي ، وتاريخ الطبري ، وكنز العمال / ج٣ ص ١٠١ ، وشرح الموطأ للزرقاني / ج ٤ ص٢٥ ، راجع علي والخلفاء / ص ٩٠ .

فأخذ عمر بقول الإمام[1] .

٥ ـ عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب سأل الناس قائلاً (كم يتزوج المملوك؟ وقال لعلي : اياك اعني يا صاحب المعافري ـ رداء كان عليه ـ فقال الإمام (عليه السلام) : اثنتين)[2] .

٦ ـ بعد أن فتح المسلمون الشام جمع أبو عبيدة بن الجراح المسلمين واستشارهم بالمسير إلى بيت المقدس أو الى قيسارية ، فقال له معاذ بن جبل : اكتب إلى أمير المؤمنين عمر ، فحيث أمرك فامتثله ، فكتب ابن الجراح إلى عمر بالأمر ، فلما قرأ الكتاب ، استشار المسلمين بالأمر .

فقال علي (عليه السلام) : مر صاحبك ينزل بجيوش المسلمين إلى بيت المقدس ، فاذا فتح الله بيت المقدس ، صرف وجهه إلى قيسارية ، فانها تفتح بعدها إن شاء الله تعالى ، كذا أخبرنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

قال عمر : صدق المصطفى (صلّى الله عليه وسلم) ، وصدقت أنت يا أبا الحسن ، ثم كتب إلى أبي عبيدة بالذي أشار به علي (عليه السلام)[3] .

٧ ـ بعد انتصار المسلمين على الفرس في خلافة عمر ، شاور ابن الخطاب أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سواد الكوفة . فقال بعضهم : تقسمها بيننا ، ثم شاور علياً (عليه السلام) في الأمر .

فقال (عليه السلام) : ان قسَّمتَها اليوم لم يكن لمن يجيء بعدنا شيء ، ولكن

(١) المتقي الهندي / كنز العمال /ج٣ ص٦٩ ، الفتوحات الإسلامية /ج٢ ص٤٨٢ ، راجع علي والخلفاء /ص٩٨ .

(٢) ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب / ج٢ ص ٣٧٠ .

(٣) نجم الدين العسكري / علي والخلفاء ص١٣٣ .

تقرها في أيديهم يعملونها، فتكون لنا ولمن بعدنا، فقال عمر لعلي: وفقك الله، هذا الرأي[١].

٨ ـ عن الطبري في تاريخه عن سعيد بن المسيب:

قال: جمع عمر بن الخطاب الناس فسألهم، من أي يوم نكتب التاريخ؟.

فقال علي (عليه السلام) من يوم هاجر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وترك أرض الشرك، ففعله عمر[٢].

وهكذا وجد التاريخ الهجري ليؤرخ به المسلمون.

هذه بعض ملامح دور الإمام علي (عليه‌السلام) الرسالي في خلافة عمر بن الخطاب.

ولم ينكر ذلك، وقد صرح مراراً وردد لولا علي لهلك عمر، وقال: لا ابقاني الله لمعضلة ليس لها أبا الحسن، وهناك روايات كثيرة مشابهة بطرق متعددة، وألفاظ متباينة، فراجع.

ج ـ في خلافة عثمان:

١ ـ تزوَّج شيخ كبير بكراً فحملت، فادعى الرجل أنه لم يصل إليها، فسأل عثمان المرأة: هل افتضكِ الشيخ؟ قالت: لا، فأمر باقامة الحد عليها.

فقال الإمام (عليه السلام): إن للمرأة سمين: سم الحيض، وسم البول، فلعل الشيخ كان ينال منها فسال ماؤه في سم الحيض، فحملت منه. فقال الرجل: قد كنت انزل الماء في قبلها من غير وصول اليها بالافتضاض.

(١) علي والخلفاء ص٢٣٩.

(٢) تاريخ الطبري / ج٢ ص٢٥٣، وفي تاريخ اليعقوبي مثله، وكنز العمال ومستدرك الحاكم، والكامل في التاريخ لابن الأثير، راجع علي والخلفاء ص٢٤٠.

قال الامام علي (عليه السلام): الحمل له، والولد له، وأرى عقوبته على الانكار له[١].

٢ ـ أُتي إلى عثمان بامرأة قد ولدت لستة أشهر، فهمَّ برجمها فقال علي (عليه السلام): إن خاصمتك بكتاب الله خصمتُكَ، إن الله تعالىٰ يقول: «وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً» ثم قال: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ».

فحولين مدة الرضاعة، وستة أشهر مدة الحمل، فقال عثمان: رُدّوها ـ أي لا ترجموها ـ[٢].

خاتمة

هذه أمثلة يسيرة مما كان ينهض الإمام علي (عليه السلام) به من مسؤوليات عظيمة في عهد الخلفاء الذين سبقوه، وكان دافعه في ذلك الإخلاص للرسالة وحفظ الوحدة الإسلامية وحماية المسيرة الإسلامية من الانحراف.

ولقد تنبه الخليفة الثاني إلى أهمية ما يقوم به الإمام علي (عليه السلام) في هذا المضمار، فصرح مراراً مشيداً بذلك الفضل ومنوّهاً بأهميته في مسيرة الخلافة كقوله: «أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن»[٣].

(١) ابن شهر آشوب / مناقب آل أبي طالب / ج٢ ص٣٧١، محمد بن علي القمي / عجائب أحكام أمير المؤمنين ص٤٣. والسم: الثقب.

(٢) ابن شهرآشوب / مناقب آل أبي طالب / ج٢ ص٣٧١، ابن كثير في تفسيره / ج٤ ص٥٧، البيهقي في سننه / ج٧ ص٤٤٢.

(٣) السيوطي / الدر المنثور / ج٣ ص١١٤، ابن الجوزي / سيرة عمر ص١٠٦، سيرة دحلان / الفتوحات الإسلامية / ج٢ ص٤٨٦، راجع علي والخلفاء لنجم الدين العسكري، ومناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب /ج٢ ص٣٦١، والغدير للأميني /ج٦ وج٧، وعجائب أحكام أمير المؤمنين.

وقوله : «أعوذ بالله من معضلة لا علي لها»[١] .

وقوله : «كاد يهلك ابن الخطاب لولا علي بن أبي طالب»[٢]

بعد مقتل عثمان بن عفان ، اجمعت الإمة عن بَكْرةِ ابيها على بيعة الإمام علي (عليه السلام) خليفةً لها ، وقد اجتاحت النفوس موجة من العاطفة نحوه ، واجتمع المهاجرون والانصار ، وفيهم طلحة والزبير ، فأتوا علياً (عليه السلام) فقالوا : يا ابا الحسن ، هلم نبايعك ، فقال : لا حاجة لي في إمرتكم ، دعوني والتمسوا غيري فمن اخترتم فقد رضيت به ، فاختاروا .

فقالوا : والله ما نختار غيرك .

ثم ترددوا عليه مراراً ، وفي آخر المطاف اتوه وقالوا : يا ابا الحسن انه لا يصلح الناس إلاَّ بأمرتك وقد طال الأمر .

وخوفاً من اختلاف كلمة المسلمين .

قال لهم : انكم قد اختلفتم إليَّ واتيتم ، واني قائل لكم قولاً ان قبلتموه قبلت أمركم ، وإلَّا فلا حاجة لي فيه .

قالوا جميعاً : ما قلت قبلناه ان شاء الله .

فاتى المسجد وصعد المنبر ، فاجتمع الناس إليه ، وقال : اني قد كنت كارهاً لامركم ، فأبيتم إلَّا ان اكون عليكم ، ألا وان ليس لي أمرٌ دونكم ، ألاَ ان مفاتح مالكم معي ، ألا وانه ليس لي ان آخذ منه درهماً دونكم ، رضيتم ؟ قالوا : نعم .

قال اللهم اشهد عليهم ، ثم تتابع الناس على بيعته حتىٰ ركب الرجل صاحبه ليصل إلى الإمام (عليه السلام) ليبايعه ، وفي مقدمتهم طلحة والزبير .

---

(١) الحموينى الشافعي / فرائد السمطين / باب ٦٥ ، الخوارزمي الحنفي / المناقب ص١٥ .
(٢) الكنجي الشافعي / كفاية الطالب ص٩٦ .

ويروى ان الإمام (عليه السلام) ردهم بقوله «دعوني والتمسوا غيري» فقد ابى ان يكون اسير العاطفة ، ورهين الهوى ، فان الإمام علي (عليه السلام) ليس من تغريه المناصب او تستهويه الكراسي حتى يستجيب فور اقبال الناس عليه . فانها لا تساوي عنده «عفطة عنز» على حد تعبيره (عليه السلام) .

فبقى على موقفه المتريث ، اتجاه اصرار الأمة على بيعته ، مما جعله يطرح عليها الشروط لقبول الخلافة .

منها قوله (عليه السلام) :

«واعلموا اني ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم ، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»[١] .

وسارعت الأمة مذعنة لشروطه ، ومدت إليه يد البيعة على الطاعة ، وَقَبِلَ لمواجهة مسئولياته القيادية على الصعيد الفكري والعملي .

وقد كانت من اولى مهامه (عليه السلام) ان يزيل النظم الانحرافية المختلفة التي طرأت على الحياة الإسلامية، وان يعود بالأمة الى اصالة المنهج الآلهي القويم.

وحدد الإمام علي (عليه السلام) في بيانه الأول لسياسة القيادة وشروط تعين الولاة بقوله :

«انه لا ينبغي ان يكون الوالي على الفروج ، والدماء ، والمغانم ، والاحكام ، وإمامة المسلمين ، البخيل فتكون في اموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدولة فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنة فيهلك الأمة» .

---

(١) نهج البلاغة الخطب رقم ١٣١ .

ومن اجل الاهداف الاساسية لهذا الدين ، وتوضيح معالمها ، ونفض غبار التضليل ، وركام التزيف عنها ، بادر فوراً إلى عزل الولاة والعمال الذين كانوا سبباً في ظلم الناس ، واشاعة الباطل ، ليعود بالإمامة إلى قاعدة العدل والمساواة في الحكم وفي العطاء ، كما كان في عهد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) .

ثم اعلن بعد ذلك انه سيعيد المال المغصوب من المستغلين المنتفعين إلى بيت المال ، حتى وان وجده قد تزوجت به النساء ، او ملكت به الإماء .

هذا جانباً من الاهداف الأساسية لقاعدة العدل ، والعمل على صياغة وبلورة مبادئ الاسلام ، التي جاء بها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) .

وبالنسبة إلى الوضع الاقتصادي ، فقد بادر فور تسلمه زمام الأمور إلى الغاء طريقة توزيع المال الطبقي ، فالغى كل انواع التميز في العطاء ، مؤكداً ان التقوى ، والسابقة في الإسلام والجهاد ، والصحبة أُمور لا تمنح اصحابها مراتب او مميزات في الدنيا ، وانما لتلك المزايا ثوابها عند الله في الآخرة .

وقد بين في بلاغه الثاني هذه الأفكار الجليلة العادلة قوله .

«ألا وأيّما رجل من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يرىٰ ان الفضل له على سواه لصحبته ، فان الفضل النيّر غداً عند الله عزَّ وجلَّ وثوابه وأجره على الله ، وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدّق ملتنا ، ودخل في ديننا ، واستقبل قبلتنا ، فقد استوجب حقوق الاسلام وحدوده ، فانتم عباد الله ، والمال مال الله يقسم بينكم بالسوية، لا فضل فيه لأحدٍ على احد ، [ولا لعربي على اعجمي] وللمتقين عند الله غداً أحسن الجزاء وأفضل الثواب ، لم يجعل الله الدنيا للمتقين اجراً ولا ثواباً ، وما عند الله خيراً للأبرار .

[واذا كان غداً ـ ان شاء الله ـ فاغدوا علينا ، فانَّ عندنا مالاً نقسمه فيكم ،

ولا يتخلفن أحدٌ منكم ، عربي ولا أعجمي ، كان في أهل العطاء أو لم يكن ، إلَّا حضر إذا كان مسلماً حراً][1] .

هكذا قرن الإمام علي (عليه السلام) النظرية بالتطبيق ، وركز دعائم العدل في التوزيع والحكم على حدٍ سواء .

وبهذا الإجراء العملي راعىٰ الإمام علي (عليه السلام) فيه المبادئ الإسلامية ومصلحة الأمة ، وقضىٰ على مبدأ القرابة والعشيرة الذي كان سائداً ايام خلافة عثمان بن عفان ، والذي أدّىٰ آخر المطاف إلىٰ اثارة النقمة ، والثورة عليه وقتله .

وحاول المتضررون من اجراءات الإمام ، التفاوض معه ، والضغط عليه بكل ما أُوتوا من باطل ، مهددين له بقولهم : وإنّا ان خفناك تركناك والتحقنا بالشام ، ولكن ابا الحسن كان كالطود الشامخ لا تهزّه العواصف ولا تزيله القواصف ، لا يحيد عن الحق والعدل قيد أنملة ، وكان يقرعهم بالحجج الدامغة ويفند مزاعمهم الباطلة .

وبعد ان يأس الطامعون والمنحرفون ، التحقوا بالأمويين وغيرهم من المنحرفين والحاقدين في مكة ، وشكّلوا قوةً كبيرةً لمحاربة الإمام بقيادة عائشة بنت أبي بكر ، وطلحة بن عبيدة ، والزبير بن العوام وبني امية بزعامة مروان بن الحكم (الوزغ بن الوزغ) .

واتّجهوا بجيوشهم الضالة الى البصرة ، لإشعال حرب الجمل هناك ، ومن جهة أُخرىٰ كان معاوية بن أبي سفيان الأموي ، يعد العدة لمحاربة الخلافة الإسلامية الحقّة والإمام علي (عليه السلام) بالذات ، حتى اشعل نارها في صفين ،

---

(١) ابن ابي الحديد / شرح نهج البلاغة ج٧ ص٣٧ .

وبعدها تبرعمت معركة النهروان من قبل الخارجين على الإمام بعد معركة صفين، نتيجة مكر عمرو بن العاص في رفع المصاحف، يوم صفين.

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في كتابنا هذا وقبله في كتاب «علي في الكتاب والسنة» فراجع.

أحسَّ بعض اصحاب الإمام (عليه السلام) بخطر أولئك المتآمرين الذين يريدون شن حربٍ شعواءٍ على النظام الإسلامي العادل الذي يديره الإمام علي (عليه السلام).

تقدموا بطلب من الإمام (عليه السلام) ان يعطي بعض الاموال إلى بعض الاشراف من العرب وقريش وتفضيلهم على الموالي والعجم، ومن يخاف خلافه من الناس وفرارهم، شعوراً منهم لدفع ذلك الشر بحلٍ وسط.

فأجابهم الإمام (عليه السلام) قائلاً:

أتأمروني أن اطلب النصر بالجور ؟! والله لا افعل ما طلعت شمس، وما لاح في السماء نجم، والله لو كان مالهم لي لواسيت بينهم، فكيف وانما هي اموالهم؟!![1]

وهكذا ظلت مبدئية علي (عليه السلام) وصلابته في الاسلام.

«إن امرئتين أتتا علي (عليه السلام) عند القسمة، احداهما من العرب والاخرىٰ من الموالي، فاعطىٰ كل واحدة منهن خمسة وعشرين درهماً، وكرّاً من الطعام، فقالت العربية، يا أمير المؤمنين، أني إمرأة من العرب، وهذه من العجم، فقال علي (عليه السلام) اني والله لا اجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً علىٰ بني اسحاق».

(١) كتاب الغارات ج١ ص٧٥ ـ للنفعي المتوفى سنة ٢٨٣ هـ.

وهذه مقاطع من توجيهات الإمام (عليه السلام) إلى ابن عباس حين استخلفه على البصرة.

«سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك، وإياك والغضب، فإنه طيرة من الشيطان، واعلم ان قربك من الله يباعدك من النار، وما باعدك من الله يقربك من النار».

على الرغم من اهتمام الإمام بانتقاء العناصر الكفوءة والورعة، فإنه كان شديد الحرص على الإحاطة باساليب معاملة الولاة للأمة، وكان يحاسبهم على اقل هفوة او زلة تصدر منهم.

فقد بلغه ان عثمان بن حنيف عامله على البصرة، على ما عليه من الورع، دعاه بعض أهلها إلى «وليمة» مأدبة، فخشىٰ الإمام (عليه السلام) ان تستميله تلك الوسائل او سواها فينحرف عن خط العدالة، فكتب كتاباً جاء فيه.

«أما بعد يابن حنيف، فقد بلغني ان رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فاسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل لك الجفان، وما ظننت أنك تجيب إلى طعام قومٍ، عائلهم مجفو، وغنيهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمه فالفضه، وما ايقنت بطيب وجوهه فنل منه».

«ألا وإنّ لكل مأموم إماماً يقتدي به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه، ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن اعينوني بورع واجتهاد وعفة وسداد»[1].

وقد كتب إلى مصقلة الشيباني عامله على «أردشير خرّة» مهدداً اياه ومتوعداً.

(١) نهج البلاغة رسالة رقم ٤٥.

«بلغني عنك أمراً أن كنت فعلته ، فقد اسخطت إلٰهك وعصيت إمامك ، وإنك تقسم في‌ء المسلمين الذي حازته رماحهم وخيولهم ، وأُريقت عليه دماؤهم، فيمن اعتامك من اعراب قومك ، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ، لئن كان ذلك حقاً لتجدن لك عليّ هواناً ، ولتخفن عندي ميزاناً ، فلا تستهين بحق ربك ، ولا تصلح دنياك بمحق دينك فتكون من الأخسرين اعمالاً» .

وهذا كتاب آخر إلى أحد عماله يقول فيه :

«أما بعد فقد بلغني عنك أمر ، ان كنت فعلته فقد اسخطت ربك ، وعصيت امامك ، واخزيت امانتك ، بلغني انك جردت الأرض فاخذت ما تحت قدميك ، واكلت ما تحت يديك، فارفع إليّ حسابك ، واعلم ان حساب الله اعظم من حساب الناس»[1] .

هكذا كان يحاسب الإمام (عليه السلام) ولاته وينصحهم ويسددهم عن الانحراف ، ولا يغفل عن نصح قادة جيوشه ، ويوضح لهم معالم الطريق ، وينهاهم عن البغي والفساد وهذه بعض توجيهاته لقادة جيوشه .

«لا تقاتلوهم حتى يبدأوكم فإنكم بحمد الله على حجة ، وتركككم إياهم حتىٰ يبدأوكم حجة اخرى لكم عليهم ، فاذا كانت الهزيمة بإذن الله [لاعدائكم]، فلا تقتلوا مدبراً ولا تصيبوا معوَّراً[2] ، ولا تجهزوا على جريح ، ولا تهيجوا النساء بأذى وان شتمن اعراضكم وسببن أمرائكم»[3] وأردف قائلاً .

ألا وان لكم عندي ألا احتجز دونكم سرّاً إلاّ في الحرب ، ولا أطوي

(١) نهج البلاغة رسالة ٤٠ .

(٢) المعوَّر : الذي عجز عن حماية نفسه اثناء الحرب .

(٣) نهج البلاغة في الوصية رقم ١٤ .

دونكم أمراً إلاّ في الحكم ، ولا أؤخر لكم حقاً عن محله ، ولا اقف به دون مقطعه ، وان تكونوا عندي في الحق سواء ، فاذا فعلت ذلك وجبت لِلّٰهِ عليكم النعمة ، وَلِيَ عليكم الطاعة ، وألا تنكصوا عن دعوة ولا تفرطوا في صلاح ، وان تخوضوا الغمرات إلى الحق[1] .

جباية الأموال

وبالنظر لاهمية جهاز جباية الاموال للدولة الإسلامية التي تشكل الحقوق العامة في ملكة الافراد عنصراً هاماً من عناصر الاقتصاد الإسلامي فقد اولاه الإمام (عليه السلام) عناية خاصة ، فكان صريحاً على ان يلتزم موظفوا ذلك الجهاز باقصى درجات العدل في الجباية ، وان يلتزموا الحق في تعاملهم مع أفراد الأُمة ، ولا يجوز لهم ان يعتدوا على مال امرئ من المسلمين أو غيرهم ممن يتمتع بحق التابعية للدولة الإسلامية ، كما لا يجوز ابداً بيع كسوة انسان ، أو دابته ، أو داره من اجل استيفاء الحق الشرعي للدولة ، وان لا يستعلى عليهم ، وان يكون لطيفاً وَمَرِناً في معاملته اياهم ، ومن تعاليمه ووصايه قوله :

«المال مال الله، يقسم بينكم بالسوية لا فضل لأحد على أحد» وأردف قائلاً.

«وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه ، ولأَقُودَنَّ الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارهاً» .

عن الحكم قال :

(١) نهج البلاغة من كتاب له إلى امراء جيشه رقم ٥٠ .

شهدت علياً ، وقد أتي له بزقاق من عسل ، فدعا اليتامى وقال : ذوقوا والعقوا، حتى تمنيت أني يتيم ، فقسّمه بين الناس وبقي منه زق ، فأمر أن يسقاه أهل المسجد[١].

وعن هارون بن عنترة عن زاذان قال :

انطلقت مع قنبر غلام علي (عليه السلام) فاذا هو يقول : قم يا أمير المؤمنين فقد خبأت لك خبيئاً . قال (عليه السلام) : وما هو ، ويحك !! قال : قم معي . فقام فانطلق به إلى بيته ، وإذا بغرارة مملوءة من جامات ذهباً وفضة . فقال : يا أمير المؤمنين رأيتك لا تترك شيئاً إلا قسمته فادخرت لك هذا من بيت المال .

فقال علي (عليه السلام) : ويحك يا قنبر ، لقد أحببت أن تدخل بيتي ناراً عظيمة ، ثم سلّ سيفه ، وضربها ضربات كثيرة ، فانتثرت ، ثم دعا بالناس ، فقال : اقسموه بالحصص ، ثم قام إلى بيت المال فقسّم ما وجد فيه ، ثم رأى في البيت أبراً ومسال فقال : ولتقسموا هذا[٢].

وعن الحَكَم قال :

إنّ علياً قسّم فيهم الرمّان حتى أصاب مسجدهم سبع رمانات ، وقال : أيها الناس إنه يأتينا أشياء نستكثرها إذا رأيناها ، ونستقلها إذا قسمناها ، وإنا قد قسمنا كل شيء أتانا . قال : وأتته صفائح فضة فكسرها ، وقسّمها بيننا .

جاء ابن التياح إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال : يا أمير المؤمنين امتلأ بيت المال من صفراء وبيضاء فقال علي (عليه السلام) : الله أكبر ، ثم

(١) البلاذري / أنساب الأشراف / ج٢ ص١٣٦ .

(٢) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / ط ١٣٨٥ هـ / ج٢ ص١٩٩ .

قام متوكئاً على يد ابن التياح ، فدخل بيت المال وهو يقول : ـ

هذا جناي وخياره فيه وكل جان يده إلى فيه[١]

ثم نودي في الناس ، فأعطى جميع ما في بيت المال وهو يقول :

(يا بيضاء ، ويا صفراء غُرّي غيري) . حتى لم يبقَ فيه درهم ولا دينار ، ثم أمر بنضحه بالماء ، فصلى فيه ركعتين (عليه السلام) .

وكان لشدّة حرص الإمام (عليه السلام) على مصلحة الأمّة لرفع غائلة الفقر والظلم عنها أنه التزم السير ـ عبر أيام خلافته عليها ـ وفقاً للنهج الآتي :

[لو شئتُ لا هتديتُ الطريق إلى مصفّى هذا العسل ، ولُباب هذا القمح ، ونسائج هذا القز ، ولكن هيهات أن يغلبني هواي ، ويقودني جشعي إلى تخيّر الأطعمة ، ولعل بالحجاز أو اليمامة من لا طمع له في القرص ، ولا عهد له بالشبع ، أوَ أبيت مبطاناً ، وحولي بطون غرثى ، وأكباد حرّى ؟ أأقنع من نفسي بأن يقال : هذا أمير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر أو أكون اسوة لهم في جشوبة العيش][٢].

اشترى الإمام(عليه السلام) ثوبين، واعطى اغلاهما ثمناً لقنبر[مولاه] خادمه وقال: اني سمعت رسول الله (عليه السلام) يقول : ألبسوهم ما تلبسون ، واطعموهم ما تأكلون[٣].

(١) مثل يضرب ، أراد به الإمام عليه السلام أنّه لم يصب شيئاً من مال المسلمين بل وضعه في موضعه.
سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص١١٧ .

(٢) نهج البلاغة من كتابه إلى عثمان بن حنيف رقم ٤٥ .

(٣) الثقفي الغارات ج١ ص١٠٦ .

رقابة الاسواق

كانت رقابته على الاسواق دقيقة حرصاً منه على تجسيد العدالة الاقتصادية .

وفي ضحىٰ كل يوم كان يطوف اسواق الكوفة وبيده الدرة ، ويقف على هذا ينصحه بعدم البخس في المكيال ، ويوجّه ذاك بعدم الغش في الحاجة يقف مرة على القصاب ، واخرى على البقال وثالثة على الخياط ، ثم يجوب الاسواق وينادي :

يا معشر التجار قدّموا الاستخارة ، وتبركوا بالسهولة ، واقتربوا من المبتاعين ، وتزينوا بالحلم ، وتناهوا عن الكذب واليمين ، وتجافوا عن الظلم ، وانصفوا المظلومين ، ولا تقربوا الربا و ﴿ أَوفُوا المِكيَالَ وَالمِيزَانَ ، وَلَا تَبخَسُوا النَّاسَ أشيَاءَهُم وَلَا تَعثَوا فِي الأرضِ مُفسِدِينَ﴾[1] .

وعن أبي نوار قال :

رأيت علياً (عليه السلام) وقف على خياط ، فقال له :

«يا خياط صلّب الخيط ، ودق الدرز ، وقارب الغرز ، فاني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : «يؤتىٰ يوم القيامة بالخيّاط الخائن وعليه قميص ورداء مما خاطه وخان فيه ، فيفضح على رؤوس الأشهاد» ثم قال : «يا خيّاط إيّاك والفضلات والسقطات فان صاحب الثوب أحق بها»[2] .

هذا ما جسّد الإمام (عليه السلام) اسس العدالة الاجتماعية والإقتصادية بكل ابعادها وصورها .

(١) سورة هود آية ٨٥ / امالي الصدوق / وتذكرة الخواص ص١٣٢ / انساب الأشراف / البلاذري / ج٢ ص١٢٩ .

(٢) سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص ص١١٦ .

الزهد ونكران الذات

عاش الإمام (عليه السلام) في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من شيعته ، وكان يأكل خبز الشعير ويلبس اخشن الملابس وأبسطها . هذا مبدأه في الحياة سواءً كان أيام خلافته أو قبلها .

وقد صرح ذلك في كتابه إلى عثمان بن حنيف .

«ألا وان إمامكم قد اكتفىٰ من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً ، ولا ادخرت من غنائمها وفراً ، ولا اعددت لبالي ثوبي طمرا ، ولا حزت من أرضها شبرا ، ولا اخذت منه كقوت أتان دبرة ، وَلَهِيَ في عيني أوهىٰ واهون من عفطة معزة .

ويمكن أن يلمس في معاشه اليومي وهو ما يلي

عن هارون بن عنترة عن أبيه قال :

دخلت على علي بالخورنق ، وهي في فصل شتاء ، وعليه خلق قطيفة . فقلت : يا أمير المؤمنين إن الله قد جعل لك ولأهلك في هذا المال نصيباً ، وأنت تفعل هذا بنفسك !! فقال (عليه السلام) : والله ما أرزؤكم ـ أنقصكم ـ شيئاً ، وما هي إلّا قطيفتي التي أخرجتها من المدينة[1] .

وقد خاطبه عاصم بن زياد يوماً بقوله : يا أمير المؤمنين هذا أنت في

(١) العقاد / عبقرية الإمام علي / ط بيروت ١٩٦٧ / ص١٦ ، سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص١١٣

خشونة ملبسك وجشوبة مأكلك ! فأجابه علي (عليه السلام) :

(ويحكم إني لست كأنت ، إن الله تعالى فرض على أئمة العدل أن يـقدروا أنفسهم بضعفة الناس كيلا يتبيَّغ بالفقير فقره)[١]

وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على علي (عليه السلام) يوماً وليس في داره سوى حصير رث وهو جالس عليه . قلت : يا أمـير المـؤمنين أنت مـلك المسلمين والحاكم عليهم وعلى بيت المال ، وتأتيك الوفود وليس في بيتك سوى هذا الحصير ؟ قال (عليه السلام) : (يا سويد إن اللبيب لا يتأثث في دار النـقلة وأمامنا دار المقامة ، قد نقلنا إليها متاعنا ، ونحن منقلبون إليها عن قريب)[٢] .

وها هو علي يخرج سيفه ليبيعه في السوق كي يشتري بثمنه ازاراً ، وهـو أمير المؤمنين وزعيم الأمة الإسلامية الذي تجبىٰ إليه الأموال من أكثر بقاع العالم الإسلامي .

فعن أبي رجاء قال : أخرج علي (عليه السلام) سيفاً إلى السوق فقال : من يشتري مني هذا ؟ فوالذي نفس علي بيده لو كان عندي ثمن إزار ما بعته !!!

فقلت له : أنا أبيعك إزاراً وأنسؤك ثمنه إلى عطائك ، فدفعت إليه إزاراً إلى عطائه ، فلما قبض عطاءه دفع إليَّ ثمن الإزار[٣] .

إنه (عليه السلام) لا يأخذ من فيئهم شيئاً ، وإن قدر له الخروج من الكوفة ، فلا يخرج إلّا بالذي جاء به من المدينة المنورة : راحلته ورحله وغلامه :

فعن بكر بن عيسى قال : كان علي (عليه السلام) يقول : (يا أهل الكوفة ،

(١) نهج البلاغة / رقم ٢٠٩ . يتبيغ : يستبد به ألم الفقر .
(٢) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص١١٥ . دار المقامة : الدار الآخرة .
(٣) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج٢ ص٢٠٠ .

إذا أنا خرجت من عندكم بغير راحلتي ، ورحلي وغلامي فلان ، فأنا خائن) .

فكانت نفقته تأتيه من غلته بالمدينة بينبع ، وكان يطعم الناس منها الخبز واللحم ، ويأكل هو الثريد بالزيت .

ولشدّة حرصه (عليه السلام) على سلوك سبيل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في عدله وزهده أشار عقبة بن علقمة قال :

دخلت على علي (عليه‌السلام) فإذا بين يديه لبن حامض، آذتني حموضته، وكسر ـ خبز ـ يابس . فقلت : يا أمير المؤمنين أتأكل مثل هذا ؟ فقال لي : (يا أبا الجنوب ، كان رسول الله يأكل أيبس من هذا ، ويلبس أخشن من هذا ، وأشار إلى ثيابه ، فإن أنا لم آخذ بما أخذ به خفت ألّا ألحق به)[١] .

ولعظيم إثاره للأمّة على نفسه ما رواه عبدالله بن الحسين بن الحسن (عليه السلام) قال :

اعتق علي (عليه السلام) في حياة رسول الله (صلّى الله عـليه وآله) ألف مملوك مما عملت يداه ، وعرق جبينه . ولقد ولي الخلافة ، وأتته الأموال فما كان حلواه إلّا التمر ولا ثيابه إلّا الكرابيس[٢] .

وعن سفيان الثوري عن عمر بن قيس قال : رؤي علىٰ علي (عليه السلام) إزار مرقوع ، فعوتب في ذلك ، فقال :

(يخشع له القلب ، ويقتدي به المؤمن)[٣] .

ولقد بلغ في شدة زهده (عليه السلام) ونكرانه لذاته ، ابـتغاءاً لوجـه الله

(١) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٠١ .
(٢) ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة / ج٢ ص٢٠٢
(٣) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص / ص١١٣ .

تعالى ما يتجلّى عبر عبارته : والله لقد رقّعت مدرعتي هذه حتى استحييت من راقعها ، ولقد قيل لي : ألا تستبدل بها غيرها ؟ فقلت للقائل : ويحك اغرب ، فعند الصباح يحمد القوم السرىٰ[1] .

اما صدقاته التي تصدق بها أو وقفها للمساكين فقد ذكر المؤرخ عمر بن شبه المتوفىٰ عام ٢٦٢ هجري قائمة طويلة بها[2] .

كما ذكرنا ذلك من مصادر اخرى في كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ج٣ .

مساواة أهل بيته بسائر الناس

كان الإمام (عليه السلام) حريصاً على مساوات أهل بيته في العطاء مع عامة الناس .

وإليك صوراً منها .

قال صاحب الحنا :

لما فرغ الإمام علي (عليه السلام) من أهل الجمل عاد إلى الكوفة ، ودخل بيت المال ، ولما رآه مكدساً قال : يا مال غرّ غيري ، ثم قسمه بيننا ، وجاءت ابنة للامام الحسن أو الحسين (عليه السلام) وهي طفلة فتناولت منه شيئاً اعجبها ، فسعى الامام وراءها ففك يدها ونزعه منها ، فقلنا يا أمير المؤمنين ان لها فيه حقاً ، قال (عليه السلام) : اذا أخذ أبوها حقه فليعطها ما شاء .

وروىٰ هارون بن سعيد ، ان عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، قال لعمه ، يا

(١) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص ص١١٧ ـ المدرعة ثوب صوف خشن وغليظ .
(٢) اورد ذلك صاحب كتاب تاريخ المدينة المنور / ج١ ص٢١٩ / ٢٢٠ / ٢٢٩ .

أمير المؤمنين ، لو أمرت لي بمعونة أو نفقة فوالله مالي نفقة إلّا أن أبيع دابتي !!.

قال الإمام (عليه السلام) :

«لا والله ما أجد لك شيئاً إلّا ان تأمر عمك أن يسرق فيعطيك»[1] .

وجاءه أخوه عقيل ـ وكان ضريراً ـ يطلب صاعاً من القمح من بيت مال المسلمين ـ زيادة على حقه ـ وظل يلح ويكرر طلبه ، فما كان من الإمام (عليه السلام) الا ان احمى له حديدة على النار وادناها منه ، فنزع منها عقيل واستشاظ ، ثم وعظه بقوله :

«يا عقيل أتئن من حديدة احماها انسانها للعبه ، وتجرني إلى نار سجرها جبارها لغضبه ، اتئن من الاذى ولا أئن من لظىٰ ؟!!

ولقد كان منهجه واضحاً ومستقيماً ، لا لبس فيه ولا غموض ، ولا يخضع لعاطفة أو مساومة ، ابداً كما صرح بذلك مراراً في عدة مناسبات .

«والله لئن ابيت على حسك السعدان مسهّداً ، أو أُجَرَّ في الاغلال مصفّداً ، أحب إلي من ان القى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أو غاصباً لشيء من الحطام ، وكيف اظلم احداً لنفس يُسرعُ إلى البِلىٰ قفولها ، ويطول في الثرىٰ حلولها» .

هذا السبيل الذي اختاره ابن أبي طالب (عليه السلام) الذي يمثل احد مصاديق العدل الاجتماعي الشامل ، الذي حرص على تجسيده عملياً .

(١) البلاذري ، انساب الأشراف ج٢ ص١٣٢ / ٢ ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ج٢ ص٢٠٠ .

موقف الإمام (عليه السلام) من عثمان

حينما اشتدت الأزمة على عثمان وهاج الثوار من أهل المدينة والذين قدموا من الكوفة والبصرة ، ومن مصر ، ومن بقية الامصار الإسلامية ، وهم يطالبون الخليفة بعزل الولاة الظالمين وطلب الثوار من الامام علي (عليه السلام) أن يقنع الخليفة بضرورة الإصلاح وجرت بينهما محادثات كثيرة ومراجعات ، ومما نصح أمير المؤمنين (عليه السلام) الخليفة قوله :

«وأني أنشدك الله ألا تكون امام هذه الأمة المقتول ، فإنه كان يقال : يقتل في هذه الامة امام يفتح عليها القتل والقتال إلى يوم القيامة ، ويلبس امورها عليها ، ويبث الفتن فيها ، فلا يبصرون الحق من الباطل ، يموج فيها موجاً ، ويمرجون فيها مرجاً ، فلا تكون لمروان سيِّقةً يسوقك حيث يشاء بعد جلال السن وتقضي العمر»[1] .

قال الخليفة : «كلم الناس أن يؤجلوني حتىٰ اخرج إليهم من مظالمهم» .

فقال علي (عليه السلام) : «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه ، وما غاب فأجله وصول امرك إليه» .

فخرج علي (عليه السلام) إلى الناس ، وأخبرهم بما وعد الخليفة ، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً واشهد عليه قوماً من وجوه المهاجرين والانصار[2] .

وقد لعب مروان بن الحكم دوراً سيئاً للغاية في تصعيد الازمة ، وتفاقم غضب الثائرين ، فبعد كل مرة يعلن فيها عثمان عن تفاهم مع الثوار أو يعدهم

(١) نهج البلاغة رقم ١٦٤ .

(٢) الطبري ، وابن الأثير ، وغيرهما .

بشيء سينفذه ، يقوم مروان بخطوة تؤدي الى تصعيد الموقف ضد عثمان .

ومن المؤكد كان مروان بن الحكم على اتصال سري مع معاوية وكان معاوية يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة بالمدينة وكان يتلقى مروان الاوامر من معاوية لتفاقم الازمة وتصعيد الموقف ، حتى يقتل عثمان ويطالب بدمه وبعدها يدعو الناس إلى نفسه وفعلاً حصل ما توقعه الإمام علي (عليه السلام) ، وما خططه معاوية .

فذهب الثوار إلى الإمام علي (عليه السلام) وعرضوا عليه ما فعله مروان ، فنصح الإمام عثمان بان لا يطيع مروان ، وإلَّا فانه سيورده إلى التهلكة ، وانه (أي الإمام علي (عليه السلام) لن يعود مرة اخرى إلى دار عثمان ، لانه كلما نصحه بنصيحة كان مروان يدخل عليه ويوجهه بعكس ما نصح به الإمام (عليه السلام) عثمان .

وبعد خروج الإمام علي ، نصحت نائلة بنت القرافصة زوجها عثمان بان يأخذ بنصيحة الإمام علي وان يترك مروان ، وقالت لزوجها .

«انك متىٰ اطعت مروان قتلك ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبة ، وانما تركك الناس لمكان مروان [منك]» .

ولقد تكررت نصيحة الإمام علي (عليه السلام) ووساطته بين عثمان والثوار ، إلَّا أن مروان كان ينجح في صرف عثمان عن الايفاء بوعوده ، وكلما اشتد حصار الثوار له ، يرسل إلى الإمام علي ، ان يخلصه فيأتي ويتوسط ويأخذ عليه العهود والمواثيق ويشهد عليها وجوه المهاجرين والانصار ، ويأتي مروان بعد ذلك ، فيصرفه عن عهوده ومواثيقه ، وكان سبب التسويف والمماطلة هو انتظار وصول قوات من الشام والبصرة التي استنجد بها لتدافع عنه وتحميه من الثوار .

ولما لم يبر عثمان بوعوده التي قطعها على نفسه ، لاصلاح أمر الأمة ، وعزل الولاة الظلمة من أهله ، تأزم الموقف وتفاقم . خاصة بعدما عاد الثوار المصريين إلى بلادهم بناءً على عهود ومواثيق تلقوها من الخليفة بعزل عامله على مصر عبدالله بن سعد بن أبي سرح ، وبكفالة الإمام علي (عليه السلام) لهم بتنفيذ ذلك .

وفي الطريق عثروا على شخص كان يسير مسرعاً على ناقة من نياق الخليفة ، منفرداً عنهم ، وقد رابهم ، امره ، فامسكوه واستنطقوه ، وفتشوه فعثروا على كتاب موقع ومختوم بختم الخليفة عثمان إلى واليه على مصر عبدالله بن أبي سرح ، يأمره فيها بقتل زعماء الثائرين المصريين الذي قدموا المدينة .

والذين وعدهم الخليفة بعزله عنهم .

عند ذلك ثارت ثائرة القوم ، وعادوا إلى المدينة ، وثار أهل المدينة معهم ، وبعد ان واجه الثوار الخليفة بالكتاب ، ولم يستطع انكاره ولكنه قال لا علم لي به اشتدت الازمة وحوصر الخليفة في داره .

فكتب عثمان إلى واليه على الشام معاوية ، ووالية على البصرة عبدالله بن عامر ، يستنجدهما ، كما بعث إلى الامام علي (عليه السلام) ليحضر عنده ، فلما جاءه قال : «يا أبا الحسن انه قد كان من الناس ما قد رأيت ، وكان مني ما قد علمت ، ولست آمنهم على قتلي ، فارددهم عني» .

قال الإمام علي : الناس إلى عدلك احوج منهم إلى قتلك ، وأني لأرىٰ قوماً لا يرضون إلّا بالرضا وقد كنت اعطيتهم في قدمتهم الأولى عهداً من الله ، لترجعن عن جميع ما نقموا ، فرددتهم عنك ، ثم لم تفي لهم بشيء من ذلك ، فلا تغرّني هذه المرة من شيء ، فأني معطيهم عليك الحق ، قال عثمان «نعم : فاعطهم ،

فوالله لافين لهم»[١] .

فلما مضت الإيام الثلاثة ، وهي المهلة التي طلبها عثمان للاستجابة في طلب الثائرين بعزل العمال الظلمة ، وجاؤوه بالكتاب الذي عليه خاتمه يأمر فيها واليه على مصر بقتل زعماء الثائرين ، قالوا له : بالحرف الواحد : اعزل عنا عمالك الفساق واستعمل علينا من لا يتهم على دمائنا واحوالنا ، وارد علينا مظالمنا .

قال عثمان : ما اراني اذاً في شيء ، اذا كنت استعمل من هويتم ، واعزل من كرهتم ، الأمر اذاً أمركم .

قال الثوار : والله لتفعلنّ أو لنقتلن ، فانظر لنفسك أو دَعْ (الأمر) فأبىٰ عليهم وقال لهم لم اكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله[٢] ، فحصروه أربعين ليلة ، في بعض الروايات وطلحة يصلي بالناس[٣] .

واشتدح الحصار على عثمان ومنعوا عنه الماء فاستنجد بالإمام علي (عليه السلام) فاسرع إليه بنفسه وأوصل الماء إلى داره[٤] رغم معارضة طلحة وغيره .

وعندما شب القتال بين الثوار وبعض المدافعين عن الخليفة ، ارسل الإمام علي (عليه السلام) ولده الحسن (عليه السلام) ليمنع عنه ، وقد دافع الإمام الحسن (عليه السلام) بسيفه إلى ان اصيب فحمل جريحاً إلى دار قريبة للعلاج[٥] .

هذه بعض المواقف المشرفة التي وقفها الإمام علي (عليه السلام) لمصلحة

---

(١) الطبري ج٣ ص٤٠٢ .

(٢) السربال ـ الثوب .

(٣) الطبري ج٣ ص٤٠٤

(٤) الطبري ج٣ ص٤١٧ .

(٥) عمر بن شية / تاريخ المدينة ج٣ ص١١٣١ .

عثمان ، والأمة ، على رغم من عدم رضاه عن سياسة الخليفة في المال والادارة .

بيد ان الإمام (عليه السلام) كان يرىٰ بعينه الباصرة إنّ في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي ، وتجرؤ من قبل المتربصين بالإسلام والمسلمين ، الأمر الذي توقعه فعلاً بعد مقتل الخليفة المذكور مباشرة .

ومن خلفياته تجرؤ ، عائشة وطلحة والزبير ، ومن سار في ركابهم ، تأججت نار الحرب التي اشعلاها في البصرة «حرب الجمل» واعقبهم معاوية في حرب صفين ـ وتبرعم من بعده حرب الخوارج بالنهروان ، وإلى يومنا هذا ، ما جَّر الأمة إلى ان يضرب بعضهم رقاب البعض .

وقد أفصح الإمام (عليه السلام) بعد ذلك عن موقفه أزاء مقتل عثمان بقوله: «اللهم أني أبرأ إليك من دم عثمان ، ما نجا والله قتلة عثمان ، وإلّا أن يشاء الله، فانه اذا أراد أمراً بلغهُ»[١] تجد تفاصيل اسباب الثورة على عثمان في فصل آخر من كتابنا هذا .

أما معاوية ، فقد كان يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة ، وربما هو المُسيّر لها .

وعندما استغاث عثمان به ، أرسل معاوية جيشاً بقيادة القسري واوصاه ، اذا أتيت ذاخشب[٢] فاقم بها ولا تتجاوزها ، ولا تقل يرى الشاهد ما لا يراه الغائب ، فأنني أنا الشاهد وانت الغائب ، وانما أصدر أوامره هذه متقصداً للتعجيل

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص٦٧ .

(٢) ذاخشب موقع قرب المدينة .

في قتل عثمان ، فيطالب بدمه ، ثم يدعو لنفسه[١] .

فيما بعد عيّر المسورة بن مخرم معاوية في بلاله بدمشق قائلاً وكتب إليك «عثمان» يستمدك بالجند فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء[٢] .

فلما قتل عثمان استدعى معاوية جيشه إلى الشام ومما جاء في كتاب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية بقوله : «وقد اكثرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليَّ أحملك إياهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريدها فخدعة»[٣] .

كان من أشد الناقين على عثمان ، طلحة بن أبي عبيدة ، والزبير بن العوام ، وأول من تجرأ ت على عثمان وأخرجت قيص رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وطرحت شعار هذا قيص رسول الله لم يبلىٰ ، وعثمان أبلىٰ سنته كما رفعت شعاراً اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٤] هي أم المؤمنين عائشة التي هيجت الأمة الإسلامية وجرئتهم على الخليفة عثمان ـ ولما لفحت بوادر الثورة خرجت من المدينة إلى مكة لحجة العمرة .

اما طلحة والزبير ومن معهما كانوا في طليعة الثائرين في المدينة على عثمان ومن قادتها وكانا يمدان الثوار بالمال وكان طلحة يصلي بالناس ايام الحصار على عثمان في داره .

(١) تاريخ المدينة ج ٤ ص١٢٨٩ / ابن أبي الحديد ج١٦ ص١٥٤ شرح كتاب الإمام علي إلى معاوية رقم ٣٧ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة ج٤ ص١٢٨٩ . مدينة بين دمشق ووالمدينة المنورة ـ وهذا يدل على ان الجيش لم يصل حتى مشارف المدينة .

(٣) ابن أبي الحديد / شرح النهج ج٣ ص٧٥ .

(٤) نعثل رجل يهودي بالمدينة شبهت عائشة عثمان به استخفافاً .

عثمان ، والأمة ، على رغم من عدم رضاه عن سياسة الخليفة في المال والادارة .

بيد ان الإمام (عليه السلام) كان يرىٰ بعينه الباصرة إنّ في قتل عثمان خطراً يتهدد الأمة بالنظر لما يعقبه من تمزق في الصف الإسلامي ، وتجرؤ من قبل المتربصين بالإسلام والمسلمين ، الأمر الذي توقعه فعلاً بعد مقتل الخليفة المذكور مباشرة .

ومن خلفياته تجرؤ ، عائشة وطلحة والزبير ، ومن سار في ركابهم ، تأججت نار الحرب التي اشعلاها في البصرة «حرب الجمل» واعقبهم معاوية في حرب صفين ـ وتبرعم من بعده حرب الخوارج بالنهروان ، وإلى يومنا هذا ، ما جَّر الأمة إلى ان يضرب بعضهم رقاب البعض .

وقد أفصح الإمام (عليه السلام) بعد ذلك عن موقفه أزاء مقتل عثمان بقوله: «اللهم أني أبرأ إليك من دم عثمان ، ما نجا والله قتلة عثمان ، وإلّا أن يشاء الله، فانه اذا أراد أمراً بلغهُ»[١] تجد تفاصيل اسباب الثورة على عثمان في فصل آخر من كتابنا هذا .

أما معاوية ، فقد كان يعلم بتفاصيل ما يجري للخليفة في المدينة ، وربما هو المُسيّر لها .

وعندما استغاث عثمان به ، أرسل معاوية جيشاً بقيادة القسري واوصاه ، اذا أتيت ذاخشب[٢] فاقم بها ولا تتجاوزها ، ولا تقل يرى الشاهد ما لا يراه الغائب ، فأنني أنا الشاهد وانت الغائب ، وانما أصدر أوامره هذه متقصداً للتعجيل

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص٦٧ .

(٢) ذاخشب موقع قرب المدينة .

في قتل عثمان ، فيطالب بدمه ، ثم يدعو لنفسه[١] .

فيما بعد عيّر المسورة بن مخرم معاوية في بلاطه بدمشق قائلاً وكتب إليك «عثمان» يستمدك بالجند فحبستهم عنه حتى قتل وهم بالزرقاء[٢] .

فلما قتل عثمان استدعى معاوية جيشه إلى الشام ومما جاء في كتاب الإمام علي (عليه السلام) إلى معاوية بقوله : «وقد اكثرت في قتلة عثمان ، فادخل فيما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليَّ أحملك إياهم على كتاب الله ، فأما تلك التي تريدها فخدعة»[٣] .

كان من أشد الناقين على عثمان ، طلحة بن أبي عبيدة ، والزبير بن العوام ، وأول من تجرأ ت على عثمان وأخرجت قميص رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، وطرحت شعار هذا قميص رسول الله لم يبلىٰ ، وعثمان أبلىٰ سنته كما رفعت شعاراً اقتلوا نعثلاً فقد كفر[٤] هي أم المؤمنين عائشة التي هيجت الأمة الإسلامية وجرئتهم على الخليفة عثمان ـ ولما لفحت بوادر الثورة خرجت من المدينة إلى مكة لحجة العمرة .

اما طلحة والزبير ومن معهما كانوا في طليعة الثائرين في المدينة على عثمان ومن قادتها وكانا يمدان الثوار بالمال وكان طلحة يصلي بالناس ايام الحصار على عثمان في داره .

(١) تاريخ المدينة ج٤ ص١٢٨٩ / ابن أبي الحديد ج١٦ ص١٥٤ شرح كتاب الإمام علي إلى معاوية رقم ٣٧ .

(٢) تاريخ المدينة المنورة ج٤ ص١٢٨٩ . مدينة بين دمشق ووالمدينة المنورة ـ وهذا يدل على ان الجيش لم يصل حتى مشارف المدينة .

(٣) ابن أبي الحديد / شرح النهج ج٣ ص٧٥ .

(٤) نعثل رجل يهودي بالمدينة شبهت عائشة عثمان به استخفافاً .

وأول يدٍ مدت لمبايعة الإمام علي (عليه السلام) يوم بايعهُ الناس هي يد طلحة ثم تبعتها يد الزبير وكانا أول المبايعين . علىٰ أمل ان يكون لهما اليد في الحكم.

كما كان الزبير يقول : «اقتلوا عثمان فقد بدل دينكم» .

فقالوا للزبير : ان ابنك يحامي عنه بالباب .

قال الزبير : «ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بابني ، ان عثمان جيفة على الصراط غداً»[1] .

واما طلحة : فقد ذكر الواقدي انه لما قتل عثمان وتذاكروا أمر دفنه ، والمكان الذي يدفن فيه ، قال طلحة : «يدفن بـ«ديرسلع» يعني مقابر اليهود»[2] .

وفي الغدير ذكر انه دفن بـ«حش كوكب» وهي مقابر اليهود أيضاً ، ولعله هو المكان نفسه .

ذكرنا ذلك مفصلاً في آخر من هذا الكتاب وفي كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ج٣ فراجع .

بعد مقتل عثمان ومبايعة المسلمين الإمام علي (عليه السلام) جعل الامور تتخذ مجرىً آخر .

أولاً : شخص علي (عليه السلام) الذي هيمن على زمام الحكم والذي طالما حاول المنافقين والطامعين والحاسدين والحاقدين ، دفعه عن مركزه الذي نصبه الله ورسوله فيه .

(١) ابن ابي الحديد ج٢ ص٤٠٤ وشروح مفصلة في الغدير ج٩ ص١٠٢ وما بعدها .

(٢) الغدير ج٩ ص٩٣ واضاف ان الطبري قد ذكر ذلك في تاريخه إلّا انه لم يذكر اسم طلحة ، وقال بدلاً من ذلك «قال رجل» .

ثانياً : صرامته في الحكم وتطبيقه العدالة في الشريعة التي جاء الرسول الاعظم (صلّى الله عليه وآله) بها ولا تأخذه في ذلك لومة لائم .

ثالثاً : عدالته في القضاء والعطاء وقدرته لإدارة امور الدولة بحزم وثبات .

وهذه الأمور لا تروق لاؤلئك الطامعين الذين اكتنزوا الكنوز وامتلكوا الضياع وبنوا القصور من اموال المسلمين .

وبعد محاولات عديدة من قبل أول المبايعين لامير المؤمنين (عليه السلام) بالخلافة وهم طلحة والزبير للحصول على امتيازات خاصة لهم في العطاء والمناصب ، والولايات ، ولما لم يحصلوا على شيء ويئسوا من ذلك قاموا متحدين لمقاومة العدالة المتمثلة في شخص الإمام علي (عليه السلام) والتي هي أساس النظام وقانون شريعة السماء الذي جاء بها الرسول الكريم (صلّى الله عليه وآله) ولم يكتفِ بحرمانهم مما أَلِفوُهُ من النهب ، بل سيأخذ منهم وتسترجع اموال المسلمين التي حصلوا عليها من طرق غير مشروعة ، وجعل اؤلئك الذين ثاروا على عثمان ، وحرضوا الناس ضده وتمنوا الموت له حتى اودوا بحياته ، جعلهم متحدين يطالبون بدمه .

بداية حرب الناكثين ـ الجمل ـ في البصرة

لقد اتفق طلحة والزبير ، ومعهما عائشة بتمويلٍ من بني أُمية وموآزرتهم ، محرضين الناس ان يخرجوا إلى البصرة للمطالبة بدم عثمان ، لماذا البصرة بالذات ؟ علماً ان الثورة على عثمان قامت في المدينة والخليفة قتل فيها ؟!

الجواب لأن البصرة كانت عثمانية الهوىٰ وفيها انصارٍ لهم .

هذه التقلبات المدهشة السريعة التي تحير الالباب كانت عائشة هي التي تديرها من مكة بموآزرة طلحة والزبير وبني أُمية وكانت عائشة وهي في مكة تحرض الناس على الثورة ضد عثمان وتأمر بقتله ، ولما قتل فرحت بقتله وقالت ابعده الله لقد اراح ، وكانت أشد فرحاً حينما جاءها خبر يفيد بمبايعة طلحة ، وتجهزت للعودة إلى المدينة وفي اول الطريق علمت بمبايعة الإمام علي (عليه السلام) فصاحت ليت السماء انطبقت على الارض ، لا يكون ذلك أبداً ، ردوني ردوني ، ولما رجعت إلى مكة اثارت الناس على الإمام علي (عليه السلام) وجيشت العساكر لحربه بموآزرة طلحة والزبير وبني أُمية وخرجوا إلى البصرة ـ فكانت حرب الجمل ـ.

بذل الإمام (عليه السلام) جهوداً جبّارةً لتحاشي هذه الفتنة ، وحذّرهم مغبة أمرهم اذا نشبت الحرب .

وإليك هذه النصيحة لهما :

اما بعد يا طلحة ، ويا زبير ، فقد علمتما اني لم ارد الناس حتى ارادوني ، ولم أبايعهم حتى اكرهوني ، وانتما أول من بادر إلى بيعتي ، ولم تدخلا في هذا الأمر بسلطان غالب ، ولا لعرض حاضر ، وانت يا زبير ، ففارس قريش ، وأنت يا طلحة شيخ المهاجرين ، ودفعكما هذا الأمر قبل ان تدخلا فيه كان اوسع لكما من خروجكما منه ، ألا وهؤلاء بنو عثمان هم اولياؤه المطالبون بدمه ،وانتما رجلان من المهاجرين ، وقد اخرجتما امكما من بيتها التي أمر الله تعالى ان تقر فيه ، والله حسبكما[1].

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص٧٢ / والمقصود بـ «اخرجتما امكما» عائشة بوصفها زوجة النبي (صلّى الله عليه وآله) وأم المؤمنين .

وفي البصرة استمر الإمام (عليه السلام) يبذل قصارىٰ جهده ونصحه لحقن الدماء ، فارسل للناكثين رسولاً يدعوهم للصلح ورأب الصدع .

كما التقى الإمام (عليه السلام) بالزبير وذكره بأمور جرت لهما في عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) منها قوله :

ما حملك على ما صنعت يا زبير ؟ قال : حملني على ذلك الطلب بدم عثمان ؟

فقال الإمام (عليه السلام): ان انصفت من نفسك، أنت واصحابك قتلتموه، ولكني انشدك الله يا زبير اما تذكر ، [يوم] قال لك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : يا زبير اتحب علياً ؟ فقلت : وما يمنعني من حبه وهو ابن خالي[1] فقال لك : اما انك ستخرج عليه وأنت ظالم له . فقال الزبير : اللهم بلىٰ ، قد كان ذلك .

ثم أردف الإمام قائلاً : انشدك الله [يا زبير]أتذكر يوم جاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من عند بني عوف ، وأنت معه ، وهو آخذ بيدك فاستقبلته ، فسلمت عليه ، فضحك في وجهي ، وضحكت إليه ، فقلت أنت : لا يدع ابن أبي طالب زهوه ، فقال (صلّى الله عليه وآله) لك : مهلاً يا زبير ليس بعلي زهوة ، ولتخرجن عليه يوماً وأنت ظالم له ؟

قال الزبير : اللهم بلىٰ : ولكني قد نسيت ذلك وبعد ان ذكرتنيه لانصرفن[2].

وقد عزم الزبير على اعتزال الناس [العسكر] ولكن ابنه المشؤوم عبدالله وصفه بالجبن ان هو اقدم على ذلك .

وهكذا انفجر الموقف ، واندلع القتال بين المعسكرين غير أن الإمام (عليه

(١) أم الزبير هي صفية بنت عبدالمطلب ، اخت أبو طالب وعبدالله .

(٢) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص ٧٩ / سبط ابن الجوزي تذكرة الخواص ص٧٧/ ابن أبي الحديد / شرح نهج البلاغة ج٢ ص١٦٧ .

السلام) ظل ملتزماً بمثله ، الإنسانية العليا ، بعد ان ذهبت كل محاولاته الإصلاحية ملزماً اصحابه بارفع الاخلاق التي يريدها الله سبحانه ، مخاطباً جيشه :

«أيها الناس انشدكم الله ان لاتجهزوا على جريح ، ولا تستحلوا سبياً ، ولا تأخذوا سلاحاً ولا متاعاً»[1] موضحاً بذلك شريعة الله تعالىٰ في البغاة المعتدين .

ثم دعا ربه مستجيراً من فتنة الناكثين :

«اللّهم ان طلحة والزبير اعطياني صفقةً أيديهما طائعين ، ثم نصبا لي الحرب ظاهرين ، اللهم : فاكفينهما بما شئت وكيف شئت»[2] .

وحينما اسفرت المعركة عن الانتصار الساحق لجند الإمام (عليه السلام) على خصومه الناكثين ، أعلن الإمام (عليه السلام) العفو العام عن جميع المشتركين في حربه . واعطى أوامره وتعليماته بقوله :

ألا لا يجهز على جريح ، ولا يتبع مولٍ ، ولا يطعن في وجه مدبر ، ومن القىٰ السلاح فهو آمن ، ومن اغلق عليه بابه فهو آمن ، ولا يستحلن فرج ولا مال ، وانظروا ما حضر به الحرب من آنية فاقبضوه ، وما كان سوى ذلك ، فهو لورثته ، ولا يطلبن عبد خارج من المعسكر ، وما كان من دابة أو سلاح فهو لكم ، وليس لكم ام ولد ـ الأمة : التي استولدت ذكراً كان أو انثىٰ ـ والمواريث على فريضة الله تعالى ، وأي امرأة قتل زوجها ، فلتعتد أربعة أشهر وعشراً» .

فقال بعض اصحابه يا أمير المؤمنين ، تحل لنا دماؤهم ولا تحل لنا نساؤهم؟

فقال(عليه السلام) «كذلك السيرة في أهل القبلة»[3] . بيد أن بعضاً من

(١) ابن الصباغ / الفصول المهمة ص٧٩ / سبط بن الجوزي / تذكرة الخواص .

(٢) نفس المصدر السابق .

(٣) العسكري / أحاديث أم المؤمنين عائشة / ص١٨١ ، نقلاً عن اليعقوبي وكنز العمال .

جيشه كانوا يرغبون في الحصول على مغانم أكبر مما حدده الإمام (عليه السلام) . فقام له رجل قائلاً : يا أمير المؤمنين والله ما قسمت بالسوية ولا عدلت في الرعية!

قال الإمام (عليه السلام) : ولم ؟ ويحك !

قال : لأنك قسمت ما في المعسكر وتركت الأموال والنساء والذرية !!

فقال الإمام(عليه السلام) موضحاً فلسفة ذلك الموقف الكريم الذي التزمه :

يا أخا بكر : إنك امرؤ ضعيف الرأي أو ما علمت أنا لا نأخذ الصغير بذنب الكبير ، وأن الأموال كانت لهم قبل الفرقة وتزوجوا على رشده وولدوا على الفطرة ، وانما لكم ما حوى عسكرهم ، وما كان في دورهم ، فهو ميراث لذريتهم ، فإن عدا علينا أحد منهم أخذناه بذنبه ، وان كف عنّا لم نُحمِّل عليه ذنب غيره .

يا أخا بكر : لقد حكمتُ فيهم بحكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أهل مكة : قسّم ما حوى العسكر ، ولم يعرض لما سوى ذلك وانما اتبعت أثره .

يا أخا بكر : أما علمت أن دار الحرب يحلّ ما فيها ؟

وأن دار الهجرة يحرم ما فيها إلا بحق[1] . [أسألك سهم من تكون أم المؤمنين عائشة اذا قسمت الغنائم ؟] .

هذه بعض مصاديق الموقف الإنساني الفريد الموافق لأمر الله والمطابق لشريعته الغرّاء الذي التزم به الإمام (عليه السلام) في معاملة المنهزمين من خصومه ، إنه موقف لا ترىٰ فيه للعاطفة والاندفاع والتشفّي أثراً ، إنه موقف جسّد فيه الإمام حكم الله تعالىٰ . وهل غير علي (عليه السلام) جدير بتجسيد حكم شريعة الله فيما شجر بين الناس بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ؟!

وواصل الإمام (عليه السلام) خطواته الانسانية إزاء الناكثين بعد ذلك

(١) العسكري / أحاديث أم المؤمنين عائشة / ص١٨٢ ، نقلاً عن كنز العمال ومنتخب الكنز .

حيث أعاد عائشة إلى المدينة المنورة معززة مكرمة رغم موقفها العدائي منه .

وهكذا حسم الإمام الموقف لمصلحة الإسلام في فتنة البصرة فأبدى الإمام(عليه السلام) خلاله وبعده أنبل المشاعر وأصدقها نحو المغرر بهم محاولاً بذلك رأب الصدع وجمع الشمل واعزاز الأمّة .

حرب القاسطين في صفين

بعد انهزام الناكثين في حرب الجمل بالبصرة ، اطل قرن الشيطان من جديد للفتنة من الشام بقيادة معاوية بن أبي سفيان ، ضد الخليفة الشرعي علي بن أبي طالب (عليه السلام) وأخذ بحشد الجيوش ليزحف على الكوفة ، لمقاتلة الذين هم خيرة الصحابة والتابعين ، من أهل بدر وأحد وحنين والمهاجرين والأنصار .

وقد اعتزل قليل من المهاجرين والانصار ، فارسل إليهم معاوية ، يستنصرهم فخذلوه وردوا طلبه فكتب إليه محمد بن مسلمة الانصاري :

«وما أنت ، [يا معاوية] فلعمري ما طلبت إلّا الدنيا ، ولا اتبعت إلّا الهوىٰ، فان تنصر عثمان ميتاً ، فقد خذلته حياً»[1] .

كان من أوائل المبايعين لمعاوية بالخلافة «عمرو بن العاص» ، الذي طالما حرّض على قتل عثمان ومن قوله : أنا أبو عبدالله اذا حككت قرحة نكأتها ، قتلت عثمان وأنا في الفسطاط ، وحرضت عليه حتى الاعراب .

واذا به يقف بين الناس في الشام يبكي ويقول واعثماناه ، ثم دخل على معاوية وقال له بصراحة السبب الذي يدعوه إلى الوقوف بجانبه وترك علي بن

(١) الشرقاوي / علي إمام المتقين ج٢ ص٦ .

أبي طالب، الخليفة الشرعي وذكره بسابقته في الإسلام ، وفضله ، وقرابته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «انما اردنا هذه الدنيا»[1] .

وقد اعطاه معاوية دنياه جزاء بيعه آخرته ووقوفه معه .

وما أن استقر الإمام (عليه السلام) وجيشه في الكوفة بعد عودته من حرب الجمل بالبصرة ، حتى أُبلغ بزحف معاوية وجيشه على الكوفة .

وبعد ان جهز الإمام (عليه السلام) عسكره عزم على مواجهة القاسطين معاوية وجيشه ، حتىٰ التقيا على الفرات في منطقة «صفين» .

وقد سبق جيش أهل الشام واحتل شاطىء نهر الفرات ، وحال دون جيش الإمام من الورود إلى الماء .

وبالنظر لأهمية الماء في الاستراتيجية العسكرية ولعدم توفر مصدر آخر لجيش الإمام غير ماء الفرات فان الإمام (عليه السلام) قد التزم الأناة والتريث في معالجة الموقف ولم يبادر إلى اتخاذ الموقف العسكري فوراً .

فبذل الإمام مساعيه لاصلاح الموقف بالوسائل السلمية فأرسل وفداً ثلاثياً إلى معاوية قائلاً لهم اذهبوا إلى هذا الرجل ـ معاوية ـ وادعوه إلى الله تعالىٰ، وإلى طاعة الجماعة ، لعل الله ان يهديه ، ويلتئم شمل هذه الأمة ، والتقى الوفد بمعاوية وحذره مغبة ما اقدم عليه ، وقالوا : «ان الذي جئنا له غير الماء ، ولو سبقناك إليه لم نمنعك منه» فابدي اصراره وقال :«لا والله ولا قطرة حتى تموتوا ظمأ» ثم قال : «انصرفوا عني فليس عندي إلّا السيف» .

الأمر الذي اضطر الإمام (عليه السلام) الى استعمال القوّة للحصول على الماء لجيشه ، فانهزم فيلق معاوية شر هزيمة من شاطئ الفرات .

(١) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج٣ ص٢٧٤ .

وبعد ان صار الماء في نطاق جيش الإمام اذن للباغين بالتزود منه متى شاءوا، مجسداً بذلك الأخلاق الإسلامية.

وكان هم الإمام (عليه السلام) ان يحقن دماء المسلمين ويصونهم من التمزق ارسل من يبلغ معاوية «يا معاوية علام يقتتل الناس؟ ابرز إليّ ودع الناس، فيكون الأمر لمن غلب»[1]. قال ابن العاص: لقد انصفك ابن أبي طالب، قال معاوية ما معناه لابن العاص، ما غششتني منذ ان نصحتني؟ إلّا هذه المرة.

إلّا ان معاوية قد رفض خوفاً من سيف ابن أبي طالب وبطشه، وعلى رغم ذلك فقد بدأ معاوية الهجوم وباشر الحرب، وتفجر الموقف بحرب شامل استمر اسبوعين دون هوادة.

ولما لاح لجيش الإمام تباشير النصر، واوشك جيش الشام على الهزيمة، دبر عمر بن العاص خديعة رفع المصاحف على رؤوس الرماح والسيوف، مما نجم عن تلك الخطة الماكرة صدىٰ عميق في معسكر الإمام وانشقاق خطير فكثر اللغط بين الصفوف، مطالبين الإمام ايقاف القتال، وآثر الآلاف ترك ساحة القتال.

وعبثاً حاول الإمام (عليه السلام) افهام جيشه المنشق بالخدعة، وتزعم الاشعث بن قيس الغوغائية وصار يتحكم في توجيه الغوغاء، وفرض أبا موسى الاشعري المنحرف عن خط الإمام ليمثل معسكر الإمام، في التحكيم على رغم رفض الإمام ذلك واختار عبدالله بن عباس، أو مالك الاشتر ممثلاً عنه، غير ان الغوغاء اصروا على اختيار ابا موسى الاشعري للتحكيم، بالرغم من تأكيد الإمام (عليه السلام) ضعفه ووهن رأيه.

(١) ابن الصباغ المالكي ـ الفصول المهمة ص ٩٠ / سبط ابن الجوزي تذكرة الخواص.

بينما اختار معاوية عمرو بن العاص للتحكيم.

وها هو الإمام (عليه السلام) يخاطب المخدوعين بقوله:

«قد عصيتموني في أول الأمر ـ يشير إلى قبول التحكيم وايقاف القتال ـ فلا تعصوني الآن، لا ارىٰ ان تولّوا أبا موسىٰ الاشعري الحكومة فانه يضعف عن عمرو ومكائده»[1].

إلّا ان الغوغاء بزعامة الأشعث اصرّوا على اختيار الاشعري.

فمن السذاجة ان يتصور المرئ ويعتقد بأن تلك الأمور قد جرت بشكل عفوي أبداً، فان سير الأحداث لا تدل على ذلك، بل العكس هو الصحيح، اذ ان رفع المصاحف كان قد جرى بتوقيت وتنسيق بين معاوية، والحركة الموالية له في جيش الإمام (عليه السلام) وفي مقدمتهم الاشعث بن قيس المنافق المرتد، الذي ترأس الغوغاء، ولا بد ان يكون له اتصال سري.

وقد جاءت نتائج التحكيم كما توقعه الإمام (عليه السلام) لصالح القاسطين البغاة في الشام، حيث بدأ الأمر يستتب لمعاوية شيئاً فشيئاً.

وعند اجتماع الحكمين في «دومة الجندل» تحاور عمرو بن العاص، وأبو موسى الاشعري، في عدد من المسائل تتجه جميعاً باتجاه الانسب بولاية أمر المسلمين!!

فقد استغفل عمرو بن العاص، أبا موسى الاشعري بخطوة جديدة ليخدعه حيث عرض عليه فكرة خلع الإمام علي (عليه السلام) ومعاوية معاً، فلما استحسن الاشعري تلك الفكرة عرض عليه ابن العاص ان يبدأ بخلع صاحبه،

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص٩٦.

وانه ـ أي ابن العاص ـ لا يستحسن أن يتقدم على صاحب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ذلك.

فتقدم ـ النبي ـ أبو موسى الاشعري، وخلع الإمام علي (عليه السلام) من ولاية المسلمين كما خلع معاوية معه، أما عمرو بن العاص فقد أعلن موافقته على خلع الإمام علي، وتثبيت صاحبه معاوية.

وهكذا غدر عمرو بن العاس، بالاشعري فما كان من الأشعري إلّا أن علاه بالسوط لما رأى من غدره وسوء فعله. قائلاً له خدعتني يا غدار ـ فقال عمرو اسكت يا حمار.

وقد اصبح سُبّة التاريخ ولعنة الاجيال، وكان ذلك سنة ٣٧ للهجرة.

أما أمير المؤمنين (عليه السلام) فقد رأى ان خديعة عمرو بن العاص، وغفلة أبي موسى الأشعري، قد سببا له انتهاء التحكيم بطريقه غير شرعية، وغير صحيحة ولا سليمة.

لذا دعا الإمام علي (عليه السلام) إلى استئناف الحرب مجدداً واصدر بياناً إلى الامة جاء فيه:

«ألا ان هذين الحكمين قد نبذا كتاب الله وراء ظهورهما فاماتا ما احيا القرآن، واحييا ما امات، واتبع كل واحدٍ منهما هواه بغير هدىً من الله فحكما بغير بينة ولا سنة ماضية وكلاهما لم يرشدا فبرءا من الله ورسوله وصالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد وتأهبوا للمسير واصبحوا في مواقفكم»[1].

(١) سبط ابن الجوزي / تذكرة الخواص ص١٠٣.

حرب الخوارج المارقين في النهروان

عاد الإمام (عليه السلام) بجيشه إلى الكوفة، بعد تعين الحكمين.

فقد فوجئ بتمرد في جيشه وخروج طائفةً منها يبلغ تعدادهم زهاء الأربعة آلاف مقاتل، معلنةً التمرد وعصيان أوامر الإمام علي (عليه السلام) فلم تدخل الكوفة مع من دخل، وانما سلكت سبيلها إلى حروراء فاتخذت مواقع لها هناك.

ومن الجدير بالذكر ان المتمردين العصاة هم الذين ارغموا الإمام على ايقاف الحرب وعلى التحكيم في حرب صفين، بقيادة الاشعث بن قيس الكندي.

فقد اعلنت مبررات خروجها تحت شعار «لا حكم إلّا لِلّهِ» كلمة حق يراد بها باطل، وقالوا: لا نرضى بان تحكم الرجال دين الله، قد امضىٰ الله حكمه في معاوية واصحابه ان يقتلوا أو يدخلوا معنا في حكمنا عليهم، وقد كانت منا خطيئة وزلة حين رضينا بالحكمين، وقد تبنا إلى ربنا ورجعنا عن ذلك ـ فارجع ـ يقصدون الإمام بذلك، كما رجعنا، وإلا فنحن منك براء.

وقد بين الإمام لهم وأوضح، ان الخُلَق الإسلامي يقتضي الوفاء بالعهد، وهذه الهدنة مدتها إلى عام، لنرى ما سيكون، ثم تساءل مستغرباً.

ويحكم، أبعد الرضا والعهد والميثاق ارجع ؟!

أوليس الله عزَّ وجلَّ يقول: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾[1].

(١) نصر بن مزاحم / وقعة صفين ص٥١٧ / سورة النحل آية ٩١.

غير إن المعارضة اصرت على موقفها وتعاظم الخطر بعد ان انظم إلى معسكر المارقين اعداد جديدة حتى بلغ اثنا عشر ألفاً وهم يعلنون بشرك الإمام والمنتمين إليه ، واستباحة دمائهم ، وأموالهم .

وقد عزم الإمام (عليه السلام) عدم التعرض لهم في بادئ الأمر ليمنحهم فرصة التفكر ، بخطورة ما اقدموا عليه ، عسىٰ أن يعودوا إلى رشدهم ويعودوا إلى معسكر امامهم .

غير أن الأمر تفاقم بعد انضمام عدد كبير من جيش الإمام إليهم ، واصبحوا يشكلون خطراً حقيقياً على الدولة من الداخل ، فقد بلغوا اثنا عشر الف مقاتل .

فقتلوا بعض الأبرياء من المؤمنين ، وهددوا الآمنين ، فقتلوا الصحابي الجليل عبدالله بن خباب وبقروا بطن زوجه وهي حامل مقرب دون مبرر ، كما قتلوا نسوة من طي .

فلما بلغ أمرهم الإمام (عليه السلام) ارسل إليهم الحارث بن مرة العبدي ، ليقف على جلية الأمر ، وبيان الموقف ، غير انهم قتلوه كذلك[1] .

فلما علم الإمام (عليه السلام) بالأمر ، بذل مساعيه لاصلاح الموقف دون اراقةٍ للدماء ، فبعث اليهم ان يرسلوا إليه قتلة المؤمنين : عبدالله بن خباب ، والحارث العبدي وغيرهما وهو يكف عنهم ولكن اجابوه : انهم كلهم قتلوهم .

ثم بعث إليهم بعد ذلك الصحابي الجليل قيس بن سعد بن عبادة اتماماً للحجة فنصحهم ووعظهم وحذرهم مغبة أمرهم ، واهاب بهم للرجوع عما اقدموا عليه ، من جواز سفك دماء المسلمين ، وتكفيرهم الإمام واصحابه دون وجه شرعي وحق ، فلم يرتدعوا ولم ينصاعوا .

(١) ابن الصباغ المالكي / الفصول المهمة ص١٠٨ .

وتابع الإمام (عليه السلام) موقفه الانساني ، فارسل إليهم هذه المرة الصحابي ، أبا أيوب الأنصاري ، فخطب فيهم ووعظهم ، وبعد ذلك رفع رايةً في وسط الميدان ونادىٰ ، من جاء هذه الراية ـ ممن لم يَقتلُ ـ فهو آمن ، ومن انصرف إلى الكوفة أو المدائن فهو آمن وقد نجحت هذه المحاولة إلى حدٍ كبير حيث تفرقوا شيئاً فشيئاً ، حتى اصبح عددهم أربعة آلاف بعد ان كان عددهم اثنى عشر ألفاً مقاتلاً .

وبدأ هؤلاء بالهجوم على جيش الإمام (عليه السلام) فأمر الإمام بالكف عنهم حتىٰ يبدأوا بالقتال ، عند ذلك طوقتهم قوات الإمام (عليه السلام) وتحقق الظفر والنصر الساحق لجيش الإمام (عليه السلام) ، وراية الإسلام ، وسيأتي تفصيل ذلك بروايات اخرى فيما بعد .

وهكذا قضى الإمام (عليه السلام) على فتنة الخوارج بالنهروان كما سمّاهم الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) بالمارقين .

عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : «ان قوماً يخرجون ، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»[1]

بعد الانتهاء من مهزلة التحكيم طغىٰ معاوية وتجبر ، واخذ يرسل قواته للاغارة على المؤمنين في حكومة الإمام (عليه السلام) .

واختار معاوية لتنفيذ سياسة الارهاب ، عدد ممن لا سابقة لهم في الإسلام ، بل وممن يحملون البغض للإسلام وهم :

١ ـ بُسر بن أرطاة .

(١) ابن الأثير / الكامل في التاريخ ج٣ ص٣٤٧ / والبخاري في صحيحه / وابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة ص١١١ / والبلاذري في أنساب الاشراف ج٢ ص٣٧٦ .

٢ ـ سفيان بن عوف الغامدي

٣ ـ الضحاك بن قيس الفهري .

٤ ـ عبدالله بن مسعدة .

وغيرهم ممن لا دين لهم ، ولا ضمير ، ولا انسانية . للاغارة على المدن الآمنة حتى وصل به الأمر للاغارة على المدن المقدسة مكة والمدينة وحتىٰ وصل إلى اليمن ، واتبع اسلوباً لا يمت إلى الإسلام بصله ،وحتى الجاهلية تأنف من ذلك وترتفع عن فعله . من قتل الرجال والنساء ، والشيوخ والاطفال ، وحتى البهائم ما سلمت من قسوة جيشه ، ناهيك عن هتك الاعراض ونهب الاموال ، وحرق الدور وهدمها على ساكنيها لتثبيت ملكه بالفتك والإرهاب وسفك الدماء .

١ ـ بُسر بن أرطاة

فقد ارسله معاوية سنة ٤٠ للهجرة على رأس جيش قوامه ثلاثة آلاف مقاتل وجهه إلى اليمن ، وأمره ان يأخذ طريق الحجاز ويمر على المدينة المنورة ، ثم مكة ليرعب اهلها حتى ينتهي إلى اليمن ، واوصاه «اذا نزلت على اهل بلد فيهم على طاعة علي ان تبسط عليهم لسانك ، حتى يروا انه لا نجاة لهم منك ، وانك محيط بهم ، ثم ادعهم إلى البيعة لي ، فمن ابى فأقتله ، واقتل شيعة علي حيث كانوا»[1] .

اتبع بسر سياسة البطش والتنكيل ، وبكل من كان له بلاء مع الإمام عليّ (عليه السلام) أو كان من اصحابه ، وكل من ابطأ عن البيعة [بيعة معاوية] يحرق داره ، او يخربها ، ونهب ما فيها من متاع .

(١) الثقفي / الغارات ص٥٩٨ .

وكان الذي قتل بُسر في ذهابه إلى اليمن ورجوعه زهاء ثلاثين الفاً ـ من الرجال والنساء ، والعجزة ، والشيوخ والاطفال ، وحرق قوماً آخرين بالنار .

حتى وصل إلى اليمن وكان عليهم عبيدالله بن عباس عاملاً لأمير المؤمنين (عليه السلام) فهرب منها إلى الكوفة ، وترك زوجته واطفاله .

واستخلف الإمام علي (عليه السلام) على اليمن عبدالله الحارثي ، فلما وصل بُسر اليمن عاث فيها الفساد وقتل من اصحاب الإمام العدد الكبير ، منهم عامل الإمام (عليه السلام) عبدالله الحارثي وابنه ، واخذ ابنين صغير لعبيدالله بن عباس وهما عبدالرحمن ، وقثم فقتلهما ، وقتل الرجل الذي ضمهما إليه .

ولما شاهدت امهما مصرعها اصيبت بلوثة في عقلها فهامت على وجهها في الصحراء ، وهي تردد هذا الشعر حتى ماتت كمداً :

يـامن أحسّ بـابني الذيـن هما ... كـالدرتين تشظىٰ عـنهما الصَدفُ

يـامن أحسَّ بـابني الذيـن هما ... مخ العـظام فـمخي اليـوم مـزدهفُ

يـامن أحسّ بـابني الذيـن هما ... قلبي وسمعي ، فقلبي اليـوم مختطفُ

مـن دلّ والهـةً حـيرىٰ مـدلّهة ... عـلى صبيين ذلا اذ غـدا السـلفُ

نبئت بسراً وما صدقت مـا زعـموا ... من افكهم ومن قول الذي اقـترفوا

أحْـنى عـلىٰ وَدَجـيَ ابـنيّ مـرهفةً ... مـن الشـفار ، كـذاك الاثم يـقترفُ

فلما سمع الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) بما فعله بُسر تأثر تأثراً شديداً ، وجهز جيشاً كثيفاً ليقاتل بُسر وجيشه ويمنعه من قتل وذبح المسلمين ، فلما سمع بُسر بذلك انسحب واقفل راجعاً من حيث قدم ، ثم دعا الإمام (عليه السلام) على (بُسر) وقال : «اللهم اسلبه دينه وعقله» ، فاصابته دعوة العبد الصالح ، فقد عقله فكان يهذي بالسيف ويطلبه ، فيوتى بسيف من خشب ، ويجعل له بين يديه زق

منفوج فلا يزال يضربه ولم يزل كذلك حتى هلك ، عليه وعلى من أمره لعنة الله وملائكته والمؤمنين إلى قيام يوم الدين[١] .

٢ ـ سفيان بن عوف الغامدي

جهز معاوية جيشاً كثيفاً تعداده ستة آلاف مقاتل وأمّر عليه سفيان الغامدي وأمره ان يغير على العراق منحدراً مع نهر الفرات واوصاه ان يقتل ، ويحرق ، وينهب القرى والمدن التي يمر عليها ، ممن ليس هُم على رأيهم ، وعمل سفيان الغامدي ما أمره به معاوية وزاد عليه ان نهب وقتل اناس من أهل الذِمة من كانوا هناك .

وقد وصف الإمام (عليه السلام) اعمال سفيان الغامدي بشيء من الجزع مخاطباً أصحابه والطليعة من جيشه بقوله :

«وقتل منكم رجالاً صالحين ، وقد بلغني ان الرجل من اعدائكم كان يدخل بيت المرأه المسلمة والمعاهدة فينتزع خلخالها من ساقها ورعثها[٢] من اذناها فلا تمتنع منه ، ثم انصرفوا وافرين لم يكلم منهم رجل كلماً ، فلو ان امرءاً مسلماً مات من دون هذا اسفاً ، ما كان عندي ملوماً بل كان عندي به جديراً»

٣ ـ الضحاك بن قيس القهري

ارسل معاوية جيشاً بقيادة الضحاك الفهري قوامة أربعة آلاف مقاتل الى ناحية الكوفة وأمره أن يسير بجيشه حتى يمر من اطراف المنطقة وان يغير على من

(١) الثقفي / الغارات ص٤٧٦ .

(٢) الرعث : القرط .

وجد من مسلحة الإمام أو خيلاً ويقتل من لق من الاعراب[١] حتى مر «بالثعلبية» وهي قرية تقع على الطريق المتجه إلى مكة ، فاغار خيله على الحاج فنهب امتعتهم ، ثم لق عمرو بن عميس بن مسعود الذهلي ، وهو ابن أخي عبدالله بن مسعود ـ الصحابي الجليل فقتله في طريقه إلى الحج عند «القطقطانه» وقتل معه ناساً من أصحابه[٢] .

ومن الغريب انه كان يفتخر بفعله الشنيع .

٤ ـ عبدالله بن مسعدة

بعث معاوية عبدالله بن مسعدة على رأس جيش تعداده ، الف وسبعمائة رجل الى «تيما» وامره ان يُصدِّق من مر به ـ أي ان «يأخذ البيعة» من أهل البوادي ، ويقتل من امتنع ، حتى بلغ مكة أو المدينة وفعل ذلك .

كما ارسل معاوية غارات اخرى على كل المناطق التي يضن بوجود شيعة فيها للإمام علي (عليه السلام) خليفة المسلمين ، وقتل بسبب ذلك الآلاف من المؤمنين من رجال ونساء وشيوخ واطفال وعاجزين .

حتى وصل به الأمر من قتل الكثيرين من «المعاهدين» من أهل الذمة .

أما موقف الإمام (عليه السلام) فقد كان صريحاً وواضحاً في الوقوف بوجه تلكم الاعمال البشعة والهجمات ألاّ إنسانية ، حتى اجاب الإمام (عليه السلام) معاوية برسالةٍ قال فيها .

(١) اي دين هذا الذي يبيح كل تكلم الجرائم .

(٢) الثقفي / الغارات ص٤٢١ / ابن أبي الحديد ج٢ ص١١٦ وابن الأثير ج٣ ص٣٧٧ كما اختصر ذلك ابن كثير ج٧ ص٣٢٠ .

«وان رأيي جهاد المحلّين حتى القى الله ، لا يزيديني كثرة الناس حولي ـ معي ـ عزّة ، ولا تفرقهم عني وحشة ، لاني محق ، والله مع الحق ، ووالله ما اكره الموت على الحق وما الخير كله بعد الموت إلّالمن كان محقاً» .

وكان من أوامر الإمام علي (عليه السلام) ووصاياه إلى احد قادته العسكريين ، الذين كان يبعثهم للتصدي لهجمات جيش معاوية وغاراتهم على اطراف الدولة الإسلامية وعلى المسلمين .

«إتق الله الذي إليه تصير ، ولا تحتقر مسلماً ولا معاهداً ، ولا تغصبن مالاً ولا ولداً ولا ذرية ، وإن حفيت وترجّلت ، وصل الصلاة لوقتها» .

أي وصيةٍ مباركةٍ هذه ، التي يأمر بمكارم الاخلاق ، والسير على منهاج الإسلام الصحيح القويم الذي نهجه الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) .

يجدر بك أيها اللبيب أن تقارن هذه التعليمات والوصايا الانسانية ، مع اوامر معاوية لقادة جيشه الضال الذي قام بافضع الجرائم وابشعها لا سيما مع الآمنين العزل منهم ، من نساء وشيوخ واطفال وعجزة فانا لله وانا إليه راجعون .

خاتمة المطاف

انهى الإمام (عليه السلام) مقاومة المارقين ـ الخوارج ـ في النهروان وشمر عن ساعد الجد لاستئناف قتال القاسطين في الشام بعد فشل التحكيم .

وقد امر الإمام (عليه السلام) بالتعبئة العامة لجيشه ، واعلن الحرب لتصفية قوىٰ القاسطين البغات التي يقودها معاوية ، في خطبة على منبر الكوفة ضمنها دعوته للجهاد ، بقوله :

«الجهاد ، الجهاد ، عباد الله ؟ الا واني معسكر في يومي هذا ، فمن أراد الرواح إلى الله فليخرج»[1] .

ثم بادر الإمام (عليه السلام) في تعبئة جيشه وعقد ألوية الحرب ، فعقد للإمام الحسين لواءً ، ولابي ايوب الانصاري لواءً آخر ، ولقيس بن سعد ثالثاً ، وهكذا وبينما الإمام (عليه السلام) يواصل تعبئة قواته ، كان نفر من بقية الخوارج يحيك مؤامرة ويخطط لاغتال زعماء النزاع ، فخرجوا بقرارات كان اخطرها قرار اغتيال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد أُوكل تنفيذ الاغتيال إلى المجرم «عبدالرحمن بن ملجم المرادي» في وقت وساعة معينة ، قدم الكوفة المرادي ، واشرك وردان ، وقطام ، والأشعث بن قيس الكندي وغيرهم في تنفيذ المؤامرة وفي فجر التاسع عشر من شهر رمضان سنة ٤٠ هاغتيل الإمام (عليه السلام) بسيف المرادي ، في افضل ساعة من عبادته حينما رفع رأسه من السجدة الأولى في الركعة الاولىٰ من صلاة الفجر ضرب المرادي الإمام (عليه السلام) بسيفه المسموم عل رأسه الشريف فأفجع العالم بهذه الجريمة البشعة ، وبه خسرت الأمة الإسلامية ، مسيرة الحضارة ، وينبوع الحكمة ، والإسلام المتجسد .

وفي آخر ساعة من ساعات حياته وهو يجود بنفسه ما تخلىٰ عن قيمه الانسانية ، وواجبه الشرعي .

وبقى الإمام علي (عليه السلام) ثلاثة أيام ينازع ضربته ويعاني من آلام علته ، عهد خلالها بالإمامة والخلافة والوصايا إلى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) ، ليمارس بعده ويتحمل مشاق مسئولياته ، في قيادة الامة ، الادارية ،

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ١٨٢ .

والفكرية والاجتماعية ، مبيناً طريق النجاة ، داعياً لاقامة حدود الله تعالى وحفظها ، محذراً الهوى والنكوص عن حمل الرسالة الالهية .

وهذه واحده من وصاياه ، ومخاطباً بها ولديه الامامين سبطي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الحسن والحسين وأهل بيته وشيعته ، والاجيال الصاعدة :

أوصيكما بتقوى الله ، وألّا تبغيا الدنيا وان بغتكما ، ولا تأسفا على شيء منها زوي عنكما ، وقولا بالحقّ ، واعملا للأجر ، وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً .

أوصيكم ، وجميع ولدي وأهلي ومن بلغه كتابي ، بتقوى الله ، ونظم أمركم ، وصلاح ذات بينكم ، فإني سمعت جدّكما (صلّى الله عليه وآله) يقول : «صلاح ذات البين أفضل من عامّة الصلاة والصيام » .

الله الله في الأيتام ، فلا تُغِبُّوا أفواهَهُمْ ولا يضيعُوا بحضرتكم .

الله الله في جيرانكم ، فإنهم وصية نبيكم ، ما زال يوصي بهم ، حتى ظننّا أنه سيورثهم .

الله الله في القرآن ، لا يسبقكم بالعمل به غيركم .

الله الله في الصلاة ، فإنها عمود دينكم .

الله الله في بيت ربكم ، لا تخلوه ما بقيتم ، فإنه إن ترك لم تناظروا .

الله الله في الجهاد بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم في سبيل الله .

وعليكم بالتواصل والتباذل ، وإياكم والتدابر والتقاطع ، ولا تتركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيولىٰ عليكم شراركم، ثم تدعون فلا يستجابُ لكم .

ثم قال :

يا بني عبدالمطلب ، لا الفينكم تخوضون دماءَ المسلمين خوضاً ، تقولون :

«قتل أمير المؤمنين» ألا لا تَقْتُلُنَّ بي إلّا قاتلي .

انظروا إذا أنا متُّ من ضربته هذه ، فاضربوه ضربةً بضربة ، ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول : «إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور» [1] .

وهكذا كانت النهاية المؤلمة لهذا الرجل العظيم .

فلقد كانت خسارة الرسالة والأمّة بفقده من أفدح الخسائر التي أصيبت بها الأمة بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

ومن لطفه وحنانه ، عندما ايقن بالموت استدعى ولده الإمام الحسن (عليه السلام) قال أي بني الينوا فراش الرجل [اسيركم ابن ملجم] وطيبوا طعامه فان انا عشت رأيت فيه رأي ، فان شئت اخذت بحقي منه ، وأن شئت عفوت ، وان أنا قضيت نحبي فضربة بضربة ، وان تعفو اقرب للتقوى ، ولا تمثلوا بالرجل ، فقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول المثلة حرام ولو بالكلب العقور ، وكان لعلي(عليه السلام)من العمر حين قتل ثلاث وستون سنة وقيل أربع وستون :

قال الكاتب اللبناني جبران خليل جبران كلمته المشهورة في فضل الإمام علي (عليه السلام) في عقيدتي ، ان ابن أبي طالب أوّل عربي لازم الروح الكلية ، وجاورها وسامرها ، وهو أوّل عربي تناولت شفتاه صدى اغانيها على مسمع قوم لم يسمعوا بها من ذي قبل فتاهوا بين مناهج بلاغته ، وظلمات ماضيهم ، فمن اعجب بها كان اعجابه موثوقاً بالفطرة ومن خاصمه كان من ابناء الجاهلية .

وقال أيضاً :

«مات ابن أبي طالب شهيد عظمته ، مات وفي قلبه الشوق إلى ربه ، مات

---

(١) نهج البلاغة / خطبة رقم ٤٧ .

والصلاة بين شفتيه ، مات قبل ان يُبَلِّغَ العالم رسالته كاملةً وافية ، مات شأن جميع الأنبياء الباصرين الذين يأتون إلى قومٍ ليسوا بقومهم ، في بلدٍ ليس ببلدهم ولكن لربك شأناً في ذلك وهو اعلم »

ما اعظم هذه الكلمتان التي صدرت من فيلسوف غير مسلم عرف قدره ، كما عرف مكانته وعظمته عظماء العالم ، مدى القرون والأجيال .

مستشهد لا محالة

كلمة قيمة للدكتور عباس محمود العقاد في كتاب عبقرية الإمام علي (عليه السلام) .

خلق الإمام علي (عليه السلام) شجاعاً ، بالغاً في الشجاعة ، وزاهداً بَيِّن الزهد ، ودارساً محباً للحقيقة الدينية يتحراها حيث إهتدى إليها .

الشجاع جريء على الدنيا لأنه لا يبالي بالحياة ، والزاهد جريء على الدنيا لأنه لا يبالي بالنعم ، وطالب الحقيقة جريء علىٰ الدنيا لانها طريق عنده إلى غايةٍ من ورائها .

فأيَّ مصير [ترىٰ] لهذا الرجل غير الشهادة في زمن لم يعرف بطاريءٍ من الطوارئ كما عُرِفَ بالاقبال على الدنيا .

صام الناس قبله على الدنيا ، ثم اقبلوا علىٰ الدنيا العريضة بحذافيرها ..

واذا بخليفة جريءٍ عليها ، زاهد فيها ، يقف لهم في طريقها ويصدرهم عنها .

فهو مستشهد لا محال ولو مات على سريره .

إنالانسان قد يعيش عيشة الشهداء ولا يلزم بعد ذلك ان يموت ميتة شهيد .

لقد خرج الإمام علي (عليه السلام) الى الدنيا والشهادة مكتوبة علىٰ ذلك الجبين بضربة حسام [مسموم] .

يقول المؤلف :

استشهد الإمام علي (عليه السلام) والصلاة بين شفتيه ذائب في ذات الله ، غارق في طاعته ، فكأنما ادرك ما كان يصبو إليه ، وحصل على الغاية التي كان ينشدها ، منادياً فزت ورب الكعبة .

فسلام عليه يوم ولد ، ويوم جاهد ، واستشهد ويوم يبعث حياً .

نصوص الإمامة

أما النصوص التي تسند إليه أمر إمامة الأمة فكرياً وسياسياً بعد الرسول (صلّى الله عليه وآله) بشكل صريح فنذكر منها :

١ ـ آية الولاية :

﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللهُ وَرَسولُهُ وَٱلَّذينَ آمَنُوا ٱلَّذينَ يُقيمونَ ٱلصَّلاةَ وَيُؤتونَ ٱلزَّكاةَ وَهم راكِعونَ * وَمَن يَتَوَلَّ ٱللهَ وَرَسولَهُ وَٱلَّذينَ آمنوا فإنَّ حِزبَ ٱللهِ هُمُ ٱلغالِبون ﴾[1] .

فقد ذكر المفسرون أنَّ آية الولاية هذه قد نزلت في علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، حيث تؤكد بلا أدنى شك أنه يجب على الأمة الاسلامية الالتزام به إماماً ومرجعاً فكرياً وسياسياً بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) .

---

(١) المائدة / ٥٥ ـ ٥٦ .

نزلت هذه الآية في علي (عليه السلام) كما روى ذلك جمع من الثقات من المحدثين والمفسرين ـ لحد الاستفاضة ـ وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة ، أنّ سائلاً دخل مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يسأل المسلمين المعونة ، فأشار الإمام (عليه السلام) إلى أصبعه وهو راكع فانتزع السائل خاتم الإمام من اصبعه ، وتصدّق الإمام به وهو راكع فنزلت فيه هذه الآية[١] . كما ذكرنا ذلك في الجزء الأول من كتابنا «علي في الكتب والسنة» تفسير الآية .

٢ ـ خطبة الغدير :

التي ألقاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حجة الوداع بعد أدائه مراسم الحج الأكبر .

عن البرّاء بن عازب قال : أقبلنا مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سنته التي حج فيها ، فنزل في بعض الطريق فأمر : [الصلاة جامعة ، فأخذ بيد علي، فقال : (ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟) قالوا : بلىٰ . قال (صلّى الله عليه وآله) (ألست أولى بكل مؤمن من نفسه ؟) قالوا بلىٰ . قال (صلّى الله عليه وآله) : (فهذا ولي من أنا مولاه ، اللّهم وال من والاه ، اللّهم عادِ من عاداه)][٢] .

وفي لفظ أحمد بن حنبل أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال : [من كنت

(١) راجع تفسير الآية في كل من : تفسير البيضاوي ، ومجمع البيان للطبرسي ، وأبو اسحاق الثعلبي في تفسيره ، والطبري في تفسيره ، والواحدي في أسباب النزول ، وأبو البركات النسفي في تفسيره ، والنيسابوري في تفسره ، والشبلنجي في نور الأبصار ، وابن حجر في صواعقه المحرقة وغيرهم . ولمزيد من التعرف إلى المصادر راجع فضائل الخمسة من الصحاح الستة للفيروزآبادي / ج١ وأعيان الشيعة للسيد محسن الأمين /ج٣ ص١٣٠ وما بعدها .

(٢) سنن ابن ماجة /ج١ ص٤٣ .

مولاه فعلي مولاه ، اللّهم وال من والاه وعاد من عاداه][١] .

٣ ـ عن أم المؤمنين أُم سلمة ، قالت : قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) : [إنَّ الله اختار لكل نبي وصياً ، وعلي وصيي في عترتي وأهل بيتي وأمتي بعدي][٢] .

هذه بعض النصوص الإسلامية الصحيحة التي أسندت أمر المرجعية الفكرية والسياسية بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ، ولمن يهمه المزيد من تتبع نصوص الإمامة يمكنه مراجعة المصادر المختصة بالموضوع[٣] .

وسيأتي تفصيله فيما بعد .

(١) مسند احمد بن حنبل /ج٤ ص٢٨١ ، وقد نص على أن الحديث رواه ثلاثون صحابياً . وقد أخرج الحديث غيره كالنسائي في الخصائص ، والطبراني عن زيد بن أرقم ، والفخر الرازي في الصحيحين ، ولمزيد من المصادر راجع كتاب الغدير /ج١ للشيخ عبدالحسين الأميني .

(٢) الموفق بن أحمد الحنفي في مناقبه ، والحمويني الشافعي في فرائد السمطين ، وفي مسند أحمد ابن حنبل حديث الوصية يشبهه ، والثعلبي في الكشف والبيان ، وابن المغازلي ، مثله راجع عليّ والوصية / ص٢٣٥ .

(٣) ككتاب «الغدير» للشيخ عبدالحسين الأميني ، و «دلائل الصدق» للشيخ محمد حسن المظفر ، و «احقاق الحق» للقاضي التستري ، و «عبقات الأنوار» للسيد مير حامد حسين ، و «المراجعات» للسيد عبدالحسين شرف الدين ، كما ذكرنا ذلك مفصلاً ، في «علي في الكتاب والسنة» وغيرها .

علاقة الإمام (عليه السلام) بربه

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

اذا كانت حصيلة الإعداد الإلٰهي المباشر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) ان صارت خُلُقَهُ القرآن بكل ما فيه من الفضائل والقيم الروحية الرفيعة، تجسيداً حياً رائعاً في دنيا الواقع، فان حصيلة الاعداد الرسالي من لدن المربي العظيم (صلّى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب(عليه السلام) صيَّرته صورة مطابقة له.

فكراً، وهدياً وسلوكاً، وموقفاً.

وكل الأوسمة التي حصل عليها الإمام علي (عليه السلام) من الله سبحانه وتعالى ومن رسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله) هي نتيجة اخلاصه في عبوديته، وانقطاعه إليه.

كان في تهجده وانقطاعه وبكائه، وتململه تململ السليم يناجي ربه تلك المناجات التي اصبحت منهجاً للمتعبدين ووسيلةً للمنقطعين، وقد طفحت الكتب والسير من دعاءه.

في حديث لأبي الدرداء قال:

شهدت علي بن أبي طالب بشويحطات[2] النجار وقد اعتزل عن مواليه، واختفى ممن يليه، واستتر بمقبلات[3] النخل فافتقدته، وبعد عليَّ مكانه، فقلت:

(١) الانعام ١٦٢.

(٢) شويحطات بني النجار ـ بساتين في اطراف المدينة.

(٣) المقبلات: النخل الوارف الظلال.

لحق بمنزله، فاذا انا بصوت حزين ونغم شجي، وهو يناجي ربه.

(إلٰهي كَمْ مِن مُوبِقَةٍ حَلُمْتَ عَن مُقابَلتِها بِنِقْمَتِك، وَكَم مِن جَرِيرَةٍ تَكَرَّمت عَن كَشْفِهَا بِكَرَمِكَ).

(إلٰهي إن طَالَ فِي عِصْيَانِكَ عُمري، وَعَظُمَ فِي الصُحفِ ذَنبِي، فَما أنَا مُؤملٌ غَيرَ غُفرَانِكَ، وَلَا أنَا بِرَاجٍ غَيرِ رِضوَانِكَ).

قال: فشغلني الصوت، واقتفيت الأثر، فاذا هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) بعينه، فاسترت له واخملت الحركة، فركع ركعات في جوف الليل الغابر، ثم فرغ إلى الدعاء والبكاء والبث والشكوى، فكان مما ناجىٰ به ربه انه قال:

(إلٰهي أُفكِّر فِي عَفوِكَ، فَتَهوَنُ عَليَّ خَطِيئَتِي، ثُم أذكُر العَظِيمَ مِن أخذِكَ، فَتَعظُم عَليَّ بَلِيَتِي).

ثم زفر زفرة وقال: **(آهٍ إنْ قَرأتُ فِي الصُحُفِ سَيئَةً أنا نَاسِيهَا، وَأنتَ مُحصِيها، فَتَقُول: خُذوُه، فَيالَهُ مِن مأخُوذٍ لاْ تُنجِيهِ عَشِيرَتهُ، وَلاْ تَنفَعهُ قَبِيلَتهُ، وَلاْ يَرحَمهُ المَلأ إذا أذن فِيه بِالنِداء).**

ثم قال: **(آهٍ مِن نَارٍ تَنضَجُ الأكبَادَ والكِلىٰ، آهٍ مِن نَارٍ نزّاعةٍ لِلشَوىٰ، آهٍ مِن لَهَبَات لَظىٰ).**

قال أبو الدرداء: ثم امعن في البكاء، فلم اسمع له حساً، ولا حركة.

فقلت غلب عليه النوم لطول السهر، أوقظه لصلاة الفجر فأتيته، فاذا هو كالخشبة الملقاة، فحركته، فلم يتحرك، وزويته فلم ينزوي.

فقلت إنا لِلّٰهِ وإنا إليه رَاجِعوُن، مات والله علي بن أبي طالب، فأتيت منزله مبادراً أنعاه إليهم.

فقالت فاطمة (عليهاالسلام): (يا ابا الدرداء ما كان من شأنه ومن قصته؟)

فأخبرتها الحال .

فقالت (عليها السلام) : (هي والله ـ يا ابا الدرداء ـ الغشية التي تأخذه من خشية الله) .

ثم اتوه بماء فنضحوه على وجهه ، فأفاق ، ونظر إليَّ وأنا أبكي فقال : (مِمَ بكاؤك يا أبا الدرداء ؟) .

فقلت مما اراه تنزله بنفسك .

فقال الإمام (عليه السلام) : يا أبا الدرداء فكيف لو رأيتيني وَدُعِيَ بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب ، واحتوشتني ملائكة غلاظ وزبانية فظاظ ، فوقفت بين يدي الملك الجبار ، وقد اسلمني الاحياء ورفضني أهل الدنيا ، لكنت أشد رحمة لي بين يدي من لا تخفىٰ عليه خافية .

وقال (عليه السلام) :

وانما هي نفسي اروضها بالتقوىٰ لتأتي آمنة يوم الخوف الاكبر .

فقال : أبو الدرداء : فوالله ما رايت ذلك لاحد من اصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)[1] .

وهذا شاهدٌ من شواهد تعلق الإمام (عليه السلام) بالله تعالىٰ وشدة انشداده إليه ورهبته منه . وهذه مناجاته في كل ليلةٍ ، وهي مزيته عند التوجه إلى الله سبحانه في صلاته ، وضراعته .

عن نوف البكالي قال : بت ليلة عند أمير المؤمنين (عليه السلام) فكان يصلي الليل كله ، ويخرج ساعة بعد ساعة ، فينظر إلى السماء ، ثم يتلو القرآن ، فر

(١) المجلسي / بحار الانوار ج٤١ ص١١ و١٢ / مناقب آل أبي طالب لابن شهرآشوب ج١ ص٣٨٩ ط قم .

بي بعد هدوء من الليل فقال : (يا نوف أراقد أنت أم رامق ؟) .

قلت بل رامق ، أرمقك ببصري يا أمير المؤمنين .

قال يا نوف طوبىٰ للزاهدين في الدنيا ، الراغبين في الآخرة ، أولئك قوم اتخذوا الارض بساطاً ، وترابها فراشاً ، وماءها طيباً ، والقرآن شعاراً ، والدعاء دثاراً ، ثم قرضوا الدنيا قرضاً على منهاج المسيح[1] .

وهكذا كان علي (عليه السلام) في شدة تعلقه بالله ، وعظيم تمسكه بنهج الانبياء .

انه كان(عليه‌السلام)اذا حضر وقت‌الصلاة تلّون وتزلزل، فقيل له: مالك؟.

فيقول : (جاء وقت امانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها وحملها الانسان على ضعفه ، فلا ادري اذا حملت ام لا ؟)[2] .

وقد كشف الإمام (عليه السلام) عن كنه عبادته معبراً في مناجاته بالسحَر داعياً الله سبحانه وتعالى بقوله :

(الٰهي مَا عَبدتُكَ خَوفاً مِن عِقَابِكَ وَلاٰ طَمَعاً فِي ثَوابِكَ ، وَلَكِن وَجَدتُكَ أهلاً للعِبَادَةِ فَعَبدتُكَ)[3] .

ولقد حدد الإمام (عليه السلام) في كلمته الخالدة العبادة فقال : (ان قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلك عبادة التجار ، وان قوماً عبدوا الله رهبةً ، فتلك عبادة العبيد ، وان قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الاحرار)[4] .

فاعظم به من يقين وايمان .

(١) نهج البلاغة / باب الحكم رقم ١٠٤ ، والمجلسي في البحار ج٤١ ص١٦ عن الخصال .

(٢) البحار ج٤١ ص١٧ .

(٣) و(٤)بحار المجلسي ج٤١ ص١٤/ عن نهج البلاغة/ وتذكرة الخواص ، لابن الجوزي ص١١٤ .

ومن وصاياه في الصلاة . قال (عليه السلام) :

تعاهدوا امر الصلاة وحافظوا عليها ، واستكثروا منها ، وتقربوا بها فإنها كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ، ألا تسمعون الى جواب أهل النار حين سئلوا : ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴾ .

وانها ـ أي الصلاة ـ لتحت الذنوب ، حت الورق (من الشجر) وتطلقها اطلاق الربق (عتق العبد) .

وشبّهها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالحمة ـ العين الجارية ـ تكون على باب الرجل ، يغتسل منها في اليوم والليلة خمس مرات ، فما يبقى عليه درن .

ومن سيرته العطرة في التوكل :

عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال : كان لعلي (عليه السلام) غلام اسمه قنبر ، وكان يحب الإمام حباً شديداً ، فاذا خرج الإمام (عليه السلام) خرج قنبر على أثره بالسيف ، فرآه ذات ليلة ، فقال : (يا قنبر مالك ؟) قال : جئت لامشي خلفك ، فان الناس كما تراهم يا أمير المؤمنين فخفت عليك ، قال : (ويحك امن أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض ؟) قال : لا بل من أهل الأرض . قال (عليه السلام) :(ان اهل الأرض لا يستطيعون بي شيئاً إلّا بأذن الله عزَّ وجلَّ فارجع) فرجع[1] .

عن أبي عبدالله الصادق (عليه السلام) قال : (ان أمير المؤمنين (عليه السلام) جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس ، فقال بعضهم : لا تقعد تحت هذا الحائط فانه معور ـ مائل للسقوط ـ فقال الإمام (عليه السلام) : «حرس إمرئٍ

(١) بحار الانوار ج ٤١ ص ١ .

أجله» ـ كفى بالأجل حارساً ـ فلما قام (عليه السلام) سقط الحائط ، «وهذا اليقين» .

وعن سعيد بن قيس الحمداني قال : نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان ، فحركت فرسي نحوه فاذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلت يا سيدي في مثل هذا الموضع ؟ فقال : (نعم يا سعيد بن قيس انه ليس من عبدٍ إلّا وله من الله عزَّ وجلَّ حافظاً وواقيةً ، معه ملكان يحفظانه من ان يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر ، فاذا نزل القضاء خلّيا بينه وبين كل شيء) .

هذا عليٌّ في قوة يقينه ، وشدة توكله

من مصاديق زهد الإمام (عليه السلام) :

لقد زهد الإمام (عليه السلام) في الدنيا وزخارفها ، وترك جميع لذائذها وزينتها ، زهد في المال والسلطان ، زهد في كل ما يسعى إليه الناس ويطمعون به ، وكان في مقدُورهِ أن ينال منها ما يشاء ، كما صرح بذلك مرات بقوله : ولو شئت لاهديت إلى مصفّىٰ هذا العسل ولباب هذا القمح ، ونسائج هذه الحرائر الخ ..

عاش الإمام (عليه السلام) في بيت متواضع لا يختلف عما يسكنه الفقراء من الأمة ، وكان يأكل خبز الشعير ، قبل خلافته وبعدها ، حيث كانت تجبىٰ الأموال إلى خزانة الدولة ، وكان يلبس ابسط أنواع الثياب وأخشنه ، فكان ثمن قميصه بثلاثة دراهم .

اشترىٰ يوماً قميصين احدهما بثلاثة دراهم والآخر بخمسة دراهم ، فقدم الاغلى إلى مولاه قنبر ، فقال ما معناه : سيدي أنت أولى بهذا لانك خليفة وتصعد المنبر فقال الإمام (عليه السلام) أنت شاب ولك شره الشباب .

وعن الاحنف بن قيس قال : دخلت على معاوية ، فقدم إليَّ من الحلو ، والحامض ، ما كثر تعجبي منه ، ثم قال معاوية قدموا ذاك اللون ، فقدموا لوناً ما ادري ؟! فقلت ما هذا ؟؟

فقال : مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر !!

قال الأحنف : فبكيت ، فقال معاوية : ما يبكيك ؟

فقلت لِلّهِ در ابن أبي طالب ، لقد جاد بنفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك !

قال معاوية : وكيف ؟

قلت : دخلت عليه ليلة عند افطاره ، فقال لي : (قم فتعش مع الحسن والحسين) ثم قام إلى الصلاة ، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه ، فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه ، فقلت : يا أمير المؤمنين لم اعهدك بخيلاً ، فكيف ختمت على هذا الشعير ، فقال : (لم اختمه بخلاً ، ولكن خفت ان يبسه الحسن والحسين بسمن أو إهالة) ! فقلت حرام هو ؟ قال : (لا ولكن على أئمة الحق ان يتأسوا باضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس ، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ، ليراهم الفقير ، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ، ويراهم الغني فيزداد لله شكراً وتواضعاً)[1] .

وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على علي (عليه السلام) بالكوفة ، وبين يديه رغيف من شعير ، وقدح من لبن ، والرغيف يابس ، فشق عليَّ ذلك فقلت لجارية له (يقال لها فضة) : ألا ترحمين هذا الشيخ ، وتنخلين له هذا الشعير ، فقالت انه عهد إلينا ألّا ننخل له طعامه قط .

(١) تذكرة الخواص ، سبط بن الجوزي ص ١١٠ .

فالتفت الإمام إليَّ وقال : (ما تقول لها يابن غفلة) فاخبرته وقلت : يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك ، فقال لي : (ويحك يا سويد ؟ ما شبع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأهله من خبز بُرٍّ ثلاثاً حتى لقي الله ، ولا نخل له طعام قط)

ومصداق كلامه ... أأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثىٰ واكبادٍ حرّىٰ ، فكيف ارضى ان يقال أمير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو لعل احداً بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشبع .

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب إدامه اللبن أو الملح والماء .

ولم يكن للإمام (عليه السلام) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله .

ومع شدة زهد الإمام (عليه السلام) في الدنيا ، فقد كان حريصاً على توفير الرفاه الاقتصادي للأمة التي اضطلع بقيادتها ، فكان يقسم الذهب والفضة بين الناس ، ويطعمهم اللحم والخبز[1] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم .

وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (عليه السلام) إلى توزيعها على الناس ، لإعطاء كل ذي حق حقه .

عن سفيان الثوري[2] عن عمرو بن قيس قال : رؤيَ علىٰ عليّ (عليه السلام) ازار مرقوع ، فعوتب في ذلك ؟ فقال : «يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن»[3] .

وعن الغزالي يقول : (كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع

(١) ابن شهرآشوب / المناقب ج ٢ ص ٩٧ .

(٢) احد أئمة الحديث العامة .

(٣) تذكرة الخواص ص ١١٣ .

وعن الاحنف بن قيس قال : دخلت على معاوية ، فقدم إليَّ من الحلو ، والحامض ، ما كثر تعجبي منه ، ثم قال معاوية قدموا ذاك اللون ، فقدموا لوناً ما ادري ؟! فقلت ما هذا ؟؟

فقال : مصارين البط محشوة بالمخ ودهن الفستق قد ذر عليه السكر !!

قال الأحنف : فبكيت ، فقال معاوية : ما يبكيك ؟

فقلت لِلّهِ در ابن أبي طالب ، لقد جاد بنفسه بما لم تسمح به أنت ولا غيرك !

قال معاوية : وكيف ؟

قلت : دخلت عليه ليلة عند افطاره ، فقال لي : (قم فتعش مع الحسن والحسين) ثم قام إلى الصلاة ، فلما فرغ دعا بجراب مختوم بخاتمه ، فأخرج منه شعيراً مطحوناً ثم ختمه ، فقلت : يا أمير المؤمنين لم اعهدك بخيلاً ، فكيف ختمت على هذا الشعير ، فقال : (لم اختمه بخلاً ، ولكن خفت ان يبسه الحسن والحسين بسمن أو إهالة) ! فقلت حرام هو ؟ قال : (لا ولكن على أئمة الحق ان يتأسوا باضعف رعيتهم حالاً في الأكل واللباس ، ولا يتميزون عليهم بشيء لا يقدرون عليه ، ليراهم الفقير ، فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه ، ويراهم الغني فيزداد لله شكراً وتواضعاً)[1] .

وعن سويد بن غفلة قال : دخلت على علي (عليه السلام) بالكوفة ، وبين يديه رغيف من شعير ، وقدح من لبن ، والرغيف يابس ، فشق عليَّ ذلك فقلت لجارية له (يقال لها فضة) : ألا ترحمين هذا الشيخ ، وتنخلين له هذا الشعير ، فقالت انه عهد إلينا ألّا ننخل له طعامه قط .

(١) تذكرة الخواص ، سبط بن الجوزي ص ١١٠ .

فالتفت الإمام إليَّ وقال : (ما تقول لها يابن غفلة) فاخبرته وقلت : يا أمير المؤمنين ارفق بنفسك ، فقال لي : (ويحك يا سويد ؟ ما شبع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأهله من خبز بُرٍّ ثلاثاً حتى لقي الله ، ولا نخل له طعام قط)

ومصداق كلامه ... أأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى واكبادٍ حرّى ، فكيف ارضى ان يقال أمير المؤمنين ، ولا اشاركهم في مكاره الدهر ، أو لعل احداً بالحجاز أو اليمامة من لا عهد له بالشبع .

وكان يأكل خبز الشعير بنخالته وكان غالب إدامه اللبن أو الملح والماء .

ولم يكن للإمام (عليه السلام) غير قميص واحد لا يجد غيره عند غسله .

ومع شدة زهد الإمام (عليه السلام) في الدنيا ، فقد كان حريصاً على توفير الرفاه الاقتصادي للأمة التي اضطلع بقيادتها ، فكان يقسم الذهب والفضة بين الناس ، ويطعمهم اللحم والخبز[1] ويعمل كل ما في وسعه لرفع غائلة الفقر عنهم .

وكان بيت المال لا يكاد ترد إليه الأموال حتى يبادر الإمام (عليه السلام) إلى توزيعها على الناس ، لإعطاء كل ذي حق حقه .

عن سفيان الثوري[2] عن عمرو بن قيس قال : رؤيَ علىٰ عليّ (عليه السلام) ازار مرقوع ، فعوتب في ذلك ؟ فقال : «يخشع له القلب ويقتدي به المؤمن»[3] .

وعن الغزالي يقول : (كان علي بن أبي طالب يمتنع من بيت المال حتى يبيع

(١) ابن شهرآشوب / المناقب ج٢ ص٩٧ .

(٢) احد أئمة الحديث العامة .

(٣) تذكرة الخواص ص١١٣ .

سيفه، ولا يكون له إلّاقيص واحد في وقت الغسل ولا يجد غيره)[1].

هذا هو علي في شدة زهده، ورغبته عن الدنيا وزخرفها، اقتداءً برسول الله (صلّى الله عليه وآله) ومواساةً لأهل الفاقة من امته (صلّى الله عليه وآله). فهل حدّثك التاريخ عن زعيم كعلي (صلّى الله عليه وآله)؟ تجبىٰ إليه الأموال من الشرق والغرب، ومن سواد العراق بيد انه كان يعيش بمستوى اقل الناس حظاً في هذه الحياة، يأكل خبز الشعير، ويكتفي بقميص واحد ويحرّم على نفسه ان يأخذ من بيت المال إلّا بمقدار ان يخرج عطاءه شأنه شأن بقية المسلمين، ويرقع مدرعته حتى يستحي من راقعها ـ أو رقعها ـ، مجسداً بذلك ارفع شعار للزاهدين.

قوله (عليه السلام):

فوالله ما كنزت من دنياكم تبراً، ولا ادخرت من غنائمها وفراً، ولا اعددت لبالي ثوبي طِمْرا، كما جاء في كتابه لعثمان بن حنيف.

ولا حزت من أرضها شبراً، ولا أخذت منه إلّا كقوت اتان، في رواية اخرىٰ.

هذا.. على في اطعامه مسكيناً ويتيماً واسيراً حتى نزلت فيهم آية في القرآن.

هذا علي في تصدقه بالخاتم، على السائل حتى نزلت فيه آية من القرآن.

عن ايوب عطية الحذاء قال: سمعت ابا عبدالله [الصادق] (عليه السلام) يقول: قسّم نبي الله الفيء، فاصاب علياً ارضاً، فاحتفر فيها بئراً، فخرج ماء ينبع كهيئة عنق البعير، «فسماها ينبع».

فاوقفها لِلّهِ وتصدق بها على الحجيج، وعابري السبيل وشرط ان لاتباع،

(١) المناقب ابن شهرآشوب ج٢ ص٩٧.

ولا توهب، ولا تورث، فمن باعها أو وهبها، فعليه لعنة الله، والملائكة والناس اجمعين، ولا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً)[1].

وعن احمد بن حنبل في الفضائل، انه كانت غلة علي (عليه السلام) أربعين الف ديناراً فجعلها صدقة[2].

وعن شجاعته، واقدامه فحدّث ولا حرج، فقد باع نفسه لله عدة مرات:

١ ـ منها مبيته على فراش النبي ليلة هجرته.

٢ ـ اقدامه في معركة بدر.

٣ ـ الأحزاب حين اقدم وحده، وقابل عمر بن عبد ود فارس يليل.

٥ ـ ثباته في أحلك الظروف في ساحات الجهاد مدافعاً عن ابن عمه الرسول العظيم وشريعة السماء لاسيما في بدر، وأحد، والاحزاب، وخيبر، وحنين. وما غزوة الأرض اليابسة عنك ببعيد حيث نزلت بحقه سورة العاديات، كما ذكرنا ذلك مفصلاً في الجزء الأول من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» في تفسير سورة العاديات.

حتى نزلت بحقه شهادة السماء.

﴿ ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله ﴾.

لا فتىٰ إلاّ عليّ ولا سيف إلّا ذو الفقار

وأما وصف ضرار ابن ضمره لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) حينما طلب منه معاوية ذلك، فوصف فريد من نوعه ـ سنذكره مفصلاً فيما بعد.

(١) بحار الأنوار ج٤١ ص٣٩ عن الكافي.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ج٢ ص٣٤٦ / بحار الأنوار ج٤١ ص٤٣.

هذا علي في عدله

كان منهاج علي (عليه السلام) في العدل كمنهاج الرسول (صلّى الله عليه وآله) ما حاد عنه قيد انمله ، وإليك مقطعاً في كلامه :

١ ـ (والله لإن أبيت على حسك السعدان مسهّداً ، أو أُجر في الاغلال مصفّداً ، احب إليَّ من ان القىٰ الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً بشيء من الحطام ، والله لو أعطيت الأقاليم السبعة بما تحت افلاكها على ان عصي الله في نملة اسلبها جلب شعيرة ما فعلته ، وان دنياكم عندي لاهون من ورقة في فم جرادة تقضمها ، ما لعلي ولنعيم يفنىٰ ، ولذة لا تبقىٰ ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل ، وبه نستعين[1] وقال :

٢ ـ (الذليل عندي عزيز حتى آخذ الحق له)[2] .

٣ ـ (وايم الله لا نصفن المظلوم من ظالمه ، ولا قودن الظالم بخزامته حتى اورده منهل الحق وان كان كارهاً)[3] .

٤ ـ عدله في العطاء ، والقضاء .

وكان منهاجه في توزيع المال التزام أقصى درجات العدالة .

فها هو يخاطب الزبير وطلحة حينما كبر عليهما منهاج المساواة في العطاء :

(١) نهج البلاغة / تبويب صبحي الصالح رقم النص ٢٢٤ .
(٢) روائع نهج البلاغة / ص١٢٣ .
(٣) نهج البلاغة / تبويب صبحي الصالح رقم النص ١٣٦

[فوالله ما أنا واجيري هذا إلَّا بمنزلة واحدة][1] .

وها هو سهل بن حنيف يخاطبه : [يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام ، فأعطاه ثلاثة دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف][2] .

ويأتيه عاصم بن ميثم ، وكان الإمام (عليه السلام) يقسّم أموالاً فقال : [يا أمير المؤمنين إني شيخ مثقل . فقال الإمام (عليه السلام) : (والله ما هو بكدٍّ ولا بتراثي عن والدي ، ولكنها أمانة أوعيتها)][3] .

وجاءه عبدالله بن زمعة ـ وهو من شيعته ـ يطلب منه مالاً فقال له الإمام (عليه السلام) [انّ هذا المال ليس لي ولا لك ، وإنما هو فيء للمسلمين وجلب أسيافهم ، فان شركتهم في حربهم كان لك مثل حظهم ، وإلَّا فجناة أيديهم لا تكون لغير أفواههم][4] .

ويدخل عليه عمرو بن العاص ليلة وهو في بيت المال يتولى بعض شؤون المسلمين ، فأطفأ الإمام (عليه السلام) السراج وجلس في ضوء القمر[5] ، فالسراج ملك الأمة ، فلا يصح أن يستضيء به ابن العاص ، وهو في زيارة خاصة الإمام (عليه السلام) !

حِرصٌ فريد على أموال الأمة ، وسَهرٌ دائم على مصلحتها ، وعمل دائب من أجل إسعادها وهدايتها وإصلاح شأنها .

(١) ابن شهرآشوب / المناقب /ج٢ ص١١١ .
(٢) ابن شهر آشوب / المناقب / ج٢ ص١١١ .
(٣)ابن شهر آشوب / المناقب / ج٢ ص ١١٠ .
(٤) المجلسي / البحار / ج٤١ ص١١٥ عن المناقب ، نهج البلاغة / رقم النص ٢٣٢ .
(٥) ابن شهرآشوب / المناقب / ج٢ ص ١١٠ .

على أنَّ تعاهد أمر الأمة من لدن الإمام علي (عليه السلام) ليس محصوراً في إطار المال وتوزيعه ، وإنما يمتد لكي يشعر الإنسان بكرامته ويعيد وعيه بحقه في الحياة الحرة الكريمة ، ويعلمه أن يتمرد على الظلم والكبت وسلب الإرادة وكما قال (عليه السلام) :

[لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حراً].

[أنه لا ينبغي أن يكون الوالي على الفروج والدماء والمغانم والإحكام وإمامة المسلمين ، البخيل ، فتكون في أموالهم نهمته ، ولا الجاهل فيضلهم بجهله ، ولا الجافي فيقطعهم بجفائه ، ولا الحائف للدول ، فيتخذ قوماً دون قوم ، ولا المرتشي في الحكم ، فيذهب بالحقوق ، ويقف بها دون المقاطع ، ولا المعطل للسنّة فيهلك الأمة][1] .

[فلا تكلّموني بما تكلّم به الجبابرة ، ولا تتحفظوا مني بما يتحفظ به عند أهل البادرة ، ولا تخالطوني بالمصانعة ، ولا تظنوا بي استثقالا في حق قيل لي ، فإنه من استثقل الحق أن يقال له ، أو العدل أن يعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ! فلا تكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل][2] .

وتمد ظلال العدالة في عهد أمير المؤمنين (عليه السلام) فيرعى أسواقهم من ناحية المكاييل والمعروض من السلع وطبيعة المعاملات فيها ، فيخرج كل يوم يتفقد أسواق المسلمين بنفسه فيرشد الضال ، ويهدي المقصر إلىٰ طريق الحق ، ويأمر بكل معروف ، وينهىٰ عن كل منكر[3] .

(١) نهج البلاغة / رقم النص ١٣١ .

(٢) نهج البلاغة / رقم النص ٢١٦ . البادرة : الغضب .

(٣) راجع البحار / ج٤١ ص١٠٤ للاطلاع على منهاجه في مراقبة السوق .

ولشدة حرص الإمام (عليه السلام) على تطبيق العدالة الإسلامية بأروع صورها في دنيا الناس ، وعلى شتى الأصعدة ، أنه وجد درعه عند رجل نصراني ، فوقف معه أمام القاضي ليقاضيه في الأمر .

فقال الإمام (عليه السلام) : [(انها درعي ، ولم أبع ، ولم أهب) فسأل القاضي الرجل النصراني : ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين ؟ قال الرجل : ما الدرع إلَّا درعي ، وما أمير المؤمنين عندي بكاذب، فالتفت القاضي للإمام (عليه السلام) طالباً بينة تشهد أن له الدرع .

فضحك الإمام (عليه السلام) معلناً انه لا يملك بينة من ذلك النوع . فقضى القاضي بأنّ الدرع للنصراني ، فأخذها ومضى ، والإمام ينظر إليه ، إلَّا أن الرجل عاد وهو يقول : أما أنا فأشهد أنّ هذه أحكام وأخلاق الأنبياء ، أمير المؤمنين يدينني إلى قاض يقضي عليه . الدرع والله درعك يا أمير المؤمنين ، وقد كنت كاذباً فيما ادعيت][1] .

وحصيلة الأمر أن يعلن الرجل إسلامه ، ويخلص في الوقوف تحت راية الإمام (عليه السلام) مؤمناً مجاهداً ذائداً عن رسالة الهدىٰ .

وبقدر ما كان الإمام (عليه السلام) حريصاً علىٰ تجسيد روح العدالة التي صدع بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ، لإخراج الإنسان من ظلام الظلم والقهر والكبت ، كان حريصاً كذلك على إلزام ولاته وقضاته وقادة جيوشه ، وجباة الأموال ، بإلتزام العدل في معاملة الناس ، وتحرّي الحق في الحكم والقضاء

(١) جورج جرداق / علي وحقوق الانسان / ص٨٧ . مثل هذه الروايات تأتي من باب بيان الحال وليس لها سند ، وأمير المؤمنين ، الحاكم العامل والقائد المطلق أرفع من أن يقف أمام قاضيه ليتحاكم مع رجل ذمي .

وإعطاء الحقوق ، وفي جمع المال ، حتى في حالات الحرب وسواها .

وصاياه للولاة

وهذه بعض وصاياه في هذا المضمار :

[سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك ، وإياك والغضب فانه طيرة من الشيطان ، واعلم أنّ ما قرّبك من الله يباعدك من النار ، وما باعدك من الله يقربك من النار[1] انصف الله ، وانصف نفسك ، ومن خاصة أهلك ومن لك فيه هوىٰ من رعيتك ، فإنك ألا تفعل تظلم ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده[2]].

مسك الختام

وهذه نماذج من عفوه

أسر مالك الأشتر ، مروان بن الحكم يوم الجمل وجاء به إلىٰ الإمام (عليه السلام) ولما مثل بين يديه (عليه السلام) لم يستقبله بسوء قط ، وانما عاتبه وازدراه علىٰ مواقفه الخيانية اللئيمة فحسب .

ثم أمر باطلاق سراحه ، ومروان وأبوه الحكم كانا من أشد الناس عدواةً للإسلام ، وحقداً على أهل البيت حتى ان الرسول (صلّى الله عليه وآله) اهدر دم الحكم لشدة عدائه .

(١) من وصيته لعبدالله بن العباس حين ولاه البصرة ، نهج البلاغة / رقم النص ٧٦ .

(٢) نهج البلاغة / عهد الإمام عليه السلام لمالك الأشتر حين ولاه مصر .

واخبث شخص في بني أُمية هو مروان ، ما ترك وسيلة خسيسة في محاربة الإسلام إلّا ارتكبها ، وكان له الدور الأول في تأجيج الفتن ونار الحروب لا سيما عند ما اشتدت الأزمة على عثمان حتى ادىٰ إلى مقتله .

كما عفا الإمام (عليه السلام) عن عبدالله بن الزبير المشئوم الذي لا يقل حقداً وعدواةً على أهل البيت من مروان ، وكان له الدور البارز في حرب الجمل مع خالته عائشة . ومع ذلك كله ترفّع الإمام (عليه السلام) عن توبيخه وعفا عنه ، واطلق سراحه .

ومن عظيم عفوه اذا عرض عليه اسير من أهل الشام يأخذ سلاحه ودابته ، ويستحلفه ان لا يعين عليه ، ثم يخلي عنه .

ولم يكن عفوه عن جيوش أهل الشام والسماح لهم لورود ماء الفرات والاستسقاء ، وبعد ما استولىٰ الإمام (عليه السلام) على الشريعة ، علىٰ عكس ما عامل أهل الشام حينما كانت الشريعة تحت سيطرتهم ، وهذا دليل ما يحمل الإمام (عليه السلام) من الصفات الانسانية التي يحملها في جنبه .

أرأيت موقفاً أنسانياً كهذا الموقف في قائدٍ من قواد العالم في أي عصر ومصر .

وآخر مواقفه الإنسانية مع قاتله ابن ملجم المرادي حيث اوصى أولاده به خيراً ، وقد شدّد الإمام (عليه السلام) علىٰ أولاده وأهل بيته ان يُحسنوا إليه ويطعموه مما يأكلون ويسقوه مما يشربون ، قائلاً للإمامين الحسن والحسين (عليهما السلام) :

«احسنوا إلى أسيركم ـ يعني ابن ملجم المرادي ـ اطعموه واسقوه ،

واحسنوا إساره ، فإن عشت فانا وليّ دمي بما صنع فيّ ، إن شئت استقدت ، وان شئت عفوت وان مت فذلك إليكم ، فإن بدا لكم ان تقتلوه فلا تمثلوا به»[1] .

وعطفه على أهل النهروان «الخوارج» قبل نشوب الحرب في بذل كل ما في وسعه لحقن الدماء ، وابعاد الناس عن القتل والقتال ، ولكن اصرارهم على الحرب ومبادرتهم القتال حال دون ذلك ، بعد ما قتلوا المؤمنين الأبرياء ، واثاروا الفتن ومبادرتهم إلى القتال ، مما اضطره إلى الدفاع عن نفسه وقتالهم .

هذا غيضٌ من فيض صفاته الكريمة ، واخلاقه الحميدة ، ولم تكن هذه المبادئ التي تحدث عنها الإمام (عليه السلام) امنيات ، أو شعارات ، أو أفكار طرحها في دنيا المبادئ والافكار ، أو شعارات سياسية للاستهلاك المحلي ، وتوطيد ملكه . انما جسدها واقعياً ، وحيوياً قبل ان يطرحها فكراً وشعاراً ، وهي واحدة من مميزات شخصيته الفذة ، وسلوكه الفريدة .

هذا عليّ ... أمير المؤمنين ، وقائد الغر المحجلين ، ويعسوب الدين ، وخليفة رسول رب العالمين .

هذا عليّ ... في ودلاته

هذا عليّ ... في طفولته ، وشبابه .

هذا عليّ ... في عبادته ، وتهجده .

هذا عليّ ... في دعائه ، وتضرعه .

هذا عليّ ... في شجاعته ، وبسالته ، واقدامه .

(١) بحار الأنوار / ج٤٢ ص٢٠٦ .

هذا عليّ ... في حكمه ، وعدله .

هذا عليّ ... في فصاحته ، وبلاغته .

هذا عليّ ... في حكمته ، وفلسفته .

هذا عليّ ... في ورعه وتقواه

هذا عليّ ... في منهاجه ، وسلوكه .

هذا عليّ ... في جوده ، وكرمه .

هذا عليّ ... في زهده ، وترفعه ، وتقشفه

هذا عليّ ... في عطفه وهديه ، وحنانه .

هذا عليّ ... في حلمه ، وصفحه .

هذا عليّ ... في صبره ، واناته .

هذا عليّ ... جامع المكارم ، ومنتهى الفضائل ، ينتمي إليه كل ماجد وتنتهي إليه كل فضيلة ، كل من جاء بعده من اصحاب الفضائل والمكارم فهو عيال عليه ، منه اخذ وبه اقتدي ، عاش غريباً وقتل شهيداً مظلوماً ، ما عرفه حق معرفته احد من أهل الدنيا ، إلّا خالقه وبارئه ، ونبيه (صلّى الله عليه وآله) في قوله (صلّى الله عليه وآله) : يا علي ما عرف الله ، إلّا أنا وانت ، وما عرفني إلّا الله وأنت وما عرفك إلّا الله وأنا .

فصلوات الله وسلامه عليه يوم ولد ، ويوم جاهد واستبسل ، ويوم استشهد ، ويوم يبعث حياً ، ويوم يكون قسيم الجنة والنار ، ويوم يسقى من الكوثر أوليائه ومحبيه[1] .

(١) اعتمدت هذا الفصل على المصادر المهمة المعتبرة مثل بحار الأنوار ، والغدير ، والمناقب ، وتذكرة الخواص ، ونهج البلاغة والفصول المهمة ، وأخيراً كتاب سيرة محمد رسول الله وأهل بيته .

عبادته وتهجده

ماذا أقوال في رجلٍ أفنى زهرة شبابه، بل حياته كلها في طاعة الله، منذ اللحظة التي تنشّق فيها نسيم الحياة وولد في بيت الله الحرام بالكعبة، إلى أن استشهد في محرابه في مسجد الكوفة مصلّياً طائعاً لله، وما بينهما كان كلّ عمره في طاعة الله.

وما عساي أن أقول في رجلٍ قال فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يا علي، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلّا الله وأنا؟!» ولقد عجز فلاسفة الدنيا وحكماء العالم وعلماء ومفكروا الأمّة في وصف صفة واحدة من صفاته الحميدة، ونظم في بعض مواقفه العلماء والشعراء فأجادوا منهم الإمام الشافعي والعلّامة ابن أبي الحديد المعتزلي وغيرهم. ناهيك عن عبادته.

عن علي (عليه السلام) قال: «عبدتُ الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأُمّة سبع سنين»؟

عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنّه قال: «أعتق عليٌّ (عليه السلام) ألف عبد، وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة».

وروي عن عليّ (عليه السلام) أنّه كان إذا حضر وقت الصلاة ارتعدت فرائصه وتغيّر لونه، فسئل عن ذلك فقال: جاء وقت الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها واشفقن منها وحملها الإنسان، فلا أدري أأحسن أداء ما حُمِّلت أم لا؟

كما روي ذلك أيضاً عن الإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه

السلام).

روي أنّ عليّاً قد أصاب رجله في غزوة أُحد سهم صعب إخراجه، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بإخراجه حين اشتغاله بالصلاة، فأخرجوه من رجله، فقال بعد فراغه من الصلاة، بأنّه لم يلتفت لذلك.

قيل لعليّ بن الحسين (عليه السلام) وكان الغاية في العبادة: أين عبادتك من عبادة جدّك علي بن أبي طالب؟

قال: عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدّي عند عبادة رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

كان عليٌ (عليه السلام) أعبد الناس وأكثرهم صلاةً وصوماً، ومنه تعلّم الناس صلاة الليل، وملازمة الأوراد، وقيام النافلة.

وما ظنك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يبسط له نطع بين الصَفّين ليلة الهرير فيصلّي عليه ورده، والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك ولا يقوم حتىٰ يفرغ من وظيفته؟! وما ظنّك برجل كانت جبهته كثفنة بعير لطول سجوده؟!

وأنت إذا تأمّلت دعواته ومناجاته، ووقفت على ما فيها من تعظيم الله سبحانه وإجلاله، وما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، والخشوع لعزّته، والاستحذاء له، عرفت ما ينطوي عليه من إجلالٍ وإخلاص، وفهمت من أي قلب خرجت، وعلى أي لسانٍ جرت، وهو كما قال الشاعر:

هو البكاءُ في المحراب ليلاً ... هو الضحّاك إذا اشتدَّ الضرابُ

كان إذا أرخىٰ الليل سدوله، وغارت نجومه، مَثُل في محرابه قابضاً علىٰ لحيته، يتململ تململ السليم، يناجي ربه:

«إلهي غارت نجوم سمائك، وأغلقت الملوك أبوابها، وطاف عليها حرّاسها، وأبوابك مفتّحات».

أو يبكي بكاء الحزين، يقول:

«يا دنيا غرّي غيري، أبي تعرضتي، أم إليَّ تشوّقتِ؟! هيهات هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها، فعمرك قصير، وخطرك حقير، آهٍ آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق»، فيغمى عليه.

ومن مناجاته في شعبان.

«اللّهمَّ صلِّ علىٰ محمّد وآل محمّد، واسمع دعائي إذا دعوتك، واسمع ندائي إذا ناديتك، واقبل عليَّ إذا ناجيتك، فقد هربتُ إليك ووقفت بين يديك مستكيناً لك، متضرّعاً إليك، راجياً لما لديك ثوابي، وتعلم ما في نفسي، وتخبر حاجتي، وتعرف ضميري، ولا يخفىٰ عليك أمر مُنقلبي ومثواي».

إلىٰ أن يقول:

«إلهي أعوذ بك من غضبك وحلول سخطك، إن كنتُ غير مستأهل لرحمتك فأنت أهلٌ أن تجود عليَّ بفضل سعتك».

إلىٰ أن يقول:

«إلهي إن أخذتني بجرمي أخذتك بعفوك، وإن أخذتني بذنوبي أخذتك بمغفرتك، وإنْ أدخلتني النار أعلمتُ أهلها أنّي أُحبّك».

إلىٰ أن يقول:

«إلهي أنظر إليَّ نظر من ناديته فأجابك، واستعملته بمعونتك فأطاعك، يا قريباً لا يبعد عن المغتر به، ويا جواداً لا يبخل عمّن رجىٰ ثوابه».

إلىٰ أن يقول:

إلهي إن أنامتني الغفلة عن الاستعداد للقائك فقد نبّهتني المعرفة بكرم آلائك، إلهي إن دعاني إلىٰ النار عظيم عقابك، فقد دعاني إلى الجنّة جزيل ثوابك».

ومن مناجاته (عليه السلام):

«إلهي تعرّض لك في هذا الليل المتعرّضون، وقصدك القاصدون وأمّل فضلك ومعروفك الطالبون، ولك في هذا الليل نفحات وجوائز وعطايا ومواهب تمنّ بها على مَن تشاء من عبادك، وتمنعها مَن لم تسبق له العناية منك، وها أنا ذا يا إلهي عُبيدك، الفقير إليك، المؤمل فضلك ومعروفك، فإن كنت يا مولاي تفضّلت في هذه الليلة علىٰ أحدٍ من خلقك، وعُدت عليه بعائدة من عطفك فصلّ على محمّد وآل محمّد الطيبين الطاهرين الخيّرين الفاضلين، وجد عليَّ بطولك ومعروفك يا رب العالمين» إلىٰ آخر الدعاء.

ومن الأدعية المأثورة:

«يا ذا الذي كان قبل كل شيء ثمَّ خلق كل شيء، ثم يبقى ويفنى كلّ شيء، يا ذا الذي ليس كمثله شيء، ويا ذا الذي ليس في السموات العُلى ولا في الأرضين السفلى ولا فوقهن ولا تحتهن ولا بينهن إلهٌ يعبد غيره، لك الحمد حمداً لا يقوى على إحصائه إلّا أنت، فصلّ على محمّد وآل محمد صلاة لا يقوى على إحصائها إلّا أنت يا أرحم الراحمين».

وهذه مقتطفات من الادعية،دعاء الصباح، وبعض الادعية المأثورة الأُخرىٰ:

دعاء الصباح

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

اَللّٰهُمَّ يَامَنْ دَلَعَ لِسانَ الصَّباحِ بِنُطْقِ تَبَلُّجِهِ، وَسَرَّحَ قِطَعَ اللَّيْلِ اَلْمُظْلِمِ بِغَياهِبِ تَلَجْلُجِهِ، وَاَتْقَنَ صُنْعَ اَلْفَلَكِ الدَّوّارِ في مَقاديرِ تَبَرُّجِهِ، وَشَعْشَعَ ضِياءَ الشَّمْسِ بِنُورِ تَأَجُّجِهِ. يا مَنْ دَلَّ عَلىٰ ذاتِهِ بِذاتِهِ، وَتَنَزَّهَ عَنْ مُجانَسَةِ مَخْلُوقاتِهِ، وَجَلَّ عَنْ مُلاءَمَةِ كَيْفِيّاتِهِ. يا مَنْ قَرُبَ مِنْ خَطَراتِ الظُّنُونِ، وَبَعُدَ عَنْ لَحَظاتِ العُيُونِ، وَعَلِمَ بِما كانَ قَبْلَ اَنْ يَكُونَ. يا مَنْ اَرْقَدَني في مِهادِ اَمْنِهِ وَاَمانِهِ، وَاَيْقَظَني إلىٰ ما

مَنَحَني بِهِ مِنْ مِنَنِهِ وَاِحْسانِهِ، وَكَفَّ اَكُفَّ السَّوْءِ عَنّي بِيَدِهِ وَسُلْطانِهِ صَلِّ اللّٰهُمَّ عَلَى الدَّليلِ اِلَيْكَ في اللَّيْلِ الأَلْيَلِ وَالماسِكِ مِنْ اَسْبابِكَ بِحَبْلِ الشَّرَفِ الأَطْوَلِ، وَالنّاصِعِ الحَسَبِ في ذِرْوَةِ الكاهِلِ الأَعْبَلِ وَالثّابِتِ القَدَمِ عَلىٰ زَحاليفِها في الزَّمَنِ الأَوَّلِ. وَعَلىٰ آلِهِ الأَخْيارِ، المُصْطَفَيْنَ الأَبْرارِ وَافْتَحِ اللّٰهُمَّ لَنا مَصاريعَ الصَّباحِ، بِمَفاتيحِ الرَّحْمَةِ وَالفَلاحِ، وَاَلْبِسْني اللّٰهُمَّ مِنْ اَفْضَلِ خِلَعِ الْهِدايَةِ وَالصَّلاحِ، وَاَغْرِسِ اللّٰهُمَّ بِعَظَمَتِكَ في شِرْبِ جَناني يَنابيعَ الخُشُوعِ، وَاَجْرِ اللّٰهُمَّ لِهَيْبَتِكَ مِنْ اماقي زَفَراتِ الدُّمُوعِ، وَاَدِّبِ اللّٰهُمَّ نَزَقَ الخُرْقِ مِنّي بِاَزِمَّةِ القُنُوعِ.

اِلهي اِنْ لَمْ تَبْتَدِئْني الرَّحْمَةُ مِنْكَ بِحُسْنِ التَّوْفيقِ فَمَنِ السّالِكُ بي اِلَيْكَ في واضِحِ الطَّريقِ، وَاِنْ اَسْلَمَتْني اَناتُكَ لِقائِدِ الأَمَلِ وَالْمُنىٰ فَمَنْ الْمُقيلُ عَثَراتي مِنْ كَبَواتِ الْهَوىٰ وَاِنْ خَذَلَني نَصْرُكَ عِنْدَ مُحارَبَةِ النَّفْسِ وَالشَّيْطانِ، فَقَدْ وَكَلَني خِذْلانُكَ اِلىٰ حَيْثُ النَّصَبُ وَالحِرْمانِ.

اِلهي اَتَراني ما اَتَيْتُكَ اِلّا مِنْ حَيْثُ الآمالِ، اَمْ عَلِقْتُ بِاَطْرافِ حِبالِكَ اِلّا حينَ باعَدَتْني ذُنُوبي عَنْ دارِ الوِصالِ، فَبِئْسَ المَطِيَّةُ الّتي امْتَطَتْ نَفْسي مَنْ هَواها، فَواهاً لَها لِما سَوَّلَتْ لَها ظُنُونُها وَمُناها، وَتَبّاً لَها لِجُرْاَتِها عَلىٰ سَيِّدِها وَمَوْلِيها.

اِلهي قَرَعْتُ بابَ رَحْمَتِكَ بِيَدِ رَجائي، وَهَرَبْتُ اِلَيْكَ لاجِئاً مِنْ فَرْطِ اَهْوائي وَعَلِقْتُ بِاَطْرافِ حِبالِكَ اَنامِلَ وَلآئي، فَاصْفَحِ اللّٰهُمَّ عَمّا كُنْتُ (كان خ ل) اَجْرَمْتُهُ مِنْ زَلَلي وَخَطائي، وَاَقِلْني مِنْ صَرْعَةِ رِدائي، فَاِنَّكَ سَيِّدي وَمَوْلايَ، وَمُعْتَمَدي وَرَجائي، وَاَنْتَ غايَةُ مَطْلُوبي وَمُنايَ في مُنْقَلَبي وَمَثْواي.

اِلهي كَيْفَ تَطْرُدُ مِسْكيناً اِلْتَجَأَ اِلَيْكَ مِن الذُّنُوبِ هارِباً، اَمْ كَيْفَ تُخَيِّبُ

مُسْتَرْشِداً قَصَدَ اِلىٰ جَنابِكَ ساعِياً (ساقياً خ ل)، اَمْ كَيْفَ تَرُدُّ ظَمْئانَ وَرَدَ اِلىٰ حِياضِكَ شارِباً، كَلّا وَحِياضُكَ مُتْرَعَةٌ في ضَنْكِ المَحُولِ، وَبابُكَ مَفْتُوحٌ لِلطَّلَبِ وَ الْوُغُولِ، وَاَنْتَ غايَةُ المَسْؤُولِ (السُّؤُلِ خ ل) وَنِهايَةُ الْمَأْمُولِ.

اِلهي هٰذِهِ اَزِمَّةُ نَفْسي عَقَلْتُها بِعِقالِ مَشِيَّتِكَ، وَهٰذِهِ اَعْباءُ ذُنُوبي دَرَأْتُها بِعَفْوِكَ وَرَحْمَتِكَ، وَهٰذِهِ اَهْوائِيَ المُضِلَّةُ وَكَلْتُها اِلىٰ جَنابِ لُطْفِكَ وَرَأْفَتِكَ.

فَاجْعَلِ اللّٰهُمَّ صَباحي هٰذا نازِلاً عَلَيَّ بِضِياءِ الْهُدىٰ، وَالسَّلامَةِ (السَّلامَةَ خ ل) في الدّينِ وَالدُّنْيا، وَمَسائي جُنَّةً مِنْ كَيْدِ الْعِدىٰ (الأعداء خ ل)، وَوِقايَةً مِنْ مُرْدِياتِ الْهَوىٰ، اِنَّكَ قادِرٌ عَلىٰ ما تَشاءُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشاءُ، وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشاءُ، وَتُعِزُّ مَنْ تَشاءُ، وَتُذِلُّ مَنْ تَشاءُ، بِيَدِكَ الْخَيْرُ اِنَّكَ عَلىٰ كُلِّ شَيءٍ قَديرٌ، تُولِجُ اللَّيْلَ في النَّهارِ، وَتُولِجُ النَّهارَ في اللَّيلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ، وَتَرْزُقُ مَنْ تَشاءُ بِغَيرِ حِسابٍ.

لا اِلٰهَ اِلّا اَنْتَ سُبْحانَكَ اللّٰهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، مَنْ ذا يَعْرِفُ قَدْرَكَ فَلا يَخافُكَ وَمَنْ ذا يَعْلَمُ ما اَنْتَ فَلا يَهابُكَ اَلَّفْتَ بِقُدْرَتِكَ الفِرَقَ، وَفَلَقْتَ بِلُطْفِكَ الفَلَقَ، وَاَنَرْتَ بِكَرَمِكَ دَياجِيَ الغَسَقِ، وَاَنْهَرْتَ المِياهَ مِنَ الصُّمِّ الصَّياخيدِ عَذْباً وَاُجاجاً، وَاَنْزَلْتَ مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً، وَجَعَلْتَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لِلْبَرِيَّةِ سِراجاً وَهّاجاً، مِنْ غَيْرِ اَنْ تُمارِسَ فيما ابْتَدَاتَ بِهِ لُغُوباً وَلا عِلاجاً فَيا مَنْ تَوَحَّدَ بِالْعِزِّ وَالْبَقاءِ وَقَهَرَ عِبادَهُ بِالْمَوْتِ وَالْفَناءِ صَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الْأَتْقِياءِ، وَاسْمَعْ نِدائي، وَاسْتَجِبْ دُعائي، وَحَقِّقْ بِفَضْلِكَ اَمَلي وَرَجائي، يا خَيْرَ مَنْ دُعِيَ لِكَشْفِ الضُّرِّ وَالْمَأْمُولِ في كُلِّ عُسْرٍ وَيُسْرٍ، بِكَ اَنْزَلْتُ حاجَتي فَلا تَرُدَّني مِنْ سَنِيِّ مَواهِبِكَ خائِباً يا كَريمُ يا كَريمُ يا كَريمُ، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ

اَجْمَعينَ».

ثمّ سجد وقال:

«اِلهي قَلْبي مَحْجُوبٌ، وَنَفْسي مَعْيُوبٌ، وَعَقْلي مَغْلُوبٌ، وَهَوايَ غالِبٌ، وَطاعَتي قَليلٌ، وَمَعْصِيَتي كَثيرٌ، وَلِساني مُقِرٌّ بِالذُّنُوبِ، فَكَيْفَ حيلَتي يا سَتّارَ الْعُيُوبِ، وَيا عَلّامَ الْغُيُوبِ، وَيا كاشِفَ الْكُرُوبِ، اِغْفِرْ ذُنُوبي كُلَّها بِحُرْمَةِ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، يا غَفّارُ يا غَفّارُ يا غَفّارُ، بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

دعاء كميل بن زياد عليه الرحمة

«اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ الَّتي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ، وَبِقُوَّتِكَ الَّتي قَهَرْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ، وَخَضَعَ لَها كُلُّ شَيْءٍ، وَذَلَّ لَها كُلُّ شَيْءٍ، وَبِجَبَرُوتِكَ الَّتي غَلَبْتَ بِها كُلَّ شَيْءٍ وَبِعِزَّتِكَ الَّتي لا يَقُومُ لَها شَيءٌ وَبِعَظَمَتِكَ الَّتي مَلأَتْ كُلَّ شَيْءٍ وَبِسُلْطانِكَ الَّذي عَلا كُلَّ شَيْءٍ وَبِوَجْهِكَ الْباقي بَعْدَ فَناءِ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِاَسْمائِكَ الَّتي مَلأَتْ اَرْكانَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِعِلْمِكَ الَّذي اَحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَبِنُورِ وَجْهِكَ الَّذي اَضاءَ لَهُ كُلُّ شَيْءٍ، يا نُورُ يا قُدُّوسُ، يا اَوَّلَ الْأَوَّلينَ، وَيا آخِرَ الْآخِرينَ. اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تَهْتِكُ الْعِصَمَ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ النِّقَمَ، **اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تُغَيِّرُ النِّعَمَ اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تَحْبِسُ الدُّعاءَ** اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لِيَ الذُّنُوبَ الَّتي تُنْزِلُ الْبَلاءَ، اَللّٰهُمَّ اغْفِرْ لي كُلَّ ذَنْبٍ اَذْنَبْتُهُ، وَكُلَّ خَطيئَةٍ اَخْطَأْتُها، اَللّٰهُمَّ اِنّي اَتَقَرَّبُ اِلَيْكَ بِذِكْرِكَ، وَاَسْتَشْفِعُ بِكَ اِلىٰ نَفْسِكَ، وَاَسْأَلُكَ بِجُودِكَ اَنْ تُدْنِيَني مِنْ قُرْبِكَ، وَاَنْ تُوزِعَني شُكْرَكَ، وَاَنْ تُلْهِمَني ذِكْرَكَ، اَللّٰهُمَّ اِنّي اَسْأَلُكَ سُؤالَ خاضِعٍ مُتَذَلِّلٍ خاشِعٍ، اَنْ تُسامِحَني وَتَرْحَمَني

وَتَجْعَلَني بِقَسَمِكَ راضِياً قانِعاً، وَفي جَميعِ الأَحْوالِ مُتَواضِعاً، اَللّٰهُمَّ وَاَسْأَلُكَ سُؤالَ مَن اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ، وَاَنْزَلَ بِكَ عِنْدَ الشَّدائِدِ حاجَتَهُ، وَعَظُمَ فيما عِنْدَكَ رَغْبَتُهُ، اَللّٰهُمَّ عَظُمَ سُلْطانُكَ وَعَلا مَكانُكَ، وَخَفِيَ مَكْرُكَ وَظَهَرَ اَمْرُكَ، وَغَلَبَ قَهْرُكَ وَجَرَتْ قُدْرَتُكَ، وَلا يُمْكِنُ الْفِرارُ مِنْ حُكُومَتِكَ، اَللّٰهُمَّ لا اَجِدُ لِذُنُوبي غافِراً وَلا لِقَبائِحي ساتِراً، ولا لِشَيْءٍ مِنْ عَمَلي الْقَبيحِ بِالْحَسَنِ مُبَدِّلاً غَيْرَكَ، لا اِلٰهَ اِلاّ اَنْتَ سُبْحانَكَ وَبِحَمْدِكَ ظَلَمْتُ نَفْسي، وَتَجَرَّاْتُ بِجَهْلي وَسَكَنْتُ اِلىٰ قَديمِ ذِكْرِكَ لي وَمَنِّكَ عَلَيَّ، اَللّٰهُمَّ مَوْلايَ كَمْ مِنْ قَبيحٍ سَتَرْتَهُ وَكَمْ مِنْ فادِحٍ مِنَ الْبَلاءِ اَقَلْتَهُ وَكَمْ مِنْ عِثارٍ وَقَيْتَهُ، وَكَمْ مِنْ مَكْرُوهٍ دَفَعْتَهُ، وَكَمْ مِنْ ثَناءٍ جَميلٍ لَسْتُ اَهْلاً لَهُ نَشَرْتَهُ، اَللّٰهُمَّ عَظُمَ بَلائي وَاَفْرَطَ بي سُوءُ حالي، وَقَصُرَتْ بي اَعْمالي، وَقَعَدَتْ بي اَغْلالي، وَحَبَسَني عَنْ نَفْعي بُعْدُ اَمَلي وَخَدَعَتْني الدُّنْيا بِغُرُورِها، وَنَفْسي بِخِيانَتِها، وَمِطالي يا سَيِّدي فَاَسْاَلُكَ بِعِزَّتِكَ اَنْ لا يَحْجُبَ عَنْكَ دُعائي سُوءُ عَمَلي وَفِعالي، وَلا تَفْضَحْني بِخَفِيِّ مَا اطَّلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ سِرّي، وَلا تُعاجِلْني بِالْعُقُوبَةِ عَلىٰ ما عَمِلْتُهُ في خَلَواتي مِنْ سُوءِ فِعْلي..... إلىٰ أن يقول:

وَلَيْتَ شِعْري يا سَيِّدي وَاِلٰهي وَمَوْلايَ، اَتُسَلِّطُ النّارَ عَلىٰ وُجُوهٍ خَرَّتْ لِعَظَمَتِكَ ساجِدَةً، وَعَلىٰ اَلْسُنٍ نَطَقَتْ بِتَوْحيدِكَ صادِقَةً، وَبِشُكْرِكَ مادِحَةً، وَعَلىٰ قُلُوبٍ اَعْتَرَفَتْ بِاِلٰهِيَّتِكَ مُحَقِّقَةً، وَعَلىٰ ضَمائِرَ حَوَتْ مِنَ الْعِلْمِ بِكَ حَتّىٰ صارَتْ خاشِعَةً، وَعَلىٰ جَوارِحَ سَعَتْ اِلىٰ اَوْطانِ تَعَبُّدِكَ طائِعَةً، وَاَشارَتْ بِاسْتِغْفارِكَ مُذْعِنَةً، ما هٰكَذَا الظَّنُّ بِكَ وَلا اُخْبِرْنا بِفَضْلِكَ عَنْكَ يا كَريمُ، يا رَبِّ.....

إلىٰ أن يقول:

اَمْ كَيْفَ اَسْكُنُ في النّارِ وَرَجائي عَفْوُكَ، فَبِعِزَّتِكَ يا سَيِّدي وَمَوْلايَ اُقْسِمُ

صادِقاً لَئِن تَرَكْتَني ناطِقاً لاَضِجَّنَّ اِلَيكَ بَينَ اَهْلِها ضَجيجَ الآمِلينَ، وَلاَصْرُخَنَّ اِلَيكَ صُراخَ المُسْتَصْرِخينَ، ولأبكين عَلَيكَ بُكاءَ الفاقِدينَ، ولأُنادِينَكَ اَينَ كُنتَ يا وَلِيَّ المُؤمِنينَ، يا غايَةَ آمالِ العارِفينَ يا غِياثَ المُسْتَغيثينَ يا حَبيبَ قُلُوبِ الصّادِقينَ، وَيا اِلٰهَ الْعالَمينَ، اَفَتُراكَ سُبْحانَكَ يا اِلٰهي وَبِحَمْدِكَ، تَسْمَعُ فيها صَوْتَ عَبْدٍ مُسْلِمٍ سُجِنَ فيها بِمُخالَفَتِهِ، وَذاقَ طَعْمَ عَذابِها بِمَعْصِيَتِهِ، وَحُبِسَ بَيْنَ اَطْباقِها بِجُرْمِهِ وَجَريرَتِهِ، وَهُوَ يَضِجُّ اِلَيْكَ ضَجيجَ مُؤَمِّلٍ لِرَحْمَتِكَ، وَيُنادِيكَ بِلِسانِ اَهْلِ تَوْحيدِكَ، وَيَتَوَسَّلُ اِلَيْكَ بِرُبُوبِيَّتِكَ، يا مَوْلايَ .....

إلىٰ آخر الدعاء الذي هو علىٰ هذا النمط

من أدعية ليلة النصف من شعبان ويقرء بعد الشفع.

بسم الله الرّحمٰن الرّحيم

«اِلٰهي تَعَرَّضَ لَكَ في هٰذا اللَّيْلِ المُتَعَرِّضُونَ وَقَصَدَكَ القاصِدُونَ، وَاَمَّلَ فَضْلَكَ وَمَعْرُوفَكَ الطّالِبُونَ، وَلَكَ في هٰذا اللَّيْلِ نَفَحاتٌ وَجَوائِزُ وَعَطايا وَمَواهِبُ تَمُنُّ بِها عَلىٰ مَنْ تَشاءُ مِنْ عِبادِكَ وَتَمْنَعُها مَنْ لَمْ تَسْبِقْ لَهُ العِنايَةُ مِنْكَ وَها اَنا ذا عُبَيْدُكَ الفَقيرُ اِلَيْكَ المُؤَمِّلُ فَضْلَكَ وَمَعْرُوفَكَ فَاِنْ كُنْتَ يا مَوْلايَ تَفَضَّلْتَ في هٰذِهِ اللَّيْلَةِ عَلىٰ اَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ وَعُدْتَ عَلَيْهِ بِعائِدَةٍ مِنْ عَطْفِكَ فَصَلِّ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ الطَّيِّبينَ الطّاهِرينَ الخَيِّرَيْنَ الفاضِلَيْنَ وَجُدْ عَلَيَّ بِطَوْلِكَ وَمَعْرُوفِكَ يارَبَّ العالَمينَ، وَصَلَّى اللهُ عَلىٰ مُحَمَّدٍ خاتَمِ النَّبِيّينَ وَآلِهِ الطّاهِرينَ وَسَلَّمَ تَسْليماً اِنَّ اللهَ حَميدٌ مَجيدٌ، اَللّٰهُمَّ اِنّي اَدْعُوكَ كَما اَمَرْتَ فَاسْتَجِبْ لي كَما وَعَدْتَ اِنَّكَ لا تُخْلِفُ المِيعادَ بِرَحْمَتِكَ يا اَرْحَمَ الرّاحِمينَ».

دعاء النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) في ساعة الشدة بالطائف.

«اِلٰهي اِلَيْكَ أَشْكُوْ ضَعْفَ قُوَّتي وَقِلَّةَ حِيْلَتي وَهَواني عَلَىٰ اَلنَّاسِ يَاأَرْحَمَ الرّاحِمِيْنَ، أَنْتَ رَبُّ اَلْمُسْتَضْعَفينَ وَأَنْتَ رَبّي اِلىٰ مَنْ تَكِلُني؟ إِلَىٰ بَعيْدٍ يَتَجَهَّمُني أَمْ اِلىٰ عَدُوٍّ مَلَّكْتَهُ أَمْري اِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلا اُبالي وَلٰكِنْ عافِيَتُكَ هِيَ أَوْسَعُ لي، أَعُوْذُ بِنُورِ وَجْهِكَ اَلَّذي أَشْرَقَتْ لَهُ اَلظُّلُماتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الاَوَّلِيْنَ وَالاٰخِرِيْنَ مِنْ اَنْ تُنَزِّلَ عَلَيَّ غَضَبَكَ أَوْ يَحِلُّ بي سَخَطُكَ لَكَ اَلْعُتْبىٰ حَتّىٰ تَرْضىٰ وَلاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ اِلاَّ بِكَ يَا اللهُ يَا أَرْحَمَ اَلرّاحِمِيْنَ».

دعاء التضرع بعد الوتر.

بسم الله اَلرَّحمٰن الرَّحيم

«اِلٰهي قَدْ مَدَّ اِلَيْكَ الخَاطِئُ المُذنِبُ يَدَيْهِ بِحُسْنِ ظَنِّهِ بِكَ اِلٰهي قَدْ جَلَسَ المُسِيْءُ بَيْنَ يَدَيْكَ مُقِرّاً لَكَ بِسُوءِ عَمَلِهِ وَراجِياً مِنْكَ الصَّفْحَ عَنْ زَلَلِهِ، اِلٰهي قَدْ رَفَعَ اِلَيْكَ الظَّالِمُ كَفَّيهِ راجِياً لِمَا لَدَيْكَ فَلا تُخَيِّبْهُ بِرَحْمَتِكَ مِنْ فَضْلِكَ، اِلٰهي قَدْ جَنَى العَائِدُ اِلىٰ المَعاصي بَيْنَ يَدَيْكَ خَائِفاً مِنْ يَوْمٍ تَجْثُو فيْهِ الخَلائِقُ بَيْنَ يَدَيْكَ، اِلٰهي جَاءَكَ العَبْدُ الخَاطِئُ فَزِعاً مُشْفِقاً وَرَفَعَ اِلَيْكَ طَرْفَهُ حَذِراً رَاجِياً وَفاضَتْ عَبْرَتُهُ مُسْتَغْفِراً نادِماً وَعِزَّتِكَ وَجَلالِكَ مَا أَرَدْتُ بِمَعْصِيَتي مُخَالَفَتَكَ وما عَصَيْتُكَ اِذْ عَصَيْتُكَ وَأَنا بِكَ جَاهِلٌ وَلا لِعُقُوبَتِكَ مُتَعَرِّضٌ وَلا لِنَظَرِكَ مُسْتَخِفٌّ، وَلٰكِنْ سَوَّلَتْ لي نَفْسي وَأَعانَني عَلىٰ ذٰلِكَ شِقْوَتي وَغَرَّني سِتْرُكَ المُرخىٰ عَلَيَّ فَمَنَ الآنَ مِنْ عَذابِكَ يَسْتَنْقِذُني وَبِحَبْلِ مَنْ أَعتَصِمُ».

ثم اسجد وقل:

«اِلٰهي اِنْ كُنْتُ بِئْسَ العَبدُ فَأَنْتَ نِعمَ الرَّبُّ، عَظُمَ الذَّنبُ مِنْ عَبدِكَ

فَلْيَحْسُنِ العَفْوُ مِنْ عِندِكَ يَاكَرِيمُ العَفوَ العَفوَ العَفوَ.....

يَا أَكْرَمَ مَنْ اُعْتَذَرَ إِلَيْهِ المُسِيْئُوْنَ».

استغفار علّمه أمير المؤمنين اعرابياً عند النوم:

«اَللّٰهُمَّ اِنّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ قَوِي عَلَيْهِ بَدَني بِعافِيَتِكَ أَوْ نَالَتْهُ قُدْرَتي بِفَضْلِ نِعْمَتِكَ أَوْ بَسَطْتُ إِلَيْهِ يَدي بِسَابِغِ رِزْقِكَ أَوْ اَتَّكَلْتُ فِيْهِ عِنْدَ خَوْفي مِنْهُ عَلىٰ أَنَاتِكَ أَوْ وَثِقْتُ فِيْهِ بِحِلْمِكَ أَوْ عَوَّلْتُ فِيْهِ عَلىٰ كَرِيْمِ عَفْوِكَ اَللّٰهُمَّ اِنّي أَسْتَغْفِرُكَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ خُنْتُ فِيْهِ أَمَانَتي أو بَخَسْتُ بِفِعْلِهِ نَفْسي أَوْ احْتَطَبْتُ بِهِ عَلىٰ بَدَني أَوْ قَدَّمْتُ فِيْهِ لَذَّتي أَوْ آثَرتُ فِيْهِ شَهْوَتي أَوْ سَعَيْتُ فِيْهِ لِغَيْرِي أَوْ اسْتَغْوَيْتُ إِلَيْهِ مَنْ تَبِعَني أَوْ غَلَبْتُ عَلَيْهِ بِفَضْلِ حِيْلَتي أَوْ أَحْتَلْتُ عليْكَ فِيْهِ مَوْلاَي فَلَمْ تَغْلِبْني عَلىٰ فِعْلِي اِذْ كُنْتَ كَارِهاً لِمَعْصِيَتي، لٰكِنْ سَبَقَ عِلْمُكَ، بِفِعْلي فَحَلُمْتَ عَنّي لَمْ تُدْخِلْني فِيْهِ جَبْراً وَلَمْ تَحمِلْني عَلَيْهِ قَهْراً وَلَمْ تَظْلِمْني فِيْهِ شَيْئاً يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اِنْ أنتَ قَطَعْتَ حَبلَكَ عَنّي، فَيا سَوأَتاهُ غداً مِنْ الوقوفِ بَينَ يَدَيكَ، إذا قيل للمُخِفّينَ جُوزُوا وَللمُثقلينَ حُطُّوا، أَفَمَعَ المُخِفِّيْنَ أَجُوزُ أَمْ مَعَ المُثقلينَ أَحُطُّ! وَيْلي كُلَّما كَبُرَ سِنّي كَثُرَتْ ذُنُوبي، وَيْلي كُلَّما طَالَ عُمُرِيْ كَثُرَتْ مَعَاصِيَّ، فَكَمْ أَتُوبُ وَكَمْ أَعُودُ أَمَا آنَ لِيْ أَنْ أَستَحْيِيَ مِنْ رَبِّي، اَللّٰهُمَّ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ أغفِر لي وَارحَمني يَا أَرحَمَ الرّاحِمِينَ.....».

* * *

زهده

كان علي (عليه السلام) سيدّ الزهّاد، وبدل الأبدال، وإليه تشدّ الرحال، وعنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قط، وكان أخشن الناس مأكلاً وملبساً.

قال (عليه السلام): «لقد رقعت مدرعتي هذه حتّىٰ استحييت من رُقعها أو: راقعها».

قال الإمام الباقر (عليه السلام) في زهد أمير المؤمنين علي (عليه السلام): انه ولّي ـ أيام خلافته ـ خمس سنين، وما وضع آجرة، ولا لبنة علىٰ لبنة، ولا قطع قطيعاً، ولا ورّث بيضاء ولا صفراء.

وترصّد غذاءه عمرو بن حريث، فأتت فضّة بجراب مختوم، فأخرج منه خبزاً متغيّراً خشناً، فقال عمرو: يا فضّة، لو نخلت هذا الدقيق وطيبتيه. قالت: كنت أفعل فنهاني، وكنت أضع في جرابه طعاماً طيباً فختم جرابه.

ثمَّ إنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) فتّه في قصعة، وصبَّ عليه الماء، ثم ذرَّ عليه الملح، وحسر عن ذراعه، فلمّا فرغ (عليه السلام) قال: يا عمرو، لقد حانت هذه ـ ومدّ يده إلىٰ محاسنه ـ وخسرت هذه أن أُدخلها النار من أجل الطعام، وهذا يجزيني.

ورآه عدي بن حاتم وبين يديه شنة فيها قراح ماء وكسرات من خبز شعير وملح، فقال: إنّي لا أرىٰ لك يا أمير المؤمنين لتظل نهارك طاوياً مجاهداً، بالليل ساهراً مكابداً، ثمَّ يكون هذا فطورك! فقال (عليه السلام):

علل النفس بالقنوع وإلاّ طلبت منك فوق ما يكفيها

كان (عليه السلام) قد ولّىٰ علىٰ عكبرة رجلاً من ثقيف قال: قال لي عليّ (عليه السلام): «إذا صليت الظهر غداً فعُدّ اليّ، فعدت إليه في الوقت المُعيّن، فلم أجد عنده حاجباً يحبسني دونه، فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماءٍ، فدعا بوعاء مشدود مختوم، فقلت في نفسي: قد أمنني حتىٰ يخرج اليّ جوهراً فكسر الختم وحلّه، فإذا فيه سويق فاخرج منه قبضة فوضعه في القدح وَصب عليه ماءاً فشرب وسقاني، فلم أصبر فقلت له: يا أمير المؤمنين أتصنع هذا في العراق وطعامه كما ترىٰ في كثرة؟ فقال أما والله ما أختم عليه بخلاً، ولكني أبتاع قدَرَ ما يكفيني، فأخاف أن ينقص فيوضع فيه غيره، وأنا أكره أن أُدخل بطني إلاّ طيباً فذلك أحترز عليه كما ترىٰ، فإياك وتناول مالا تعلم حلّه».

وعن سويد بن غفلة قال: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب (عليه السلام) داره فوجدته جالساً وبين يديه صحيفةٌ فيها لبن (حازرة) أجد ريحه من شدة حموضته وفي يده رغيف أي قشر الشعير في وجهه، وهو يكسّر بيده أحياناً فإذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه، فقال: أدنُ وأصب من طعامنا هذا، فقلت: إني صائم فقال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: من منعه الصوم من طعام يشتهيه كان حقاً علىٰ الله أن يطعمه من طعام الجنة، ويسقيه من شرابها، قال: فقلت لجاريته وهي قائمة بالقرب منه: ويحكِ يافضة الا تتقين الله في هذا الشيخ الا تنخلون له طعاماً مما أرىٰ فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً: قال (عليه السلام): ما قلت لها فأخبرته، فقال: بأبي وأمي من لم يُنخَل له طعامٌ ولم يشبع من خبز البر ثلاثة أيام حتىٰ قبضه الله عز وجل [أي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)] هذا ما كان من طعامه (عليه السلام).

أما في ملبسه فقد خرج (عليه السلام) يوماً وعليه ازار مرقوع فَعُوتِبَ عليه، فقال: «يخشع القلب بلبسه ويقتدي بي المؤمن إذا رآه عليّ».

قال هارون بن عنـــترة: حدثني أبي قائـــلاً: دخلت علىٰ علي بن أبي طالب (عليه‌السلام) بالخورنق[١] وعليه سمل[٢] قطيفة، فقلت: يا أمير المؤمنين إن الله تعالىٰ قد جعل لك ولأهل بيتك في هذا المال ما يعم، وأنت تصنع بنفسك ما تصنع؟ فقال: «والله ما ارزأكم[٣] من أموالكم شيئاً وان هذه لقطيفتي التي خرجت بها من منزلي من المدينة ما عندي غيرها».

وقال الامام الباقر (عليه السلام): «إن علياً أتىٰ البزازين فقال لرجلٍ: بعني ثوبين، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين، عندي حاجتك. فلمّا عرفه مضىٰ عنه، فوقف علىٰ غلام، فأخذ منه ثوبين أحدهما بثلاثة دراهم، والآخر بدرهمين، فقال: يا قنبر، خذ الذي بثلاث دراهم.

فقال: أنت أولىٰ به، تصعد المنبر، وتخطب الناس.

فقال: أنت شاب، ولك شره الشباب، وأنا أستحي من ربّي أن أتفضّل عليك؛ سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: ألبسوهم ممّا تلبسون، وأطعموهم ممّا تأكلون.

فلمّا لبس عليٌّ القميص مدّ كُم القميص، فأمر بقطعه واتخاذه قلانس للفقراء، فقال الغلام: هلم أكفه. قال: دعه كما هو، فإنّ الأمر أسرع من ذلك.

فجاء أبو الغلام ـ أي صاحب الدكان ـ وقال: إنّ ابني لم يعرفك، وهذان درهمان ربحهما.

فقال (عليه السلام): ماكنت لأفعل، قد ماكست وماكسني، واتفقنا علىٰ رضا».

(١) الخورنق: منطقة قرب الكوفة.

(٢) السمل: القديمة الخلقة.

(٣) ما ارزأكم أكلفكم ـ أو آخذ.

وروى ابن عبد البر المالكي في الاستيعاب بسنده، وغيره: أنّ معاوية قال لضرار بن ضمرة: صف لي علياً.

قال: أعفني.

قال: لتصفنّه.

قال: أمّا إذا كان لابد من وصفه فإنّه كان بعيد المدىٰ، شديد القوىٰ، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل ووحشته. كان غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلّب كفّه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، وكان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه إيّانا وقربه منّا لا نكاد نكلّمه هيبة له، يعظّم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله. وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخىٰ الليل سدوله، وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه، قابضاً علىٰ لحيته، يتململ تململ السليم، يبكي بكاء الحزين، وهو يقول:

يا دنيا، غرّي غيري، أبي تعرّضتِ؟ أم إليَّ تشوّقتِ هيهات هيهات، قد بنتك ثلاثاً، لا رجعة لي فيها، فعمركِ قصير، وخطرك كبير، وعيشك حقير، آهٍ آه من قلّة الزاد، وبُعد السفر، ووحشة الطريق.

فبكي معاوية وقال: رحم الله أبا الحسن، كان والله كذلك؛ فكيف حزنك عليه يا ضرار؟

قال: حزن من ذُبِحَ ولدها بحجرها، فهي لاترقأ عبرتها، ولا يسكن حزنها.

وفي المناقب: ثمّ قام وخرج باكياً. فقال معاوية: أما إنّكم لو فقدتموني لما كان فيكم مَن يثني عليَّ هذا الثناء. فقال بعض مَن حضر: الصاحب علىٰ قدر صاحبه.

وإليك نماذج من كلماته النيّرة في الزهد.

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ إِلَىٰ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ اَلْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَىٰ اَلْبَصْرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَىٰ وَلِيمَةِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَىٰ إِلَيْهَا)

«أَمَّا بَعْدُ يَاٱبْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ اَلْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَىٰ مَأْدُبَةٍ[١] فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ اَلْأَلْوَانُ[٢] وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ اَلْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَىٰ طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ[٣]. وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَٱنْظُرْ إِلَىٰ مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هٰذَا اَلْمَقْضَمِ[٤]، فَمَا ٱشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ[٥]،وَمَاأَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ[٦] فَنَلْ مِنْهُ أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَاماً يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ ٱكْتَفَىٰ مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ[٧]، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَىٰ ذٰلِكَ وَلٰكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَٱجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ[٨]. فَوَ ٱللهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْراً، وَلَا ٱدَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا وَفْراً[٩]، وَلَاأَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبِيَ طِمْراً[١٠]! بَلَىٰ كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ اَلسَّمَاءُ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ

(١) المأدبة ـ بفتح الدال وضمها ـ: الطعام يصنع لدعوة أو عرس.

(٢) تستطاب يطلب لك طيبها. والألوان: أصناف الطعام والجفان ـ بكسر الجيم ـ: جمع جفنة القصعة.

(٣) عائلهم: محتاجهم، مجفو: أي مطرود من الجفاء.

(٤) قضم ـ كسمع ـ أكل بطرف أسنانه والمراد الأكل مطلقاً. والمقضم كمقعد المأكل.

(٥) اطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته.

(٦) بطيب وجوهه بالحل في طرق كسبه.

(٧) الطمر ـ بالكسر ـ: الثوب الخلق.

(٨) ان ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على اصلاح شؤون الرعية.

(٩) التبر ـ بكسر فسكون ـ: فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ. والوفر المال.

(١٠) أي ما كان يهيئ لنفسه طمراً آخر بدلا عن الثوب الذي يبلى، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم ←

قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ. وَنِعْمَ اَلْحَكَمُ ٱللهُ. وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَاَلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ[١] تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا اَلْحَجَرُ وَاَلْمَدَرُ[٢]، وَسَدَّ فُرَجَهَا اَلتُّرَابُ اَلْمُتَرَاكِمُ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَىٰ[٣] لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ اَلْخَوْفِ اَلْأَكْبَرِ، وَتَثْبُتَ عَلَىٰ جَوَانِبِ اَلْمَزْلَقِ[٤] وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ اَلطَّرِيقَ[٥] إِلَىٰ مُصَفَّىٰ هٰذَا اَلْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا اَلْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هٰذَا اَلْقَزِّ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي[٦] إِلَىٰ تَخَيُّرِ اَلْأَطْعِمَةِ. وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ اَلْيَمَامَةِ[٧] مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ

→ يعمل الطمر، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فيهما يكسىٰ البدن لا بأحدهما.

(١) فدك ـ بالتحريك ـ: قرية لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر، وإجماع الشيعة على أنه كان أعطاها فاطمة رضي الله عنها قبل وفاته إلا أن أبا بكر ردها لبيت المال قائلا أنها كانت مالا في يد النبي يحمل به الرجال وينفقه في سبيل الله وإنا إليه كما كان عليه. والقوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم. المظان: جمع مظنة وهو المكان الذي يظن فيه وجود الشيء. وموضع النفس الذي يظن وجودها فيه في غدٍ جدث بالتحريك أي قبر.

(٢) أضغطها جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها.

(٣) أروضها: أذللها.

(٤) موضع ما تخشى الزلة وهو الصراط.

(٥) كان كرم الله وجهه إماماً عالي السلطان واسع الامكان فلو أراد التمتع بأي اللذائذ شاء لم يمنعه مانع، وهو قوله لو شئت لاهتديت ..الخ والقز: الحرير.

(٦) الجشع: شدة الحرص.

(٧) جملة ولعل...الخ حالية عمل فيها تخير الأطعمة أي هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص أي الرغيف ولا طمع له في وجوده لشدة

فِي ٱلْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى؟ أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ ٱلْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[1] وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى ٱلْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ ٱلدَّهْرِ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ ٱلْعَيْشِ[2]. فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ ٱلطَّيِّبَاتِ كَٱلْبَهِيمَةِ ٱلْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا، أَوِ ٱلْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقُمُّمُهَا[3]، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا. أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ ٱلضَّلَالَةِ، أَوْ أَعْتَسِفَ. طَرِيقَ ٱلْمَتَاهَةِ[4] إِلَيْكِ عَنِّي يَادُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[5]، قَدِ ٱنْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ، وَٱجْتَنَبْتُ ٱلذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ. أَيْنَ ٱلْقُرُونُ ٱلَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[6] أَيْنَ ٱلْأُمَمُ ٱلَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ. هَاهُمْ فَوَٱللهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذْلِّينِي، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي. وَأَيْمُ ٱللهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ ٱللهِ

→

الفقر ولا يعرف الشبع، وهيهات أن يبيت مبطاناً أي ممتلئ البطن والحال أن حوله بطوناً غرثى أي جائعة وأكباد حرى مؤنث حران أي عطشان.

(١) البطنة ـ بكسر الباء ـ البطر والأشر والكظة. والقد ـ بالكسر ـ: سير من جلد غير مدبوغ أي أنها تطلب أكله ولا تجده.

(٢) الجشوبة: الخشونة.

(٣) التقاطها للقمامة أي الكناسة وتكترش أي تملأ كرشها.

(٤) اعتسف: ركب.

(٥) إليك عني: اذهبي عني. والغارب: الكاهل وما بين السنام والعنق. والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت. وانسل من مخالبها: لم يعلق به شيء من شهواتها. والحبائل: جمع حبالة شبكة الصياد. وأفلت منها: خلص. والمداحض: المساقط.

(٦) والمداعب: جمع مدعبة ـ من الدعابة ـ.

لَأُرَوِّضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى ٱلْقُرْصِ[1] إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهِ مَطْعُوماً، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا[2] مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا. أَتَمْتَلِئُ ٱلسَّائِمَةُ مِنْ رَعْيِهَا فَتَبْرُكَ، وَتَشْبَعُ ٱلرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ[3] وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ فَيَهْجَعَ[4]؟. قَرَّتْ إِذاً عَيْنُهُ[5] إِذَا ٱقْتَدَى بَعْدَ ٱلسِّنِينَ ٱلْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ ٱلْهَامِلَةِ[6] وَٱلسَّائِمَةِ ٱلْمَرْعِيَّةِ.

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا[7]. وَهَجَرَتْ فِي ٱللَّيْلِ غُمْضَهَا[8] حَتَّى إِذَا غَلَبَ ٱلْكَرَى عَلَيْهَا ٱفْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ. وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ[9]، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ ٱسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ ٱللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ ٱللهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

(١) تهش: أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها. ومطعوما حال من القرص كما أن مأدوما حال من الملح أي مأدوما به الطعام.

(٢) أي لأتركن مقلتي أي عيني وهي كعين ماء نضب أي عار معينها ـ بفتح فكسر ـ أي ماؤها الجاري، أي أبكي حتى لا يبقى دمع.

(٣) الربيضة: الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها. والربوض للغنم كالبروك للابل.

(٤) يهجع أي يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها.

(٥) دعاء على نفسه ببرود العين أي جمودها من فقد الحياة

(٦) الهاملة: المسترسلة. والهمل من الغنم: ترعى نهاراً بلا راع.

(٧) البؤس: الضر. وعركه بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه. ويقال فلان يعرك بجنبه الاذى إذا كان صابرا عليه.

(٨) والغمض ـ بالضم ـ: النوم. والكرى ـ بالفتح ـ: كذلك.

(٩) الهمهمة: الصوت يردد في الصدر وأراد منه الأعم. وتقشع الغمام: انجلى.

فَاتَّقِ ٱللهِ يَا ٱبْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيكُونَ مِنَ ٱلنَّارِ خَلَاصُكَ».

من كلام لأمير المؤمنين (عليه السلام) في زهده وورعه

«وَٱللهِ لأن أبيت علىٰ حَسَكِ السَّعْدان مسهداً[1] أوأُجرّ في الأغلال مصفداً أحب اليَّ من أن ألقىٰ الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعضِ العباد، وغاصباً لشيء من الحطام، وكيف أظلم أحداً لنفس يسرع إلىٰ البِلىٰ قفولها[2]، ويطول في الثرىٰ حلولها».

من خطبة له (عليه السلام) في وصف المتقين

حينما سأله صاحبه همام، أن يصف له المتقين وكان من العباد الزهاد في زمانه فقال (عليه السلام):«أما بعد، فان الله سبحانه وتعالىٰ خلق الخلق حينَ خلقَهُمْ غنياً عن طاعتهمْ، آمناً من معصيتهمْ، لأنهُ لا تضرهُ مَعصيةَ مَنْ عَصاهُ ولا تنفعه طاعة مَنْ أطاعهُ ووضعهم مِنْ الدُّنيا مواضَعَهمْ، فالمتقون فيها هم أهل الفضائل. منطقهم الصواب وملبسهم الاقتصاد، ومشيهم التواضع. غضوا أبصارهم عما حرّم الله عليهم، ووقفوا اسماعهم علىٰ العلم النافع لهم.

(١) كانه يريد من الحسك السوك، والسعدان نبت ترعاه الابل له شوك، والمسهد: من سهده، السهر،والمصفد: المقيد بالحديد.

(٢) قفولها، إلى الفناء رجوعها. الرثا، التراب.

إلىٰ أن قال (عليه السلام):

«عَظُمَ الخالقُ في أنفسِهمْ فصغر ما دونه في أعينهم، فهم والجنة كمنْ قَدْ رآها[1] فهم فيها منعّمونَ، وهم في النار كمن قَدْ رآها فهم فيها معّذبونَ، قلوبهم محزونة وشرورهمْ مأمونة، وأجسادهمْ نحيفة، وحاجاتهمْ خفيفة، وأنفسهمْ عفيفة».

إلىٰ أن قال (عليه السلام):

«فمن علامةِ أحدِهمْ أنكَ تَرىٰ له قوةً في دينٍ، وحزماً في لينٍ، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علمٍ، وعلماً في حلم، وقصداً في غنىً وخشوعاً في عبادة، وتجملاً في فاقةٍ، وصبراً في شدةٍ، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدىً، وتحرّجاً عن طمع».

إلىٰ أن قال (عليه السلام):

يعفو عمن ظلمهُ، ويعطي مَنْ حَرمَهُ، ويصلُ مَنْ قَطعَهُ، بعيداً فحشه، ليّناً قولُهُ، غائباً منكره، حاضراً معروفه، مقبلاً خيره مدبراً شره، في الزلازلِ وقور، وفي المكارهِ صبور، وفي الرخاء شكور».

فصعق همام صعقةً كانت نفسه فيها، فقال (عليه السلام): «أما والله لقد كنت أخافها عليه».

(١) هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما.

علم علي وحكمته

قال الله سُبحانه وتعالىٰ في محكم كتابه المجيد :

﴿ قُل هَل يَستوي الَّذينَ يَعلمُونَ والَّذينَ لاٰ يعلَمونَ ﴾ .

مما لا شك فيه ولاٰ ريب ان للعلم صولةً وجولة ، وفضيلة ، وكمال ، كتفضيل النور على الظلام ، وقد حث الإسلام منذ انبثاقه على التعلم واعطاء العلم الأولوية في كل مجالاته ، فقد قال الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) :

«طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) :

«ما أخَذَ الله على أهلِ الجَهلِ أن يَتَعلّموا حتىٰ أخذ علىٰ أهَل العِلمِ أن يُعَلّموا».

والقرآن الكريم يشير إلى مزية العِلم والحكمة وقيمته ، وسُمّو قَدرهِ في كثير من السور والآيات ، حتى أنه فتح بعضها القسم بالقلم ، واقرأ في الاخرى .

والعلم من أهم الأُسس المعتمدة لتسنم المراكز الراقية ، والمناصب السامية ، والقيادة (كالحُكم والقَضاء) ، كما إنّ العلم بالأحكام الشرعية ولاتفقه بهما ، وتعلم آداب القضاء والفتوى ، يعتبر من الضروريات التي حث عليها الإسلام ، كما اسلفت بان طلب العلم فريضة على كل مسلم ، ودرجات الإيمان بالله ومعرفته تابعة لمراتب العلم .

فعِلمُ أمير المؤمنين (عليه السلام) من عِلْمِ رسول الله (صلىٰ الله عليه وآله وسلم) حيث قال (عليه السلام) : «عَلَّمني رسول الله من العلم ألف باب ينفتح له من كل باب ألف باب» وعِلمُ رسول الله من علم الله تعالى ، اكتسبه عن طريق

جبرئيل وعن طريق الالهام والنكث في القلب ، وليس عن طريق التعلم والتحصيل .

ونجد في القرآن الكريم طائفة من الآيات التي تُصرِّح بتمجيد العلم والحث عليه ، كما تبين بان علوم الانبياء اكتسبت من الله تعالى عن طريق الإفاضة ، والإلقاء في القلب .

وبديهيٌ أن مثل هذه العلوم لاٰ تشوبها شكوك ولاٰ انحراف ، ولا شائبة بل هو الحق المطلق ، الصادر عن الحق جلت قدرته .

قال سبحانه وتعالىٰ :

﴿ وَقُل رَّبِ زدني عِلماً ﴾ (طه / ٢٠ : ١١٤) .

﴿ فَوجَدا عَبداً مِن عِبَادِنا آتيناهُ رَحمةً مِن عِندنَا وَعلَّمناهُ مِن لَّدُنَّا عِلماً ﴾ (الكهف / ١٨ ـ ٦٥) .

﴿ وَزادَهُ بسطةً في العِلم والجِسمِ ﴾ (البقرة / ٢ : ٢٤٧) .

﴿ وَلُوطاً آتيناهُ حُكماً وعِلماً ﴾ (الأنبياء ٢١ : ٧٤)

﴿ وَكُلاً آتَيناه حُكماً وعِلماً ﴾ (الأنبياء / ٢١ : ٧٩) .

﴿ وَلَقد آتينَا داوُدَ وسُليمانَ عِلماً ﴾ (النمل / ٢٧ : ١٥) .

﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَهُ واستَوىٰ آتيناهُ حُكماً وَعِلماً ﴾ (القصص / ٢٨ : ١٤) .

﴿ إنّي إصطَفَيتُكَ على الناسِ بِرسَالاتي وَبِكلامِي ﴾ (الأعراف / ٧ : ١٤٤) .

﴿ إذ قالَ اللهُ يا عيسىٰ ابنَ مَريمَ اذكُر نِعمَتي عَليكَ وَعلىٰ والدتِكَ إذ أَيدتُكَ بِرُوحِ القُدسِ تُكلِمُ النَّاسَ في المَهدِ وَكَهلاً ، وإذ عَلَّمتُكَ الكِتاب والحِكمَةَ ﴾ (المائدة / ٥ : ١١٠) .

﴿ وَعلَّم آدمَ الأَسماءَ كُلَّها ﴾ (البقرة / ٢ : ٣١) .

﴿يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك﴾ (مريم/ ١٩:٤٣).

﴿ففهمناها سُليمان﴾. (الأنبياء/ ٢١:٧٩).

﴿ذلكما مما علمني ربي﴾ (يوسف/ ٢١:٣٧).

﴿وانزل عليك الكتاب والحكمة وعلّمك ما لم تكن تعلم﴾ (النساء/٤:١١٣).

﴿وَقتَلَ داوُدُ جَالُوتَ وآتاهُ اللهُ المُلكَ وَالحِكمةَ وَعَلَّمهُ مِمَّا يشاءُ﴾ (البقرة/ ٢:٢٥١).

﴿إنا أنزلنا إليكَ الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما اراك الله﴾ (النساء/ ٤:١٠٥).

فإذا عرفت هذا يا عزيزي القارئ، فكيف يمكننا أن نقدّر أو نستطيع أن نعلم مقدار علم أمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي هو من علم رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله الذي أخذ علمه من الله تعالى عن طريق الوحي بالاضافة إلى ان الله سبحانه وتعالىٰ نعت أمير المؤمنين (عليه السلام)، بقوله عز من قائل ﴿وَمَن عِندهُ عِلمُ الكِتابِ﴾ (الرعد/ ١٣:٤٣)كما ذكرنا ذلك مفصلاً في الجزء الاول من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ص١٦٢، في تفسر الآية رقم ٤٢ من سورة الرعد ـ فراجع ـ.

وبهذه المناسبة أقول: إنَّ آصف بن بَرْخِيا الذي كان عنده علمٌ من الكتاب وهو حرف واحد من إثنين وسبعين من الإسم الأعظم، إستطاع بذلك العلم البَسيط أن يجلب عرش الملكة بلقيس من اليمن إلىٰ بيت المقدس ـ موقع عرش النبي سليمان ـ قبل أن يرتد طرفه، كما ذكره القرآن الكريم بقوله: ﴿قالَ الَّذي عِندهُ عِلمٌ منَ الكِتاب أنا آتيكَ بهِ قَبلَ أن يرتدَّ إليكَ طَرفُكَ﴾ (النمل/ ٢٧:٤٠).

فكيف بأمير المؤمنين (عليه السلام)، الذي ﴿عِندهُ علمُ الكتابِ﴾ (الرعد/ ١٣: ٤٣) لا ﴿عِلمٌ مِنَ الكتابِ﴾ (النمل/ ٢٧:٤٠) بنص القرآن المجيد وحديث الرسول الكريم.

وقال (عليه السلام) مراراً وبعدة مناسبات: «إن هاهنا لعلماً جماً» وأشار إلىٰ صدره.

وقال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الذي فلق الحبة وبرأ النسمة لو سألتموني عن طرق السموات فإني أعلم بها من طرق الأرض».

وفي رواية أُخرىٰ: «لو سألتموني عن آية لأخبرتكم بوقت نزولها وفيم نزلت، وانبأتكم بناسخها من منسوخها، وخاصها من عامها، ومحكمها من مشابهها، ومكيّها من مدنيّها، والله ما من فئة تُضلّ أو تهدىٰ إلاّ أنا أعرف قائدها وسائقها، وناعقها إلىٰ يوم القيامة».

وعن عباية بن ربعي قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: «سلوني قبل أن تفقدوني، ألا تسألون من عنده عِلمُ المنايا والبلايا والأنساب؟».

وعن الأصبغ بن نباتة قال: لما بويع أمير المؤمنين (عليه السلام)، بالخلافة خرج إلىٰ المسجد معتماً بعمامة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) لابساً بُرديه، فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه، ووعظ وأنذر، ثم جلس متمكناً وشبّك بين أصابعه ووضعها أسفل سُرّته، ثم قال:

«يا معشر الناس سلوني قبل أن تفقدوني، سلوني فإنّ عندي عِلمَ الأولين والآخرين، أما وَاللهِ لو ثنيت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوارة بتوراتهم، وبين أهلِ الأنجيل بإنجيلهم، وبين أهل الزبور بزبورهم، وبين أهل الفرقان بفرقانهم، حتىٰ ينتهي كل كتاب من هذه الكتب ويقول:

يا رب أن علياً قضىٰ بقضائك، والله إني لأعلم بالقرآن وتأويله من كل مدّعٍ. ولولا آية في كتاب الله تعالىٰ لاخبرتكم بما يكون إلى يوم القيامة».

وعن الأصبغ بن نباتة قال: لما قدم علي (عليه السلام) الكوفة، صلىٰ بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم سورة ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأعلَىٰ﴾ (الاعلىٰ/ ١:٨٧) فقال المنافقون: والله ما يُحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن، ولو كان أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال:

ويلهم! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه وتشابهه، وفصاله ووصاله، وحروفه ومعانيه، والله ما من حرف نزل علىٰ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلّا وأنا أعرف فيمن أُنزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل.

ويلهم أما يقرؤون ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ صُحُفِ إبراهيمَ وَمُوسَىٰ﴾ (الأعلىٰ/ ١٧:٨٧).

والله عندي ورثتها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وورثها رسول الله من إبراهيم وموسىٰ.

ويلهم! والله إني أنا الذي أنزل الله فيّ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة/ ١٢:٦٩) فإنّا كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فيخبرنا بالوحي، فأعيه ويفوتهم، فاذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟».

قال ابن عباس: عليٌّ عَلِمَ علماً علّمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله علّمه الله، فعِلمُ النبي من عِلْمِ الله تعالىٰ، وعِلمُ علي من عِلمِ النبي، وعلمي مِنْ علمِ علي، وما علمي وعلم أصحاب محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) في عِلمِ عليٍّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر.

وعن ابن عباس ايضاً: إن عمر بن الخطاب قال له يوماً: يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيءِ إذا سُئِلتْ عنه! قال: فأبرز عليٌّ كفه وقال له: «كم هذا؟ قال عمر: خمسة، فقال عجلت أبا حفص؟ قال: لم يخف عَليَّ، فقال علي: وأنا أسرع فيما لا يخفىٰ عَليَّ».

هذا غيضٌ من فيض علم علي ولكن هل استطاع (عليه السلام) أن يُبلّغ

عُشْر معشار ما حواه ووعاه من العلم، وهل السياسة الزمنية تركته وشأنه لتبليغ ما يمكن تبليغه وبث ما يمكن بثه؟ كلّا وألف كلّا، وفي هذا المقام ما أدري هل آسف علىٰ الإمام الذي ضاع قدَرُهُ بين الجهال والمنحرفين وأصحاب المطامع والحاقدين في ذلك العهد، ولم يفسح له المجال ليبث بين المسلمين شيئاً من علومه الآلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف علىٰ المسلمين الذين عثر بهم الحظ وحُرِمُوا الإرتشاف من ذلك المنهل العذب الذي تطفح ضفتاه من كل فضيلة ومكرمة، وقد كانوا ولا يزالون بأمسّ الحاجةِ الىٰ علمه (سلام الله عليه)، فقد قهرته الظروف الصعبة، واضطرته السياسة الزمنية إلىٰ الجلوس في داره خمس وعشرين سنة مسلوب الإرادة والإمكانيات من القيام بواجبه الذي طبع عليه، لا يستطيع تنوير العقول بعلومه، أو تزويد النفوس بمواهبه؟».

كما جرت سنّة السياسة والحكم والتسلط، بمناوءةالأنبياء والمرسلين والصلحاء، وأصحاب الفضيلة من العلماء والمصلحين في خنق كل صوت يرتفع بالاصلاح، وبكل وسائل البطش والإرهاب والتنكيل منذ العصر الأول ولا يزال إلى يومك هذا، فقد يزداد قوة وضعفاً بحسب الظروف. فحاربوا كل فضيلة ليبقىٰ الحكم والتسلط بإيدي المجرمين الملطخة بالدماء والعار، وما عهود (الدكتاتوريات) السالفة من فراعنة عصورهم في قتل الأنبياء والمرسلين، عنك ببعيد، خذ مثلاً عصر نوح (عليه السلام) وما لاقاه من طغاة زمانه، وعصر هود، وصالح، ولوط، إلىٰ عصر الخليل إبراهيم، وعصر موسىٰ، وعيسىٰ (عليهم وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام)، وما لاقوه من قتل وتشريد وإبادة حتىٰ بلغ أشدّه في عصر الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) وما تحمّله من طواغيت زمانه من جبابرة قريش، ومن سائر ذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب من الإرهاب والتعذيب والإهانة، حتّىٰ صرّح (صلّى الله عليه وآله) عدة مرات ـ بأبي هو وأمي ـ بقوله: «ما أُوذِيَ نبيٌّ بمثل ما أوذيت».

وعن الأصبغ بن نباتة قال: لما قدم علي (عليه السلام) الكوفة، صلىٰ بهم أربعين صباحاً فقرأ بهم سورة ﴿سَبِّحِ اسمَ رَبِّكَ الأعلَىٰ﴾ (الاعلىٰ/ ١:٨٧) فقال المنافقون: والله ما يُحسن أن يقرأ ابن أبي طالب القرآن، ولو كان أحسن أن يقرأ لقرأ بنا غير هذه السورة، قال: فبلغه ذلك، فقال:

ويلهم! إني لأعرف ناسخه ومنسوخه، ومحكمه وتشابهه، وفصاله ووصاله، وحروفه ومعانيه، والله ما من حرف نزل علىٰ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلّا وأنا أعرف فيمن أُنزل، وفي أي يوم نزل، وفي أي موضع نزل.

ويلهم أما يقرؤون ﴿إنَّ هذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولىٰ صُحُفِ إبراهيمَ وَمُوسىٰ﴾ (الأعلىٰ/ ١٧:٨٧).

والله عندي ورثتها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) وورثها رسول الله من إبراهيم وموسىٰ.

ويلهم! والله إني أنا الذي أنزل الله فيّ: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ واعِيَةٌ﴾ (الحاقة/ ١٢:٦٩) فإنّا كنّا عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) فيخبرنا بالوحي، فأعيه ويفوتهم، فاذا خرجنا قالوا: ماذا قال آنفاً؟».

قال ابن عباس: عليٌّ عَلِمَ علماً علّمه رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله علّمه الله، فَعِلمُ النبي من عِلْمِ الله تعالىٰ، وعِلمُ علي من عِلمِ النبي، وعلمي مِنْ علمِ علي، وما علمي وعلم أصحاب محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) في عِلمِ عليٍّ إلّا كقطرة في سبعة أبحر.

وعن ابن عباس ايضاً: إن عمر بن الخطاب قال له يوماً: يا أبا الحسن إنك لتعجل في الحكم والفصل للشيءِ إذا سُئلتْ عنه! قال: فأبرز عليٌّ كفه وقال له: «كم هذا؟ قال عمر: خمسة، فقال عجلت أبا حفص؟ قال: لم يخف عَليَّ، فقال علي: وأنا أسرع فيما لا يخفىٰ عَليَّ».

هذا غيضٌ من فيض علم علي ولكن هل استطاع (عليه السلام) أن يُبلّغ

عُشْر معشار ما حواه ووعاه من العلم، وهل السياسة الزمنية تركته وشأنه لتبليغ ما يمكن تبليغه وبث ما يمكن بثه؟ كلّا وألف كلّا، وفي هذا المقام ما أدري هل آسف علىٰ الإمام الذي ضاع قدْرَهُ بين الجهال والمنحرفين وأصحاب المطامع والحاقدين في ذلك العهد، ولم يفسح له المجال ليبث بين المسلمين شيئاً من علومه الآلهية ومعارفه الربانية؟ أم آسف علىٰ المسلمين الذين عثر بهم الحظ وحُرِمُوا الإرتشاف من ذلك المنهل العذب الذي تطفح ضفتاه من كل فضيلة ومكرمة، وقد كانوا ولا يزالون بأمسّ الحاجةِ الىٰ علمه (سلام الله عليه)، فقد قهرته الظروف الصعبة، واضطرته السياسة الزمنية إلىٰ الجلوس في داره خمس وعشرين سنة مسلوب الإرادة والإمكانيات من القيام بواجبه الذي طبع عليه، لا يستطيع تنوير العقول بعلومه، أو تزويد النفوس بمواهبه؟».

كما جرت سنّة السياسة والحكم والتسلط، بمناوءةالأنبياء والمرسلين والصلحاء، وأصحاب الفضيلة من العلماء والمصلحين في خنق كل صوت يرتفع بالاصلاح، وبكل وسائل البطش والإرهاب والتنكيل منذ العصر الأول ولا يزال إلى يومك هذا، فقد يزداد قوة وضعفاً بحسب الظروف. فحاربوا كل فضيلة ليبقىٰ الحكم والتسلط بإيدي المجرمين الملطخة بالدماء والعار، وما عهود (الدكتاتوريات) السالفة من فراعنة عصورهم في قتل الأنبياء والمرسلين، عنك ببعيد، خذ مثلاً عصر نوح (عليه السلام) وما لاقاه من طغاة زمانه، وعصر هود، وصالح، ولوط، إلىٰ عصر الخليل إبراهيم، وعصر موسىٰ، وعيسىٰ (عليهم وعلىٰ نبينا أفضل الصلاة والسلام)، وما لاقوه من قتل وتشريد وإبادة حتىٰ بلغ أشدّه في عصر الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله وسلم) وما تحمّله من طواغيت زمانه من جبابرة قريش، ومن سائر ذؤبان العرب، ومردة أهل الكتاب من الإرهاب والتعذيب والإهانة، حتّىٰ صرّح (صلّى الله عليه وآله) عدة مرات ـ بأبي هو وأمي ـ بقوله: «ما أُوذِيَ نبيٌّ بمثل ما أوذيت».

واستمر الحكم الطاغوتي ـ وسنّة الحياة علىٰ هذا المنوال ـ إلىٰ ما بعد لحوقه (صلّى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلىٰ، علىٰ الرغم مما بلّغ به وانذر طيلة ثلاثة وعشرين عاما، واخيراً بلّغ بأمرٍ من الله سبحانه وتعالىٰ بتعيين الخليفة من بعده وأشهدهم على ذلك وأقّروا به، حيث قال سبحانه في محكم كتابه المجيد: ﴿يَا أَيُّها الرسُولُ بلِّغ مَا أُنزلَ إليكَ مِن رَّبكَ وإن لَّم تَفعل فَما بَلَّغْتَ رِسالتهُ واللهُ يعصمُكَ مِنَ الناسِ﴾ (المائدة/ ٥:٦٧).

في وقت واحد وبآية واحدة أمر جلّ شأنه رسوله الكريم أن يبلّغ المسلمين بتعيين الخليفة من بعده علي بن أبي طالب، وأنذره إن لَم يُبلغ ما أُمرَ بهِ فكأنما ما بلغ رسالته كلها. انظر إلىٰ هذه الشدّة وهذا التأكيد.

وبنفس الوقت ضمن له العصمة والنجاة من الناس، ومن هم الناس؟ هم أصحابه الذين عاشوا فكره ورسالته ولكن لم تصهر نفوس بعضهم الخبيثة فكان فيهم المنافقون، والطامعون بالخلافة، والحسادون، والمناوئون لأمير المؤمنين (عليه السلام).

وبعد ما بلّغ رسوله الكريم ما أمره به في تعيين الخليفة بقوله بعد خطبة طويلة «فمن كنت مولاه فهذا عليٌ مولاه، اَللّهمَّ والِ مَن والاه وعادِ منَ عاداه وانصر من نصره وأخذل من خذله» وذلك في ظهيرة يوم الجمعة ١٨ ذي الحجة من حجة الوداع في منطقةٍ بين مكة والمدينة علىٰ مفترق الطرق تسمىٰ (غدير خم) وهي معروفة اليوم بالجحفة، وبعد تبليغه الرسالة والنذارة أنزل الله سبحانه هذه الآية ﴿اليومَ أكملتُ لَكُم دِينَكُم وَأتممتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرضيتُ لكُمْ الإسلامَ دِيناً﴾ (المائدة/٥: ٣).

الله أكبر علىٰ إكمال الدين ورضىٰ الرب حيث رضي الرب بتبليغ رسالته وقبول المسلمين به كما رضي الله سبحانه علىٰ المسلمين بقبول الإسلام ديناً بشرط أن لا يحدثوا بعد نبيهم حدثاً يخرجهم من الإسلام، ولو استمروا علىٰ ما

أقاموا عليه، لأكلوا من فوق رؤوسهم ومن تحت أرجلهمْ وَلأنزل الله عليهم بركاتٍ من السماء ولسادوا العالم وهيمنوا علىٰ الكرة الأرضية بكاملها. ولكنهم ويا للأسف انقلبوا علىٰ أعقابهم، كما أخبر سبحانه وتعالىٰ في كتابه المجيد بقوله: ﴿ومَا مُحمدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَد خَلَتْ مِن قَبله الرُّسلُ أَفإن مَاتَ أو قُتلَ انقلَبتم علىٰ أعقابِكُم ومَن ينقَلب علىٰ عَقبيهِ فَلَن يضُرَّ اللهَ شَيئاً وَسيَجزي اللهُ الشاكرينَ﴾ (آل عمران/ ٣:١٤٤).

مع كل الأسىٰ والأسف حصل الانقلاب بمجرد أن شاع خبر التحاق الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلىٰ، حيث احتدم الصراع باجتماع بعضهم في سقيفة بني ساعدة، كلٌ يريد الخلافة لنفسه وحزبه، حتىٰ وصل بهم الأمر إلىٰ حدّ العنف والتهديد والإرهاب، وكادت الفتنة أن تقع وتندلع وتزهق أرواح ونفوس، والرسول لا يزال مسجّىً والجرح لما يندمل والنبي لما يقبر وأمير المؤمنين والهاشميون من بني عبد المطلب في ذهول من شدّة الصدمة وهولها وجلل المصاب،مشغولون بتغسيل النبي وتجهيزه.

فأُحكِمَتِ البَيعة وأختُلِسَت الخِلافة، فتسلط نفر علىٰ دست الحكم ومنصة الخلافة بعد تحزبهم، وكان الأمر قد دبر بليلٍ وأُحكِمَ تنظيمه، وتخلف عن الخلافة أصحاب الحق الشرعي، كما قال (عليه السلام) لما سئل عن فدك.

«فشحّت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس آخرين، ونعم الحكم الله» فكأنهم لم يسمعوا قول الله تعالىٰ ﴿تِلكَ الدارُ الآخرة نجعلُهَا للذينَ لا يريدُونَ علُواً في الأرضِ ولا فَساداً والعاقِبةُ للمتقينَ﴾ (القصص/٢٨:٣٨).

بلىٰ والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا بأعينهم وراقهم زبرجها.

وحب الدنيا والطمع في الزعامة أخذ منهم كل مأخذ حتىٰ أعرضوا عن ما أُمروا به وما أعطوا عليه العهود والمواثيق فإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول

ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن ذلك الحين إلىٰ يومنا هذا احتدم الصراع بين قوىٰ الحق والخير وقوىٰ الشر والباطل، وما لاقاه أهل البيت والأئمة الطاهرون والمصلحون من تابعيهم وشيعتهم علىٰ مدىٰ الأجيال من طواغيت زمانهم من ملوك وحكام بني امية، وبني مروان، وبني العباس، ومن جاء بعدهم من الذين يحكمون بإسم الإسلام كذباً وزوراً وبهتاناً ـ والإسلام منهم براء ـ ، ويقتلون أولاد الأنبياء والأئمة الطاهرين والعلماء والمصلحين والثائرين علىٰ الظلم من شيعتهم، وما واقعة الطف باستشهاد السبط أبي عبد الله الحسين وأهل بيته وأصحابه، وسم الامام الحسن وغيرهم عنك ببعيد ـ وقد قال الإمام الصادق (عليه السلام): «ما منا إلّا مقتول أو مسموم».

ونعم ما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منا سجيةً ... ولما ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناءٍ بالذي فيهِ ينضح

نقول: فإن كل ما حدث هو نتائج مريرة لتلك المؤامرة التي حيكت في الظلام.

وبعد خمس وعشرين سنة، عادت إليه بعض حقوقه المسلوبة، وإذا بالمؤامرات ودسائس الطامعين والحاسدين تُثار عليه من كل حدب وصوب وفي مقدمتهم معاوية وبنو أمية وبنو مروان وغيرهم، وأول من ثار عليه هم أول من مدّ يده لمبايعته طلحة والزبير، وساعدتهم علىٰ ذلك وتصدرت الثورة عائشة بنت أبي بكر زوجة الرسول، وساعدها علىٰ ذلك عبد الله بن عمر بن الخطاب، وعبد

الله بن الزبير، ومروان بن الحكم، وبنو أمية، وبنو مروان المتواجدون في مكّة بعد هربهم من المدينة والتحاقهم بعائشة، وأثاروا عليه الاضطرابات والحروب الداخلية فكانت حرب الجمل من قبل الناكثين، وحرب صفين من قبل القاسطين، وحرب الخوارج (النهروان) من قبل المارقين، كما أخبر بذلك من قبل وتنبأ بهذه الحروب والفتن والاضطرابات الداخلية التي أحاطت به وحدّت من نشاطه العلمي والفكري وشتت أفكاره وبددت قواه، وسلبت الإستقرار والإطمئنان من ذلك المجتمع الذي كان بأمس الحاجة الىٰ التزود من علومه، ومواهبه.

فانقلب النشاط العلمي والديني إلىٰ طاقة حربية، وانقلبت المعاهد العلمية والثقافية إلىٰ معارك دموية، وساحات قتال، ومجازر رهيبة، ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من المسلمين من كلا الطرفين، ناهيك عن المعوقين والمجروحين والأرامل واليتامىٰ، وغيرها من المآسي التي لا يمكن أن تعدّ وتحصىٰ، بالاضافة إلىٰ تخلخل البنية الإسلامية وتفرق المسلمين وضعف البنية الاقتصادية، حتىٰ صُرِعَ (سلام الله عليه) في محرابه بمسجد الكوفة مضرجاً بدمه منادياً «فزت ورب الكعبة».

لمصلحة من كل هذا وذاك؟ فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وإليك إضمامة مما جاء في علم الامام علي (عليه السلام):

١ ـ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لفاطمة الزهراء (سلام الله عليها): «زوجتك خير أُمّتي؛ أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأولهم سلماً».

أخرجه الخطيب في «المتفق»، والسيوطي في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ج٦ ص٢٩٨.

٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أعلم أُمتي من بعدي علي بن أبي طالب».

أخرجه الديلمي عن سلمان، ورواه الخوارزمي في المناقب: ٤٩، ومقتل الحسين ج١ ص٤٢ والمتقي في كنز العمال ج٦ ص١٥٢.

٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أُوتي منه».

كفاية الطالب ص٧٠ و٩٢، شمس الأخبار ص٢٩.

٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي».

رواه الديلمي عن أبي ذر كما في كنز العمال ج٦ ص١٥٦، وكشف الخفاء ج١ ص٢٠٤.

٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي خازن علمي».

رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج.

٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي عيبة علمي».

رواه السيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع كما في ترتيبه ج٦ ص١٥٢، ومصباح الظلام ج٢ ص٥٦، وشرح العزيزي ج٢ ص٤١٧.

٧ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أقضى أُمّتي عليٌّ».

رواه البغوي في المصابيح ج٢ ص٢٧٧، والطبري في الرياض النضرة ج٢ ص١٩٨، والخوارزمي في المناقب ص٥٠، ورواه في فتح الباري ج٨ ص١٢٦ وبغية الوعاة ص٤٤٧.

٨ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أقضاكم عليٌّ».

رواه في الإستيعاب ج٢ ص٢٨، والمواقف للأيجي ج٢ ص٢٧٦ وشرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٢٣٥، مطالب السؤول ص٢٣، تمييز الطيب من الخبيث ص٢٥، كفاية الشنقيطي ص٤٦.

٩ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي

عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً».

حلية الأولياء ج١ ص٦٥، أسنى المطالب ص١٤، وللحديث مصادر أُخرى كثيرة مذكورة في إحقاق الحق ج٥ ص٥١٦ ـ ٥٢١ وج١٦ ص٣١٠ ـ ٣١٤.

١٠ ـ وقال عمر: «لولا عليٌّ لهلك عمر».

أخرجه أحمد والعقيلي وابن السمّان، وروي في الإستيعاب ج٢ ص٢٩، والرياض النضرة ج٢ ص١٩٤ وتفسير النيسابوري في سورة الأحقاف، مناقب الخوارزمي ص٤٨، تذكرة الخواص ٨٧، مطالب السؤول ١٢، فيض القدير ج٤ ص٢٥٧.

١١ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب».

١٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

هذان الحديثان من الأحاديث المتواترة الصحيحة التي اتفق على روايتها كبار الحفّاظ وعلماء الفريقين، واستقصى جل مصادرهما في إحقاق الحق ج٥ ص٥٠٢ ـ ٥١٦ وج١٦ ص٢٩٨ ـ ٣٠٩. وج٥ ص٤٦٩ ـ ٥٠١. وج١٦ ص٢٧٧ ـ ٢٩٧ وج٢١ ص٤١٥ ـ ٤٢٨.

١٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليهنك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً».

رواه ابن المغازلي في المناقب ص٤٢٠، وابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج٢ ص٤٩٨، وأخرجه في إحقاق الحق ج٦ ص٤٤ وج١٦ ص٤٢٩ ـ ٤٣١ عن مصادر كثيرة.

١٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي».

رواه الحاكم في المستدرك ج٢ ص١٢٢، والذهبي في ميزان الإعتدال ج١

أخرجه الديلمي عن سلمان، ورواه الخوارزمي في المناقب: ٤٩، ومقتل الحسين ج١ ص٤٢ والمتقي في كنز العمال ج٦ ص١٥٢.

٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي وعاء علمي ووصيي وبابي الذي أُوتى منه».

كفاية الطالب ص٧٠ و٩٢، شمس الأخبار ص٢٩.

٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي باب علمي ومبيّن لأُمّتي ما أُرسلت به من بعدي».

رواه الديلمي عن أبي ذر كما في كنز العمال ج٦ ص١٥٦، وكشف الخفاء ج١ ص٢٠٤.

٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي خازن علمي».

رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج.

٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «علي عيبة علمي».

رواه السيوطي في الجامع الصغير وجمع الجوامع كما في ترتيبه ج٦ ص١٥٢، ومصباح الظلام ج٢ ص٥٦، وشرح العزيزي ج٢ ص٤١٧.

٧ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أقضى أُمّتي عليٌّ».

رواه البغوي في المصابيح ج٢ ص٢٧٧، والطبري في الرياض النضرة ج٢ ص١٩٨، والخوارزمي في المناقب ص٥٠، ورواه في فتح الباري ج٨ ص١٢٦ وبغية الوعاة ص٤٤٧.

٨ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أقضاكم عليٌّ».

رواه في الإستيعاب ج٢ ص٢٨، والمواقف للأيجي ج٢ ص٢٧٦ وشرح ابن أبي الحديد ج٢ ص٢٣٥، مطالب السؤول ص٢٣، تمييز الطيب من الخبيث ص٢٥، كفاية الشنقيطي ص٤٦.

٩ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي

عليٌّ تسعة أجزاء والناس جزءاً واحداً».

حلية الأولياء ج١ ص٦٥، أسنى المطالب ص١٤، وللحديث مصادر أُخرى كثيرة مذكورة في إحقاق الحق ج٥ ص٥١٦ ـ ٥٢١ وج١٦ ص٣١٠ ـ ٣١٤.

١٠ ـ وقال عمر: «لولا عليٌّ لهلك عمر».

أخرجه أحمد والعقيلي وابن السمّان، وروي في الإستيعاب ج٢ ص٢٩، والرياض النضرة ج٢ ص١٩٤ وتفسير النيسابوري في سورة الأحقاف، مناقب الخوارزمي ص٤٨، تذكرة الخواص ٨٧، مطالب السؤول ١٢، فيض القدير ج٤ ص٢٥٧.

١١ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنا مدينة الحكمة وعليٌّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب».

١٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها».

هذان الحديثان من الأحاديث المتواترة الصحيحة التي اتفق على روايتها كبار الحفّاظ وعلماء الفريقين، واستقصى جل مصادرهما في إحقاق الحق ج٥ ص٥٠٢ ـ ٥١٦ وج١٦ ص٢٩٨ ـ ٣٠٩. وج٥ ص٤٦٩ ـ ٥٠١. وج١٦ ص٢٧٧ ـ ٢٩٧ وج٢١ ص٤١٥ ـ ٤٢٨.

١٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «ليهنك العلم أبا الحسن، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلاً».

رواه ابن المغازلي في المناقب ص٤٢٠، وابن عساكر في ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج٢ ص٤٩٨، وأخرجه في إحقاق الحق ج٦ ص٤٤ وج١٦ ص٤٢٩ ـ ٤٣١ عن مصادر كثيرة.

١٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي».

رواه الحاكم في المستدرك ج٢ ص١٢٢، والذهبي في ميزان الإعتدال ج١

ص٤٧٢ والقندوزي في ينابيع المودة ص٢٠٣، وللحديث مصادر أُخرىٰ مذكورة في إحقاق الحق ج٦ ص٥٢ ـ ٥٥ وج١٦ ص٤٣٥ و٤٣٦ وج٢٠ ص٣٠٤، ٣١٨، ٤١٦.

١٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «ملئت علماً وحكماً، يا أبا الحسن، بارك الله فيك».

رواه مؤلف كتاب السواد والبياض ص٢٠٨، وعنه في إحقاق الحق ج١٧ ص٢٢.

١٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «إنّ الله خلقني وعلياً من شجرة، أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، فهل يخرج من الطيب إلاّ الطيب؟! وأنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».

أشرنا إلىٰ مصادر حديث العلم في الرقم (١٢).

١٧ ـ عن أنس، قال: قيل: يا رسول الله، عمّن نأخذ العلم بعدك؟ قال (صلّى الله عليه وآله): «عن علي».

رواه العلاّمة قطب الدين أحمد شاه في قرة العينين ص٢٣٤.

١٨ ـ عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ وله ظهر وبطن، وإنّ علياً (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن.

رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج١ ص٦٥، وأخرجه في إحقاق الحق ج٥ ص٥١٥ وص٥١٦ عن بعض المصادر.

١٩ ـ قال عليٌّ (عليه السلام): «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، ففتح لي من كلّ باب ألف باب».

رواه السيد أحمد المغربي في فتح الملك العلي ص١٩، والمحدّث الهروي

في الأربعين ص٤٧ (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة ص٢٧.

٢٠ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أعلم أُمّتي بالسنّة والقضاء بعدي عليٌّ بن أبي طالب».

رواه الكنجي في كفاية الطالب ص١٩٠.

هذه عشرون حديثاً منتخبة من مئات الأحاديث المروية في علم علي (عليه السلام) وحكمته، وقد قال فيه أبو الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟!

وهذه بعض أقواله (سلام الله عليه) في الحكمة والموعظة:

قال (عليه السلام): «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً: لا يَرجوَنَّ أحدٌ منكم إلاّ ربه، ولا يخافنَّ إلاّ ذنبه، ولا يستحيينَّ أحدٌ منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيينَّ أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له ولا في إيمانٍ لا صبرَ معه» (نهج البلاغة ج٤ كلماته القصيرة).

وقال (عليه السلام): «من أُعطِيَ أربعاً لم يحرم أربعاً: من أُعطِيَ الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أُعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أُعطِيَ الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أُعطِيَ الشكر لم يحرم الزيادة، وتصديق ذلك كتاب الله تعالىٰ حيث قال عز وجل في الدعاء ﴿ادعُوني استجب لكم﴾ (غافر/ ٤٠:٦٠).وقال في الاستغفار ﴿ومَن يَعمل سُوءاً أو يَظلِم نفسَهُ ثمَّ يَستغفِر الله يجِد الله غَفُوراً رَحيماً﴾ (النساء/ ٤:١١٠). وقال في الشكر ﴿لئِن شَكرتُم لأَزيدَنكُم﴾ (إبراهيم/٣).

ص٤٧٢ والقندوزي في ينابيع المودة ص٢٠٣، وللحديث مصادر أُخرىٰ مذكورة في إحقاق الحق ج٦ ص٥٢ ـ ٥٥ وج١٦ ص٤٣٥ و٤٣٦ وج٢٠ ص٣٠٤، ٣١٨، ٤١٦.

١٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «ملئت علماً وحكماً، يا أبا الحسن، بارك الله فيك».

رواه مؤلف كتاب السواد والبياض ص٢٠٨، وعنه في إحقاق الحق ج١٧ ص٢٢.

١٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «إنّ الله خلقني وعلياً من شجرة، أنا أصلها، وعلي فرعها، والحسن والحسين ثمرتها، والشيعة ورقها، فهل يخرج من الطيب إلّا الطيب؟! وأنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها».

أشرنا إلىٰ مصادر حديث العلم في الرقم (١٢).

١٧ ـ عن أنس، قال: قيل: يا رسول الله، عمّن نأخذ العلم بعدك؟ قال (صلّى الله عليه وآله): «عن علي».

رواه العلّامة قطب الدين أحمد شاه في قرة العينين ص٢٣٤.

١٨ ـ عن عبد الله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أُنزل علىٰ سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن، وإنّ علياً (عليه السلام) عنده علم الظاهر والباطن.

رواه أبو نعيم في حلية الأولياء ج١ ص٦٥، وأخرجه في إحقاق الحق ج٥ ص٥١٥ وص٥١٦ عن بعض المصادر.

١٩ ـ قال عليٌّ (عليه السلام): «علّمني رسول الله ألف باب من العلم، ففتح لي من كلّ باب ألف باب».

رواه السيد أحمد المغربي في فتح الملك العلي ص١٩، والمحدّث الهروي

في الأربعين ص٤٧ (مخطوط) والقندوزي في ينابيع المودة ص٢٧.

٢٠ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «أعلم أُمّتي بالسنّة والقضاء بعدي عليٌّ بن أبي طالب».

رواه الكنجي في كفاية الطالب ص١٩٠.

هذه عشرون حديثاً منتخبة من مئات الأحاديث المروية في علم علي (عليه السلام) وحكمته، وقد قال فيه أبو الفضل بن العبّاس بن عتبة بن أبي لهب:

ما كنت أحسب أنّ الأمر منصرف ... عن هاشم ثمّ منها عن أبي حسن
أليس أوّل من صلّى لقبلتكم ... وأعلم الناس بالقرآن والسنن؟!

وهذه بعض أقواله (سلام الله عليه) في الحكمة والموعظة:

قال (عليه السلام): «أوصيكم بخمس لو ضربتم إليها آباط الإبل لكانت لذلك أهلاً: لا يَرجوَنَّ أحدٌ منكم إلّا ربه، ولا يخافنَّ إلّا ذنبه، ولا يستحيينَّ أحدٌ منكم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم، ولا يستحيينَّ أحدٌ إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس له ولا في إيمانٍ لا صبرَ معه» (نهج البلاغة ج٤ كلماته القصيرة).

وقال (عليه السلام): «من أُعطِيَ أربعاً لم يحرم أربعاً: من أُعطِيَ الدعاء لم يحرم الإجابة، ومن أُعطي التوبة لم يحرم القبول، ومن أُعطِيَ الاستغفار لم يحرم المغفرة، ومن أُعطِيَ الشكر لم يحرم الزيادة، وتصديق ذلك كتاب الله تعالىٰ حيث قال عز وجل في الدعاء ﴿ادعُوني استجب لكم﴾ (غافر/ ٤٠:٦٠).وقال في الاستغفار ﴿ومَن يَعمل سُوءاً أو يَظلِم نفسَهُ ثمَّ يَستغفِر الله يجِد الله غَفُوراً رَحيماً﴾ (النساء/ ٤:١١٠). وقال في الشكر ﴿لئِن شَكرتُم لأَزيدَنكُم﴾ (إبراهيم/٣).

وقال في التوبة ﴿إِنَّما التَّوبةُ علىٰ اللهِ للَّذينَ يعمَلُونَ السُّوءَ بجهَالةٍ ثمَّ يتوبونَ مِن قريب فَأولئكَ يتوبُ اللهُ علَيهِم وكان اللهُ عليماً حكيماً﴾ (النساء/ ٤:٧١)،(نهج البلاغة ج٤ ص٢٤).

وقال (عليه السلام): «من أصلح ما بينه وبين الله، أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه، ومن كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ».

وقال (عليه السلام): «طوبىٰ لمن ذَلّ في نفسه، وطاب كسبه، وصلحت سريرته، وحسنت خليقته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من لسانه، وعزل عن الناس شره، ووسعته السُنَّة، ولم ينسب إلى البدعة» (نهج البلاغة ج٤).

وقال (عليه السلام): «الناس ثلاث: فعالم رباني، ومتعلم علىٰ سبيل نجاة، وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجأوا إلىٰ ركن وثيق» (نهج البلاغة ج٤).

من وصية لولده الحسن (عليه السلام)، أنه قال: «يا بني من أبصر عيب نفسه شُغِلَ عن عيب غيره، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن حفر لأخيه بئراً وقع فيه، ومن هتك حجاب أخيه انكشفت عورات بيته، ومن نسي خطيئته إستعظم خطيئة غيره، ومن أعجب برأيه ضل، ومن أستغنىٰ بفعله زل، ومن تكبر علىٰ الناس ذلّ، ومن سَفِهَ علىٰ الناس شُتِم، ومن خالط العلماء وُقِرّ، ومن خالط الأنذال حُقِرّ، ومن أكثر من شيء عرف به» (نزهة الناظر وتنبيه الخاطر).

وقال (عليه السلام): «من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف أمِنْ، ومن أعتبر أبصر، ومن فهم عَلِم، وصديق الجاهل في تعب» (نزهة الناظر وتنبيه الخاطر).

وقال (عليه السلام): «خذوا من العلم أحسنه، فإنّ النحل يأكل من كل زهرة أزينه، فيتولد منه جوهران نفيسان، أحدهما شفاء للناس، والآخر يستضاء

به، كل وعاءٍ يضيق بما يجعل فيه الاّ وعاء العلم فإنه يتسع» (شرح الغرر ٢/١٥٢٦ ـ من كتاب أقوال الأئمة).

وقال (عليه السلام): «مات خزان المال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر، أعيانهم مفقودة، وأمثالهم في القلوب موجودة» (البحار ج٧٨/٦٧، ونهج البلاغة ج٤ ص٢٦).

وقال المرحوم صالح الجعفري:

وأرىٰ المـال كالـرجـال فبعضٌ ... مات حياً وآخـر عاش ميتـا

وقـال (عليه السلام): «يا جابر قوام هذه الدنيا أربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وغني جواد بمعروف، وفقير لا يبيع آخرته بدنيا غيره» (بحار الأنوار ج١/١٧٨).

وقال (عليه السلام): «أوضَعُ العِلْمِ ما وقَفَ علىٰ اللّسان، وأرفعه ما ظهر في الجَوارِح والأركَان».

وقال (عليه السلام) لابنه الحسن: «يا بُنيّ إحفَظ عَنيّ أربعاً وَأربعاً لا يَضُـرّك ما عَمِلت مَعَهُنّ: أغْنَىٰ الغِنَىٰ العقـل. وَأكبرُ الفقر الحُمق. وأوحش الوَحشةِ العُجُب. وأكرمُ الحسب حسن الخُلق، يا بنيّ إياكَ ومصادقة الأحمق فإنه يُريد أنْ ينفعك فيضرّك. وإياك ومصادقة البخيل فإنّه يبعُد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنّه يُبعك بالتافه، وإياك ومصادقة الكذّاب فإنّه كالسراب يُقرّب عليك البَعيد ويبُعد عليك القريب.

* * *

مناقبه وفضائله (عليه السلام)

كما ذكره ابن الصباغ المالكي في كتابه الفصول المهمة

(فصل) في ذكر مناقبه الحسنة وما جاء في ذلك من الاحاديث والاخبار المستفيضة: فمن ذلك ما ورد في الصحيحين من المناقب لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

(الاولى) نزوله من المصطفى (صلّى الله عليه وآله) منزلة هارون من موسى.

(الثانية) شهادته (صلّى الله عليه وآله) أنه يحبه الله ورسوله.

(الثالثة) تخصيصه له بالراية ذات المرتبة العلية ووصفه له بالرجولة.

(الرابعة) الشجاعة المنسوبة إليه وفتح خيبر على يديه (عليه السلام).

(الخامسة) علمه المشهور وعمله المشكور.

(السادسة) زهده المعروف الشهير الموصوف.

(السابعة) القرابة الموصوفة بالنجابة.

(الثامنة) قوله (صلّى الله عليه وآله) اللهمّ هؤلاء أهلي وأشار إلى علي وفاطمة والحسن والحسين سلام الله عليهم أجمعين.

(التاسعة) تزويجه (صلّى الله عليه وآله) بابنته فاطمة سيدة نساء أهل الجنة.

(العاشرة) أنه (عليه السلام) من الرهط أولي الجاهات العراض الذين توفي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو عنهم راض.

(الحادية عشر) اقامته للحق غير مكترث بمعاداة الخلق كما اتفق في قتل

الفئة الباغية وجهادها المخطية للصواب في رأيها واجتهادها.

(الثانية عشر) قوله (صلّى الله عليه وآله) لعمار تقتلك الفئة الباغية ثم قتل وهو من عسكره وحزبه وفي نصرته (رضي الله عنه).

قال الشيخ العارف بالله عبد الله بن أسعد اليافعي (رحمه الله): قال علماؤنا من أئمة أهل الحق: هذا الحديث حجة ظاهرة في أن علياً (عليه السلام) كان محقاً ومصيباً والطائفة الأخرى بغاة لكنهم مجتهدون، وفيه معجزة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أوجه منها: أن عماراً يموت قتيلاً، وانه يقتله مسلمون وأنهم بغاة، وان الصحابة يقاتلونهم وانهم يكونون فرقتين باغية وغيرها.

قالوا: وكل هذا وقع مثل فلق الصبح (صلّى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) انتهى ذكره في كتابه المرهم.

(الثالثة عشر) قِدمَه في الإسلام مُذ هو غلام.

(الرابعة عشر) أن نسله من الزهراء البتول فاطمة بنت الرسول (رضي الله عنها).

(الخامسة عشر) شهرة محاسنه الجميلة واتصافه بكل فضيلة (رضي الله عنه). فمن ذلك ما رواه البيهقي في كتابه الذي صنفه في فضايل الصحابة (رضي الله عنهم) يرفعه بسنده إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) انه قال:

«من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، وإلى نوح في تقواه، وإلى إبراهيم في حلمه، وإلى موسى في هيبته، وإلى عيسى في عبادته، فلينظر إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام)».

وروى الامام أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني بسنده إلى عبد الله بن حكيم الجهني قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«إن الله ـ تبارك وتعالى ـ أوحى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي

بأنه سيد المؤمنين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين».

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزل قوله تعالىٰ ﴿**إنما أنت منذر ولكل قوم هاد**﴾ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«أنا المنذر وعلي الهادي وبك يا علي يهتدي المهتدون».

وعن مكحـول عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) في قوله تعالىٰ: ﴿**وتعيها أُذن واعية**﴾ قال: قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«سـألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ففعل».

فكان علي (عليه السلام) يقول: ما سمعت من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلاما إلا وعيته وحفظته ولم أنسه.

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال: لما نزلت هذه الآية ﴿**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أُولئك هم خير البرية**﴾ قال لعلي:

«هو أنت وشيعتك، تأتي يوم القيامة أنت وشيعتك وهم راضين مرضيين ويأتي عدوك غضباً مقحمين».

ونقل الواحدي في تفسيره يرفعه بسنده إلىٰ ابن عباس (رضي الله عنه) قال: كان مع علي بن أبي طالب اربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلاً وبدرهم نهاراً وبدرهم سراً وبدرهم علانية، فأنزل الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿**الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سراً وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون**﴾.

* * *

فقهه وقضاءه

قال ابن أبي الحديد:

قد عرفت إنّ أشرف العلوم هو العلم ألالهي، لأن أشرف العلم بشرف المعلوم، ومعلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم ومن كلامه (عليه السلام) أقتبس، وعنه نقل وإليه أنتهي ومنه أبتدأ، فَإنّ المعتزلة الذين هم أهل التوحيد والعدل، وأرباب النظر، ومنهم تعلم الناس هذا الفن تلامذته وأصحابه، لأن كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية، وأبو هاشم تلميذ أبيه، وأبوه بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتلميذه.

وأما الأشعرية فإنهم يرجعون إلى أبي الحسن بن أبي بشير الأشعري، وهو تلميذ أبي علي الجبّائي، وأبو علي أحد مشايخ المعتزلة، فالأشعرية ينتهون بالآخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلّمهم، وهو الامام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

والامامية، والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر.

ومن العلوم المهمة (علم الفقه) وهو (عليه السلام) اَصلَهُ وأساسَهُ وكل فَقِيهٍ في الإسلام فهو عيالٌ عليه، ومستفيد من فقهه وعلمه، وأما أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف، ومحمد، وغيرهما فأخذوا عن أبي حنيفة.

وأما الشافعي فقرأ علىٰ محمد بن الحسن، فيرجع فقهه إلى أبي حنيفة، وأبو حنيفة قرأ على الامام جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، وجعفر قرأ على أبيه، وينتهي إلى علي (عليه السلام).

وأما مالك فقرأ على ربيعة الرأي، وقرأ ربيعة على عِكرمة، وقرأ عكرمة

على عبد الله بن العباس، وقرأ عبد الله بن عباس على علي بن أبي طالب.

وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي بقرائته على مالك وكان ذلك لك، فهؤلاء الفقهاء الأربعة، أخذوا علمهم من علي بن أبي طالب بالواسطة.

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر، وايضاً فإن الصحابة الاوائل أمثال عمر بن الخطاب، وعبد الله بن العباس، فكلاهما أخذ عن علي (عليه السلام). أما ابن عباس فظاهر، وأما عمر فقد عرَف كلُّ أحدٍ رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة وقوله غير مرة خير شاهد علىٰ ذلك: «لولا علي لهلك عمر» وقوله: «لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن» وقوله: «لا يفتين أحدٌ في المسجد وعلي حاضر، فقد عرف بهذا الوجه انتهاء الفقه إليه (عليه السلام).

وقد روت العامة والخاصة قوله (صلّى الله عليه وآله): «أقضاكم علي». والقضاء هو الفقه، فهو اذن أفقههم.

وقد روىٰ الكل إنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) قال لعلي (عليه السلام) لما بعثه إلىٰ اليمن قاضياً: «اللهم إهدِ قلبَه، وثبت لسانه» قال علي (عليه السلام): فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين.

وهو (عليه السلام) الذي أفتىٰ ببراءة المرأة التي وضعت لستة أشهر، في حين أفتىٰ عثمان برجمها بتهمة الزنا.

وهو الذي أفتىٰ في الحامل الزانية، حيث أوقف رجمها، وقال لعمر بن الخطاب (ما معنىٰ) اذا كان لك عليها سلطان، فما لك علىٰ الجنين سلطان.

فلأمير المؤمنين (عليه السلام) قضايا وأحكام وأجوبة ومسائل عجيبة، منها ما وقع في حياة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ومنها في عهد الخلفاء الثلاثة، ومنها في خلافته هو، وقد نقل ذلك فطاحل العلماء وأرباب السِير في كتبهم.

١ ـ منها: كتاب ضخم ذكره العلامة الشيخ البهائي في أربعينه وقال: إنه اطّلع عليه بخراسان.

٢ ـ كتاب محمد بن قيس البجلي من أصحاب الصادقين (عليهما السلام) رواه النجاشي والشيخ الطوسي بسنديهما.

٣ ـ كتاب المعلىٰ بن محمد البصري ذكره النجاشي.

٤ ـ كتاب الترمذي صاحب الصحيح.

٥ ـ عجائب أحكامه رواية محمد بن علي بن إبراهيم بن هشام عن جده كُتِبَ بين عام ٤١٠ ـ وعام ٤٢٠هـ.

٦ ـ ما أشتمل عليه كتاب الارشاد للشيخ المفيد من قضاياه وأحكامه في زمن النبي (صلّى الله عليه وآله) وزمن الخلفاء الثلاثة وفي زمن خلافته.

٧ ـ ما أشتمل عليه كتاب المناقب لابن شهر آشوب.

٨ ـ عجائب أحكامه الذي جمعه العلامة السيد محسن الأمين في كتاب علي بن محمد إبراهيم المقدم ذكره.

وسنعرض جانباً من علمه (عليه السلام) في هذا الباب:

اختلف الرواة في بعث النبي (صلّى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) إلى اليمن، وخلاصة القول: إن رسول الله صلّى الله عليه وآله) بعث علياً (عليه السلام) في بادئ الأ مر إلى همدان باليمن سنة ثمانية من الهجرة بعد فتح مكة، فأسلمت همدان كلها في يوم واحد، فكتب بذلك إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) فخر لله ساجداً، ثم جلس وقال: «السلام على همدان». والمرة الثانية بعثه إلى بني مذحج في اليمن لتبليغهم وارشادهم والقضاء بينهم وذلك في شهر رمضان المبارك من السنة العاشرة، وبرجوعه (عليه السلام) التحق بالنبي (صلّى الله عليه وآله) في مكة بحجة الوداع حينما كتب له من المدينة لما عزم على الحج.

وفي سيرة دحلان: روى أبو داود وغيره من حديث علي قال: «بعثني النبي

(صلّى الله عليه وآله) إلى اليمن فقلت: يا رسول الله تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أبصر القضاء، فوضع يده على صدري فقال: اللهم ثبت لسانه واهدِ قلبه، وقال: يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر، فإنك إذا فعلت ذلك تبين لك القضاء. قال علي: والله ما شككت في قضاء بين اثنين».

وهذا يدل على ان بعثه كان للقضاء لا للغزو والحرب والفتح لقوله «تبعثني إلى قوم وأنا حديث السن لا أبصر القضاء» فإن هذا صريح في إنه بعثه للقضاء وإلا فلا معنى لهذا القول، واصرح من ذلك ما ذكره المفيد في الارشاد حيث روى.

قضاياه في حياة الرسول (صلّى الله عليه وآله) في غير اليمن

ما رواه المفيد في الارشاد، وإبراهيم بن هاشم في عجائب أحكامه مرسلاً، ورواه ابن شهر آشوب في المناقب عن مصعب بن سلام عن الصادق (عليه السلام): إنه اختصم رجلان إلى النبي (صلّى الله عليه وآله) في بقرة قتلت حماراً، فسأل عنها أبا بكر وعمر فقالا: بهيمة قتلت بهمية لا شيء على ربها، وقال علي بن أبي طالب: «إن كانت البقرة دخلت على الحمار في منامه فعلى ربها قيمة الحمار لصاحبه وإن كان الحمار دخل على البقرة في منامها فقتلته فلا غرم على صاحبها».

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «لقد قضى بينكما علي بقضاء الله، ثم قال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داود في القضاء» وفي رواية: «الحمد لله الذي جعل منا من يقضي بقضاء النبيين».

قال المفيد: روى بعض العامة إن هذه القضية كانت منه بين الرجلين في اليمن، وروى بعضهم حسبما قدمناه، ويمكن تعدد الواقعة.

١ ـ قال شريح: كنت أقضي لعمر بن الخطاب، فأتاني يوماً رجل فقال لي: يا أبا أمية إنّ رجلاً أودعني امرأتين، احداهما حرة مهيرة، والآخرى سرية، فجعلتهما في دار، واصبحت اليوم وقد ولدتا غلاما وجارية، وكلتاهما تدعي الغلام وتنفي الجارية، فاقض بينهما بقضائك، فلم يحضرني شيء فيهما، فأتيت عمر فقصصت عليه القصة فقال: فما قضيت بينهما؟ قلت: لو كان عندي قضاؤهما ما أتيتك فجمع عمر جميع من حضر من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله) وأمرني فقصصت عليهم ما حدثته به، وشاورَهم وكلهم ردوا الرأي إليَّ وإليه.

فقال عمر: ولكني أعرف حيث مفزعها وأين منتزعها.

قالوا: كأنك أردت ابن أبي طالب؟

قال: نعم، وأين المذهب عنه.

قالوا: فابعث إليه يأتيك.

فقال: لا، له شمخة من هاشم، وأثرة من علم، يؤتى له ولا يأتي، وفي بيته يؤتى الحكم، فقوموا بنا إليه. فأتينا أمير المؤمنين (عليه السلام) فوجدناه في حائط له يركل فيه على مسحاته ويقرأ: ﴿أيحسب الانسان أن يترك سدى﴾ ويبكي، فأمهلوه حتى سكن، ثم استأذنوا عليه، فخرج إليهم وعليه قميص قد نصّف اردانه، فتوجه علي إلى عمر وقال: ما الذي جاءك؟

فقال: عرض، وأمرني فقصصت عليه القصة.

قال: فبم حكمت فيها؟

قلت: لم يحضرني حكم فيها، فأخذ بيده من الأرض شيئاً ثم قال: الحكم فيها أهون من هذا. ثم أحضر المرأتين وأحضر قدحا، ثم دفعه إلى احداهما فقال احلبي فيه فحلبت فيه ثم وزن القدح ودفع إلى الآخرى فقال: احلبي فيه، فحلبت فيه ثم وزنه، فقال لصاحبة اللبن الخفيف: خذي ابنتك ولصاحبة اللبن الثقيل خذي ابنك، ثم التفت إلى عمر فقال: أما علمت أنّ الله تعالى حط المرأة

عن الرجل فجعل عقلها وميراثها دون عقلهوميراثه، وكذلك لبنها دون لبنه.

فقال عمر: لقد ارادك الحق يا أبا الحسن ولكن قومك أبوا.

فقال (عليه السلام): هوّن عليك أبا حفصٍ، أن يوم الفصل كان ميقاتا[1].

٢ ـ سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن رجل ضرب رجلاً على هامته فادعى المضروب أنّه لا يبصر شيئاً، ولا يشم الرائحة، وإنّه قد ذهب لسانه.

فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن صدق فله ثلاث ديات».

فقيل: يا أمير المؤمنين فكيف يعلم إنّه صادق؟

فقال: أمّا ما ادعاه أنّه لا يشم رائحة، فإنّه يدني منه الحراق، فإن كان كما يقول وإلاّ نحّى رأسه ودمعت عينه، فإمّا ما ادعاه في عينيه، فإنّه يقابل بعينيه الشمس، فإن كان كاذباً لم يتمالك حتى يغمض عينيه، وإن كان صادقاً بقيتا مفتوحتين؛ وأمّا ما ادعاه في لسانه، فإنه يضرب على لسانه بابرة، فإن خرج الدم إحمراً فقد كذب، وإن خرج الدم اسوداًفقد صدق[2].

٣ ـ روي عن الصادق (عليه السلام): إنّ رجلاً أقبل علىٰ عهد علي (عليه السلام) من الجبل حاجاً ومعه غلام له، فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاي، بل أنا مولاك، فما زال ذا يتوعد ذا، وذا يتوعد ذا ويقول: كما أنت حتىٰ نأتي الكوفة يا عدو الله فأذهب بك إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فلما أتيا الكوفة أتيا أمير المؤمنين، فقال الذي ضرب الغلام: هذا غلام لي وأنّه أذنب فضربته، فوثب عليّ.

وقال الآخر: هو والله غلام لي، وإنّ أبي أرسلني معه ليعلمني وأنّه وثب عليّ

(١) قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للتستري ١٢١.

(٢) وسائل الشيعة ١٩ ـ ٢٧٩.

يدعيني ليذهب بمالي.

قال: فأخذ هذا يحلف وهذا يحلف، وهذا يكذّب هذا، وهذا يكذّب هذا.

فقال (عليه السلام): انطلقا فتصافيا ليلتكما هذه ولا تجيئاني إلاّ بحق.

قال: فلما أصبح أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لقنبر: أثقب في الحائط ثقبين؛ وكان (عليه السلام) إذا أصبح عقّب حتىٰ تصير الشمس علىٰ رمح، فجاء الرجلان، وأجتمع الناس فقالوا: لقد وردت عليه قضية ما ورد عليه مثلها، لا يخرج منها.

فقال لهما: ما تقولان؟ فحلف هذا أنّ هذا عبده، وحلف هذا أنّ هذا عبده، فقال لهما: قوما فإني لست أراكما تصدقان، ثم قال لأحدهما: أدخل رأسك في هذا الثقب، ثم قال للآخر: أدخل رأسك في هذا الثقب، ثم قال: يا قنبر عليَّ بسيف رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عجل اضرب به رقبة العبد منهما. قال: فأخرج الغلام رأسه مبادرا، ومكث الآخر في الثقب. فقال علي (عليه السلام) للغلام: ألست تزعم أنّك لست بعبد؟ فقال: بلى، ولكن ضربني، وتعدّى عليَّ.

فتوثق له أمير المؤمنين ودفعه إليه[1].

٤ ـ أُتي عمر بن الخطاب بامرأة قد تعلقت بشاب من الانصار وكانت تهواه، فلما لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فالقت صفرتها وصبت البياض على ثوبها وبين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة فقالت: إنّ هذا الرجل غلبني على نفسي، وفضحني في أهلي، وهذا أثر فعاله.

(١) وسائل الشيعة ٢٠٩/١٨. قضاء أمير المؤمنين (عليه السلام) للتستري ص٧. ومن الجدير بالذكر إنّ بعض الحكام أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقد ترافع إليه في قتيل، والتهمة موجهة إلى جماعة ولم يتمكن من تشخيصه من بينهم مع كثرة المرافعات وفي آخر جلسة قال: برتكم المحكمة، فخرجوا، فصاح القاتل يقف، فوقف احدهم، واخيرا اعترف.

فسأل عمر النساء فقلن له: إنّ ببدنها وثوبها أثر المني، فهم بعقوبة الشاب، فجعل يستغيث ويقول: تثبت في أمري فوالله ما أتيت فاحشة وما هممت بها، فلقد روادتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن ما ترى في إمرهما؟ فنظر علي إلى ما على الثوب، ثم دعا بماء حار شديد الغليان، فصب على الثوب فجمد ذلك البياض، ثم أخذه وشمه وذاقه فعرف طعمه، وزجر المرأة فاعترفت[1].

٥ ـ وجد (عليه السلام) شاباً يبكي وحوله قوم يسكتونه، وكانت قصته: أنّ أباه خرج مع قوم في سفر فادعوا وفاته، وانكروا ماله، بينما كان عنده مال كثير، وقد حكم شريح القاضي لهم وبرّأهم.

فاستدعى (عليه السلام) الرجال، وطلب احضار شرطة الخميس، ووكل بكل رجل اثنين من الشرطة، ثم دعاهم، ونظر في وجوههم وقال لهم: تقولون ماذا، كأني لا أعلم بما صنعتم بوالد هذا الشاب، ثم أمر بهم ففرق بينهم[2]، وأقيم كل واحد منهم إلى إسطوانة من أساطين المسجد، ثم دعا كاتبه عبد الله بن أبي رافع فقال: اكتب، ثم قال للناس: إذا كبرت فكبروا، ثم دعا بأحدهم وسأله: في أي يوم خرجتم من منازلكم، وفي أي شهر، وفي أي سنة، وفي أي منزل مات والد هذا الشاب، وما كان مرضه، وكم كانت مدة مرضه، ومن كان ممرضه، وفي أي يوم مات، ومن كفّنه، وفيم كفنتموه، ومن صلى عليه، ومن أدخله القبر؟ والرجل يجيب على الأسئلة ولما انتهى (عليه السلام) من الأسئلة كبّر وكبّر أصحابه كلهم، فارتاب اولئك الباقون، ولم يشكوا في إن صاحبهم قد أقر عليهم وعلى نفسه وأمر

(١) الغدير ١٢٦/٦ عن الطرق الحكمية لابن القيم.

(٢) ثبت تاريخيا أنّه (عليه السلام) أول من فرّق بين المتهمين، وأول من دوّن شهادة الشهود واعترافات المتهمين.

(عليه السلام) بالرجل إلى الحبس.

ثم دعا بآخر فقال له: كلا زعمت أنّي لا أعلم ما صنعتم بوالد هذا الشاب. فقال الرجل: ما أنا إلاّ كواحد منهم، كنت كارهاً لقتله.

ولما أقر هذا الرجل جعل (عليه السلام) يدعو الباقين واحداً فواحداً وقد أقروا جميعهم، ثمّ دعا الذي أمر به إلى السجن فأقر كذلك، فألزمهم المال والدم[1].

٦ ـ عن حنش بن المعتمر قال: إنّ رجلين أتيا امرأة من قريش فاستودعاها مائة دينار وقالا: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه حتىٰ نجتمع، فلبثا حولاً ثم جاء أحدهما إليها فقال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدنانير، فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتى دفعتها إليه، ثم لبث حولاً آخر، فجاء الآخر وقال: ادفعي إليّ الدنانير. فقالت: إنّ صاحبك جاءني، وزعم إنّك قد متّ، فدفعتها إليه.

فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليها وقال: ما أراك إلاّ ضامنة.

فقالت: انشدك الله أن لا تقضي بيننا وأرفعنا إلى علي بن أبي طالب. فرفعهما إلى علي وعرف أنهما قد مكرا بها، فقال: أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منا دون صاحبه؟

قال: بلى.

قال: فإن مالك عندنا، أذهب فجيء بصاحبك حتى ندفعها لكما؛ فبلغ ذلك عمر فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب[2].

(١) قضاء الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) للشيخ حسين علي الشفائي.

(٢) الغدير ١٢٦/٦ عن الاذكياء لابن الجوزي/١٨، أخبار الظراف لابن الجوزي/١٩ الرياض النضرة ١٨٧/٢، ذخائر العقبى/٨٠، تذكرة سبط ابن الجوزي/٨٧، مناقب الخوارزمي/٦٠.

٧ ـ يروىٰ أن امرأتين تنازعتا علىٰ عهد عمر في طفل أدعته كل واحدة منهما ولدا لها بغير بينّة، ولم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم في ذلك على عمر، وفزع فيه إلى أمير المؤمنين، فأستدعى المرأتين ووعظهما وخوفهما فاقامتا على التنازع والاختلاف. فقال (عليه السلام) عند تماديهما في التنازع: أئتوني بمنشار.

فقالت المرأتان: ما تصنع؟

قال: أقده نصفين، لكل واحدة منكما نصفه، فسكتت احداهما، وقالت الآخرى: الله الله يا أبا الحسن، أن كان لا بد من ذلك فقد سمحت به لها.

فقال (عليه السلام): الله أكبر، هذا ابنك دونها، لو كان ابنها لرقت عليه واشفقت، فاعترفت المرأة الآخرى بأن الحق مع صاحبتها، والولد لها دونها، فسرى عن عمر، ودعا لأمير المؤمنين بما فرج عنه من القضاء[1].

٨ ـ أُتي بامرأة قد ولدت لستة أشهر فهم برجمها عثمان، فقال أمير المؤمنين: إن خاصمتك بكتاب الله خصمتك، إنّ الله تعالىٰ يقول: ﴿**وحمله وفصاله ثلاثون شهراً**﴾ ثم قال: ﴿**والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة**﴾ فحولين مدة الرضاع، وستة أشهر مدة الحمل.

فقال عثمان: ردوها[2].

٩ ـ رفع إلى عمر: أنّ عبداً قتل مولاه، فأمر بقتله، فدعاه علي (عليه السلام) فقال له: قتلت مولاك؟

قال: نعم.

قال: ولم قتلته؟

قال: غلبني على نفسي، وأتاني في ذاتي.

---

(١) الارشاد للشيخ المفيد/٩٦.

(٢) المناقب ١/٥٠١.

فقال علي (عليه السلام) لأولياء المقتول: أدفنتم وليكم؟

قالوا: نعم.

قال: ومتى دفنتموه؟

قالوا: الساعة.

فقال (عليه السلام) لعمر: احبس هذا الغلام ولا تحدث فيه حدثاً حتى تمر عليك ثلاثة أيام، ثم قال لأولياء المقتول: إذا مضت ثلاثة أيام أحضرونا، فلما مضت ثلاثة أيام حضروا، فأخذ علي (عليه السلام) بيد عمر وخرجوا حتى وقفوا على قبر الرجل، فقال علي (عليه السلام) لأوليائه: هذا قبر صاحبكم؟

قالوا: نعم.

قال: أحفروا حتى انتهوا إلى اللحد فقال: أخرجوا ميتكم، فنظروا إلى أكفانه في اللحد فلم يجدوه ، فأخبروه بذلك.

فقال (عليه السلام): الله أكبر والله ما كذبت ولا كذبت، سمعت رسول الله يقول: من يعمل من أمتي عمل قوم لوط ثم يموت على ذلك، فهو يؤجل إلى أن يوضع في لحده، فإذا وضع فيه لم يمكث أكثر من ثلاث حتى تقذفه الأرض إلى جملة قوم لوط المهلكين، فيحشر معهم .

١٠ ـ قال عاصم بن حمزة: إنّ غلام وامرأة أتيا عمر فقال الغلام: هذه والله أُمي، حملتني في بطنها تسعاً، وأرضعتني حولين كاملين فانتفت مني وطردتني، وزعمت إنها لاتعرفني؛ فأتوا بها مع أربعة أخوة لها، وأربعين قسّامة يشهدون لها أنّ هذا الغلام مدع ظلوم يريد أن يفضحها في عشيرتها، وأنّها بخاتم ربها ولم يتزوج بها أحد. فأمر عمر باقامة الحد عليه، فرأى عليا (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين أحكم بيني وبين أمي. فجلس (عليه السلام) موضع النبي (صلّى الله عليه وآله) فقال (عليه السلام) لكِ وليّ؟

قالت: نعم، هؤلاء الأربعة أخوتي.

فقال (عليه السلام): حكمي عليكم جايز وعلى أختكم؟

قالوا: نعم.

فقال (عليه السلام): أُشهد الله وأُشهد من حضر، أني زوجت هذه الامرأة من هذا الغلام بأربعمائة درهم، والنقد من مالي، يا قنبر عليّ بالدراهم، فأتاه بها فقال: خذها فصبها في حجر امرأتك ، وخذ بيدها إلى المنزل، فصاحت المرأة: الامان يا ابن عم رسول الله، هذا والله ولدي، زوجني أخوتي هجيناً فولدت منه هذا، فلما بلغ وترعرع أنفوا، وأمروني أن أنتفي منه وخفت منهم. فأخذت بيد الغلام فأنطلقت به.

فنادى عمر: لولا علي لهلك عمر .

ثورٌ قتل حماراً

على عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) فرفع ذلك إليه، وهو في أُناس من أصحابه، منهم أبو بكر وعمر وعثمان، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): يا أبا بكر، إقض بينهما.

فقال: يا رسول الله، بهيمة قتلت بهيمة، ما عليها شيء.

فقال: النبي (صلّى الله عليه وآله) لعمر: يا عمر، اقض بينهما. فقال كقول صاحبه أبي بكر.

فالتفت النبيُّ (صلّى الله عليه وآله) إلى عليٍّ (عليه السلام) وقال له: يا علي، اقض.

فقال: حبّاً وكرامة، إن كان الثور دخل على الحمار فقتله في مستراحه ضمن أصحاب الثور ديَّة الحمار، وإن كان الحمار دخل على الثور في مستراحه فلا ضمان على صاحب الثور.

فرفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يده إلى السماء وقال: الحمد لله

الذي مَنَّ على العباد بمَن يقضي قضاء النبيين.

ذكره الحافظ أبو الفوارس في الأربعين ـ ص١٣ مخطوط، وكذلك ذكره العلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٧٦ ط اسلامبول.

عن زيد بن أرقم، قال: كان عليٌّ (عليه السلام) باليمن فأُتي بامرأة وطأها ثلاثة نفر في طهر واحد، فسأل اثنين: أتقران لهذا بالولد؟ فلم يقرّا، ثمَّ سأل اثنين: أتقرّان لهذا بالولد؟ فلم يقرّا، ثمَّ سأل اثنين اثنين حتىٰ فرغ فلم يقرّوا، ثمَّ أقرع بينهم فألزم ولد الذي خرجت عليه القرعة، وجعل عليه ثلثي الديّة، فرُفِعَ ذلك للنبي (صلّى الله عليه وآله) فضحك حتّى بدت نواجذه، ثمَّ قال: لا أعلم فيها إلّا ما قضى علي.

هذا ملخص ما ذكره رواة الحديث من أعلام القوم.

منهم الحافظ أحمد بن حنبل في «مسنده» ج٤ ص٣٧٣ ط مصر. ومنهم الحافظ النسائي في «السنن» ج٢ ص١٠٧ ط مصر، وغيرهم.

للمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج٨ ص٤٩ إلى ٥٥.

قضاؤه (عليه السلام) في أربعة سقطوا عن الزُّبيَةِ[1]

عن عليّ (عليه السلام) قال: بعثني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى اليمن فانتهينا إلى قومٍ قد بنوا زبية للأسد فبينا هم يتدافعون إذ سقط رجل فتعلق بآخر، ثمَّ تعلّق رجل بآخر حتّى صاروا أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربة فقتله، وماتوا من جراحهم كلّهم، فقام أولياء الأوّل إلى أولياء الآخر. فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم عليٌّ (عليه السلام) على تفيئة ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) حي؟! إنّي أقضي

(١) الزُّبيّة: حفرة في موضع عالٍ تغطّى فوهتها، فإذا وطأها الأسد وقع فيها.

بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء، وإلّا حجز بعضكم عن بعض حتّى تأتوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمَن عدا بعد ذلك فلا حق له. اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الديّة، وثلث الديّة، ونصف الديّة، والديّة كاملة. فللأوّل الربع لأنّه هلك من فوقه، وللثاني ثلث الديّة، وللثالث نصف الديّة. وللرابع الدّية كاملة.

فأبوا أن يرضوا، فأتوا النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو عند مقام إبراهيم، فقصّوا عليه القصّة فقال: أنا أقضي بينكم وأحتبي.

فقال رجل من القوم: إنَّ عليّاً قضى فينا. فقصّوا عليه القصّة فأجازه رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم.

منهم العلّامة أحمد بن حنبل في «المسند»ج١ ص٧٧ ط مصر.

ومنهم العلّامة الطحاوي في «مشكل الآثار» ج٢ ص٥٨ ط حيدر آباد.

ومنه العلّامة البيهقي في «السنن الكبرى» ج٨ ص١١١ ط حيدر آباد.

ومنهم سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» ص٤٩ ط الغري.

ومنهم العلّامة محب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص٨٤ ط مصر، وغيرهم. نقلتها ملخصاً مع التصرّف في العبارة.

وللمزيد راجع المصادر في الجزء ٨ من كتاب إحقاق الحق من ص٦٧ إلى ص٧٠ الباب الرابع.

رجلين يتغديان لأحدهما خمسة أرغفة وللآخر ثلاثة

عن زرّ بن حبيش، قال: جلس رجلان يتغدّيان مع أحدهما خمسة أرغفة، ومع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا «الطعام» الغذاء بين إيديهما مرَّ بهما رجل فسلّم، فقالا: أجلس للغذاء.فجلس وأكل معهما، واستووا في أكلهم الأرغفة الثمانية،

فقام الرجل وطرح إليهما ثمانية دراهم، وقال: خذا هذا عِوضاً ممّا أكلت ونلته من طعامكما.

فتنازعا، وقال صاحب الخمسة أرغفة: لي خمسة دراهم ولك ثلاث. وقال صاحب الثلاثة أرغفة: لا أرضى إلّا أن تكون الدراهم بيننا نصفين، وارتفعا إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقصّا عليه قصّتهما.

فقال لصاحب الثلاثة إرغفة: قد عرض عليك صاحبك ما عرض وخبزه أكثر من خبزك، فارض بثلاثة.

فقال: لا، والله، لا رضيت منه إلّا بمرِّ الحق.

فقال علي (عليه السلام): ليس لك في مرِّ الحق إلّا درهم واحد، وله سبعة.

فقال الرجل: سبحان الله يا أمير المؤمنين، هو يعرض عليَّ ثلاثة دراهم فلم أرض، فأشرت عليَّ بأخذها فلم أرض، وتقول لي الآن إنّه لا يجب في مرِّ الحق إلّا درهم واحد.

فقال له الإمام علي (عليه السلام): عرض عليك صاحبك الثلاثة صلحاً فقلت له: لم أرض إلّا بمرِّ الحق، ولا يجب لك بمرِّ الحق إلّا درهم واحد.

فقال الرجل: فعرِّفني بالوجه في مرِّ الحق حتّى أقبله.

فقال علي (عليه السلام): أليس للثمانية أرغفة أربعة وعشرون سهماً ثلثاً، أكلتموها وأنتم ثلاثة أنفس، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً، ولا الأقل، فتحملون في أكلكم على السواء؟ قال: بلى.

قال: فأكلت أنت ثمانية أثلاث، وإنما لك تسعة أثلاث؛ وأكل صاحبك ثمانيه أثلاث، وله خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية ويبقى له سبعة، وأكل لك واحدة من تسعة، فلك واحد بواحدك، وله سبعة بسبعته.

فقال له الرجل: رضيت الآن.

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم.

منهم الحافظ ابن عبد البر في «الاستيعاب» ج٢ ص٤٦٢ ط حيدر آباد دكن.

ومنهم العلّامة محب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص٨٤ ط مصر.

ومنهم العلّامة السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص١٧٩ ط مصر.

ومنهم العلّامة ابن حجر العسقلاني في «الصواعق المحرقة» ص٧٧ ط مصر.

ومنهم العلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٢٨٨ ط إسلامبول.

وللمزيد راجع بعض المصادر الأخرى في كتاب إحقاق الحق ج٨ من ص٧١ إلى ص٧٣.

من حكمه وقضائه

إن رجلاً أُتي به إلى عمر بن الخطاب، وكان صدر منه انه قال لجماعة من الناس وقد سألوه كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحب الفتنة وأكره الحق، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بما لم أره، وأقر بما لم يخلق فرفع ذلك إلى عمر فحار في حل هذا اللغز فعرض ذلك إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) لحله، فلما سأله الامام أعاد الرجل مقالته قال: صدق الرجل، يحب الفتنة، قال: الله تبارك وتعالى ﴿**إنما أموالكم وأولادكم فتنة**﴾ ويكره الحق وهو (الموت) قال تعالى ﴿**وجاءت سكرة الموت بالحق**﴾ ويصدق اليهود والنصارى قال الله تعالى ﴿**وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء**﴾ ،ويؤمن بما لم يره، يؤمن بالله عز وجل، ويقر بما لم يَخلق يعني الساعة: فقال عمر: أعوذ بالله من معضلة لا علي لها.

وقال سعيد بن المسيب كان عمر يقول اللّهم لا تبقني لمعضلة ليس فيها أبو الحسن.

وقال عدة مرات لولا علي لهلك عمر.

شجاعة الامام علي (عليه السلام)

كان علي (عليه السلام) شجاعاً مقداماً، تزلزل له قلوب الشجعان وتموت واجفة خائفة، وقد أفتخر كل قرن شجاع بالانتماء إليه، حتى أن معظم زعماء وملوك العالم الإسلامي ترسم صورته وأسمه على سيوفهم، وسل عن الحروب والغزوات التي خاضها بين يدي الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) مدافعاً عن بيضة الإسلام، كغزوة بدر، وأُحد، والخندق، وبني قريضة، والحديبية، وخيبر، وفتح مكة، وبني جذيمة، وحنين، وبني زبيدة، وأخيراً غزوة ذات السلاسل،وغيرها المذكورة في الصحاح والمسانيد وكتب السِيَر والتاريخ.

وهل بعد نداء جبرئيل بين السماء والأرض يوم أُحد «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتىٰ إلّا علي» مقالة قائل؟!!

والآن أقدِّم لك ـ عزيزي القارئ ـ في هذا الفصل مختارات من الأخبار الواردة في شجاعة الامام علي (عليه السلام) وهي أشهر من أن تذكر ـ مع الاشارة في ذيل كل حديث إلى محل وروده في كتاب إحقاق الحق وللتفصيل انظر فصل الغزوات.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«عليٌّ مثل موسى في شوكته وشجاعته» (ج٤/ح٤٠٣).

«عليٌّ أشجع الناس قلباً» (ج٤/١٠٧، ١٥٠، ٣٣١، ج٢٠/ ٢٨٨، ٤٤٢، ٥١٤، ٥١٦).

«إنّ لعليٍّ الشجاعة كما أنَّ للنبي (صلّى الله عليه وآله) الرسالة والنبوّة» (ج٥/٢).

«إنَّ الله تعالىٰ إيَّد رسوله (صلّى الله عليه وآله) بعليّ» (ج٦/ ١٣٩،١٥٣).

«عليٌّ صاحب لواء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الدنيا والآخرة» (ج٤/٢٦٥.٧٦٢).

«عليٌّ قتل أصحاب الألوية يوم الخندق» (ج٥/٧٢).

«عليٌّ قاتل الكفرة» (ج٤/٢٣٥).

«عليٌّ قاتل الفجرة» (ج٤/٢٣٤، ج٥/٥٠).

«عليٌّ قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» (ج٤/٨٥، ٢٤٨).

«عليٌّ قاتل اللات والعزى» (ج٦/١١٠).

«لأقاتلن العالقة بيد عليٍّ» (ج٦/٥٠٠).

«عليٌّ يقاتل على التأويل» (ج٥/٥٢، ج٦/٢٤.٢٧).

«ضربة عليٍّ يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين» (ج٦/٤.٨).

«يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضع عملك يوم أُحد على كفّة أُخرى، لرجح عملك على جميع ما عَمِلَ الخلائق، وإنّ الله باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، ورفع الحجب من السماوات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وأبتهج بفعلك رب العالمين، وإنّ الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبطك كلّ نبيٍّ ورسولٍ وصدّيقٍ وشهيد» (ج٦/ ١١٠).

«عليٌّ أسدُ الله الغالب» (ج٤/٣٧٩).

عليٌّ أشجع العرب» (ج٥/٦٠).

«لا فتى إلّا علي ولا سيف إلّا ذو الفقار» (ج٦/١١٠).

* * *

ونذكر في هذا المقام عناوين أهم الأحداث و المواقع التي ظهرت شجاعته وتفانيه في ذات الله وسنأتي عليها مفصلاً إنشاء الله.

١ ـ مبيته على فراش النبي (صلّى الله عليه وآله).

٢ ـ معركة بدر الكبرى.

٣ ـ معركة أُحد.

٤ ـ معركة الاحزاب.

٥ ـ غزوة خيبر.

٦ ـ غزوة بني قريضة.

٧ ـ غزوة حنين.

وثمة حروب خاضها في عصر خلافته:

١ ـ الجمل: قاتل فيها «الناكثين».

٢ ـ صفين: قاتل فيها «القاسطين».

٣ ـ النهروان: قاتل فيها «المارقين».

* * *

جوده وصدقاته

كان (عليه السلام) غاية في الجود، وقد وردت آيات بينات كثيرة تشير إلى سخائه وإنفاقه وإيثاره وكرمه ذكرتها في الجزء الأول من كتابي «عليٌّ في الكتاب والسنة» منها سورة الإنسان ﴿هل أتى﴾.

كما وردت أحاديث مروية عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وعن الأئمة من أهل بيته (عليهم السلام)، والصحابة، أذكر هنا نزراً يسيراً منها:

روى ابن شاذان القمّي في «المائة منقبة» حديث ١٢، بإسناده إلى الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال:

كنت عند النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إذ أقبل علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال النبيّ: يا أبا هريرة، أتدري مَن هذا؟ قلت: نعم يا رسول الله، هذا علي بن أبي طالب.

فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): هذا البحر الزاخر، هذا الشمس الطالعة، أسخى من الفرات كفّاً، وأوسع من الدنيا قلباً، فمَن أبغضه فعليه لعنة الله.

وعن أبي هريرة أيضاً إنه قال: كان في المدينة مجاعة، ومرَّ بي يوم وليلة لم أذق شيئاً، وسألت أبا بكر آية كنت أعرف بتأويلها منه، ومضيت معه إلى بابه وردعني، وانصرفت جائعاً يومي، وأصبحت وسألت عمر آية كنت أعرف منه بها، فصنع كما صنع أبو بكر.

فجئت اليوم الثالث إلى عليّ (عليه السلام) وسألته ما يعلمه فقط، فلمّا أردتُ أن أنصرف. دعاني إلى بيته فأطعمني رغيفين وسمناً، فلمّا شبعت إنصرفت

إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فلمّا بصر بي ضحك في وجهي وقال: أنت تحدّثني أو أحدّثك؟ ثمّ قصّ عليَّ ما جرى، وقال لي: جبرئيل عرَّفني.

رواه ابن شهر آشوب في المناقب ج٢/٧٣ ط دار الأضواء ـ بيروت.

عن ابن عبّاس أنّ المقداد قال له: أنا منذ ثلاثة أيّام ما طعمت شيئاً، فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام) وباع درعه بخمسمائة، ودفع إليه بعضها، وأنصرف متحيّراً، فناداه أعرابيّ: اشتر منيّ هذه الناقة مؤجّلاً، فاشتراها بمائة درهم، ومضى الأعرابيُّ، فاستقبله آخر وقال: بعني هذه بمائة وخمسين درهماً، فباع وصاح: يا حسن ويا حسين، امضيا في طلب الأعرابيّ وهو على الباب. فرآه النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو يتبسّم ويقول: يا عليّ، الأعرابيّ صاحب النّاقة جبرئيل والمشتري ميكائيل، يا عليّ المائة عن النّاقة، والخمسين بالخمس الّتي دفعتها إلى المقداد، ثم تلا: ﴿ومن يتّق الله يجعل له مخرجا * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[1].

رواه ابن شهر آشوب أيضاً في المناقب ج٢/٧٨.

قال الحافظ أبو الفداء ابن كثير الدمشقي المتوفّى سنة ٧٧٤ هـ، في «البداية والنهاية» ج٨/١٠: روى الحافظ ابن عساكر من طريق أبي زكريا الرملي: ثنا يزيد بن هارون، عن نوح بن قيس، عن سلامة الكندي، عن الأصبغ بن نباتة، عن علي أنّه جاءه رجل فقال: يا أمير المؤمنين إنَّ لي إليك حاجة فرفعتها إليك، فإنْ أنتَ قضيتها حمدتُ الله وشكرتُك، وإنْ أنتَ لم تقضها حمدتُ الله وعذرتك.

فقال عليٌّ: اكتب حاجتك على الأرض، فإنّي أكره أن أرى ذلَّ السؤال في وجهك.

---

(١) سورة الطلاق آية٢ ـ ٣.

فكتب: إنّي محتاج.

فقال عليٌّ: عليَّ بحلّة، فأتي بها، فأخذها الرجل فلبسها، ثمَّ أنشأ يقول:

كسوتَني حلةً تبلىٰ محاسنُها ... فسوفَ أكسوكَ من حسنِ الثنا حُلَلاً
إنْ نلتَ حسُن ثنائي نلتَ مكرمةً ... ولستُ أبغي بها قدْ قلتهُ بدلا
إنَ الثناءَ ليحيي ذكرَ صاحبه ... كالغيثِ يحيي نداهُ السهلَ والجبلا
لا تزهد الدهرَ في خيرٍ تواقعُهُ ... فكلُّ عبدٍ سيجزَىٰ بالذي عملا

فقال علي: عليَّ بالدنانير. فأُتي بمائة دينار، فدفعها إليه.

قال الأصبغ: فقلت: يا أمير المؤمنين، حلّة ومائة دينار!

قال: نعم! سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «أنزلوا الناس منازلهم» وهذه منزلة هذا الرجل عندي.

ورواه الشيخ الصدوق في «الأمالي» ص٣٣٥ ح١٠ ط الأعلمي ـ بيروت، وزاد فيه: ثمَّ قال عليّ (عليه السلام) : إنّي لأعجب من أقوام يشترون المماليك بأموالهم ولا يشترون الأحرار بمعروفهم.

رواه العلّامة أبو الحسن القيرواني في «العمدة» ص١٦.

روى الشيخ الكليني في «الكافي» ج٤/٣٤ ح٤ بإسناده إلى الحارث الهمدانيّ، قال: سامرتُ أمير المؤمنين (عليه السلام) فقلت: يا أميرالمؤمنين، عرضت لي حاجة.

قال: فرأيتني لها أهلاً.

قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: جزاك الله عنّي خيراً.

ثمّ قام إلى السراج فأغشاها وجلس، ثمّ قال: إنّما أغشيت السراج لئلّا أرى ذلّ حاجتك في وجهك، فتكلّم، فإنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

يقول:

«الحوائج أمانة من الله في صدور العباد، فمَن كتمها كتب له عبادة، ومَن أفشاها كان حقّاً علىٰ مَن سمعها أن يعينه.

عن أبي الطفيل، قال: رأيت عليّاً (عليه السلام) يدعو اليتامى فيطعمهم العسل، حتّى قال بعض أصحابه: لوددت أنّي كنت يتيماً.

عن محمّد بن الصمّة، عن أبيه، عن عمّه قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحفة، يقول: اللّهمّ وليّ المؤمنين، وإله المؤمنين، وجار المؤمنين، إقبل قُرباتي اللّيلة، فما أمسيتُ أملك سوى ما في صحفتي وغير ما يورايني، وإنّك تعلم إنّي منعته نفسي مع شدَّة سغبي[1] أطلب القربة إليك غنماً، اللّهمَّ فلا تخلق وجهي ولا تردَّ دعوتي. فأتيته حتّى عرفته، فإذا هو عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فأتى رجلاً فأطعمه.

رواهما ابن شهر آشوب في «المناقب» ج٢/٧٥ و٧٦.

وفية في ص٨٠ قال: وفيه يضرب المثل في الصّدقات، يقال في الدّعاء: تقبّل الله منه كما تقبّل توبة آدم، وقربان إبراهيم،وحجّ المصطفى، وصدقة أمير المؤمنين.

وكان يأخذ من الغنائم لنفسه وفرسه، ومن سهم ذي القربى، وينفق جميع ذلك في سبيل الله.

روى أبو حامد الغزالي في «مكاشفة القلوب» ص١١٧ قال: وضع عليٌّ ـ كرم الله وجهه ـ درهماً على كفّه ثمَّ قال: أما إنّك ما لم تخرج عنّي لا تنفعني.

روى العلّامة الزمخشري في «ربيع الأبرار» ص٢١٠ عن محمّد بن الحنفية قال: كان أبي يدعو قنبراً بالليل فيحمّله دقيقاً وتمراً، فيمضي به إلى أبيات قد

---

(١)السغب: الجوع.

عرفها، ولا يطلع عليها أحداً، فقلت له: يا أبه، ما يمنعك أن تدفع إليهم نهاراً؟

قال: يا بني، إن صدقة السر تطفئ غضب الرب.

روى العلّامة عبد الكريم القشيري في «الرسالة القشيرية» ص١٢٥ ط مصر قال: قيل: بكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يوماً، فقيل له: ما يبكيك؟

قال: لم يأتني ضيف منذ سبعة أيّام، وأخاف أن يكون الله قد أهانني.

ورواه بنحو آخر العلّامة ابن المعمار البغدادي في «الفتوة» ص١٥٧ ط القاهرة.

والعلّامة الأمرتسري في «أرجح المطالب» ص١٧٠ ط لاهور.

قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج٢١/١ و٢٢ ط عيسى الحلبي ـ القاهرة:

وكان يصوم ويَطوي ويؤثر بزاده؛ وفيه أنزل: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَ لَا شُكُوراً﴾ (الدهر/٨ـ٩).

وروى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلّا أربعة دراهم؛ فتصدّق بدرهم ليلاً، وبدرهم نهاراً، وبدرهم سرّاً، وبدرهم علانية؛ فأنزل فيه: ﴿ٱلَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً﴾ (البقرة/٢٧٤).

وروى عنه أنّه كان يَسقي بيده لنخْل قوم من يهود المدينة، حتّى مَجَلَت يَده، ويتصدّق بالأجْرة، ويشدُّ على بطنه حجَراً.

وقال الشعبيّ وقد ذكر عليّ (عليه السلام): كان أسخَى الناس؛ كان على الخُلُق الذي يحبّه الله: السخاء والجُود، ما قال: «لا» لسائل قطّ.

وقال عدّوه ومُبْغضه الذي يجتهد في وَصْمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لِمحْفَن بن أبي محْفَن الضبّي لمّا قال له: جئتك مِنْ عند أبخل الناس، فقال: ويحك!

كيف تقول إنّه أبخل الناس، لو مَلَك بيتاً من تِبْر وبيتاً من تِبْن، لأنفذ تِبْره قبل تِبْنه.

وهو الذي كان يكنُس بيوت الأموال ويصلّي فيها.

وهو الذي قال: يا صفراء، ويا بيضاء، غرّي غيري.

وهو الذي لم يُخلِّفْ ميراثاً، وكانت الدنيا كلّها بيده، إلّا ما كان من الشام.

روى ابن شهر آشوب في «المناقب» ج٢ ص١٢٢.

عن الصادق (عليه السلام) قال: إنّه (عليه السلام) أعتق ألف نسمة مِن كدِّ يده، جماعة لا يحصون كثرةً. ووقف مالاً بخيبر وبوادي القرىٰ.

ووقف مال أبي نيزر، والبغيبغة[1]، وأرباحاً، وأرينة ورعْداً، وورزيناً، ورباحاً على المؤمنين، وأمر بذلك أكثر ولد فاطمة من ذوي الأمانة والصّلاح.

وأخرج مائة عين بينبع وجعَلها للحَجيج، وهو باق إلى يومنا هذا.

وحفر آباراً في طريق مكّة والكوفة.

وبنى مسجد الفتح في المدينة، وعند مقابل قبر حمزة، وفي الميقات، وفي الكوفة، وجامع البصرة، وفي عبادان وغير ذلك، وعمَّر طريق مكّة.

وقد ورد ذكر صدقات أُخرى لأمير المؤمنين (عليه السلام)، نقلها العلّامة السيد المرعشي النجفي في كتابه «إحقاق الحق» ج٥٨٣/٨ ـ ٥٩٢ عن مصادر معتبرة كثيرة، أذكرها هنا على نحو الإجمال.

ـ عين البيحر.

ـ عين نولا، وهي التي يقال أنَّ عليّاً (عليه السلام) عمل فيها بيده، وفيها مسجد النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو متوجه إلى ذي العشيرة.

ـ عين جبير.

---

(١) البغيبغة: قرية في المدينة، وقيل: عين كثيرة النخل، غزيرة الماء.

ـ عين خيف الأراك.

ـ عين خيف ليلى.

ـ عين خيف بسطاس.

ـ بئر الملك، وهي من صدقاته بالمدينة.

ـ عيون بالمدينة وينبع وسويعة.

ـ وادي ترعة بناحية فدك بين لابتي حرّة.

ـ الفقران بالعالية.

ـ كلُّ مال له في ينبع.

ـ كلُّ مال له في وادي القرى.

ـ كلُّ مال له في الأدنية.

كلُّ مال له في رعيف.

وقفها كلها لوجه الله سبحانه وتعالى.

روى الحافظ أحمد بن حنبل في «المسند» ج١/١٥٩ ط الميمنية ـ مصر، بإسناده إلى محمّد بن كعب القرُظي أنَّ عليّاً (عليه السلام) قال: «لقد رأيتني مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وإنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، وإنّ صدقتي اليوم لأربعون ألفاً».

ورواه:

١ ـ الزمخشري في «ربيع الأبرار» ص٢٠٩ مخطوط.

٢ ـ ابن الأثير الجزري في «أسد الغابة» ج٤/٢٣ ط مصر.

٣ ـ محب الدين الطبري في «الرياض النضرة» ج٢/٢٢٧ ط مصر.

٤ ـ الذهبي في «تاريخ الإسلام» ج٢/١٩٩ ط مصر.

٥ ـ الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج٩/١٢٣ ط القاهرة، وغيرهم.

قال ابن الأثير بعد نقله هذا الحديث: لم يرد بقوله: «أربعين ألفاً» زكاة

ماله، وإنّما أراد الوقوف التي جعلها صدقة كان الحاصل من دخلها صدقة هذا العدد، فإنَّ أمير المؤمنين علياً رضي الله عنه لم يدّخر لنفسه مالاً.

عن أبي نيزر الذي سمّى الامام العين بإسمه قال: جاءني الإمام علي (عليه السلام) وأنا أقوم بالضيعتين ـ عين أبي نيزر والبغيبغه فقال لي: هل عندك مِن طعام؟

فقلت له: طعام لا ارضاه لأمير المؤمنين، قرع من الضيعة صنعته بأهله.

فقال: عَليَّ به، فقام إلى الربيع ـ أسم نهر ـ فغسل يديه وأصاب منه، ثم خرج إلى الربيع وغسل يديه بالرمل حتّى نقاهما، ثم مسح على بطنه وقال: من أدخل بطنه النار فأبعده الله، ثم أخذ المعول وأنحدر في العين وجعل يضرب فأبطأ الماء ـ فخرج وقد عرق جبينه فانتكفه، ثم عاد وجعل يهمهم فانثال عين كأنها عنق جزور، فخرج مسرعاً وقال، أشهد انها صدقة[١].

وقال محمد ابن هشام: ركب الحسين (عليه السلام)دَين فحمل إليه معاوية بعين أبي نيزر مائتي ألف دينار ذهب، فأبى أن يبيع وقال: إنما تصدق بها إبي ليقي بها وجهه حرّ النار ولست ببائعها[٢].

وإليك صورة الوقفية التي كتبها أمير المؤمنين (عليه السلام).

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما تصدق به علي أمير المؤمنين، تصدق بالضيعتين المعروفتين بعين أبي نيزر، والبغيبغة على فقراء أهل المدينة وأبناء السبيل، ليقي بها وجهه حرّ النار يوم القيامة، لا تباع ولا توهب حتى يرثها وهو خير الوارثين، إلّا أن يحتاج إليها الحسن والحسين فهما طلق لهما، وليس لاحدٍ غيرهما[٣].

(١) ابصار العين للسماوي ص٦٢.

(٢) أعيان الشيعة ٣ ق٢/٧٧.

(٣) أبصار العين للسماوي ص٦٢. وأعيان الشيعة ٣ ق٢/٧٧.

السلام عليك يا أمير المؤمنين، حياً وميتاً، لقد تركت لنا في كل مجال من مجالات الحياة، قاعدة ودرساً، وعِبَراً ولو أخذنا بها لصلحت لنا دنيانا وآخرتنا، ولصرنا أسعد أمة أُخرجت للناس، علىٰ وجه الأرض، ولكن سولت لنا أنفسنا، وغلبت علينا شِقوَتنا وبالله المستعان.

* * *

عدله

من أبيات لسودة بنت عمارة الهمدانية:

صلّى الإلـه على روحٍ تضمَّنهـا قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلاً فصار بالحق والإيمان مقرونا

ماذا أقول في عدل علي وهو إمام العدل، وكل عدل في الدنيا هو عيال على عدالته لأن عدالته مستمدة من عدالة الله وعدالة رسوله، ولولا أنَّ أُصول العدالة جارية في نفسه مجرى الدم في عروقه لما أمكن تطبيقه لأُصول العدالة في جميع سلوكه ومدى حياته.

ومن مستلزمات تطبيق العدالة وتنفيذها قوّة الإيمان بالله تعالى والتقوى، مقرونة بحزمٍ وعزم يفوق كل عاطفةٍ ومصانعة، وعدم الخوف من المشاكل المحتمل وقوعها، وقد تجسّدت هذه المؤهلات كلّها في نفسية الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، وإليك بعض النماذج من حكمه، وتطبيقه لها متميزاً في حديثه (عليه السلام):

النموذج الأول: في حديثٍ لأمير المؤمنين (عليه السلام): «والله، لأن أبيتَ على حَسَكِ السَّعْدَان مُسَهَّداً، أو أُجرّ في الأغلالِ مُصَفَّداً أحَبُّ إليَّ من أنْ ألْقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، وغاصباً لشيء من الحطام. وكيفَ أظلمُ أحداً لنَفْسٍ يُسْرِعُ إلى البلىٰ قُفُولُها ويطولُ في الثرى حُلُولُها.

والله لقد رأيتُ عقيلاً وقد أملق حتّى استماحني من بُرِّكُم صاعاً، ورأيتُ صِبيانه شُعْثَ الشعُور، غُبْرَ الألوان من فقرهم، كأنّما سُوِّدَت وجوههُم بالعِظْلِمِ،

وعاودني مؤكّداً، وكرّر عليَّ القول مُردداً فأصغيت إليه سَمعي، فظنَّ أنّي أبيعُهُ ديني، وأتّبعُ قِيَادَهُ مُفارقاً طريقتي، فأحميتُ له حديدةً، ثمَّ أدْنيتُهامن جسمِه ليعتبر بها، فضجَّ ضجيجَ ذي دَنَفٍ من ألمِهَا وكادَ أنْ يَحْتَرِقَ من ميسَمِها فقلتُ له: ثكلتْك الثواكل يا عقيل، أتئنُ مِن حَديدةٍ أحماها إنسانها لِلَعبِه، وتجُرُّني إلى نار سجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغضَبِه، أتئنُ مِن الأذىٰ ولا أئنُ مِن لظى؟! والله لو أُعطيت الأقاليمَ السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعْصي الله في نملةٍ أسْلُبُها جلب شعيرة ما فعلتُه، وإنَّ دُنْياكُمُ لأهْوَن عندي مِن ورقةٍ في فَمِ جَرادةٍ تقضمُها، ما لِعليٍّ ولنعيم يَفنى ولَذَّةٍ لا تبقى، نعوذُ بالله مِن سُبَات العَقلِ وقُبْح الزللِ».

النموذج الثاني: روي أنَّ سودة بنت عمارة الهمدانية دخلت على معاوية بعد شهادة علي (عليه السلام)، فجعل يؤنبها على تحريضها عليه أيّام صِفّين، وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟ قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا، وما افترض عليك من حقّنا، ولا يزال يتقدّم علينا من قِبلَك من يسمو بمكانك، ويبطش بقوّة سلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، ويدوسنا دوس الحرَمل، يسومنا الخسف، ويذيقنا الحتف هذا بسر بن أرطاة قدم علينا فقتل رجالنا، وأخذ أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عزّ ومنعة، فإن عزلته عنّا شكرناك وإلا كفّرناك.

فقال معاوية: إيّاي تهددين بقومك يا سودة؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه فينفّذ فيك حكمه.

فأطرقت سودة ساعة ثمَّ قالت:

صلّىٰ الإلـه علىٰ روحٍ تضمَّنهـا ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحق لا يبغي به بدلا ... فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟ قالت: هو والله، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، والله لقد جئته في رجلٍ كان قد ولاّه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً

يصلّي، فلمّا رآني انفتل من صلاته، ثمَّ أقبل عليَّ برحمةٍ ورفق ورأفةٍ وتعطّف، وقال: ألكِ حاجة؟ قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبكى ثمَّ قال: اللهمَّ أنت الشاهد عليَّ وعليهم، وإنّي لم آمرهم بظلم خلقك، ثمَّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، قد جاءتكم بيّنة من ربّكم، فأوفوا الكيل والميزان، ولاتبخسواالناس أشياءهم، ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها، ذلكم خيرٌ لكم إنْ كنتم مؤمنين، فإذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك مَن يقبضه منك، والسلام».

ثمَّ دفع الرقعة إليَّ فوالله ما ختمها بطين، ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فأنصرف عنّا معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد، واصرفوها إلى بلدها غير شاكية.

النموذج الثالث: عن ميسرة، عن شريح القاضي، قال: لمّا توجّه أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى قتال معاوية افتقد درعاً له، فلمّا رجع وجدها في يد يهودي يبيعها بسوق الكوفة، فقال: يا يهودي، الدرع درعي، لم أهب ولم أبع.

قال اليهودي: درعي، وفي يدي.

فقال: بيني وبينك القاضي.

قال: فأتياني، فقعد عليٌّ إلى جنبي، واليهودي بين يدي، وقال (عليه السلام): لولا أنّ خصمي ذمّي لاستويت معه في المجلس؛ ولكني سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول: «أصغروا بهم كما أصغر الله بهم».

ثمَّ قال: هذا الدرع درعي، لم أبع، ولم أهب.

فقال لليهودي: ماتقول؟

قال: درعي وفي يدي.

قال شريح: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنة؟

قال: نعم، الحسن ابني وقنبر، يشهدان أنَّ الدرع درعي.

قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الإبن للأب لا تجوز.

فقال عليٌّ: سبحان الله، أرجلٌ من أهل الجنّة لا تجوز شهادته؛ سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة».

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه. وقاضيه يقضي عليه؛ أشهد أنَّ هذا الدين على الحق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله. وأنّ الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقط منك ليلاً. وتوجه مع عليٍّ يُقاتل معه بالنهروان فقتل.

النموذج الرابع: كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دخل ليلة في بيت المال ليكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ (عليه السلام) السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك، فقال: كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه.

النموذج الخامس: روى أبو إسحاق الهمداني انَّ امرأتين أتتا عليّاً (عليه السلام) إحداهما من العرب،والأخرى من الموالي، فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعام بالسواء، فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب، وهذه من العجم.

فقال: إنّي، والله، لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق.

النموذج السادس: قدم عبد الله بن زمعة على عليّ (عليه السلام) في خلافته. وكان من شيعته، فطلب منه مالاً، فقال: إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين، وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجناة إيديهم لا تكون لغير أفواههم.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يعطي ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) أكثر من حقّهما. فانظر إلى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع لولديه،

وبأخيه من أبويه، أعني عقيلاً.

النموذج السابع: عن حُميد بن هلال، أنّ عقيلاً سأل عليّاً (عليه السلام) فقال: انّي محتاج وفقير.

فقال: حتّى يخرج عطائي.

فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك.

فقال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين قد ائتمنوني عليها؟!

فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى الحوانيت، فقل: دقّ الأقفال وخذ ما في الحوانيت.

وبعبارة أخرى: قال له: انطلق فخذ ما في حوانيت الناس.

فقال: تريد أن تتخذني سارقاً.

قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً! وأُعطيك أموال الناس؟

فقال: لآتين معاوية.

قال: أنت وذاك.

فأتى معاوية، فأعطاه مائة ألف، ثمَّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك علي، وما أوليتك.

قال: فصعد المنبر، فحمد الله ثمَّ قال: أيّها الناس، إنّي أُخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه عليٌّ، وأردت معاوية على دينه فاختارني على دينه.

فقال معاوية: هذا الذي تزعم قريش أنّه أحمق!

النموذج الثامن: يُحكى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثمَّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني؟ فوالله ما خنت ولا خونت. قال: بلغني أنَّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك.

ويروى أنَّ عليّاً (عليه السلام) أرسل أبا أمامة الباهلي ـ عثمان بن حنيف ـ بحكومة البصرة، فأخبره رجل بأنّه دُعي إلى ضيافة، فكتب إليه:

قال شريح: يا أمير المؤمنين، شهادة الإبن للأب لا تجوز.

فقال عليٌّ: سبحان الله، أرجلٌ من أهل الجنّة لا تجوز شهادته؛ سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «الحسن والحسين سيِّدا شباب أهل الجنّة».

فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدَّمني إلى قاضيه. وقاضيه يقضي عليه؛ أشهد أنَّ هذا الدين على الحق، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الدرع درعك يا أمير المؤمنين، سقط منك ليلاً. وتوجه مع عليٍّ يُقاتل معه بالنهروان فقتل.

النموذج الرابع: كان أمير المؤمنين علي (عليه السلام) دخل ليلة في بيت المال ليكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة والزبير، فأطفأ (عليه السلام) السراج الذي بين يديه، وأمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك، فقال: كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه.

النموذج الخامس: روى أبو إسحاق الهمداني انَّ امرأتين أتتا عليّاً (عليه السلام) إحداهما من العرب،والأخرى من الموالي، فسألتاه، فدفع إليهما دراهم وطعام بالسواء، فقالت إحداهما: إنّي امرأة من العرب، وهذه من العجم.

فقال: إنّي، والله، لا أجد لبني إسماعيل في هذا الفيء فضلاً على بني إسحاق.

النموذج السادس: قدم عبد الله بن زمعة على عليّ (عليه السلام) في خلافته، وكان من شيعته، فطلب منه مالاً، فقال: إنَّ هذا المال ليس لي ولا لك، وإنّما هو فيء للمسلمين، وجلب أسيافهم، فإن شركتهم في حربهم كان لك مثل حظّهم، وإلاّ فجناة إيديهم لا تكون لغير أفواههم.

وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) لا يعطي ولديه الحسن والحسين (عليهما السلام) أكثر من حقّهما. فانظر إلى رجل حمله ورعه على هذا الصنيع لولديه،

وبأخيه من أبويه، أعني عقيلاً.

النموذج السابع: عن حُميد بن هلال، أنّ عقيلاً سأل عليّاً (عليه السلام) فقال: انّي محتاج وفقير.

فقال: حتّى يخرج عطائي.

فقال له عقيل: بيوت المال بيدك وأنت تسوّفني بعطائك.

فقال: أتأمرني أن أدفع إليك أموال المسلمين قد ائتمنوني عليها؟!

فألحّ عليه، فقال لرجل: خذ بيده وانطلق به إلى الحوانيت، فقل: دقّ الأقفال وخذ ما في الحوانيت.

وبعبارة أُخرى: قال له: انطلق فخذ ما في حوانيت الناس.

فقال: تريد أن تتخذني سارقاً.

قال: وأنت تريد أن تتخذني سارقاً! وأُعطيك أموال الناس؟

فقال: لآتين معاوية.

قال: أنت وذاك.

فأتى معاوية، فأعطاه مائة ألف، ثمَّ قال: اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك علي، وما أوليتك.

قال: فصعد المنبر، فحمد الله ثمَّ قال: أيّها الناس، إنّي أُخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختار دينه عليَّ، وأردت معاوية على دينه فاختارني على دينه.

فقال معاوية: هذا الذي تزعم قريش أنّه أحمق!

النموذج الثامن: يُحكى أنَّ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثمَّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني؟ فوالله ما خنت ولا خونت. قال: بلغني أنَّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك.

ويروى أنَّ عليّاً (عليه السلام) أرسل أبا أمامة الباهلي ـ عثمان بن حنيف ـ بحكومة البصرة، فأخبره رجل بأنّه دُعي إلى ضيافة، فكتب إليه:

«أمّا بعد يابن حنيف، فقد بلغني أنَّ رجلاً من فتية أهل البصرة دعاك إلى مأدبة، فأسرعت إليها، تستطاب لك الألوان، وتنقل إليك الجفان، وما ظننت أنّك تجيب إلى طعام قومٍ عائلهم مجفوّ وغنيّهم مدعو، فانظر إلى ما تقضمه من هذا المِقضَم، فما اشتبه عليك علمه فالفظه، وما أيقنت بطيب وجوهه فنل منه.

ألا وإنَّ لكل مأموم إماماً يُقتدى به، ويستضيء بنور علمه، ألا وإنَّ إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه، ومن طُعْمِهِ بقرصيه، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع واجتهاد، وعفّة وسداد، فوالله ما كنزت من دنياكم تِبْراً، ولا ادخرت من غنائمها وَفْراً، ولا أعددت لبالي ثوبي طِمراً. إلى آخر كتابه المذكور في «نهج البلاغة» كتاب رقم «٤٥».

إلى هنا نكتفي من عرض نماذج لعدل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله وسلامه عليه)، وقد رواها جمع كثير من أعلام القوم وحفّاظهم في كتبهم ومسانيدهم.

منهم العلّامة أبو الفرج الأصفهاني في «الأغاني» ج١٦/ص ٣٦ ط محمد الساسي.

ومنهم العلّامة ابن كثير الدمشقي في «البداية والنهاية» ج٨/ ص٤ ط مصر.

ومنهم العلّامة السيوطي في «تاريخ الخلفاء» ص٧١ ط مصر.

ومنهم العلّامة العسقلاني في «لسان الميزان» ج٢/ ص٣٤٢ ط حيدر آباد.

ومنهم العلّامة ابن الأثير الجزري في «الكامل» ج٣/ ص٢٠١ ط مصر.

ومنهم العلّامة ابن حجر الهيثمي في «الصواعق المحرقة» ص٧٨ ط مصر.

وللمزيد من التفاصيل والمصادر راجع كتاب إحقاق الحق ج٨ من ص٥٣٢ إلى ص٥٧٣.

* * *

بلاغته وفصاحته

أما فصاحة علي (عليه السلام) وبلاغته فقد سنّ لقريش، والعرب كافة أُسس الفصاحة، وكل من جاء بعده فهو عِيالٌ عَليَه، ومنه أخذ وبه إقتدى، ومن تلامذته أبو الأسود الدؤلي الذي علمه أُسس المنطق ومبادئ النحو والصرف والعربية، وهي من أبرز صفاته الحميدة والتي اشتهر بها كشهرته بشجاعته واقدامه وصِفَتِهِ المميزة عند الجميع وظاهرة للعيان كظهور الشمس في رابعة النهار.

ألا ترىٰ إلىٰ كلماته القصيرة في الحكمة والموعظة، وخطبه الجليلة المؤثرة في كل المناسبات والمجالات، وتجسيد كل موضوع يتطرق إليه ببيانه مثل: خطبة توحيد الله جلّ شأنه، وخطبته المعروفة بالشقشقية، وخطبه المشهورة كالهداية، والملاحم، واللؤلؤة، والغرّاء، والقاصعة، والافتخار، والأشباح، والدرّة اليتيمة، والأقاليم، والوسيلة، والطالوتية، والقصبية، والسليمانية، والناطقة، والدامغة، والفاضحة، وغيرها. ومن خطبه المشهورة العارية عن الألف، وخطبته الخالية من النقاط، وهذا دليل قاطع علىٰ ان النطق طي لسانه، والقلم طوع بنانه، يُدَوِّرهُ حَيثُما شاء وكيفما شاء بالإضافة إلى نهج البلاغة، المذكور فيه بعض ما أشرنا وقِصار الحِكم الذي جمع بعضه العلّامة الشريف الرضي (رحمه الله) وكتاب خطب أمير المؤمنين: عن إسماعيل بن مهران السكوني، عن زيد بن وهب ايضاً.

قال الشريف الرضي: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) مُشرِّع الفصَاحَةِ ومُوَرِّدُهَا، ومنشئ البَلاغةِ ومُولِّدُها، ومنه ظهر مكنونها، وعنه أُخِذت قوانينها.

وقال الجاحظ في كتاب الغرة: كتب علي (عليه السلام) إلى معاوية: «....غرّك عزّك، فصار قصار، ذلك ذُلّك، فاحش فاحش، فعلك فعلُك، نهدا بهدا».

وقال (عليه السلام): «من آمَن أَمِن».

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة:

وأما الفصاحة فهو (عليه السلام) إمام الفُصَحاءِ، وسَيِّد البُلغاءِ، وعن كلامه قيل: هو (دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق) ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة.

قال عبد الحميد بن يحيىٰ[1]: حفظت سبعين خطبة من خطب الأصلع، ففاضت ثم فاضت.

وقال نباتة: حَفِظتُ من الخطابة كنزاً لا يزيده الإنفاق إلّا سِعةً وكثرةً، حفظت مائة فصل من مواعظ علي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال مِحفَن بن أبي مِحفَن ـ لمعاوية ـ: جئتك من عند أَعي الناس قال له: ويحك؟ كيف يكون أَعي الناس؟! فوالله ماسّن الفصاحة لقريش غيره.

وهذا يكفي دلالةً علىٰ أنه لا يُجارىٰ في الفصاحةِ، ولا يبارىٰ في البلاغة، وحسبك انه لم يدوّن لأحدٍ من فصحاء الصحابة أَلْعُشر ولا نصف العُشر مما دُوِّنَ له، وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب (البيان والتبيين) وفي غيره من الكتب.

ولـلإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، آراء ونظريات في التوحيد حول الإلهيات، كالصفات الثبوتية والسلبية وما يتعلق بذلك، وله كلام وبحث دقيق حول العلوم الكونية والطبيعية، كالفلَك، والنجوم، والسحاب، والرَعد، والبرق، وتكوّن الأمطار، وماشابه من المواضيع العلمية المتعَلِّقة بالعالم العلوي.

كما له في الفلسفة، وعلم التنجيم، وعلم الجفر، والقيافة والهيئة وغيرها مما يطول شرَحه، والذي يعتبر المصدر المُعوَّل عليه بعد الفلاسفة الذّين سبقوه، مثل

(١) الظاهر كان ملكاً لليمن.

أفلاطون، وأرسطو، وابيقـراط، وغيرهم، وقد تَعمّق وَتبحّر في مكنونات أسرارِ تلك العلوم بحيث أنسىٰ من قبله وأتعب من بعده، أو بالأحرىٰ كل من جاء بعده عنه أخذ وبه اقتفىٰ.

ولـه ايضاً تحليل دقيق حول فسَلجَةِ الإنسان من نطفةٍ إلىٰ جنين إلىٰ رضيعٍ وإلىٰ وليد، وإلىٰ شاب وكهـل وشيخ، وما يدور في هذا الفلك من علم النفس، والفلسفةِ البشرية، وغير ذلك.

كل ذلك يظهر للمتبحر بين طيات كلماته وخطبه المنتشرة هنا وهناك، خاصة المذكورةفي كتاب نهج البلاغة بإجزائه الأربعة، ومما يُعزىٰ إليه قوله: «تحَسب أنك جُرمٌ صغير وفيك أنطوىٰ العالمُ الأكبرُ».

وإليك شذرات من جواهر كلامه، ونماذجٌ من روائع بلاغته وفصاحته:

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ
يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خِلْقَةِ ٱلطَّاوُوسِ

ٱبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ. وَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَىٰ لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ. وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلاَئِلُهُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّتِهِ[1]، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلأَطْيَارِ[2] ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِيَ أَعْلاَمِهَا. مِنْ

(١) نعقت من نعق بغنمه ـ كمنع ـ صاح.

(٢) ذرأ: خلق. والأخاديد ـ جمع أخدود الشق في الأرض والخروق جمع خرق ـ: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والفجاج ـ جمع فج ـ الطريق الواسع وقد يستعمل في متسع الفلا. والأعلام جمع علم بالتحريك، وهو الجبل.

ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ[١] وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[٢]. وَمَنَعَ بَعْضَهَا بِعَبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفاً، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفاً. وَنَسَقَهَا عَلَىٰ ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلْأَصَابِيغِ[٣] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ. فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ[٤] لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَاغُمِسَ فِيهِ. وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقاً ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ[٥]، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ. إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلْأُنْثَىٰ نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ، وَسَمَا بِهِ مُطِلّاً عَلَىٰ رَأْسِهِ[٦] كَأَنَّهُ قِلْعٌ دَارِيٌّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ.

(١) يصرفها الله في أطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيره واستخدامه لها فيما خلقها لأجله. مرفرفة من رفرف الطائر بسط جناحيه. والمخارق ـ جمع مخرق ـ الفلاة. وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما.

(٢) الحقاق ـ ككتاب ـ: جمع حق بالضم ـ مجتمع المفصلين واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد والعبالة: الضخامة. ويسمو يرتفع وخفوفا سرعة وخفة. ودفيف الطائر: مروره فويق الأرض، أو أن يحرك جناحيه ورجلاه في الأرض. ويدف بضم الدال (في المنجد بكسر الدال).

(٣) نسقها: رتبها. والأصابيغ: جمع أصباغ ـ بفتح الهمزة ـ جمع صبغ بالكسر وهو اللون أو ما يصبغ به.

(٤) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتي على قدره. والطائر ذو اللون الواحد كأنما أقرع في قالب من اللون. وقوله قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صيغ لحليته.

(٥) التنضيد: النظم والترتيب. وقوله أشرج قصبه: أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها في الطول والقصر وإذا مشى إلى أنثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب بعد طيه.

(٦) سما به أي أرتفع به، أي رفعه مطلا على رأسه، أي مشرفا عليه كأنه يظلله. والقلع ـ بكسر فسكون ـ شراع السفينة. وعنجه: جذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه ←

يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ. يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ، وَيَؤُرُّ بِمُلَاقَحَةٍ أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ[١] فِي ٱلضِّرَابِ. أُحِيلُكَ مِنْ ذٰلِكَ عَلَىٰ مُعَايَنَةٍ[٢]، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَىٰ ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ. وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ[٣]، فَتَقِفُ فِي ضَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذٰلِكَ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَىٰ ٱلدَّمْعِ ٱلْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذٰلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ ٱلْغُرَابِ[٤]. تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ ٱلْعِقْيَانِ وَفِلَذَ ٱلزَّبَرْجَدِ[٥].

→ فرددته على رجليه. ويختال: يعجب. ويميس: يتبختر بزيفان ذنبه. وأصل الزيفان التبختر أيضاً ويريد به هنا حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا.

(١) يفضي: أي يسافد أنثاه كما تسافد الديكة جمع ديك. ويؤر ـ كيشد ـ أي يأتي أنثاه. بملاقحة أي مسافدة يفرزها فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها في رحم قابل. والمغتلمة. على صيغة اسم الفاعل. من اغتلم إذا غلب للشهوة. والضراب: لقاح الفحل لأنثاه.

(٢) أي ان لم يكفك الخبر فإني أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول.

(٣) تسفحها أي ترسلها أوعية الدمع. وضفة الجفن: استعارة من ضفتي النهر بمعنى جانبيه. وتطعم ذلك ـ كتعلم ـ أي تذوقه كأنها تترشفه. ولقاح الفحل ـ كسحاب ـ ماء التناسل يلقح به الأنثى. والمنبجس النابع من العين.

(٤) لما كان ذلك بأعجب أي لو صح ذلك الزعم في الطاووس لكان له نظير فيما زعموا في مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر في قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من مناقره. والمماثلة بين الزعمين في عدم الصحة. ومنشأ الزعم في الغراب اخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم: أخفى من سفاد الغراب.

(٥) القصب ـ جمع قصبة ـ هي عمود الريش. والمدارى ـ جمع مدرى بكسر الميم ـ قال ابن الأثير المدرى والمداراة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد ويستعمله من لا مشط له. والدارات: هالات القمر. والعقيان: الذهب ←

فإنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ ٱلْأَرْضُ قُلتَ جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ[١]. وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمُوَشِّيِّ ٱلْحُلَلِ[٢]، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ ٱلْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ ٱلْمُكَلَّلِ[٣].

يَمْشِي مَشْيَ ٱلْمُرِحِ ٱلْمُخْتَالِ[٤] وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ[٥] فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَىٰ قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ ٱسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ ٱلدِّيَكَةِ ٱلْخِلَاسِيَّةِ[٦] وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ[٧]. وَلَهُ فِي مَوْضِعِ ٱلْعُرْفِ

→

الخالص أو ما ينمو منه في معدنه. وفلذ ـ كعنب ـ جمع فلذة بمعنى القطعة. وما أنبت معطوف على قصبه. والتشبيه في بياض القصب والصفرة والخضرة في الريش.

(١) جنى أي مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون.

(٢) الموشي: المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل. والعصب ـ بالفتح ـ ضرب من البرود منقوش.

(٣) جعل اللجين ـ وهو الفضة ـ منطقة لها. والمكلل: المزين بالجواهر. فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين للجين بها.

(٤) المرح ـ ككتف ـ المعجب والمختال الزاهي بحسنه.

(٥) السربال: اللباس مطلقاً أو هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما ويعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين احداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءاً من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حمالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح.

(٦) زقا يزقو: صاح، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين أي يفصح عن استغاثته من كراهة قوائمه أي ساقيه. حمش ـ جمع أحمش ـ أي دقيق. والديك الخلاسي ـ بكسر الخاء ـ هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية.

(٧) وقد نجمت أي نبتت من ظنبوب ساقه أي من حرف عظمه الأسفل صيصية وهي شوكة تكون ←

قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ[١]. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ. وَمَغْرِزُهَا إِلَىٰ حَيْثُ بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ[٢]، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْءَاةً ذَاتَ صِقَالٍ[٣] وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[٤]. إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ النَّاظِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ. وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ[٥] أَبْيَضُ يَقِقٌ. فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ[٦]. وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ[٧]، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ[٨]. فَهُوَ كَالْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ[٩] لَمْ تَرُبَّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ[١٠] وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ. وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ[١١]، وَيَعْرَىٰ مِنْ لِبَاسِهِ،

→

في رجل الديك. والظنبوب ـ بالضم ـ كعرقوب عظم حرف الساق.

(١) القنزعة ـ بضم القاف والزاي ـ بينهما سكون ـ الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبي. وموشاة: منقوشة.

(٢) مغرزها: الموضع الذي غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن لونه كلون الوسمة وهي نبات يخضب به، أو هي نبات النيل الذي منه صبغ النيلج المعرف بالنيلة.

(٣) الصقال: الجلاء.

(٤) المعجر ـ كمنبر ـ: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطي رأسها وعنقها وعاتقها وبعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا. والأسحم الأسود.

(٥) الأقحوان: البابونج. واليقق ـ محركا ـ شديد البياض.

(٦) يلمع.

(٧) نصيب.

(٨) علاه أي فاق اللون الذي أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه. والبصيص: اللمعان. والرونق: الحسن.

(٩) الأزاهير: جمع أزهار جمع زهر.

(١٠) لم تر بها، فعل من التربية. والقيظ: الحر.

(١١) يتحسر هو من حسره أي كشفه، أي وقد يتكشف من ريشه.ويتعرى أي شيئاً بعد شيء.

فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَضِيبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلأَغْصَانِ[1]، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَضِيبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[2]. فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ[3]، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ. وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَٱلأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ. فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ[4] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلاَّهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً. وَأَعْجَزَ ٱلأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ[5] وَٱلْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَافَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلأَفْيَلَةِ. وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ لاَ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلاَّ وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ[6].

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[7] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَىٰ الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا،

(١) ينحت: يسقط وينقشر.

(٢) ذهبية.

(٣) عمائق جمع عميقة.

(٤) بهر العقول: قهرها فردها. وجلاه ـ كحلاه ـ كشفه.

(٥) الذرة: واحدة الذر: صغار النمل. والهمجة ـ محركة ـ واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم. وقوائمها: أرجلها. وأدمجها: أودعها فيها.

(٦) وأي: وعد. والحمام: الموت.

(٧) عزفت الابل ـ كفرح ـ اشتكت بطونها من أكل العزف: وهو الثمام، أي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الابل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون ←

وَلَـذَهَلْتَ بِالْفِكْـرِ فِي ٱصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[1] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ٱلْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِـلِ أَنْهَارِهَـا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[2]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[3]. تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[4] فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ[5]، وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَىٰ بِهِمْ حَتّىٰ حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ[6]، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ[7] لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَىٰ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مَنَازِلِ ٱلأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

ومن خطبة له (عليه السلام) يَذكر فيها بديع خلقة الخفاش:

ٱلْحَمْـدُ للهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ. هُوَ ٱللهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ

→ الابل من أكل الثمام.

(١) اصطفاق الأشجار: تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت. والكثبان ـ جمع كثيب ـ وهو التل.

(٢) جمع فنن ـ بالتحريك ـ وهو الغصن.

(٣) غلف بضمتين ـ جمع غلاف ـ والأكمام جمع كم بكسر الكاف ـ وهو وعاء الطلع وغطاء النوار.

(٤) تجنى من جناه جنوا عطفه.

(٥) المصفاة.

(٦) قوله قوم ...ألخ أي هم قوم أي نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره.

(٧) المونقة: المعجبة.

فَيَسْقُطُ تَتْرَى، وَيَنْبُتُ تِبَاعاً، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَضِيبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ ٱلأَغْصَانِ[1]، ثُمَّ يَتَلاَحَقُ نَامِياً حَتَّىٰ يَعُودَ كَهَيْئَتِهِ قَبْلَ سُقُوطِهِ لاَ يُخَالِفُ سَالِفَ أَلْوَانِهِ، وَلاَ يَقَعُ لَوْنٌ فِي غَيْرِ مَكَانِهِ. وَإِذَا تَصَفَّحْتَ شَعْرَةً مِنْ شَعَرَاتِ قَضِيبِهِ أَرَتْكَ حُمْرَةً وَرْدِيَّةً، وَتَارَةً خُضْرَةً زَبَرْجَدِيَّةً، وَأَحْيَاناً صُفْرَةً عَسْجَدِيَّةً[2]. فَكَيْفَ تَصِلُ إِلَىٰ صِفَةِ هٰذَا عَمَائِقُ ٱلْفِطَنِ[3]، أَوْ تَبْلُغُهُ قَرَائِحُ ٱلْعُقُولِ، أَوْ تَسْتَنْظِمُ وَصْفَهُ أَقْوَالُ ٱلْوَاصِفِينَ. وَأَقَلُّ أَجْزَائِهِ قَدْ أَعْجَزَ ٱلأَوْهَامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَٱلأَلْسِنَةَ أَنْ تَصِفَهُ. فَسُبْحَانَ ٱلَّذِي بَهَرَ ٱلْعُقُولَ[4] عَنْ وَصْفِ خَلْقٍ جَلَّاهُ لِلْعُيُونِ فَأَدْرَكَتْهُ مَحْدُوداً مُكَوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلَوَّناً. وَأَعْجَزَ ٱلأَلْسُنَ عَنْ تَلْخِيصِ صِفَتِهِ، وَقَعَدَ بِهَا عَنْ تَأْدِيَةِ نَعْتِهِ. وَسُبْحَانَ مَنْ أَدْمَجَ قَوَائِمَ ٱلذَّرَّةِ[5] وَٱلْهَمَجَةِ إِلَىٰ مَافَوْقَهُمَا مِنْ خَلْقِ ٱلْحِيتَانِ وَٱلأَفْيِلَةِ. وَوَأَىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ أَنْ لاَ يَضْطَرِبَ شَبَحٌ مِمَّا أَوْلَجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلاَّ وَجَعَلَ ٱلْحِمَامَ مَوْعِدَهُ، وَٱلْفَنَاءَ غَايَتَهُ[6].

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) فَلَوْ رَمَيْتَ بِبَصَرِ قَلْبِكَ نَحْوَ مَا يُوصَفُ لَكَ مِنْهَا لَعَزَفَتْ نَفْسُكَ[7] عَنْ بَدَائِعِ مَا أُخْرِجَ إِلَى الدُّنْيَا مِنْ شَهَوَاتِهَا وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا،

(١) ينحت: يسقط وينقشر.

(٢) ذهبية.

(٣) عمائق جمع عميقة.

(٤) بهر العقول: قهرها فردها. وجلاه ـ كحلاه ـ كشفه.

(٥) الذرة: واحدة الذر: صغار النمل. والهمجة ـ محركة ـ واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم. وقوائمها: أرجلها. وأدمجها: أودعها فيها.

(٦) وأي: وعد. والحمام: الموت.

(٧) عزفت الابل ـ كفرح ـ اشتكت بطونها من أكل العزف: وهو الثمام، أي لكرهت بدائع الدنيا كما تكره الابل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون ←

وَلَذَهَلْتَ بِالْفِكْرِ فِي ٱصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ[1] غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ ٱلْمِسْكِ عَلَىٰ سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا[2]، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا[3]. تُجْنَىٰ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ[4] فَتَأْتِي عَلَىٰ مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا، وَيُطَافُ عَلَىٰ نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالأَعْسَالِ ٱلْمُصَفَّقَةِ[5]، وَٱلْخُمُورِ ٱلْمُرَوَّقَةِ. قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ ٱلْكَرَامَةُ تَتَمَادَىٰ بِهِمْ حَتَّىٰ حَلُّوا دَارَ ٱلْقَرَارِ[6]، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ ٱلأَسْفَارِ. فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَىٰ مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ ٱلْمَنَاظِرِ ٱلْمُونِقَةِ[7] لَزَهَقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَىٰ مُجَاوَرَةِ أَهْلِ ٱلْقُبُورِ ٱسْتِعْجَالاً بِهَا. جَعَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَىٰ بِقَلْبِهِ إِلَىٰ مَنَازِلِ ٱلأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ.

ومن خطبة له (عليه السلام) يذكر فيها بديع خلقة الخفاش:

ٱلْحَمْدُ للهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغاً إِلَىٰ بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ. هُوَ ٱللهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ

→

الابل من أكل الثمام.

(١) اصطفاق الأشجار: تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت. والكثبان ـ جمع كثيب ـ وهو التل.

(٢) جمع فنن ـ بالتحريك ـ وهو الغصن.

(٣) غلف بضمتين ـ جمع غلاف ـ والأكمام جمع كم بكسر الكاف ـ وهو وعاء الطلع وغطاء النوار.

(٤) تجنى من جناه جنوا عطفه.

(٥) المصفاة.

(٦) قوله قوم ...ألخ أي هم قوم أي نزال الجنة قوم شأنهم ما ذكره.

(٧) المونقة: المعجبة.

مِمَّا تَرَىٰ ٱلْعُيُونُ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهاً. وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلاً، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَىٰ غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلاَ مَشُورَةِ مُشِيرٍ، وَلاَ مَعُونَةِ مُعِينٍ. فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ. وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلْضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلاَمُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ. وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا[1] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُوراً تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلَ بِعَلاَنِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[2] وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِلاَقِهَا[3]، فَهِيَ مُسْدِلَةٌ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَىٰ أَحْدَاقِهَا. وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجاً تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا. فَلاَ يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[4]. وَلاَ تَمْتَنِعُ مِنْ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ. فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلْشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[5]، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلْضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[6] أَطْبَقَتِ ٱلأَجْفَانَ عَلَىٰ مَآقِيهَا[7] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ ضَوْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[8]. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَاراً وَمَعَاشاً. وَٱلنَّهَارَ سَكَناً وَقَرَاراً. وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ

(١) العشا ـ مقصورا ـ سوء البصر وضعفه.

(٢) سبحات النور: درجاته وأطواره.

(٣) الائتلاق: اللمعان. والبلج ـ بالتحريك ـ الضوء ووضوحه.

(٤) أسدف الليل: أظلم. والدجنة الظلمة، وغسق الدجنة شدتها.

(٥) أوضاح ـ جمع وضح بالتحريك ـ وهو هنا بياض الصبح.

(٦) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب الحيوان المعروف. والوجار ـ ككتاب ـ الجحر.

(٧) جمع مآق، وهو طرف العين مما يلي الأنف.

(٨) تبلغت: اكتفت أو اقتانت

ٱلْحَاجَةِ إِلَىٰ ٱلْطَّيَرَانِ كَأَنَّهَا شَظَايَا ٱلآذَانِ ، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلاَ قَصَبٍ . إِلاَّ أَنَّكَ تَرَىٰ مَوَاضِعَ ٱلْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلاَماً . لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا . وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلاَ. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لاَصِقٌ بِهَا لاَجِئٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ. وَيَرْتَفِعُ إِذَا ٱرْتَفَعَتْ. لاَ يُفَارِقُهَا حَتَّىٰ تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ. وَيَحْمِلُهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ. وَيُعْرَفُ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ ٱلْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَىٰ غَيْرِ مِثَالٍ خَلاَ مِنْ غَيْرِهِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ ٱلْمَعْرُوفَةُ بِالشِّقْشِقِيَّةِ

أَمَا وَٱللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا ابن أبي قُحافَةَ وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ ٱلْقُطْبِ مِنَ ٱلْرَّحَىٰ. يَنْحَدِرُ عَنِّي ٱلْسَّيْلُ[1] وَلاَ يَرْقَىٰ إِلَيَّ ٱلطَّيْرُ. فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً[2] وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً. وَطَفِقْتُ أَرْتَئِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[3] أَوْ أَصْبِرَ عَلَىٰ طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ[4] يَهْرَمُ فِيهَا ٱلْكَبِيرُ وَيَشِيبُ فِيهَا ٱلْصَّغِيرُ وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ

(١) تمثيل لسمو قدره (عليه السلام) وقربه من مهبط الوحي وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فإنما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالي فيصيب منه ما شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى ....ألخ غير أن الثانية أبلغ من الاولى في الدلالة على الرفعة.

(٢) فسدلت ....ألخ كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب أرخاه. وطوى عنها كشحاً مال عنها. وهو مثل لان من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أي لم يلتقمها.

(٣) وطفقت ...ألخ بيان لعلة الاغضاء. والجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة، وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رجم جذاء أي لم توصل وسن جذاء أي متهتمة، والمراد هنا ليس ما يؤديها كأنه قال تفكرت في الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوباً وطويت عنها كشحاً.

(٤) طخية بطاء فخاء بعدها ياء وبثلث أولها أي ظلمة. ونسبة العمى إليها مجاز عقلي. وإنما يعمى القائمون فيها اذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسوادادها.

رَبَّهُ[١] فَرَأَيْتُ أَنَّ ٱلصَّبْرَ عَلَىٰ هَاتَا أَحْجَىٰ[٢] فَصَبَرْتُ وَفِي ٱلْعَيْنِ قَذًى. وَفِي ٱلْحَلْقِ شَجًا[٣] أَرَىٰ تُرَاثِي نَهْباً حَتَّىٰ مَضَىٰ ٱلأَوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَىٰ بِهَا إِلَىٰ فُلَانٍ بَعْدَهُ[٤] (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلأَعْشَىٰ):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَىٰ كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ[٥]

(١) يكدح يسعى سعي المجهود.

(٢) احجى ألزم من حجى به كرضى أولع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا أي جدير وما أحجاه، وأحج به أي أخلق به. وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أي أقرب إلى العقل. وهاتا بمعنى هذه أي رأي الصبر على هذه الحالة التي وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير.

(٣) الشجا ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه. والتراث الميراث.

(٤) أدلى بها ألقى بها إليه.

(٥) الكور بالضم: الرحل أو هو مع أداته. والضمير راجع إلى الناقة المذكوره في الأبيات قبل في قوله:

وقد أسلى الهم إذ يعترى بجسرة دوسرة عاقر

والجسر العظيم من الإبل. والدوسر الناقة الضخمة.

وحيان كان سيداً في بني حنيفة مطاعاً فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الأعشى يندمه. والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون ابن قيس بن جندل. وأول القصيدة:

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وجابر أخو حيان أصغر منه، ومعنى البيت: أن فرقا بعيداً بين يومه في سفره وهو على كور ناقته وبين يوم حيان في رفاهيته. فان الأول كثير العناء شديد الشقاء والثاني وافر النعيم وافي الراحة. ويتلو هذا البيت أبيات منها:

في مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر

ما يجعل الجد الظنون الذي جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طما يقذف بالبوصي والماهر

←

فَيَا عَجَباً بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ[١] إِذْ عَقَدَهَا لآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا[٢] فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلَامُهَا[٣] وَيَخْشُنُ مَسُّهَا. وَيَكْثُرُ ٱلْعِثَارُ فِيهَا. وَٱلاِعْتِذَارُ مِنْهَا، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ[٤] إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ، وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ ٱلنَّاسُ لَعَمْرُ ٱللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ[٥] وَتَلَوُّنٍ وَٱعْتِرَاضٍ.

← (المجدل كمنبر القصر. والجد بضم أوله البئر القليلة الماء. والظنون البئر لا يدري أفيها ماء أم لا. واللجب المراد منه السحاب لاضطرابه وتحركه. والفراتي الفرات. وزيادة الياء للمبالغة. والبوصي ضرب من السفن معرب بوزى والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل.

(١) رووا: أن أبا بكر قال بعد البيعة: أقيلوني فلست بخيركم.

(٢) لشد ما تشطرا ضرعيها جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين، فالفاء في فصيرها عطف على عقدها. وتشطرا مسند إلى ضمير التثنية وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدي للمرأة. قالوا: ان للناقة في ضرعها شطرين كل خلفين شطر. ويقال شطر بناقته تشطيراً صر خلفين وترك خلفين. والشطر أيضاً ان تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطر أي أخذ كل منهما شطراً، سمي شطرا الضرع ضرعين مجازاً وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث ان من ولي الخلافة لا ينال الأمر إلا تاما ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحد اسم التشطر والأقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، واطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل.

(٣) الكلام بالضم الأرض الغليظة. وفي نسخة كلمها وانما هو بمعنى الجرح، كأنه يقول خشونتها تجرح جرحا غليظا.

(٤) الصعبة من الابل ما ليست بذلول. واشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ خلف الاذن) بقادمة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس أرخى. وتقحم رمى بنفسه في القحمة أي الهلكة. وسيأتي معنى هذه العبارة في الكتاب. وراكب الصعبة أما أن يشنقها فيخرم أنفها وأما أن يسلس لها فترمى به في مهواة تكون فيها هلكته.

(٥) مُني الناس ابتلوا وأصيبوا. والشماس بالكسر إباء ظهر الفرس عن الركوب والنفار. والخبط ←

فَصَبَرْتُ عَلَىٰ طُولِ ٱلْمُدَّةِ وَشِدَّةِ ٱلْمِحْنَةِ. حَتَّىٰ إِذَا مَضَىٰ لِسَبِيلِهِ. جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي أَحَدُهُمْ فَيَالِلّٰهِ وَلِلشُّورَىٰ[1] مَتَىٰ ٱعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ ٱلْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّىٰ

→

السير على غير جادّة. والتلون التبدل والاعتراض السير على غير خط مستقيم، كأنه يسير عرضاً في حال سيره طولاً. يقال بعير عرضي يعترض في سيره لأنه لم يتم رياضته، وفي فلان عرضية أي عجرفة وصعوبة.

(١)اجمال القصة أن عمر بن الخطاب لما دنا أجله وقرب مسيره إلى ربه رأى أن يكل الأمر إلىٰ ستة قال: أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) مات وهو راض عنهم، وإليهم بعد التشاور أن يعينوا واحداً منهم يقوم بأمر المسلمين، والستة رجال الشورىٰ هم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وطلحة بن عبيد الله، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص.

وكان سعد من بني عم عبد الرحمن كلاهما من بني زهرة وكان في نفسه شيء من علي (عليه السلام) من قبل أخواله لان أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلي في قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور.

وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر، وقد يكفي في ميله إلى عثمان انحرافه عن علي لأنه تيمي، وقد كان بين بني هاشم وبني تيم مواجد لمكان الخلافة في أبي بكر.

وبعد موت عمر بن الخطاب اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة في الرأي إلى عثمان والزبير إلى علي وسعد ألى عبد الرحمن، وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتي الرابع إلا ولهم أمير، وقال: أذا كان خلاف فكونوا مع الفريق الذي فيه عبد الرحمن! فجرى الأمر كما صوره الامام (عليه السلام) في خطبته أعلاه ثم رفع عبد الرحمن رأسه إلى سقف المسجد ـ حيث كانت المشورة ـ وقال: اللهم اسمع واشهد اللهم أني جعلت ما في رقبتي من ذلك في رقبة عثمان، وصفق بيده في يد عثمان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين وبايعه.

قالوا وخرج الامام علي واجداً، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن: والله لقد تركت

صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَىٰ هٰذِهِ ٱلنَّظَائِرِ[1] لٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا[2] وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا. فَصَغَىٰ رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ[3] وَمَالَ ٱلْآخَرُ لِصِهْرِهِ[4] مَعَ هَنٍ وَهَنٍ[5] إِلَىٰ أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجاً حِضْنَيْهِ[6] بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ. وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ ٱللّٰهِ خَضْمَةَ ٱلْإِبِلِ نِبْتَةَ ٱلرَّبِيعِ[7]

→

علياً وانه من الذين يقضون بالحق وبه يعدلون، فقال يا مقداد لقد تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد: والله إني لأعجب من قريش انهم تركوا رجلاً ما أقول ولا أعلم أن رجلاً أقضى بالحق ولا أعلم به منه، فقال عبد الرحمن يا مقداد إني أخشىٰ عليك الفتن فاتق الله.

ثم لما حدث في عهد عثمان ما حدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روي أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يديك، فقال: ما كنت أظن هذا به ولكن لله علي أن لا أكلمه أبداً، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل أن عثمان دخل عليه في مرضه يعوده فتحول إلى الحائط لا يكلمه. والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء.

(١) المشابه بعضهم بعضاً دونه.

(٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم في شيء.

(٣) صغى صغىً وصغا صغوا مال، والضغن الضغينة يشير إلى سعد.

(٤) يشير إلى عبد الرحمن.

(٥) يشير إلى أغراض أُخر يكره ذكرها.

(٦) يشير إلى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد إلى صاحبه كما تراه في خبر القضية. ونافجا حضنيه رافعا لهما، والحضن ما بين الأبط والكشح. يقال للمتكبر جاء نافجا حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاماً، والنثيل الروث، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أي لا هم له إلا ما ذكر.

(٧) الخضم على ما في القاموس الاكل أو بأقسى الأضراس أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشيء الرطب. والقضم الاكل بأطراف الأسنان أخف من الخضم، والنبتة بكسر النون كالنبات في

إِلَىٰ أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ. وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ[١] وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ[٢] فَمَا رَاعَنِي إِلاَّ وَٱلنَّاسُ كَعُرْفِ ٱلضَّبُعِ إِلَيَّ[٣]. يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. حَتَّىٰ لَقَدْ وُطِيءَ ٱلْحَسَنَانِ. وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ ٱلْغَنَمِ[٤] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَىٰ وَقَسَطَ آخَرُونَ[٥] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلاَمَ ٱللهِ حَيْثُ يَقُولُ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي ٱلأَرْضِ وَلاَ فَسَاداً وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ بَلَىٰ وَٱللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا. وَلٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ[٦] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ. وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ[٧] لَوْلاَ حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ[٨] وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ ٱلنَّاصِرِ. وَمَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَنْ

→

معناه.

(١) انتكث فتله انتقض. وأجهز عليه عمله تم قتله. تقول أجهزت على الجريح وذففت عليه.

(٢) البطنة بالكسر البطر والاشر والكظة (أي التخمة) والاسراف في الشبع. وكبت به من كبا الجواد اذا سقط لوجهه.

(٣) عرف الضبع ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل في الكثرة والازدحام، وينثالون يتتابعون مزدحمين. والحسنان ولداه الحسن والحسين، وشق عطفاه خدش جانباه من الاصطكاك. وفي رواية شق عطافي والعطاف الرداء وكان هذا الأزدحام لاجل البيعة على الخلافة.

(٤) ربيضة الغنم الطائفة الرابضة من الغنم يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه.

(٥) الناكثة أصحاب الجمل، والمارقة أصحاب النهروان، والقاسطون أي الجائرون أصحاب صفين.

(٦) حليت الدنيا من حليت المرأة إذا تزينت بحليها، والزبرج الزينة من وشي أو جوهر.

(٧) النسمة محرة الروح، وبرأها خلقها.

(٨) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره.

لاَ يُقَارُّوا عَلَىٰ كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلاَ سَغَبِ مَظْلُومٍ[١] لأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَىٰ غَارِبِهَا[٢] وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا. وَلأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٣].

(قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّوَادِ[٤] عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَىٰ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَاباً فَأَقْبَلَ. يَنْظُرُ فِيهِ. قَالَ لَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُمَا: يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوِ ٱطَّرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ. فَقَالَ: هَيْهَاتَ يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[٥] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ.

قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ: فَوَٱللهِ مَا أَسِفْتُ عَلَىٰ كَلاَمٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَىٰ هٰذَا ٱلْكَلاَمِ أَنْ لاَ يَكُونَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ (قَوْلُهُ كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ) يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ ٱلزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ رَأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا وَإِنْ أَرْخَىٰ لَهَا شَيْئاً مَعَ صُعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا. يُقَالُ: أَشْنَقَ ٱلنَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا بِالزِّمَامِ فَرَفَعَهُ وَشَنَقَهَا أيضاً.

(١) والناصر الجيش الذي يستعين به على الزام الخارجين بالدخول في البيعة الصحيحة. والكظة ما يعتري الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق، والسغب شدة الجوع والمراد منه هضم حقوقه.

(٢) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وإرسال الأمر.

(٣) عفطة العنز ما تنثره من أنفها كالعفطة، عفطت تعفط من باب ضر، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك في النعجة، والاشهر في العنز النفطة بالنون، يقال ما له عافط ولا نافط أي نعجة ولا عنز، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية، والعفطة الحبقة أيضاً لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ماتقدم.

(٤) السواد العراق وسمي سواداً لخضرته بالزرع والاشجار والعرب تسمي الأخضر أسود قال الله تعالى ﴿مدهامتان﴾ يريد الخضرة كما هو ظاهر.

(٥) الشقشقة بكسر فسكون فكسر شيء كالرئة يخرجه البعير من فيه إذا هاج، وصوت البعير بها عند اخراجها هدير، ونسبة الهدير إليها نسبة إلى الآلة.

ومن خطبه الفريدة

ومنها خطبتان له (صلوات الله عليه) إحداهما بلا أَلف والأُخرىٰ بلا نقطة (الأُولىٰ) في المناقب روىٰ الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر ابن بابويه (قدّس سرّه) بإسناده عن الإمام الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أنه إجتمعت الصحابة فتذاكروا أن الألِف أكثر دخولاً في الكلام فارتجل (عليه السلام) الخطبة المونقة وهي:

«حمدتُ من عظمت منته وسبغت نعمتُه وسبقت رحمتُه غضبَه، وتمّت كلمتُه، ونفذت مشيّته، وبلغت قضيّته، حمدته حمدَ مُقرٍّ بربوبيته، متخضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، متفردٍ بتوحده، مؤمّلٍ منه مغفرة تنجيه يوم يشغل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به ونتوكل عليه وشهدت له شُهودَ مخلصٍ موقن، وفرّدته تفريد مؤمن متيقن، ووحّدتُه توحيد عبدٍ مذعن، ليس له شريك في ملكه ولم يكن له ولي في صنعه، جل عن مشير ووزير، وعن عون ومعين ونصير ونظير، عَلِمَ فسَتَر، وبَطن فخبر، ومَلك فقهر، وعُصي فغفر، وحكم فعدل، لم يزل ولن يزول ليس كمثله شيءٌ وهو بعد كل شيءٍ، رَبٌّ معتزز بعزته، متمكن بقوته، متقدّس بعُلوّه متكبر بسُموّه ليس يدركه بصر، ولم يُحط به نظر، قوي منيع، بصير سميع، رؤوف رحيم عجز عن وصفه مَن يصفه، وضلّ عن نعته مَن يعرفه. قَرُب فَبعُد، وبَعُد فقرب، يجيب دعوة من يدعوه، ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي، وبطشٍ قوي، ورحمة موسعة، وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة مونقة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة، وشهدتُ ببعث محمد رسوله وعبده وصفيه ونبيه ونجيه وحبيبه وخليله، بعثه في خير عصر، وحين فترة وكفر، رحمةً لعبيده ومنةً لمزيده، ختم به نبوّته، وشيّد به حجته، فوَعظ، ونصح وبلغ وكدح، رؤوف بكل

مؤمن رحيم رضي ولي زكي، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم، من رب غفور رحيم قريب مجيب، وصّيتُكم معشر من حضرني بوصية ربكم وذكّرتُكم بسُنّة نبيكم، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشيةٍ تذري دموعكم، وتقيةٍ تنجيكم قبل يوم يبليكم ويذهلكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسنته، وخف وزن سيئته ولتكن مسألتكم وتملّقكم مسألة ذُلٍ وخضوع، وشُكْرٍ وخشوع، بتوبة ونزوع، وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صِحّتَه قبل سقمه، وشيبته قبل هرمه، وسعته قبل فقره، وفرغته قبل شغله، وحضره قبل سفره، قبل تكبر وتهرم وتسقم، يملُّه طبيبه ويعرض عنه حبيبه، ويقطع عمره ويتغير عقله، ثم قيل هو موعوك، وجسمه منهوك، ثم جدَّ في نزع شديد، وحضره كل قريب وبعيد، فشخص بصره وطمح نظره، ورشح جبينه وعطف عرينه، وسكن حنينه، وحزنته نفسه، وبكته عرسه، وحُفر رمسه. وبُتّم منه وَلده، وتفرق منه عدده، وقُسّم جمعه، وذهب بصره وسمعه، ومُدّد وجُرّد وعُري وغُسّل، ونُشف وسُجّي، وبُسط له وهُيء، ونُشر عليه كفنه، وشُدَّ منه ذقنه، وقُمّص وعُمّم، وودّع وسُلّم، وحمّل فوق سرير، وصُلي عليه بتكبير، ونُقل من دور مزخرفة، وقصور مشيدة، وحُجَرٍ منجّدة، وجُعل في ضريح ملحود وضيق مرصود، بملبن منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه حفره، وحُثي عليه قدره وتحقق حضره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه، وصفيه وديمه ونسيبه، وتبدل به قرينه وحبيبه، فهو حشو قبر، ورهين قفر، يسعىٰ بجسمه دود قبره ويسيل صديده من منخره، يسحق برمته لحمه وينشف دمه ويرم عظمه، حتى يوم حشره، فنشر من قبره حين ينفخ في صور، ويدعى بحشر ونشور فثم بعثرت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيءَ بكل نبي وصديق وشهيد، وتوحد للفصل قدير، بعبده خبير بصير، فكم من زفرة تضنيه، وحسرة تنضيه، في موقف مهول، ومشهد جليل، بين يدي ملك عظيم وبكل صغير وكبير عليم، فحينئذ يلجمه عَرَقه، ويحصره قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة، وحجته غير

مقبولة، زاول جريدته، ونشر صحيفته، نظر في سوءِ عمله، وشهدت عليه عينه بنظره، ويده ببطشه، ورجله بخطوه، وفرجه بلمسه، وجلده بمسه، فسلسل جيده، وغلّت يده، وسيق فسُحِب وحده، فورد جهنم بكرب وشدة فظل يعذَّب في جحيم، ويسقى شربة من حميم، تشوي وجهه وتسلخ جلده، وتضربه زبنيته بمقمع من حديد، ويعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فتعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فيلبث حقبة يندم، نعوذ برب قدير، من شر كل مصير، ونسئله عفو من رضي عنه، ومغفرة مَن قَبله، فهو ولي مسئلتي، ومنجح طلبتي، فمن زُحزح عن تعذيب ربّه جُعل في جنته بعزته وخُلِّد في قصور مشيدة، وملك بحور عين وحفدة، وطيف عليه بكؤوس وسكن حظيرة قدس، وتقلّب في نعيم وسُقي من تسنيم، وشرب من عين سلسبيل، ومُزج له بزنجبيل، مختم بمسك وعبير، مستديم للملك ، مستشعر للسرور، يشرب من خمور في روض مغدق ليس يصدع من شربه، وليس ينزف، هذه منزلة من خشي ربه، وحذر نفسه معصيته، وتلك عقوبة من جحد مشيئته، وسولت له نفسه معصيته، فهو قول فصل، وحكم عدل، وخير قصص قص، ووعظ نص، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس مبين، على قلب نبي مهتد رشيد، صلّت عليه رسل سفرة مكرمون برزة، عُذتُ برب عليم رحيم كريم من شر كل عدوٍ لعين رجيم، فليتضرع متضرعكم وليبتهل مبتهلكم ويستغفر كل مربوب منكم لي وليكم وحسبي ربي وحده».

ثم ارتجل الامام (عليه السلام) خطبة أُخرىٰ خالية من النقط وهي علىٰ نسختين «الاولىٰ»:

«الحمد لله الملك المحمود، المالك الودود مُصوّر كل مولود، ومآل كل مطرود، ساطح المهاد وموطّد الأطواد، ومرسل الأمطار ومسهل الأوطار، عالم الأسرار ومدركها، ومدمّر الاملاك ومهلكها، ومكوّر الدهور ومكرّرها، ومورد الامور ومصدرها، عَمَّ سماحه وكمل ركامه، وهمل، وطاوع السؤال والأمل، وأوسع

الرمل وأرمل، أحمده حمداً ممدوداً، وأوحده كما وحده الاواه، وهو الله لا إله للامم سواه ولا صادع لما عدله وسوّاه أرسل محمداً علماً للاسلام وإماماً للحكام مسدداً للرعاع ومعطل أحكام وَدٍّ وسُواع، أعلم وعلم، وحكم وأحكم، وأصّل الأُصول، ومهّد وأكّد الموعود وأوعد، اوصل الله له الاكرام، وأودع روحه السلام، ورحم آله وأهله الكرام، ما لمع رائل وملع دال، وطلع هلال، وسُمع إهلال، إعلموا رعاكم الله أصلح الأعمال واسلكوا مسالك الحلال، واطرحوا الحرام، ودعوه، واسمعوا أمر الله وعُوه، وصلوا الارحام وراعوها وعاصوا الأهواءَ واردعوها، وصاهروا أهل الصلاح والورع وصارموا رهط اللهو والطمع، ومصاهركم أطهر الاحرار مولدا واسراهم سؤددا، وأحلاهم موردا، وها هو أمكم وحلّ حرمكم مملكاً عروسكم المكرّمه وما مهر لها كما مهر رسول الله أم سلمه، وهو أكرم صهر أودع الاولاد وملك ما أراد وماسها مملكه ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصم، اسأل الله حكم أحماد وصاله، ودوام اسعاده، وألهم كلاً إصلاح حاله والاعداد لمآله ومعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله أحمد».

«الثانية»: في المناقب روى الكلبي عن أبي صالح وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الامام الرضا (عليه السلام) عن آبائه ان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) ارتجل خطبة أُخرىٰ من غير نقط، والتي أولها:

«الحمد لله أهل الحمد ومأواه، وأوكد الحمد وأحلاه، وأسرع الحمد وأسراه، وأطهر الحمد وأسماه، وأكرم الحمد وأولاه.....» إلىٰ آخر الخطبة.

إلى هنا أكتفي وفي نهج البلاغة ـ وكتب علوم الفصاحة والبلاغة والعربية الشيء الكثير من أقواله ما يستدل فطاحل العلماء بها ـ فراجع وفيها الغنىٰ.

* * *

شعره (عليه السلام)

وإليك اليسير من بديع نظمه ومحاسن كلامه

عن الشعبي قال: كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة[1].

وبين أيدينا دواوين كثيرة له (عليه السلام) تحتوي على صنوف من الشعر الجيد، والنظم الرائع، والدر النضيد. ولو تصفحنا هذه الدواوين لوجدنا جل ما فيها في الآداب والاخلاق والكمال والعرفان، فكم من نظم له (عليه السلام) في مدح الصدق، وذم الكذب، وتحسين الحسن، وتقبيح القبيح، والامر بالعدل والاحسان والنهي عن الظلم والعدوان، والصفح عن المسيئ، والعفو عند المقدرة وهكذا بقية مكارم الاخلاق؛ وفي هذه الصفحات نماذج قليلة من شعره (عليه السلام):

١ ـ يقول (عليه السلام) في فضل العلم:

الناس من جهة التمثال اكفاء ... أبوهم آدم والام حواء
فان يكن لهم من أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والماء
لا فضل إلّا لأهل العلم أنهم ... على الهدى لمن إستهدى أدلاء
وقيمة المرء ما قد كان يحسنه ... والجاهلون لاهل العلم اعداء
فَقُمْ بعِلمٍ ولا نبغي له بدلا ... فالناس موتى وأهل العلم أحياء

(١) تاريخ الاسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ٢٩٤/١.

٢ ـ وله (عليه السلام) في الدنيا:

تحرز من الدنيا فان فناءها ... محل فناء لا محل بقاء
فصفوتها ممزوجة بكدورة ... وراحتها مقرونة بعناء

٣ ـ وله (عليه السلام) في الحث على الجود:

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها ... على الناس طرًا انها تتقلب
فلا الجود يفنيها إذا هي أقبلت ... ولا البخل يبقيها إذا هي تذهب

٤ ـ وله (عليه السلام) في العقل:

وافضل قسم الله للمرء عقله ... فليس من الخيرات شيء يقاربه
إذا اكمل الرحمن للمرء عقله ... فقد كملت اخلاقه ومآربه
يزين الفتى في الناس صحة عقله ... وان كان محظورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله ... وان كرمت اعراقه ومناصبه
ومن كان غلّابا بعقل ونجدة ... فذو الجد من اُمر المعيشة غالبه

٥ ـ وله (عليه السلام) في الحث على الادب:

كن ابن من شئت واكتسب أدبا ... يغنيك محموده عن النسب
فليس يغني الحسيب نسبته ... بلا لسان له ولا ادب
ان الفتى من يقول ها انا ذا ... ليس الفتى من يقول كان أبي

٦ ـ وله (عليه السلام) في بيعة من تقدمه:

فان كنت بالشورى ملكت امورهم ... فكيف بهذا والمشيرون غيب
وان كنت بالقربى حججت خصيمهم ... فغيرك أولى بالنبي وأقرب

٧ ـ وله (عليه السلام) في ذكر الموت:

الموت لا والداً يبقي ولا ولدا هذا السبيل إلى أن لا ترى احدا
كان النبي ولم يخلد لامته لو خلد الله قوما قبله خلدا
للموت فينا سهام غير خاطئة من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

هذا نموذج من شعره (عليه السلام)، وقد نجد مصدره في الدواوين المنسوبة إليه، وفي مطالب السؤول، وتذكرة الخواص، والفصول المهمة،وفرائد السمطين وغيره.

وإليك شذرات ممّا ذكره العلّامة ابن الصباغ المالكي المكي في «فصوله المهمة ط النجف وطهران ص١١٨ ـ ١٢٢» نقتطف منه محل الحاجة من بديع نظمه ومحاسن كلامه، فمن ذلك قوله (عليه السلام):

فكن معدناً للحلم واصفح عن الاذى
فانك لاق ما عملت وسامع
وأحبب إذا أحببت حباً مقارناً
فانك لا تدري متى الحب راجع
وأبغض إذا أبغضت بغضاً مفارقاً
فانك لا تدري متى الحب نافع

وله (عليه السلام):

والصبر في النائبات صعب ولكن فوت الثواب أصعب
وكلما يرتجى قريب والموت من كل ذلك أقرب

وله (عليه السلام):

لئن كنت محتاجاً إلى الحلم إنني إلى الجهل في بعض الاحايين أحوج
ولي فرس بالحلم للحلم ملجم ولي فرس بالجهل للجهل مسرج
وما كنت أرضى الجهل خدنا وصاحبا ولكنني أرضى به حين أحوج
وان قال بعض الناس فيه سماجة لقد صدقوا والذل بالحر اسمج
فان شئت تقويمي فاني مقوم وان شئت تعويجي فاني معوج

وله (عليه السلام):

فارق تجد عوضا عما تفارقه وانصب فان لذيذ العيش في النصب
فالأسد لولا فراق الغاب ما افترست والسهم لولا فراق القوس لم يصب

وله (عليه السلام):

الصبر من كرم الطبيعة والمن مفسدة الصنيعة
ترك التعاهد للصديق يكون داعية القطيعة

وله (عليه السلام):

أحمد ربي على خصال خص بها سادة الرجال
لزوم صبر وخلع كبر وصون عرض وبذل مال

وقال (عليه السلام):

عش موسراً ان شئت أو معسرًا لابد في الدنيا من الغم
دنياك بالاحزان مقرونة فلا تقطع الدنيا إلاّ بهم
حلاوة دنياك مسمومة فلا تأكل الشهد إلاّ بسم

وقال (عليه السلام):

محامدك اليوم مذمومة فلا تكسب الحمد إلاّ بذم
اذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالاً اذا قيل تم
إذا كنت في نعمة فارعها فان المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الاله فان الاله سريع النقم
فان تعط نفسك آمالها فعند مناها تحل الندم
فكم عمن عاش في نعمة فما حس بالموت إلاّ هجم

وعن جابر بن عبد الله الانصاري (رضي الله عنه) قال: دخلت علىٰ علي (عليه السلام) في بعض علاّتهِ وقد نقه، فلما نظر اليّ قال:

«يا جابر من كثرت نِعَمُ الله عليه كثرت حوائج الناس إليه، فان قام بما أمر الله تعالى عرضها للدوام والبقاء، وان لم يعمل فيها بما أمر الله تعالى عرضها للزوال والفناء ثم انشأ يقول:

ما أحسن الدنيا وإقبالها اذا اطاع الله من نالها
من لم يواس الناس من فضلها عرض للادبار اقبالها
فاحذر زوال الفضل يا جابر واعط من الدنيا لمن سالها
فان ذا العرض جزيل العطا يضعف بالجنة امثالها

قال جابر: ثم هز بضبعي هزة خيل لي انّ عضدي خرجت من كاهلي، وقال:

يا جابر حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم فلا تملّوا النِعَم فيحل بكم النقم، فاعلموا ان خير المال ما اكتسب حمدًا أو أعقب أجراً، ثم أنشأ يقول:

لا تخضعن لمخلوق على طمع فان ذلك وهن منك في الدين
واسأل إلهك مما في خزائنه فإنّ ذلك بين الكاف والنون

ألا ترى كل من ترجو وتأمله ،ن البرية مسكين ابن مسكين
ما أحسن الجود في الدنيا وأجمله واقبح البخل فيمن صيغ من طين

قال جابر: فهممت أن أقوم قال: أنا معك يا جابر، فلبس نعليه وألقى أزاره على منكبيه وخرجنا نتساير، فذهب بنا إلى الجبّانة ـ جبانة الكوفة ـ فَسلّم على أهل القبور، فسمعت ضجّة وَهجّة، فقلت: ما هذا يا أمير المؤمنين؟

فقال: هؤلاء بالأمس كانوا معنا واليوم فارقونا. أتسأل عن أحوالهم؟ فهم إخوان لا يتزاورون وأوداء لا يتعاودون.

ثم خلع نعليه وحسر عن ذراعيه، وقال.

يا جابر اعطوا من دنياكم الفانية لآخرتكم الباقية، ومن حياتكم لموتكم، ومن صحتكم لسقمكم، ومن غناكم لفقركم، اليوم أنتم في الدور وغداً في القبور. ثم أنشأ يقول:

سلامٌ على أهل القبور الدوارس كأنهم لم يجلسوا في المجالس
ولم يشربوا من بارد الماء شرَبةً ولم ياكلوا ما بين رطب ويابس
الا فاخبروني أين قبر ذليلكم وقبر العزيز الباذخ المتنافس

وله (عليه السلام):

والله لو عاش الفتى من دهره الفاً من الاعْوام مالك أمره
متلذذ فيها بكل هنيئة ومبلغاً كل المنى من دهره
لا يعرف الآلام فيها مرة كلا ولا جرت الهموم بفكره
ما كان ذاك يفيده من عظم ما يلقى بأول ليلة في قبره

وله (عليه السلام) أيضاً:

أي يوم من الموت أفر يوم لا يقدر أو يوم قدر

يوم لا يقدر لا أرهَبه ومن المقدور لا يُرجى الخدر

وله (عليه السلام)أيضاً:

اذا عقد القضاء عليك أمراً فليس يحله إلّا القضاء
فما لك قد أقمت بدار ذل وأرض الله واسعة الفضاء

ومن نظمه:

صن النفس وأحملها على مايزينها تعش سالماً والقول فيك جميل
ولا ترين الناس إلّا تجملاً نبا بك دهرٌ أو جفاك خليل
وإن ضاق رزق اليوم فاصبر إلى غدٍ عسىٰ نكبات الدهر عنك تزول
يعز غني النفس إن قل ماله ويغنى فقير النفس وهو ذليل
وما أكثر الاخوان حين تعدهم ولكنهم في النائبات قليل

وروي أيضاً عنه أنه أتاه رجل وقال له: يا علي أخبرني ماواجب وأوجب، وعجيب وأعجب، وصعيب وأصعب، وقريب وأقرب؟

فأجابه بقوله:

فرض على الناس أن يتوبوا لكن ترك الذنوب أوجب
والدهر في صرفه عجيب وغفلة الناس فيه أعجب
والصبر في النائبات صعب ولكن فوت الثواب أصعب
وكلما يرتجى قريب والموت في كل ذاك أقرب

* * *

الفصل الثالث
المبيت على فراش النبي ليلة الهجرة
(تجارة مع الله)

أذكر أحداث الواقعة بالمعنىٰ لا بالنص، حسبما استخلصتها من السِّير والروايات والتواريخ، وأعتمدت ما أورده السيد القزويني في كتابه «علي من المهد إلى اللحد».

وفي حياة مؤمن قريش أبي طالب (رضوان الله عليه).

ولولا أبو طالبٍ وابنه لما مثل الدين شخصاً وقاما
فذاك بمكّة آوىٰ وحامىٰ وهذا بيثرب جسّ الحماما
فلّله ذا فاتحاً للهدى ولّله ذا للمعالي ختاما

كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في حماية عمه أبي طالب، وفي مأمن من مؤامرات قريش ومكائدهم، وعلى الرغم من كلّ ذلك ما كان ينجو من الاعتداءات والأذى إبّان الدعوة، من رميه بالحجارة، وقذفه بالدم ورفث القرابين التي تُنحر للأصنام، وتلويث ملابسه الطاهرة عندما كان يطوف بالكعبة أو يصلّي فيها.

وكانوا يؤذون النبي (صلّى الله عليه وآله) بكل وسيلةٍ تصل أيديهم الآثمة إليها، أو يجدون سبيلاً إليها، حتّىٰ وصل الأمر بهم إلى محاربته محاربة نفسية، هادفين من وراء ذلك خنق الدعوة في مهدها قبل أن يستفحل أمرها، وينتشر

خبرها خارج نطاق مكّة، لا سيّما إذا وجدت مخرجاً إلى يثرب أو المدن الكبيرة الأُخرى.

وعندما فشلت مساعي قريش في صدِّ الدعوة وأعياهم الجهد والحيل، عند ذلك عمدوا إلىٰ صبيانهم وأغرو جهالهم أن يرموا النبي (صلّى الله عليه وآله) بالحجارة والرفث والتراب عندما يمر بطريقه عليهم. فشكىٰ ذلك إلىٰ أخيه وابن عمِّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال له: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إذا خرجت أخرجني معك.

فكان يرافقه (صلّى الله عليه وآله) كلّما يخرج إلىٰ الحرم للطواف، وقد تعرّض له الصبيان بالطريق فكان علي (عليه السلام) يمسك الواحد منهم من أُذنه فيقضمها، أو يمسك أنفه فيجدعه، وبعدها صاروا يهربون من بين يديه صائحين باكين إلىٰ آبائهم، يقولون: قضمنا علي، قضمنا علي. وما عادوا بعد ذلك إلىٰ أذيّة النبي (صلّى الله عليه وآله)، وسُمِّي عليٌّ (عليه السلام) من ذلك الحين (بالقضم) وأشتهر به.

وهكذا كان ديدنهم في أذيّة النبي ومحاربته، وكان في كلِّ تلك المصائب صابراً صامداً كما أمره تعالىٰ في محكم كتابه المجيد: ﴿**فاستقم كما أمرت**﴾[1] أو ﴿**واصبروا إنّ الله مع الصابرين**﴾[2] أو ﴿**فاصبر كما صبر أُولوا العزم من الرسل**﴾[3].

إلى أن لبّت نداء ربّها زوجته الطاهرة خديجة الكُبرى ـ سلام الله عليها ـ والتي كانت أحد أركان دعوته المجيدة، وبعد فترة قصيرة من فراق زوجته

(١) سورة هود/١٢.

(٢) سورة الأنفال/٤٦.

(٣) سورة الأحقاق/٣٥.

التحق بالرفيق الأعلىٰ عمّه أبو طالب ـ سلام الله عليه ـ وكان لهاتين الفاجعتين أكبر الأثر، والمنعطف الخطر في حياة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) وتغير مجراها، فلولا موت أبي طالب لما هاجر (صلّى الله عليه وآله) من مكة،لأنه شَعر حينذاك بفقدان الناصر والكفيل والمحامي ولم يكن من أعمامه من يقوم مقام أبي طالب حتى عمه حمزة يوم ذاك.

وقد رثاه أبنه الإمام علي (عليه السلام) بأبيات:

أبـا طالـب عصمـة المستجيـر ... وغـيث المحـول ونـور الـظلّم

لقـد هدَّ فقـدك أهـل الحفـاظ ... فصـلَّى عليك ولي الـنـعـم

ولَـقّـاك ربـك رضـوانـه ... فقـد كنت للطهـر من خير عم[1]

وبموته انهدَّ ركنه الثاني، فتألم النبي (صلّى الله عليه وآله) وحزن عليهما حزناً شديداً، حتّى سُمّيَ ذلك العام (بعام الأحزان)، لفقد الأحبَّة والكافلين له، وقد كانا له بمنزلةِ الجناحين.

وبقي (صلّى الله عليه وآله) وحده مع ابن عمّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعدد من المؤمنين المستضعفين، يقارعون الكفّار والمشركين من قريش وغيرهم، ويتحمّلون الأذى؛ عند ذلك نشط الكفّار والمشركون بعد فقد زوجته وعمِّه، وقامت قيامتهم لمّا خلا الجو لهم، وهبّوا عن بكَرةِ أبيهم وعزموا علىٰ اغتيال النبي (صلّى الله عليه وآله) وقتلهِ.

اجتمعت مشيخة قريش ورؤساء قبائلهم في دار الندوة يتداولون الأمر، ويتـذاكرون في كيفية تنفيذ المؤامرة والخلاص منه ومن دعوته، واشترك معهم إبليس ـ لعنه الله ـ بصفة رجل غريب جاء من نجد ودخل معهم، فلمّا أنكروه

(١) الكنى والألقاب.

قال: إنّي من نجد أسمع منكم وأُشير عليكم.

وبعد المناقشات والمداولات، استقر رأيهم على أن تُخْرِجَ قريش من كل قبيلةٍ منهم رجـلاً شجاعاً، ويبيتوا على دار النبي (صلّى الله عليه وآله)، وعند الفجر يهجموا عليه بجمعهم ويضربوه ضربة رجل واحد ويقتلوه، وعند ذلك يتفرّق دمه بين قبائل قريش، فحينئذٍ لا يستطيع بنو هاشم قتال جميع قبائل قريش والأخذ بثأره، فيضطرون عند ذلك بقبول ديته، والرضوخ لجمعهم.

وكان بين المؤتمرين أبو لهب عم النبي (صلّى الله عليه وآله).

وفي رواية: كان المتآمرون أربعون رجلاً يمثّلون أربعين قبيلة. وفي رواية أُخرى: كانوا خمسة عشر رجلاً يمثلون خمسة عشر قبيلة. وفي رواية ثالثة: كان المتآمرون عشرة رجال يمثلون عشرة قبائل.

على أي حال، نزل الأمين جبرائيل بهذه الآية المباركة: ﴿**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**﴾ (الأنفال/٣٠).

وأخبره بتفاصيل المؤامرة، وأمره أن يهاجر من مكّة هذه الليلة إلى يثرب، ويجعل أخيه وابن عمّه علي بن أبي طالب (عليه السلام) مكانه للمبيت على فراشه.

فأرسـل (صلّى الله عليه وآله) إلى عليّ (عليه السلام) يخبره بتفاصيل المؤامرة، وهبوط الأمين جبرائيل بالآية، قائلاً له: يا عليّ، إنَّ الروح الأمين هبط عليَّ الساعة يخبرني أنَّ قريشاً إجتمعت على المكر بي وقتلي، وأوحَى إليَّ عن ربّي أن أهجر دار قومي، وأن أنطلق إلى غار حراء في جبل ثور، تحت ليلتي هذه، وقد أمرني أن آمرك بالمبيت على فراشي وفي مضجعي، لتخفي بمبيتك عليهم أثري، فما أنت قائل؟

فقال عليٌّ (عليه السلام): أوَ تسلمنَّ بمبيتي يا رسول الله؟

قال (صلّى الله عليه وآله): نعم.

فتبسَّم ضاحكاً، وأهوىٰ إلى الأرض ساجداً شاكراً لله.

فكان علي (عليه السلام) أوّل مَن سجد لله شكراً، وأول من وضع جبهته على الأرض معفرها بالتراب، وقال: فداك سمعي وبصري، مُرني بما شئت تجدني مطيعاً مُنفِّذاً.

فقـال (صـلّى الله عليه وآلـه): فارقـد على فراشي، واشتمـل ببردي الحضرمي؛ ثمَّ إنّي أُخبرك يا عليّ، إنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ يمتحن أولياءه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثمَّ الأمثل فالأمثل؛ وقد امتحنك يابن أُمّ وامتحنني فيك، بمثل ما امتحن به خليله إبراهيم (عليه السلام)، والـذبيح إسـماعيل (عليه السـلام)، فصـبراً صبراً، فإنَّ رحمة الله قربت من المحسنين. ثمَّ ضمَّه إلىٰ صدره (صلوات الله عليه وآله) وبكىٰ إليه وجداً به، وفرقاً عليه، وبكىٰ عليٌّ (عليه السلام) جزعاً علىٰ فراقه.

فجاءت قريش قاصدةً تنفيذ خطتها ومؤامرتها، وأحاطوا بالدار، وجلس أكثـرهم بالبـاب يحرسونها ريثما يطلع الفجر ليثبوا علىٰ داره وثبة رجل واحد ويقتلوه. وخرج النبي (صلّى الله عليه وآله) من الدار ماراً من بين أيديهم، آخذاً حفنةً من التراب رمىٰ بها علىٰ وجوههم، قائلاً لهم: شاهت الوجوه، وقرأ الآية الكريمة: ﴿**وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لا يُبْصِرُونَ**﴾[1] فغشي علىٰ أعينهم ولم يروا النبي (صلّى الله عليه وآله) لمّا مرّ بهم، وانطلق متوجّهاً إلىٰ غار ثور، وصادفه أبوبكر بالطريق فالتحق به ورافقه المسير.

عند ذلك أوحىٰ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ إلىٰ جبرئيل وميكائيل: إنّي آخيت

---

(١) سورة يس/٩.

بينكما، وجعلتُ عمر أحدكما أطول من الآخر، فأيّكما يؤثر صاحبه بالحياة؟ فاختار كل واحدٍ منهما الحياة، فأوحىٰ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ إليهما: ألا كنتما مثل عبدي علي بن أبي طالب! آخيت بينه وبين محمّدٍ عبدي ورسولي، فبات علىٰ فراشه فادياً له بنفسه ويؤثره بالحياة؛ إهبطا إلىٰ الأرض فاحفظاه من عدوه. فنزلا، فكان جبرئيل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، وجبرئيل يقول: بخٍ بخٍ، مَن مثلك يابن أبي طالب، يباهي الله ـ سبحانه ـ بك ملائكته؟!

وأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ علىٰ رسوله (صلّى الله عليه وآله) وهو بطريقه إلىٰ يثرب في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) هذه الآية الكريمة المباركة: ﴿وَمِنَ النَاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابْتِغاء مَرضاتِ الله * وَالله رَؤوفٌ بالعِبادْ﴾[1].

بات عليٌّ (عليه السلام) علىٰ فراش النبي (صلّى الله عليه وآله)، ملتحفاً ببرده الحضرمي، والمشركون يرمونه بالحجارة بين الفينة والفينة، وهم يتصورون أنّه النبي (صلّى الله عليه وآله)، وهو صابر يتضوّر من شدّة الألم، ولا يُبدي أي حركة لئلا ينكشف أمره. فلما طلع الفجر وثب المشركون علىٰ الدار شاهرين سيوفهم، قاصدين فراش النبي (صلوات الله عليه وآله)، فنهض أمير المؤمنين (عليه السلام) من فراش النبي شاهراً سيفه، ولمّا رأوه أسقط ما في أيديهم، وقالوا: عليٌّ هذا؟! قال: نعم.

قالوا: أين محمّد؟

قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟! ألستم قلتم: نخرجه من بلادنا؟ فقد خرج عنكم.

قالوا: كُنتَ تخدعنا منذ الليل بنومك علىٰ فراشه، وظننا أنّك محمّد.

(١) سورة البقرة/٢٠٧.

فتركوه وتتبعوا أثره حتّىٰ وصلوا إلى باب الغار في جبل ثور، الذي اختفىٰ فيه النبي (صلّى الله عليه وآله) ومعه أبو بكر، فوجدوا علىٰ باب الغار نسيج العنكبوت، وطير راقد علىٰ فراخه، فقالوا: إلىٰ هنا انقطع أثره، إمّا أنّه صعد إلىٰ السماء، أو نزل إلىٰ الأرض، ولا يمكن دخول الغار، وهذا نسيج العنكبوت وعش الطير ببابه، فرجعوا خائبين.

وبقي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وصاحبه ثلاثة أيّام في الغار، وكان عليٌّ (عليه السلام) يأتيه بالطعام كلّ يوم، وفي اليوم الثالث جاء عليٌّ (عليه السلام) ومعه الدليل وثلاث جمال: واحدٌ له، والآخر لصاحبه، والثالث للدليل، فركبوها وانطلقوا إلىٰ يثرب.

وسبق أن أوصاه: إذا أتاك كتابي اقض ديني، وردَّ الودائع التي عندي إلىٰ أصحابها، والتحق بي مع الفواطم.

وكان (عليه السلام) يعتز ويفتخر بهذا التوفيق الذي ناله من عند الله تعالى فأنشد يقول:

وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجرِ
محمّد لمّا خاف أن يمكروا به
فوقّاه ربّي ذو الجلال من المكرِ
وبتُّ أراعيهم حتّىٰ ينشرونني
وقد وطّنت نفسي على القتل والأسرِ
وبات رسول الله في الغار آمناً
هناك وفي حفظ الآلِه وفي سترِ

أقـام ثلاثـاً ثمّ زمـت قرائصٌ
قلائص يفـرين الحـصـى أينـما يفـري

هذا العمل العظيم والتضحية الجسيمة التي أقدم عليها هذا البطل المقدام وهو لا يزال في شرخ الشباب وباكورة عمره الشريف ـ الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب سلام الله عليه ـ، وقع من أهل السماء موقع الإعجاب والإكبار والتقدير، بهذه المواساة الفريدة في تأريخ الإسلام، بل وفي تأريخ الأنبياء كافّة عدا تضحية جده الأمجد النبي إسماعيل (عليه السلام)، إذ قال له أبوه إبراهيم الخليل عليه أفضل التحية والسلام: ﴿يَا بُنَيَّ إِنِي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾[1].

فلا غرو ولا عجب أن طأطأ عظماء العالم رؤوسهم إجلالاً وإكباراً لعظمتهِ وإقدامه وتضحيته (صلوات الله وسلامه عليه).

ثم وصل الخبر بقدوم الركب الطاهر على أهل يثرب فخرج أهلها عن بَكرةَ أبيهم، شيوخاً وشبّاناً، ونساءً وأطفالاً، لإستقباله (صلوات الله وسلامه عليه) حتّىٰ وصلوا إلىٰ قبا، وهي قرية علىٰ الطريق تبعد عن يثرب حوالي الفرسخين، وفيها البساتين وعيون المياه العذبة، فلمّا شاهدوا الركب المبارك من بعيد أخذهم الحماس، وهبّوا بأهازيج الفرح وآيات الترحيب، منادين بأصواتهم الرخيمة وألحانهم الشجيّة:

طلع البـدر علينـا من ثنـيّات الـوداع
وجـب الشكـر علينـا ما دعـا لله داع

(١) سورة الصافات/١٠٢.

أيّهـا المبعـوث فينـا جئت بالأمـر المُطاع
جئتَ شرَّفت المـدينـة مرحبـاً يا خير داع

رحّب المسلمون بمقدم نبيّهم الكريم، مطالبين مواصلة سيره إلىٰ يثرب، غير أنّه (صلّى الله عليه وآله) أعلمهم بانتظار قدوم ابن عمّه علي بن أبي طالب والفواطم، وهنّ: فاطمة الزهراء، وفاطمة بنت أسد أُمّ أمير المؤمنين، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب، وبقية الضعينة مثل خادمتهم بركة أم أيمن وغيرهن.

وفي فترة مكوثه بقبا بنىٰ مسجده المعروف إلىٰ اليوم، وهو أول مسجدٍ أُسّس في الإسلام، حيث أنزل الله تبارك وتعالىٰ في محكم كتابه الآية الشريفة: **﴿لمسجدٌ أُسس علىٰ التقوىٰ من أول يومٍ أحقّ أن تقوم فيهِ، فيه رجالٌ يحبّون أن يتطهّروا والله يحبُّ المطهّرين﴾**[1].

وفي حديث لرسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): أنّه قال: «مَن أتىٰ مسجدي هذا ـ أو «من أتىٰ مسجد قُبا» في رواية أُخرىٰ ـ فصلّى فيه ركعتين رجع بعمرة. رواه ابن قولويه في كامل الزيارات ص٢٤ ح٢.

فلمّا التحق عليٌّ (عليه السلام) برسول الله (صلّى الله عليه وآله) في قبا مع الفواطم، توجّها إلىٰ يثرب، والمسلمون في ركابهما وبين أيديهما، وتقدّم أشراف يثرب وزعماء عشائرهم من الأوس والخزرج داعين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن ينزل عليهم، ليتشرّفوا بضيافته، وكل واحدٍ منهم كان ممسكاً بخطام ناقته يجرّها إليه، ليحصل علىٰ الشرف العظيم، غير أنّه (صلّى الله عليه وآله وسلّم) قال: اتركوها، فإنّها مأمورة. فسارت الناقة في الأزقة متخطّية الدور حتىٰ بركت أمام دار أبي أيّوب الأنصاري (رضوان الله عليه)، وهو رجل فقير مغمور، يسكن

(١) سورة التوبة/١٠٨.

في بيت صغير مع والدته العجوز العمياء، فرحَّب به وأنزله من ركابه، وقد غمرته الفرحة ـ أي فرحةٍ هذه ـ لتشرّفه بضيافة سيّد البشر، ونزوله في داره مع علي (عليه السلام) والفواطم، وقد ألطف الله عليه، وحصل علىٰ شرف الدنيا والآخرة.

وجاءت أُمّه العمياء تتلمّس الجدران حتّىٰ وصلت إليه (صلّى الله عليه وآله)، مرحِّبة بمقدمه الشريف، ومتمنيةً لو أنّها تبصر لترىٰ طلعته البهيّة، فمسح (صلّى الله عليه وآله) يده الشريفة علىٰ عينيها، فعادت سليمة مبصرة. وهذه ثاني معجزة بعد وصوله يثرب مباشرة:

الأُولى: ترك الناقة حتّىٰ بركت.

والثانية: إبصار العجوز العمياء.

صلّى الله عليه وآله وسلّم عدد ما في علم الله سبحانه.

ورحم الله الشاعر القائل:

ومواقف لك دون أحمد جاوزت ... بمقامك التعريف والتحديدا

فعلى الفراش تبيت ليلك والعدىٰ ... تهدي إليك بوارقاً ورعودا

فرقدت مثلوج الفؤاد كأنّما ... يهدى القراع لسمعك التغريدا

فكفيت ليلته وقمت معارضاً ... بالنفس لا فشلاً ولا رعديدا

واستصبحوا فرأوا دون مرادهم ... جبلاً أشم وفارساً صنديدا

رصدوا الصباح لينفقوا كنز الهدى ... أو ما دروا كنز الهدى مرصودا؟!

وحادثة مبيت علي (عليه السلام) علىٰ فراش النبي (صلّى الله عليه وآله) ليلة هجرته مشهورة كالشمس في رابعة النهار، حيث رواها معظم الحفاظ والمؤرخين في سُنَنِهم وسِيَرِهم وتَواريخهم نذكر منهم علىٰ سبيل المثال:

أحمد بن حنبل في مسنده ج١ ص٣٣١.

والحاكم في المستدرك علىٰ الصحيحين ج٣ ص٤.

أخطب خوارزم في «المناقب» ص٨٢ ط تبريز.

الحافظ الكنجي في «كافية الطالب» ص١١٤ ط الغري.

الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من «تاريخ دمشق» ج٣ ص١٨٣ ط بيروت.

العلّامة الثعلبي في (تفسيره ج٢ ص٣٧٦ ط لاهور، كما في العمدة للعلّامة ابن البطريق ص١٢٤.

العلّامة ابن الأثير في (أسد الغابة) ج٤ ص١٩ ـ ٢٥ ط مصر سنة ١٢٨٥.

الحافظ ابن كثير الدمشقي الشافعي في (تفسير الميزان) ج٤ ص٣١٠ ط بولاق مصر.

العلّامة ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص٣٠ ط النجف.

العلّامة العسقلاني في (المواهب اللدينة) علىٰ ما في تفسير اللوامع ص٣٧٧ ط لاهور.

العلّامة الترمذي في (مناقب المرتضوي) ص٣٣ ط بمبي.

العلّامة سبط في (التذكرة) ص٢٠٨ ط النجف.

الخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١٣ ص١٩١ ط القاهرة.

العلّامة محب الدين الطبري في (تاريخ الأُمم والملوك) ج٢ ص٩٩ ط مصر.

ولمزيد من المصادر راجع: بحار الأنوار ج١٩ ص٢٨ ـ ١٠٣، وإحقاق الحق ج٣ ص٢٤ ـ ٣٣، وج٦ ص ٤٧٩ ـ ٤٨١ وج٨ ص٣٣٤ ـ ٣٤٨ وج١٨ ص٨٥ ـ ٩٢ وج٢١ ص٢٨٦ ـ ٢٩٣.

هجرته (عليه السلام) بالفواطم

بعد أن خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) من داره مهاجراً بطريقه إلى الغار التحق به أبو بكر، وأبقى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على فراشه فادياً له بنفسه.

وأصبحت قريش وقد خرجوا في طلب النبي (صلّى الله عليه وآله) يقصون أثره في شعاب مكة وجبالها، فلم يتركوا موضعاً، حتىٰ انتهوا إلى باب الغار الذي كان النبي (صلّى الله عليه وآله) فيه، فوجدوا العنكبوت ناسجاً علىٰ بابه ووجدوا حمامتين وحشيتين قد نزلتا بباب الغار وباضتا وفرختا. فقال لهم عتبة بن ربيعة: ما وقوفكم ها هنا لو دخل محمد هذا الغار لخرق هذا النسيج الذي ترون، ولطارت الحمامتان، وجعل القوم يتكلمون، وقال أحدهم: إلى هنا انقطع أثره، فاما أن صعد إلى السماء أو هبط تحت الأرض.

وكان أبو بكر خائفاً يرتجف فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): يا أبا بكر نحن أثنان والله ثالثنا، فما ظنك باثنين والله ثالثهما؟ لا تحزن إن الله معنا فضرب الله علىٰ وجوه القوم فانصرفوا.

وما احسن قول الفيومي في تخميسه للبردة:

هذا الحمام بباب الغار قد نزلا والعنكبوت حكت من نسجها حللا
فالصاحبان هنا يا قوم ما دخلا ظنوا الحمام وظنوا العنكبوت على
خير البرية لم تنسج ولم تحم

وأقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثلاثة أيام بلياليها في الغار، وقريش يطلبونه فلا يقدرون عليه ولا يدرون أين هو؟ فلما كان بعد الثلاثة أيام، استأجر علي بن أبي طالب (عليه السلام) دليلاً يقال له «الأريقط بن عبد الله الليثي» وأرسل معه بثلاث من الابل فجاء بهن إلى أسفل الجبل ليلاً، وقد سمع النبي (صلّى الله عليه وآله) رغاء الابل فنزل من الغار هو وصاحبه إليه فعرفاه، وجعل الدليل يشد على الابل اجلالها «ارحالها» وهو يرتجز ويقول:

شدا العرى على المضي وأخّرا وودعا غاركما والحرما
وشمرا هديتما وسلما لله هذا الأمر حقاً فاعلما
سينصر الله النبي المسلما

وركب النبي (صلّى الله عليه وآله) وصاحبه وسار الركب والدليل معهم إلى أن وصلا «قبا».

وثمة أحداث تركناها روماً للاختصار جرت للنبي في الطريق، ومعاجزه (صلّى الله عليه وآله) من طلب سراقة أو في خيمة أم معبد.... الىٰ آخره، تجدها مفصلةً في الجزء الاول من هذه السلسلة.

أما كيفية هجرة علي بن أبي طالب (عليه السلام) من مكة إلى يثرب بالفواطم، فقد رواها المحدثون بهذه الصورة اذكرها ملخصاً:

كتب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إلى علي بن أبي طالب (عليه السلام) كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه، وبعثه مع أبي واقد الليثي، فلما أتاه كتاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) تهيأ للخروج والهجرة.

قال ابن شهر آشوب: واستخلفه الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) لرد الودائع، لانه كان أميناً، فلما أداها قام عليٌّ (عليه السلام) علىٰ الكعبة فنادىٰ بصوت رفيع: يا أيها الناس هل من صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل

مَن عدة له قبل رسول الله؟ فلما لم يأت أحد لحق بالنبي.

وقال ابن شهر آشوب أيضاً: أمره النبي أن يؤدي عنه كل دَين وكل وديعة، وأوصى إليه بقضاءِ ديونه، فأذِنَ لمن كان معه من ضعفاءِ المؤمنين، فأمرهم، أن يتسللوا ويتخفوا ـ إذا ملأ الليل بطن كل واد ـ إلى ذي طوى، وخرج علي (عليه السلام) بفاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأمه فاطمة بنت أسد بن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وقد قيل: هي ضباعة، وتبعهم أيمن بن أم أيمن مولى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأبو واقد رسول رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فجعل يسوق بالرواحل فأعنف بهنّ، فقال علي (عليه السلام): إرفق بالنسوة أبا واقد! إنهن من الضعائن قال: إني أخاف أن يدركنا الطالب ـ أو قال: الطلب ـ فقال علي (عليه السلام): أربع عليك، فان رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال لي: يا علي إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر تكرهه، ثم جعل ـ يعني علياً (عليه السلام) ـ يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يرتجز ويقول:

ليس إلاّ الله فارفع ظنكا يكفيك رب الناس ما أهمّكا

وسار، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب، سبع فوارس من قريش مستلئمين وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى (جناحا)، فأقبل علي (عليه السلام) على أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أنيخا الإبل وأعقلاها. وتقدم حتى أنزل النسوة، ودنا القوم فاستقبلهم علي (عليه السلام) منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه فقالوا: ظننت أنك ـ يا غدار ـ ناج بالنسوة، ارجع لا أبا لك، قال: فان لم أفعل؟ قالوا: لترجعن راغماً، أو لنرجعن بأكثرك شَعراً، وأهون بك من هالك. ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليثيروها، فحال علي (عليه السلام)

بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه فراغ علي (عليه السلام) عن ضربته، وتخلله علي (عليه السلام) فضربه على عاتقه، فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كاثبة فرسه، فكان علي (عليه السلام) يشد على قدمه شد الفرس، أو الفارس على فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول:

خلوا سبيل الجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد

فتصدع القوم عنه، فقالوا له: اغن عنا نفسك يا ابن أبي طالب، قال: فاني منطلق إلى ابن عمي رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بيثرب، فمن سرّه أن أفري لحمه، وأهريق دمه فليتبعني، أو فليدن مني، ثم أقبل على صاحبيه أيمن وأبي واقد فقال لهما: أطلقا مطاياكما، ثم سار ظافراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فتلوَّم بها قدر يومه وليلته، ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين، وفيهم أم أيمن مولاة رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فلبثوا هناك هو والفواطم: أمه فاطمة بنت أسد (رضي الله عنها)، وفاطمة (عليها السلام) بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وفاطمة بنت الزبير، يصلون لله ليلتهم ويذكرونه قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم، فلم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر، فصلى علي (عليه السلام) بهم صلاة الفجر، ثم سار لوجهه، فجعل وهم يصنعون ذلك منزلا بعد منزل يعبدون الله (عز وجل) ويرغبون إليه كذلك حتى قدموا المدينة، وقد نزل الوحي بما كان من شأنهم قبل قدومهم: **﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً﴾** إلى قوله: **﴿فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾**.

وفي رواية:

كان علي (عليه السلام) يواصل سيره على قدميه دون أن يركب ظهراً،

أو يستخدم دابة، فيطوي الأرض ما بين مكة والمدينة على قدميه[١] حتىٰ تفطرت قدماه وتورمتا من شدة السير على النتوء والصخور، ويصل الركب «قبا»، فسر الرسول (صلّى الله عليه وآله) بسلامة الوصول، ولقاء الأحبة، ثم قال:

ادع لي علياً. قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبي (صلّى الله عليه وآله) وأعتنقه وبكىٰ، رحمة به، لما قاساه من تورم قدميه، وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتىٰ قتل[٢].

لقد عظم هذا الموقف في نفس رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما كان عظيماً عند الله سبحانه، فاستحق أن يخلد، وان يكون نموذجاً وقدوة جهادية وعقائدية لاجيال المسلمين، ومن هنا جاء تخليد الوحي له (عليه السلام) ونزول القرآن فيه وصفاً وتعظيماً[٣].

﴿...فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخرِجُوا مِن دِيارِهِم وَاوُذوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلوا وَقُتِلوا لاكفّرن عنهم سَيئَاتِهم ولأدخلنهم جَنّاتٍ تجرَي مِن تَحتِها الأنهَار ثواباً من عند الله * وَالله عندَه حُسن الثواب﴾ (آل عمران آية ١٩٥).

إنّه فك ارتباطه بالأرض، وهاجر إلى الله ـ سبحانه وتعالىٰ ـ ...وإنّه قطع صلته بالديار وسار نحو الله تعالىٰ ...إنّه أعرض عن الأهل والعشيرة في أشدّ ظروف المحنة، وتجرد لتحمل الأذىٰ والمشاق، والتعب والعناء في سبيل الله تعالى.. واستجابة لله تعالى وطلباً لمرضاته.. وطاعة رسوله (صلّى الله عليه وآله).

ولما نزل الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) بقباء خارج المدينة بقي ينتظر قدوم علي (عليه السلام)، فقال له أبو بكر: إنهض بنا إلى المدينة فإن القوم

(١) والمسافة بينهما حوالي ٤٨٠ كم.

(٢) ابن الاثير ـ الكامل في التاريخ ج٢ ص١٠٦.

(٣) الميزان في تفسير القرآن ج٤ ص٩١ /ط٢.

قد فرحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالك إليهم، فانطلق بنا ولا تُقِم ههنا تنتظر عليا، فما أظنه يقدم إليك إلى شهر، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): كلّا، ما أسرعه ولست أُريم حتىٰ يقدم ابن عمي وأخي في الله ـ عز وجل ـ واحب أهل بيتي إليَّ فقد وقاني بنفسه من المشركين.

فبقي النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) خمسة عشر يوماً فوافىٰ علي بعياله وقد تفطرت قدماه، فاعتنقه النبي وبكىٰ رحمة لما بقدميه من الورم، وتفل في يديه وأمرَّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد ذلك أبداً.

* * *

الزواج الميمون

زواج علي من فاطمة (عليهما السلام)

اقتران النور من النور علي من فاطمة الزهراء (عليهما السلام).

من أوّل المبادئ التي تبنّاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في بداية بعثته هو الحث على النكاح، ودفع الشباب المسلم على تأسيس الأُسرة وبناء اللّبنةِ الصالحة للمجتمع المؤمن الواعي، وتحمّل المسؤولية في تربية الجيل الصاعد، كما أمر الله تعالى في محكم كتابه المجيد إذ قال: **﴿وأنكحوا الأيامىٰ منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليهم﴾**[1].

كما وردت أحاديث شريفة كثيرة عن النبي (صلّى الله عليه وآله)، وروايات عديدة عن الأئمة الطاهرين (عليهم السلام) في الحثّ علىٰ الزواج وتكوين الأُسرة النظيفة.

منها ما قاله (صلّى الله عليه وآله): «مَن تزوّج فقد أحرز نصف دينه، فليتق الله في النصف الآخر».

ولم يكتف بالحثّ علىٰ الزواج نظرياً فحسب، بل عمد إلىٰ تطبيق الأمر بنفسه عملياً وببساطة بعيدة عن التعقيد والتكاليف التي كان يتهيبها الشباب ويحجم عن الإقدام عليها. فقدّم النموذج الأمثل من خلال إبنته سيّدة نساء العالمين (عليها السلام)، وإليك وصف الواقعة بصورة موجزة ومختصرة:

---

(١) سورة النور/٣٢.

لمّا أدركت فاطمة الزهراء (عليها السلام) مدرك النساء، خطبها أكابر المسلمين من قريش ومن أهل الفضل والسابقة في الإسلام، ومن أهل الشرف والمال، وكلّما ذكرها رجل من قريش لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أعرض عنه بوجهه، حتّىٰ أصبح الرجل منهم يظن في نفسه ربّما أنّه ساخط عليه، أو قد نزل فيه وحي من السماء، كما خطبها أبو بكر، ومن بعده عمر، فكان جوابه (صلّى الله عليه وآله): «أمرها إلىٰ ربها».

فجاء أبو بكر وسعد بن معاذ يوماً إلى علي (عليه السلام)، وهو في حائط له خارج المدينة يسقي الزرع، وسألاه عمّا يمنعه من خطبته فاطمة (عليها السلام)، فقال لهما: ما يمنعني إلّا الحياء، وقلّة ذات اليد. فقال له سعد: اذهب إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأخطب منه فاطمة، فإنّه يزوّجك إيّاها، والله ما أرى أنّه يحبسها عليك.

فأقبل عليٌّ (عليه السلام) يقصد دار النبي (صلّى الله عليه وآله)، فهبط الأمين جبرائيل على رسول الله وأخبر بمجيء عليّ وقصده، وكان (صلّى الله عليه وآله) في دار أُمِّ سَلَمَة ـ رضوان الله عليها ـ، فطرق الباب، فنادت أُمّ سلمة: مَن بالباب؟ فقال لها (صلّى الله عليه وآله) قبل أن يجيبها عليٌّ (عليه السلام): قومي يا أُم سلمة، وافتحي له الباب ، ومريه بالدخول؛ فهذا رجل يحبّه الله ورسوله ويحبهما.

فقامت أُم سلمة وفتحت الباب، وإذا به علي بن أبي طالب (عليه السلام).

قالت أُمّ سلمة: والله ما دخل حين فتحت الباب حتّى علم أنّي رجعت إلى خدري، ثمّ دخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال: السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته. فأجابه النبي: وعليك السلام، اجلس. فجلس

ورأسه مطأطأ ينظر إلى الأرض، كأنّه قصد لحاجةٍ وهو يستحي أن يبديها حياءً.

فقال رسول الله: إنّي أرى أنّك أتيت لحاجةٍ، فقل ما حاجتك؟ وابدِ ما في نفسك فكلّ حاجةٍ لك مقضية.

فقال (عليه السلام): فداك أبي وأُمّي، إنّك لتعلم، أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذائك، وأدبْتني بأدبك، فكنتَ إليَّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة؛ وإنَّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك، وأنت ـ والله ـ يا رسول الله، ذخري وذخيرتي في آخرتي ودنياي، يا رسول الله، وقد أحببت، مع ما شدَّ الله من عضدي بك ـ أن يكون لي بيت، وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله؟

فتهلّل وجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فرحاً وسروراً، ثمَّ تبسّم في وجه عليّ (عليه السلام) وقال: فهل معك شيء أُزوّجك به؟

فقال عليٌّ (عليه السلام): فداك أبي وأُمّي، والله ما يخفى عليك من أمري شيء، أملك سيفي، ودرعي، وناضحي[1]، ومالي شيء غير هذا.

فقال (صلّى الله عليه وآله): يا علي، أمّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وأمّا ناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك.

يا عليّ أبشّرك؟

فقال: نعم فداك أبي وأُمّي بشّرني فإنّك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلّى الله عليك.

فقال (صلّى الله عليه وآله): أبشر، فإنَّ الله تعالى قد زوجكها في السماء

(١) البعير الذي ينقل عليه الماء.

من قبل أن أُزوّجك في الأرض... إلى آخر كلامه.

وهناك أحاديث عديدة عن الرسول (صلّى الله عليه وآله)، في قصّة الزواج في السماء أكثر منها في الأرض.

ثمَّ قال: يا علي، إنّه ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتّى أخرج إليك. فدخل عليها، فقامت فأخذت رداءه، ونزعت نعله، وأتت بالوضوء فتوضّأ، وغسّلت رجليه، ثمَّ قعدت، فقال لها: يا فاطمة!

فقالت: لبيك، ما حاجتك يا رسول الله؟

قال: إنَّ علي بن أبي طالب مَن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألتُ ربّي أن يزوّجك خير خلقه، وأحبّهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، ولم تولِ وجهها ولم ير فيها كراهةً، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها.

فمضى عليٌّ (عليه السلام) إلى المسجد، وجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أثره، وفي المسجد جلّ المهاجرين والأنصار، فصعد المنبر وارتقى أعلى درجته، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

معاشر المسلمين، إنَّ جبرئيل أتاني آنفاً، فأخبرني عن ربّي ـ جلَّ جلاله ـ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة من عبده علي بن أبي طالب، وأمرني أن ازوجها في الأرض، وأُشهدكم على ذلك.

ثمَّ جلس وقال لعلي (عليه السلام): قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك. فقام وحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله، وقال:

الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلاّ الله شهادةً تبلغه وترضيه، وصلّى الله على محمّد صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح مما أمر الله به ورضيه، ومجلسنا هذا مما

ورأسه مطأطأ ينظر إلى الأرض، كأنّه قصد لحاجةٍ وهو يستحي أن يبديها حياءً.

فقال رسول الله: إنّي أرى أنّك أتيت لحاجةٍ، فقل ما حاجتك؟ وابدِ ما في نفسك فكلّ حاجةٍ لك مقضية.

فقال (عليه السلام): فداك أبي وأُمّي، إنّك لتعلم، أخذتني من عمّك أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد وأنا صبي، فغذيتني بغذائك، وأدبْتني بأدبك، فكنتَ إليَّ أفضل من أبي طالب ومن فاطمة بنت أسد في البر والشفقة؛ وإنَّ الله تعالى هداني بك وعلى يديك، وأنت ـ والله ـ يا رسول الله، ذخري وذخيرتي في آخرتي ودنياي، يا رسول الله، وقد أحببت، مع ما شدَّ الله من عضدي بك ـ أن يكون لي بيت، وأن تكون لي زوجة أسكن إليها، وقد أتيتك خاطباً راغباً، أخطب إليك ابنتك فاطمة، فهل أنت مزوّجي يا رسول الله؟

فتهلّل وجه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فرحاً وسروراً، ثمَّ تبسّم في وجه عليّ (عليه السلام) وقال: فهل معك شيء أُزوّجك به؟

فقال عليٌّ (عليه السلام): فداك أبي وأُمّي، والله ما يخفىٰ عليك من أمري شيء، أملك سيفي، ودرعي، وناضحي[1]، ومالي شيء غير هذا.

فقال (صلّى الله عليه وآله): يا علي، أمّا سيفك فلا غنى بك عنه، تجاهد به في سبيل الله، وأمّا ناضحك تنضح به على نخلك وأهلك، وتحمل عليه رحلك في سفرك، ولكني قد زوّجتك بالدرع، ورضيت بها منك.

يا عليّ أبشّرك؟

فقال: نعم فداك أبي وأُمّي بشّرني فإنّك لم تزل ميمون النقيبة، مبارك الطائر، رشيد الأمر، صلّى الله عليك.

فقال (صلّى الله عليه وآله): أبشر، فإنَّ الله تعالى قد زوجكها في السماء

(١) البعير الذي ينقل عليه الماء.

من قبل أن أُزوّجك في الأرض... إلى آخر كلامه.

وهناك أحاديث عديدة عن الرسول (صلّى الله عليه وآله)، في قصّة الزواج في السماء أكثر منها في الأرض.

ثمَّ قال: يا علي، إنّه ذكرها قبلك رجال، فذكرت ذلك لها، فرأيت الكراهة في وجهها، ولكن على رسلك حتّى أخرج إليك. فدخل عليها، فقامت فأخذت رداءه، ونزعت نعله، وأتت بالوضوء فتوضّأ، وغسّلت رجليه، ثمَّ قعدت، فقال لها: يا فاطمة!

فقالت: لبيك، ما حاجتك يا رسول الله؟

قال: إنَّ علي بن أبي طالب مَن قد عرفت قرابته وفضله وإسلامه، وإنّي قد سألتُ ربّي أن يزوّجك خير خلقه، وأحبّهم إليه، وقد ذكر عن أمرك شيئاً، فما ترين؟

فسكتت، ولم تولِ وجهها ولم ير فيها كراهةً، فقام وهو يقول: الله أكبر، سكوتها إقرارها.

فمضى عليٌّ (عليه السلام) إلى المسجد، وجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أثره، وفي المسجد جلّ المهاجرين والأنصار، فصعد المنبر وارتقى أعلى درجته، فحمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال:

معاشر المسلمين، إنَّ جبرئيل أتاني آنفاً، فأخبرني عن ربّي ـ جلَّ جلاله ـ أنّه جمع الملائكة عند البيت المعمور، وأنّه أشهدهم جميعاً أنّه زوّج أمته فاطمة من عبده علي بن أبي طالب، وأمرني أن ازوجها في الأرض، وأُشهدكم على ذلك.

ثمَّ جلس وقال لعلي (عليه السلام): قم يا أبا الحسن فاخطب أنت لنفسك. فقام وحمد الله وأثنىٰ عليه، وصلّىٰ علىٰ رسوله، وقال:

الحمد لله شكراً لأنعمه وأياديه، ولا إله إلّا الله شهادةً تبلغه وترضيه، وصلّى الله على محمّد صلاة تزلفه وتحظيه، والنكاح مما أمر الله به ورضيه، ومجلسنا هذا مما

قضاه الله وأذن فيه، وقد زوّجني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ابنته فاطمة، وجعل صداقها درعي هذا، وقد رضيت بذلك، فاسألوه واشهدوا.

فقال المسلمون لرسول الله (صلّى الله عليه وآله): زوّجته يا رسول الله؟

فقال: نعم.

فقالوا: بارك الله لهما شملهما.

قال عليٌّ (عليه السلام): فانطلقت، فبعت الدرع بأربعمائة درهم سود هجرية ـ وفي رواية أُخرى: أربعمائة وثمانين، أو خمسمائة درهماً.

فلمّا قبض الدراهم أقبل إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وطرح الدراهم بين يديه، فدعا أبا بكر فدفع إليه حفنة منها، وقال: اشتر بهذه الدراهم لابنتي فاطمة ما يصلح لها في بيتها. وبعث معه سلمان وبلال ليعيناه على حمل ما يشتريه من متاع.

قال أبو بكر: أحصيت الدراهم التي أعطانيها النبي فكانت ثلاثاً وستين درهماً، فانطلقت واشتريت فراشاً من خيش مصر محشواً بالصوف، ونطعاً من أُدم، ووسادة من أُدم، حشوها من ليف النخل، وعباءة خيبرية، وقربة ماء، وكيزان، وجرار، ومطهرة للماء، وستر صوف رقيق، وحملناه جميعاً حتّى وضعناه بين يدي رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فلمّا نظر إليه بكى وجرت دموعه، ثمّ رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهمَّ بارك لقومٍ جُلُّ آنيتهم الخزف».

قال الإمام علي (عليه السلام): ودفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) باقي ثمن الدرع إلى أُمّ سلمة، وقال لها: اتركي هذه الدراهم عندك.

ثمّ أن علياً (عليه السلام) أراد البناء بسيدة النساء فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد شهر من الخطبة، فدخلت على النبي (صلّى الله عليه وآله) أُم أيمن، وأُم سلمة، وباقي زوجاته، وطلبن منه (صلّى الله عليه وآله) ذلك، في حديث طويل أتينا على ذكره في مجموعة «علي في الكتاب والسنة» فراجع.

فأجاب الرسول (صلّى الله عليه وآله) لما حضر علي (عليه السلام) عنده، وقال:هييء منزلاً حتىٰ نحوّل فاطمة إليه.

فقال عليٌّ (عليه السلام): يا رسول الله، ما ها هنا منزل إلّا منزل حارثة بن النعمان.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): والله، لقد استحيينا من حارثة بن النعمان فقد أخذنا عامّة منازله.

فبلغ ذلك حارثة فجاء إلى النبي، فقال: يا رسول الله، أنا ومالي لله ولرسوله، والله ما شيء أحبّ إليَّ ممّا تأخذه، والذي تأخذه أحبُّ إليَّ ممّا تتركه، فجزاه الرسول خيراً.

فحوّل فاطمة إلى علي (عليه السلام) في منزل حارثة، وبسطوا على أرض البيت كثيباً من الرمل، ونصبوا عوداً يوضع عليه السقاء (القربة) وستروه بكساء، ونصبوا خشبة من حائط إلى حائط للثياب، وبسط من جلد كبش ومخدة ليف.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): يا علي، إصنع لأهلك طعاماً فاضلاً.

وجاء أصحابه بالهدايا.

وأمر النبي فطحن البرُّ (الحنطة) وخبز ، وذبح الكبش، واشترى عليٌّ تمراً وسمناً، وأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وحَسر عن ذراعه، وجعل يشدخ التمر بالسمن فقال: يا علي، أُدع من أحببت.

قال علي (عليه السلام): فأتيت المسجد وهو غاص بالناس، فناديتُ: أجيبوا إلى وليمة فاطمة بنت محمّد (صلّى الله عليه وآله). فأجابوا من النخلاء والزروع، وأقبل الناس إرسالاً وهم أكثر من أربعة آلاف رجل، وسائر نساء المدينة ورفعوا منها ما أرادوا، ولم ينقص من الطعام شيء، ثمَّ دعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالصحاف والأواني، فملئت، ووجّه بها إلى منازل أزواجه، ثمَّ أخذ

صحيفة، وقال: هذه لفاطمة وبعلها.

وكان لفاطمة (عليها السلام) يوم بنىٰ بها علي بن أبي طالب (عليه السلام) تسع سنين. عمر الورد.

ثمَّ أنفذ الرسول (صلّى الله عليه وآله) إلى علي (عليه السلام)، ثمَّ دعا فاطمة (عليها السلام) فأخذ يدها ووضعها في يده، وقال: بارك الله في إبنة رسول الله. وقال: يا علي، نعم الزوجة فاطمة، ويا فاطمة نعم الزوج علي.

ثمَّ قال: يا علي، هذه فاطمة وديعتي عندك، ثمَّ دعا وقال: «اللهمَّ اجمع شملها، وألِّف بين قلبيها، واجعلها وذريتها من ورثة جنَّة النعيم، وارزقها ذريَّة طاهرة طيبة مباركة، واجعل في ذريتها البركة، واجعلهم أئمة يهدون بأمرك إلى طاعتك، ويأمرون بما رضيت.

اللهمَّ إنّها أحبُّ خلقك إليَّ، فأحبّها واجعل عليها منك حافظاً وإنّي أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».

ثمَّ خرج إلى الباب وهو يقول:«طهّركما وطهر نسلكما، أنا سلمٌ لمن سالمكما، وحربٌ لمن حاربكما، أستودعكما الله، وأستخلفه عليكما»[1].

وباتت أسماء بنت عميس عندها في البيت، وأصبح الصباح، فجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى زيارة العروسين، وقال: السلام عليكما، أأدخل؟

ففتحت أسماء الباب، فدخل، فسأل علياً (عليه السلام): كيف وجدت أهلك؟ قال: نعم العون على طاعة الله. وسأل فاطمة، فقالت:خير بعل.

وجاء النبي (صلّى الله عليه وآله) بعس (قدح) فيه لبن، فقال لفاطمة: اشربي فداك أبوكِ، وقال لعلي: اشرَب، فداك ابن عمّك.

ثمَّ قال: يا علي، أئتني بكوز من ماء، فجاء عليٌّ بكوز فيه ماء، فتفل فيه

(١) البحار ٤٢/٩٤.

ثلاثاً، وقرأ عليه آيات من كتاب الله تعالى، ثمَّ قال: يا علي اشربه، واترك فيه قليلاً. ففعل عليٌّ ذلك، فرشَّ النبي باقي الماء على رأسه وصدره، ثمَّ قال: أذهب الله عنك الرجس يا علي، وطهّرك تطهيراً. وأمره بالخروج من البيت، وخلا بابنتهِ فاطمة (عليها السلام)، وقال: كيف انتِ يا بنية؟ وكيف رأيتِ زوجك؟

قالت: يا أبه خير زوج، إلّا أنّه دخل عليَّ نساء من قريش وقلن لي: زوّجك رسول الله من فقير لا مال له. [حدث ذلك في زيارته الثانية لها].

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا بنيّة، ما أبوك بفقير، ولا بعلك فقير، ولقد عرضت عليَّ خزائن الأرض من الذهب والفضّة، فاخترت ما عند الله - عزَّ وجلَّ -.

يا بنيّة لو تعلمين ما عَلِمَ أبوكِ لمسخت الدنيا في عينيك.

عن يعقوب بن شعيب؛ عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لما زوج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علياً فاطمة (عليها السلام)، دخل عليها وهي تبكي فقال لها:«ما يبكيك؟ فوالله لو كان في أهل بيتي خير منه زوجتكِ، وما أنا زوجتكِ ولكنّ الله زوجك وأصدق عنك الخمس ما دامت السموات والأرض »[1].

والله يا بنيّة، ما ألوتك نصحاً، إنّي زوّجتك أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأعظمهم حلماً.

يا بنية، إنَّ الله - عزَّ وجلَّ - اطّلع إلى الأرض اطّلاعةً فاختار من أهلها رجلين، فجعل أحدهما أباك، والآخر بعلكِ.

يا بنيّة، نعم الزوج زوجك لا تعصي له أمراً.

هذه واقعة اقتران النورين، التي حدثت في السنة الثانية للهجرة بعد معركة بدر الكبرىٰ - وبالتحقيق في شهر ذي الحجة الحرام من السنة الثانية، و

(١) البحار ٤٢/٩٤.

التقاء مرج البحرين انتقيت بعض بنودها من كتاب (عليٌّ من المهد إلىٰ اللحد) للسيد القـزويني، بشيء من التصـرّف روماً للاختصـار، وهي مقتطفات من الأحاديث والبحوث المذكورة في المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا العلّامة الجليل المجلسي (رحمه الله). وقد ذكرناها مفصلة في الجزء الثاني من كتابنا (علي في الكتاب والسنة) بعنوان مرج البحرين يلتقيان.

ملاحظة: كرر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في هذه الأحاديث ذكر اسم (أبا الحسن) مخاطباً بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك قبل أن يبني بالصدِّيقة الزهراء (عليها السلام)، فهل هذه كنيته التي كان يُدعى بها من قبل؟ أم أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كنّاه بها أيّام زفافه؟ أو أنه اصطلاح الراوي انسياقاً مع سجيته بالتعبير عن أمير المؤمنين بأبي الحسن؟

احتمالات كلها ممكنة.

* * *

الفصل الرابع
فضائله (عليه السلام)
حديث الثقلين

وهو حديث متواتر مشهور، صحيح ثابت عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، رواه أئمة الحديث وكبار الحفّاظ بطرق كثيرة متعددة عن بضع وعشرين صحابياً منهم الإمام أمير المؤمنين، والحسن، وفاطمة ـ صلوات الله عليهم ـ، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وجبير بن مطعم، وحذيفة بن أُسيد الغفاري، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة والزبير، وعبد الرحمان بن عوف، وعمـرو بن العاص، وغيرهم. حثَّ فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على التمسّك بهما واتباعهما، وحذّر من مخالفتهما والتخلّف عنهما، وكرره في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عمره الشريف أربع مرات، وهذا دليل على شدّة اهتمامه بهذا الأمر، وأنّه أهم الأُمور لديه، ومؤشر الهداية والضلالة بعده، وصدر منه (صلّى الله عليه وآله) في أربعة مواقف:

١ ـ يوم عرفة في حجّة الوداع علىٰ ناقته القصواء.

٢ ـ يوم غدير خم لمّا رجع من حجّة الوداع.

٣ ـ في مسجده بالمدينة في آخر خطبة خطبها وهو مريض.

٤ ـ على فراشه في حجرته وقد امتلأت من أصحابه.

وإليك نص ما قاله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في هذه المناسبات:

١ ـ عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله

التقاء مرج البحرين انتقيت بعض بنودها من كتاب (عليٌّ من المهد إلىٰ اللحد) للسيد القزويني، بشيء من التصرّف روماً للاختصار، وهي مقتطفات من الأحاديث والبحوث المذكورة في المجلد العاشر من كتاب بحار الأنوار لشيخنا العلّامة الجليل المجلسي (رحمه الله). وقد ذكرناها مفصلة في الجزء الثاني من كتابنا (علي في الكتاب والسنة) بعنوان مرج البحرين يلتقيان.

ملاحظة: كرر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في هذه الأحاديث ذكر اسم (أبا الحسن) مخاطباً بها أمير المؤمنين (عليه السلام)، وذلك قبل أن يبني بالصدِّيقة الزهراء (عليها السلام)، فهل هذه كنيته التي كان يُدعى بها من قبل؟ أم أنَّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كنّاه بها أيّام زفافه؟ أو أنه اصطلاح الراوي انسياقاً مع سجيته بالتعبير عن أمير المؤمنين بأبي الحسن؟

احتمالات كلها ممكنة.

* * *

الفصل الرابع
فضائله (عليه السلام)
حديث الثقلين

وهو حديث متواتر مشهور، صحيح ثابت عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، رواه أئمة الحديث وكبار الحفّاظ بطرق كثيرة متعددة عن بضع وعشرين صحابياً منهم الإمام أمير المؤمنين، والحسن، وفاطمة ـ صلوات الله عليهم ـ، وأبو أيّوب الأنصاري، وأبو ذر الغفاري، وأبو رافع، وجابر بن عبد الله الأنصاري، وجبير بن مطعم، وحذيفة بن أُسيد الغفاري، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن أرقم، وزيد بن ثابت، وسعد بن أبي وقّاص، وطلحة والزبير، وعبد الرحمان بن عوف، وعمرو بن العاص، وغيرهم. حثَّ فيه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) على التمسّك بهما واتباعهما، وحذّر من مخالفتهما والتخلّف عنهما، وكرره في الأشهر الثلاثة الأخيرة من عمره الشريف أربع مرات، وهذا دليل على شدّة اهتمامه بهذا الأمر، وأنّه أهم الأُمور لديه، ومؤشر الهداية والضلالة بعده، وصدر منه (صلّى الله عليه وآله) في أربعة مواقف:

١ ـ يوم عرفة في حجّة الوداع علىٰ ناقته القصواء.

٢ ـ يوم غدير خم لمّا رجع من حجّة الوداع.

٣ ـ في مسجده بالمدينة في آخر خطبة خطبها وهو مريض.

٤ ـ على فراشه في حجرته وقد امتلأت من أصحابه.

وإليك نص ما قاله رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في هذه المناسبات:

١ ـ عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله

وسلم) في حجّته يوم عرفة، وهو على ناقته القصواء يخطب، فسمعته يقول:

«يا أيّها الناس، إنّي تارك فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

٢ ـ عن أبي الطفيل، عن زيد بن أرقم، قال: لمّا رجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عن حجّة الوداع ونزل غدير خمّ أمر بدوحات فقممن ثمّ قال:

«كأنّي دعيت فأجبت، وإنّي قد تركتُ فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنّهما لن يتفرّقا حتّى يردا عليَّ الحوض».

ثمّ قال: «إنّ الله مولاي وأنا وليُّ كلّ مؤمن»، ثم أخذ بيد علي فقال:

«مَن كنتُ وليّه فهذا وليّه، اللهمّ والِ مَن والاه وعادِ مَن عاداه».

قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)؟ فقال: ما كان في الدوحات أحدٌ إلّا رآه بعينيه وسمعه بأُذنيه.

٣ ـ عن جابر بن عبد الله، قال: أخذ النبي بيد علي والفضل بن عبّاس في مرض وفاته، خرج يعتمد عليهما حتّى جلس على المنبر فقال:

«أيّها الناس، تركت فيكم ما إنْ تمسّكتم به لن تَضِلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فلا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، وكونوا إخواناً كما أمركم الله، ثمّ أُوصيكم بعترتي وأهل بيتي».

٤ ـ عن عبد الله بن عبّاس وأُم سلمة أنّهما سمعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في مرضه الذي قبض فيه وقد امتلأت الحجرة من أصحابه، يقول:

«أيّها الناس، يوشك أن أُقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدّمت إليكم القول معذرةً إليكم؛ ألا إنّي مخلّف فيكم الثقلين: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي».

ثمّ أخذ بيد علي (عليه السلام) فرفعها وقال: «هذا عليٌّ مع القرآن

والقرآن مع عليّ، لا يفترقان حتّى يردا عليَّ الحوض فأسألهما ما خلّفت فيهما».

فهذه أربعة نصوص قالها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أربع مناسبات تأكيداً لفضل أهل بيته ووجوب تقديمهم، ونصّاً على إمامتهم وأهليتهم لقيادة الأُمة من بعده.

أمّا مصادر حديث الثقلين فكثيرة جداً لا يسع المجال لذكر بعضها فضلاً عن كلّها، ولكن أذكر هنا شيئاً يسيراً، فممّن رواه:

١ ـ الحافظ مسلم في «صحيحه» ج٧/١٢٢ و١٢٣ ط مصر بأربعة طرق.

٢ ـ الحافظ الدارمي في «سننه» ج٢/٤٣١ ط دمشق.

٣ ـ الحافظ الترمذي في «صحيحه» ج١٣/١٩٩ و٢٠٠ ط مصر بعدة طرق.

٤ ـ الحاكم النيسابوري في «المستدرك» ج٣/١٠٩ و ١٤٨ و٥٣٣ ط حيدر آباد الدكن بعدّة طرق.

ولمزيد من الطرق والأسانيد والمصادر راجع بحار الأنوار ج٢٣ ص١٠٤ ـ ١٦٦، ومجلد حديث الثقلين من موسوعة عبقات الأنوار وإحقاق الحق ج٩ ص٣٠٩ ـ ٣٧٥ وج١٨ ص٢٦١ ـ ٢٨٩ كما ذكرنا ذلك في كتابنا (علي في الكتاب والسنة) في الجزء الثاني والثالث).

* * *

المؤاخاة
بين النبي وعليّ (عليهما السلام)

كل شيئين إذا جمعهما جامع يطلق على أحدهما: أنه أخو الآخر، مثلا: العربي تجمع العروبة بينه وبين العرب، فيقال للعربي: يا أخا العرب.

والأخوان الشقيقان أو الأخوان من قبل الأب وحده أو الأم وحدها يقال لهما: أخوان لأن الأب أو الأم أو كلاهما يجمعان الانسانين، وعلى هذا الاساس يقول الله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ أي أن مبدأ الإيمان يجمعهم.

هذه نظرة خاطفة ولمحة موجزة عن الأخوة والإخاء في العرف والقرآن، وقد تجتمع هذه العلل كأخوة النسب، وأخوة الدين، وأخوة المماثلة في إنسانين، فتتقوى أواصر الأخوة فيما بينهما.

روى البلاذري عن ابن عباس وغيره: لما نزل قوله تعالى: ﴿إنما المؤمنون إخوة﴾ آخى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بين الأشكال والأمثال، فآخى بين أبي بكر وعمر، وبين عثمان وعبد الرحمن، وبين سعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد، وبين طلحة والزبير، وبين أبي عبيدة وسعد بن معاذ، وبين مصعب بن عمير وأبي أيوب الأنصاري، وبين أبي ذر وابن مسعود، وبين سلمان وحذيفة، وبين حمزة وزيد بن حارثة، وبين أبي الدرداء وبلال، وبين جعفر الطيار ومعاذ بن جبل، وبين المقداد وعمار، وبين عائشة وحفصة، وبين زينب بنت جحش وميمونة، وبين أم سلمة وصفية، حتى آخى بين أصحابه بأجمعهم على قدر منازلهم.

ثم قال: «أنت أخي، وأنا أخوك يا علي».

وفي لفظ: قال علي (عليه السلام): يا رسول الله آخيت بين اصحابك وتركتني، فقال: أنت أخي، أما ترضى ان تُدعى إذا دعيتُ، وتُكسى إذا كُسيتُ،

وتدخل الجنة إذا دخلتُ؟ قال: بلى يا رسول الله.

وفي رواية مناقب آل أبي طالب: فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): إنما أخرّتك [ادخرتك ـ خ ل] لنفسي، أنت أخي وأنا أخوك في الدنيا والآخرة. فبكى علي عند ذلك وقال:

أقيك بنفسي أيها المصطفى الذي ... هدانا به الرحمن من عَمَهِ الجهل
وأفديك حوبائي[1] وما قدر مهجتي؟ ... لمن أنتمي منه الى الفرع والأصل
ومن ضمني مذ كنت طفلاً ويافعاً ... وأنعشني بالبُر والعسَل والنهَلي
ومن جده جدي ومن عمه عمي ... ومن أهله أمي ومن بنته أهلي
ومن حين آخى بين من كان حاضراً ... دعاني وآخاني وبيّن من فضلي
لك الفضل أني ما حييت لشاكرٍ ... لا تمام ما أوليت يا خاتم الرسُل

وقال:

أنا أخو المصطفى لا شك في نسبي ... معه ربيت وسبطاه هما ولدي

وقال:

محمد النبي أخي وصنوي ... وحمزة سيد الشهداءِ عمي

ولا شك أن هذه الأخوّة ليست نسبية، إذ لم يكونا أخوين من النسب تحقيقاً، وإنما قال ذلك فيه إبانة لمنزلته وفضله وإمامته على سائر المسلمين، لئلا يتقدمه أحد منهم، ولا يتآمر عليه بعد ما آخى بينهم أجمعين:

ولهذا كان علي (عليه السلام) يفتخر بهذه المنقبة والفضيلة لما فيها من علو الرتبة وسمو المنزلة، وشدة الاختصاص بالنبي، وكان علي (عليه السلام)

---

(١) الحوباء: روح القلب أو النفس.

يقول: أنا عبد الله وأخو رسول الله، وأنا الصديق الأكبر والفاروق الأعظم، لايقوله غيري إلا كذاب.

إن كثرة النصوص الواردة حول هذه الفضيلة وتواترها لا تُبقي مجالا للشك والريب، وقد ذكرها طائفة كبيرة من علماءِ السنة وحفاظهم[1].

وإليك مجموعة من صحاحهم ومسانيدهم وتاريخهم علىٰ سبيل المثال لا الحصر وهم:

العلّامة الترمذي في (جامعه) ج٢ ص٢١٣.

العلّامة البغوي في (مصابيحه) ج٢ ص١٩٩.

مستدرك الحاكم ج٣ ص١٤.

العلّامة ابن الصباغ المالكي في (الفصول المهمة) ص٢٢ ـ ٢٩.

العلّامة سبط بن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص١٣ ـ ١٥.

العلّامة ابن كثير في تاريخه ج٧ ص٣٣٥.

العلّامة الخوارزمي في (الصواعق المحرقة) ص٧٣ ـ ٧٥.

ابن حجر الهيثمي في الاصابة ج٢ ص٥٠٧.

العلّامة ابن عساكر في (تاريخ دمشق) ج٦ ص٢٠١.

مسند أحمد ج١ ص٢٣٠.

تاريخ ابن هشام ج٢ ص١٢٣.

كما تطرق إلىٰ ذلك بعض الشعراء والادباء في نظمهم وقريضهم.

---

(١) كما ذكر العلّامة القزويني، في كتابه «علي من المهد إلى اللحد» خمسين مصدراً، من أهم مصادر أعلام القوم وحفاظهم في صحاحهم ومسانيده، يقره الجميع بصحة متنه وسنده من ص٣٠٦ إلى ٣١٢ فراجع.

نِعْمَ الأخ أخوك علي

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «إذا كان يوم القيامة نوديت من بطنان العرش: يا محمّد، نِعْمَ الأب أبوك إبراهيم، ونِعْمَ الأخ أخوك علي بن أبي طالب».

رواه: ابن المغازلي في «المناقب» ص٤٢ وص٤٤ ح٦٦ وص٦٧ ح٩٦ بعدة طرق ـ طبع دار الأضواء بيروت.

ابن عساكر في ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من «تاريخ دمشق» ج١/ ١٣١ ح١٥٩ ط المحمودي ـ بيروت.

الحموينى في «فرائد السمطين» ج١/ ١١٠ ح٧٧ وح٧٨ ط بيروت.

الكنجي في «كفاية الطالب» ص١٨٥ ط طهران، وللمزيد من المصادر راجع إحقاق الحق ج٤/١٨٢ ـ ١٨٦ وج١٥/٤٨٢ ـ ٤٨٧.

أحبُّ إخواني إليَّ علي

روى الحافظ ابن المغازلي في «المناقب» ص٢٩٩ ح٣٤٢ ط دار الأضواء ـ بيروت، بإسناده إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّه قال: أحبُّ إخواني إليَّ علي بن أبي طالب.

عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «اشتدَّ غضب الله على اليهود، واشتدَّ غضب الله على النصارى، واشتدَّ غضب الله على من آذاني في عترتي».

رواه ابن المغازلي في «مناقبه» ص٣٩٣ ط دار الأضواء ـ بيروت ـ وراجع إحقاق الحق ج١٨ ص٤٣٥.

روى الثعالبي عن الإمام أبي الحسن الرضا، عن آبائه، عن جدِّه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «حُرِّمت الجنّة على مَن ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحدٍ من ولد عبد المطّلب ولم يجازه أحد عليها فأنا أُجازيه غداً إذا بعثني يوم القيامة».

وأخرجه في «فصل الخطاب»، ذكره العلّامة المولوي الهندي في «وسيلة النجاة» ص٥٥ ط لكنهو، راجع إحقاق الحق ج١٨ ص٤٦.

روى سُلَيم بن قيس الهلالي في كتابه عن سعد بن عبادة، قال: ﴿ومن عنده علم الكتاب﴾[1] عليٌّ.

---

(١) سورة الرعد/٤٣.

فقال معاوية بن أبي سفيان، هو عبد الله بن سلام.

فقال سعد: أنزل الله: ﴿إنّما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ . وأنزل: ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾[2] فالهادي من الآية الأُولى، والشاهد من الآية الثانية عليٌّ، لأنّه نصبه يوم الغدير وقال: «مَنْ كنت مولاه فعليٌّ مولاه» وقال: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي».

فسكت معاوية ولم يستطع أن يردّها.

رواه العلّامة الشيخ سليمان البلخي القندوزي المتوفى سنة ١٢٩٣هـ في «ينابيع المودّة» ص١٠٤ ط إسلامبول.

في تفسير آية: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾ عن جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام)، قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[3] الآية فالمستمسك بولاية علي بن أبي طالب، المستمسك بالبرِّ، فمَن تمسَّك به كان مؤمناً ومَن تركه كان خارجاً من الإيمان.

---

(٢) سورة هود/١٧.

(٣) سورة آل عمران/١٠٣.

حديث الطائر المشوي

مجمع الحديث: إن أنس بن مالك تعصّب بعصابة، فسئل عنها فقال: هذه دعوة [العبد الصالح علي بن أبي طالب]، قيل: وكيف ذلك؟ قال: أُهدي إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، طائر مشوي فقال: اللّهم أئتني بأحب خلقك إليك، يأكل معي هذا الطير، فجاء علي، فقلت له: رسول الله عنك مشغول، واحببت أن يكون رجلاً من قومي.

فدعا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثانياً، فجاء علي فقلت: رسول الله عنك مشغول، فرفع علي صوته وقال: وما يشغل رسول الله عني؟ وسمعه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا أنس من هذا؟ قلت: علي بن أبي طالب. قال: إئذن له.

فلما دخل قال له: يا علي إني دعوت الله ثلاث مرات أن يأتيني بأحبّ خلقه إليه وإليَّ يأكل معي هذا الطير. ولو لم تجئني في الثالثة لدعوت الله باسمك أن يأتيني بك.

فقال: يا رسول الله إني قد جئت ثلاث مرات، كل ذلك يردني أنس ويقول: رسول الله عنك مشغول. فقال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): ما حملك على هذا؟ قلت: أحببت أن يكون رجلاً من قومي، ـ وفي رواية أُخرى: قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار ـ فقال لي: أوَفي الأنصار خيرٌ من علي؟ أوَفي الأنصار أفضل من علي؟؟

قال أنس: فلما كان يوم الدار[1] استشهدني عليّ فكتمته، فقلت إني

(١) وروي كان ذلك يوم الرحبة بالكوفة أيام خلافته.

[كبرت] ونسيته، فرفع عليٌ يده إلى السماء فقال: اللهمّ [إن كان كاذباً] ارم أنساً بوضح لا يستره من الناس ـ وفي رواية: لا تواريه العمامة ـ ثم كشف العمامة عن رأسه فقال: هذه دعوة علي.

علي أحب الخلق إلى الله ورسوله (صلّى الله عليه وآله)

في مناقب ابن شهر آشوب: روى حديث الطير جماعة من أعلام القوم وحفاظهم، في صحاحهم ومسانيدهم، بطرق متعددة وألفاظ متباينة ومتقاربة تؤدي إلى معنى واحد منهم:

الترمذي في جامعه، وأبو نعيم في حلية الأولياء، والبلاذري في تاريخه، والطبري في الولاية، وقد صح عند جميعهم خبر حديث الطير.

وقال أبو عبد الله البصري: أن طريقة أبي عبد الله الجبّائي في تصحيح الأخبار تقتضي القول بصحة هذا الخبر لإيراده يوم الشورىٰ، فاعترف به الجميع ولم ينكره أحد.

وقد أخرجه علي بن إبراهيم في كتابه قرب الاسناد، ورواه خمسة وثلاثون رجلاً من الصحابة عن أنس بن مالك، وعشرة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما روى ذلك ابن عباس، و أم أيمن (بركة) فقد صح إنّ الله سبحانه ورسوله (صلّى الله عليه وآله) يحبان علي بن أبي طالب (عليه السلام) وما صح ذلك لغيره، فيجب الاقتداءُ به.

ومن نسب خبر الطائر إليه قصر الإمامة عليه.

* * *

حديث سد الأبواب

عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: لما قدم أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) المدينة لم تكن لهم بيوت، فكانوا يبيتون في المسجد، فقال لهم النبي (صلّى الله عليه وآله): لا تبيتوا في المسجد فتحتلموا.

ثم إنّ القوم بنوا بيوتاً حول المسجد وجعلوا أبوابها إلى المسجد، وان النبي (صلّى الله عليه وآله) بعث إليهم معاذ بن جبل فنادى أبا بكر فقال: إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يأمرك أن تخرج من المسجد وتسد بابك.

فقال: سمعاً وطاعة. فسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى عمر فقال: أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يأمرك أن تسدّ بابك الذي في المسجد وتخرج منه.

فقال: سمعاً وطاعة لله ولرسوله غير أني أرغب إلى الله ـ تعالى ـ في خوخة (أي فرجة) في المسجد. فأبلغه معاذ ما قاله عمر.

ثم أرسل إلى عثمان وعنده رقية فقال: سمعاً وطاعة. فسدّ بابه وخرج من المسجد.

ثم أرسل إلى حمزة (رضي الله عنه) فسدّ بابه وقال: سمعاً وطاعة لله ورسوله.

وفي رواية تفيد بان النبي (صلّى الله عليه وآله) أرسل إلى عمه العباس بسدّ بابه فقال سمعاً وطاعة.

وعليٌّ (عليه السلام) على ذلك متردد أهو فيمن يقيم أو فيمن يخرج؟ وكان النبي (صلّى الله عليه وآله) قد بنى له في المسجد بيتاً من أبياته، فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): أسكن طاهراً مطهّراً.

فبلغ حمزة قول النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) فقال: يا محمد تخرجنا وتمسك غلمان بني عبد المطلب؟

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): لو كان الأمر إليَّ ما جعلت دونكم من أحد، والله ما أعطاه إياه إلّا الله، وإنك لعلىٰ خير من الله ورسوله، أبشر، فبشره النبي (صلّى الله عليه وآله) فقتل يوم أُحد شهيداً (رضوان الله عليه).

ونَفَس ذلك رجال على عليّ فوجدوا في أنفسهم، وتبين فضله عليهم وعلى غيرهم من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فبلغ ذلك النبي (صلّى الله عليه وآله)، فقام خطيباً فقال:

إنّ رجالاً يجدون في أنفسهم في أن أُسْكِنَ علياً في المسجد وأخرجهم والله ما أخرجتهم ولا أسكنته، إنّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ أوحى إلى موسى وأخيه: ﴿**ان تبوءَا لقومكما بمصر بيوتاً وأجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة**﴾ وأمر موسى أن لا يُسْكِن مسجداً، ولا ينكح فيه، ولا يدخله إلّا هارون وذريته، وأن علياً بمنزلة هارون من موسى، وهو أخي دون أهلي، ولا يحل مسجدي لأحدٍ ينكح فيه النساء إلّا علي وذريته، فمن شاء فهاهنا، ـ وأومأ بيده نحو الشام ـ.

وفي البحار ج٩ عن أمير المؤمنين (عليه السلام) حديث آخر قريب من هذا اللفظ، غير أنه ذكر نزول جبرائيل (عليه السلام) بان سُدّوا الأبواب عن مسجد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قبل أن ينزل بكم العذاب وأن أول من بعث معاذ بن جبل إلى عمه العباس بن عبد المطلب.

روى الحافظ أحمد بن حنبل المتوفىٰ سنة ٢٤١ في «مسنده» ج٤ ص٣٦٩ ط مصر، عن زيد بن أرقم، والفقيه ابن المغازلي الواسطي المتوفىٰ سنة ٤٨٢ في كتابه «مناقب أمير المؤمنين» المخطوط، عن البراء بن عازب بنفس اللفظ، قالا:

كان لنفرٍ من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أبواب شارعة في المسجد. قال: فقال يوماً: سدّوا هذه الأبواب إلّا باب علي.

قال: فتكلّم في ذلك الناس، قال: فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فحمد الله وأثنى عليه، ثمّ قال:

أمّا بعد، فإنّي أُمرتُ بسلّم هذه الأبواب إلّا باب عليّ، وقال فيه قائلكم، وإنّي والله ما سددت شيئاً ولا فتحته، ولكني أُمرتُ بشيءٍ فاتّبعته.

ذكر هذا الحديث ورواه عدد كبير من رواة القوم وحفّاظهم بعدّة طرق وبألفاظ متقاربة، بعضها موجزة وبعضها مطوّلة .

وهـذه إضمامة مما حوته صحاحهم ومسانيدهم وتاريخهم أذكرها علىٰ سبيل المثال لا الحصر منهم:

الحافظ الترمذي في (صحيحه) ج١٣ ص١٧٣ ط مصر.

الفقيه الشافعي المعروف بابن المغازل في (مناقبه) ص٢٥٧ و٢٥٨.

الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج٢ ص٥٠٢ ط القاهرة.

العلّامة جلال الدين السيوطي في (الحاوي للفتاوي) ج٢ ص١٥ ط القاهرة.

العلّامة سليمان القندوزي البلخي في (ينابيع المودّة) ص٨٧ ط اسلامبول.

الحافظ أحمد بن حنبل في (مسنده) ج٤ ص٣٦٩ ط مصر.

العلّامة سبط ابن الجوزي في (تذكرة الخواص) ص٤٦ ط النجف.

العلّامة اخطب خوارزم في (المناقب) ص٦٥ و١٢٧ و٢٢٩ ط تبريز.

الحافظ الذهبي في (ميزان الاعتدال) ج١ ص٢١٨ و٢٦٧ ط القاهرة.

راجع كتاب إحقاق الحق ج٥ ص٥٤٠ إلىٰ ٥٨٦ وج١٦ باب ١٦ من ص٣٣٢ إلىٰ ص٣٧٥، كما ذكرنا ذلك في الجزء الثاني والثالث من كتابنا «علي في الكتاب والسنة».

حديث الدار

لما نزلت آية: ﴿**وانذر عشيرتك الأقربين**﴾ (الشعراء/٢١٤)، جمع رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) بني عبد مناف، وهم يومئذٍ أربعون رجلاً، الرجل منهم يأكل الجذعة «المسنة»، ويشرب العِس، فأمر علياً برجل شاة فآدمها «أي فصنعها» ـ وفي رواية: فصنع لهم مُدّاً من الطعام ـ وقال (عليه السلام): فأتيتهم بثريد. ثمّ قال لهم (صلّى الله عليه وآله): آدنوا باسم الله. فدنا القوم عشرة عشرة، فأكلوا حتى صدروا. ثمّ دعـا بقعب من لبن، فجرع منه جرعةً، ثمّ قال لهم: اشربوا بسم الله. فشربوا حتّى رووا، فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت النبي (صلّى الله عليه وآله) يومئذ فلم يتكلّم فتفرّقوا.

فلبثوا أيّاماً ثمّ صنع لهم مثله، ثمّ أمر بي فجمعتهم، فطعموا وشربوا، ثم قال لهم: يا بني عبد المطلب إني بُعِثت إليكم خاصة وإلىٰ الناس عامّة، وإنّي جئتكم بخـير الـدنيا والآخرة، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يوازرني علىٰ هذا الأمر، على أن يكون أخي ووصيّي؟ ـ وفي رواية: ومَن يواخيني ويوازرني ويكون وليّي ووصيي وخليفتي ويقضي ديني؟ ـ فسكت القوم، وأعاد ذلك ثلاثاً، كل ذلك يسكت القوم ويقوم علي (عليه السلام) ويقول: أنا يا رسول الله ـ وإنّي لأحدثهم سِنّاً وأرمصهم عيناً، وأعظمهم بطناً، وأحمشهم ساقاً ـ أكون وزيرك عليه. فأخذ برقبتي ثمّ قال:

إن هذا أخي ووزيري ووصيّي ووارثي وخليفتي من بعدي.

ثمّ قام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

هذا ملخص الواقعة «واقعة الدار» نقلتها لك بعد جمع خلاصة الروايات

التي ذكرها أعلام القوم من الحفّاظ والرواة ومنهم:

العلّامة المحدّث أحمد بن حنبل المتوفىٰ سنة ٢٤١ في «المسند» ج ص١٥٩ ط مصر.

ومنهم: العلّامة الطبري المتوفىٰ سنة ٣١٠ في تفسيره ج١٩ ص٦٨ ط مصر. وفي «تاريخ الأُمم والملوك» ج٢ ص٦٢ ط مصر.

ومنهم: العلّامة الثعلبي المتوفىٰ سنة ٤٢٧ ـ وقيل ٤٣٧ ـ في «تفسيره» ص٧٥ مخطوط.

ومنهم: العلّامة سبط بن الجوزي المتوفىٰ سنة ٦٥٤ في «التذكرة» ص٤٤ ط النجف.

ومنهم: العلّامة الحموئي المتوفىٰ سنة ٧٢٢ في كتابه «فرائد السمطين».

ومنهم: المؤرّخ الشهير بابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» ج١ ص١٨٧ ط بيروت.

ومنهم: الحافظ ابن كثير الدمشقي المتوفّىٰ سنة ٧٧٤ في تفسيره.

وغيرهم كثيرون وللمزيد انظر المجلد الرابع من إحقاق الحق ص٦٠ إلى ص٧٠.

* * *

علي قسيم الجنّة والنار

لقد وردت أحاديث جمة بهذا المعنىٰ اخترنا منها هذه الإضمامة.

١ ـ لمّا مرض الأعمش مرضه الذي مات فيه ودخل عليه ابن شبرمة، وابن أبي ليلىٰ، وأبو حنيفة فقالوا: يا أبا محمّد، هذا آخر يوم من أيّام الدنيا، وأوّل يومٍ من أيّام الآخرة، وكنت تروي في علي (عليه السلام)، وكان السلطان يعترضك عليها، وفيها تعيير بني أُميّة، ولو كنت أمسكت عنها لكان الرأي. فقال: إليَّ تقولون هذا؟! أسندوني: فسندوه، فقال: حدّثني المتوكل الناجي، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«إذا كان يوم القيامة، قال الله تعالى لي ولعلي: أدخلا الجنّة من أحبّكما، وأدخلا النار من أبغضكما؛ فيجلس عليٌّ علىٰ شفير جهنم فيقول: هذا لي وهذا لك.

رواه جماعة من أعلام القوم بطرق متعددة وألفاظ متقاربة.

منهم العلّامة ابن المغازلي في «المناقب».

ومنهم العلّامة الشهير بابن حسنويه في «در بحر المناقب» ص١٢٣ مخطوط.

ومنهم العلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٨٤.

ومنهم العلّامة الكشفي في «المناقب المرتضوية» ص١١٥ط بومباي، وغيرهم.

للمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج٦ من ص٢١٠ إلى ٢٢٤.

٢ ـ عن الإمام جعفر الصادق، عن آبائه، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«يا علي، أنت منّي بمنزلة شيث من آدم، وبمنزلة سام من نوح، وبمنزلة إسحاق من إبراهيم، كما قال تعالى: ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب﴾[1] الآية، وبمنزلة هارون من موسى، وبمنزلة شمعون من عيسى.

وأنت وصيي ووارثي، وأنت أقدمهم سلماً، وأكثرهم علماً، وأوفرهم حلماً، وأشجعهم قلباً، وأسخاهم كفّاً، وأنت إمام أُمّتي وقسيم الجنّة والنار؛ بمحبّتك يعرف الأبرار من الفّجار، ويمّيز بين المؤمنين والمنافقين والكفّار».

رواه أعلام القوم منهم العلاّمة القندوزي المتوفىٰ سنة ١٢٩٣ في «ينابيع المودّة» ص٨٦ إسلامبول.

والحاكم النيسابوري المتوفّىٰ سنة ٤٠٥ في «المستدرك» ج٣ ص١٣٦ ط حيدر آباد.

ومنهم العلاّمة ابن عبد البر المتوفىٰ سنة ٤٦٣ في «الإستيعاب» ج٢ ص٤٥٧ ط حيدر آباد. وغيرهم.

وللمزيد من التفاصيل راجع كتاب إحقاق الحق ج٤ ص١٥٠ إلى ١٧٠ وص٢٥٩ وص٢٦٤ وص٢٨٧.

٣ ـ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لعلي (عليه السلام):

«إنّك قسيم الجنّة والنار، وأنت تقرع باب الجنّة وتدخلها بغير حساب».

رواه جماعة من أعلام القوم.

منهم العلاّمة ابن الأثير في كتاب «النهاية» ج٣ ص٢٨٤.

ومنهم العلاّمة الحمويني المتوفّىٰ سنة٧٢٢ في فرائد السمطين.

ومنهم الحافظ ابن كثير القرشي المتوفىٰ سنة ٧٧٤ في «البداية والنهاية» ص٣٥٥ ج٧ ط مصر؛ وغيرهم ما يقرب من الأربعين محدّثاً وعالماً، كلهم ينقلون

(١) سورة البقرة/١٣٢.

حديث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بشتى الطرق وبالنعوت المذكورة أدناه.

٤ ـ «يا علي أنت قسيم الجنّة والنار، حامل اللّواء الأكبر، صاحب لواء رسول الله في الدنيا والآخرة، الذائد عن الحوض يوم القيامة، حامل لواء الحمد أنت أول من يقرع باب الجنة أنت صاحب حوض رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يوم القيامة، وأوّل من تنشق عنه الأرض، الرؤوف بالناس، الأواه، الحليم، أفضل الناس منزلةً، أقرب الناس قرابةً، أعظم الناس غنىً.

وللمزيد من التفاصيل والأحاديث راجع كتاب إحقاق الحق ج٤ ص٢٥٩ إلى ٢٧٢.

٥ ـ إنّ المأمون العبّاسي، قال للإمام أبي الحسن الرضا (عليه السلام): بأي وجهٍ جدّك علي بن أبي طالب قسيم الجنّة والنار؟

قال: ألم تروِ عن أبيك، عن عبد الله بن عباس، قال سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يقول: حُبُّ علي إيمان، وبغضه كفر؟ قال: بلىٰ.

فقال: بهذا ظهر كونه قسيم الجنّة والنار.

فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنّك وارث علوم رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

قال أبو الصلت عبد السلام الهروي: ما أحسن ما أجبت به يابن رسول الله.

فقال (عليه السلام): يا أبا الصلت، إنّها كلمة من حيث يهوىٰ، ولقد سمعت أبي، عن آبائه، عن جدّي علي أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«أنت قسيم الجنّة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي فذريه، وهذا لكِ فخذيه».

بالمعنى نقلته من كتاب إحقاق الحق، ج٤ ص٢٦٤.

٦ ـ روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري، قال: لقد سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، يقول:

«إنّ في عليّ خصالاً لو كانت واحدة في رجل اكتفىٰ بها فضلاً وشرفاً».

منها: وليُّ عليٍّ وليُّ الله، وعدو علي عدو الله.

ومنها: عليٌّ حجّة الله على عباده.

ومنها: حبُّ علي إيمانٌ وبغضه كفرٌ.

ومنها: حزب عليّ حزب الله، وحزب أعدائه حزب الشيطان.

ومنها: عليٌّ مع الحق والحق مع عليٍّ لا يفترقان.

ومنها: عليّ قسيم الجنّة والنار.

٧ ـ أخرج الدارقطني: أنَّ علياً قال للستة الذين جعلهم عمر بن الخطاب أهل الشورى: أنشدكم الله، هل فيكم أحد قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يا عليّ أنت قسيم الجنّة والنار، فيوم القيامة، تقول للنار: هذا لي، وهذا لك؟» فقالوا: لا.

الجزء العشرون من كتاب إحقاق الحق ص٣٩٥ وبهذه المناسبة قال الشافعي:

عليٌّ حُبُّهُ جُنَّة قسيم النار والجَنَّة
وصيُّ المُصطفىٰ حَقاً إمام الإنس والجِنة

فقد روي مرفوعاً، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) وحذيفة عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنه قال: «علي قسيم النار».

أما ما رواه علي (عليه السلام) «نفسه» فقد أخرجه الدارقطني في العلل ج٦/ ٢٧٣ رقم ١١٣٢، وأخرجه ابن المغازل في مناقبه: ٦٧ عنه، عن رسول الله

(صلّى الله عليه وآله) أنه قال [لعلي]: «إنك قسيم النار، وإنك تقرع باب الجنة فتدخلها بغير حساب».

كما أخرجه الخطيب الخوارزمي الحنفي في «مناقب أمير المؤمنين عليه السلام» برقم ٢٨١، والحمويني في فرائد السمطين ج٦ ص٣٢٥ بإسنادهما عن علي عن النبي (صلّى الله عليه وآله) بهذا اللفظ، وأوعز إليه الكنجي في كفاية الطالب ص٦٧.

كما رواه حذيفة عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقد أخرجه الديلمي في فردوس الاخبار ج٢ ص٩٠ رقم ٣٩٩٩ بلفظ «علي قسيم النار» والقاضي عياض في الشفاء في أخبار النبي (صلّى الله عليه وآله) بالمغيبات، وعدّ منها قوله (صلّى الله عليه وآله) عن عليّ «إنه قسيم النار».

كما ذكره السيوطي في جمع الجوامع ١/.... في كنوز الحقائق ص٩٨ وص٩٢ طبع بولاق، وفي مجمع بحار الأنوار ج٣/ ١٤٤، والمتقي في كنز العمال ١٣/ ١٥٢.

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩/ ١٦٥: فقد جاء في حقه (عليه السلام) الخبر الشائع المستفيض: «انه قسيم النار والجنة....».

وذكر هذا الحديث عدد لا يستهان بهم من فطاحل الحفاظ والمحدثين والمؤرخين بطرق متعددة وألفاظ متقاربة بهذا المعنىٰ.

وقد أقر أحمد بن حنبل بهذا الحديث ولم يُضعِّفْهُ وكذلك أبو حنيفة.

فقد سئل أحمد بن حنبل عن حديث «علي قسيم النار» فلم يُضْعِّفْهُ، ولم يخدش فيه، ولا جَرحَ راويه بل ثَبَّتَهُ وأتجه إلىٰ تأويلهِ وبيان معناه.

فقال: ما تنكرون من ماذا؟! أليس روينا أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال لعليّ: «لا يُحبُّكَ إلاّ مؤمن، ولا يَبغَضُكَ إلاّ منافق؟!

قلنا: بلىٰ.

قال: فأين المؤمن؟

قال: في الجنّة.

قال: فأين المنافق؟

قلنا: في النار.

قال: فعليٌّ قسيم النار».

وفي تاريخ الخلفاء ـ لأحد أعلام القرن الخامس، طبعة موسكو بالتصوير علىٰ مخطوط قديمة الورقة ١١/ أ ـ: «وروي أنّه قيل لأحمد بن حنبل: ما معنىٰ قول النبي عليه السلام: عليٌّ قسيم الجنّة والنار؟

فقال: صحيح لا ريب فيه، تأويله أنّ من يحبّه في الجنّة، وأنّ من يبغضه في النار، فهو قسيم الجنّة والنار؛ أشار إلىٰ قوله: لا يحبّك إلّا مؤمن تقي، ولا يبغضك إلّا منافق رديّ [أو شقي]».

ولاشتهار هذا الحديث في الأوساط نظمه الشعراء منذ ذلك العصر [منتصف القرن الثاني] وحتّىٰ اليوم، ومن أقدم من نظمه غيره مرّة السيّد الحميري فقال:

ذاك قسيم النارِ مَن قبله ... خذي عدوّي وذري ناصري

ذاك عليٌّ بن أبي طالب ... صهرُ النبيّ المصطفىٰ الطاهرِ

وقال غيره في أبيات له، وربّما نسبت إلىٰ العوفي:

وكيف يخاف النارَ مَن هو موقنٌ ... بأنّ أمير المؤمنينَ قَسِيمُها

وقال دعبل:

قسيم الجحيم فهذا له ... وهذا لها بإعتدالِ القسيم

وقال الزاهي:

لا تجعلنَّ النارَ لي مسكناً ... يا قاسِمَ الجنّةِ والنارِ

أقول: علىٰ رغم مما سعىٰ وأجتهد أعداء الإسلام في خنق صوت عدالة السماء، وكمّ أفواه المخلصين من العلماء، والحفاظ، وحملة الحديث للحيلولة دون نشر فضائل ومناقب أهل البيت الطاهرين المتمثلة بأمير المؤمنين (عليهم السلام).

تجد أُمهات الكتب والموسوعات بمصادرها الصحيحة طافحة في الأحاديث والروايات في مناقب الإمام أمير المؤمنين وأهل بيته (عليهم السلام) وفضائلهم حتىٰ بلغت حد التواتر، وأستحالة الإحاطة بها وحصرها.

وإليك هذه الباقة العطرة، ممّا نقله الحفّاظ والعلماء في صحاحهم ومسانيدهم، وهو غيض من فيض مناقبهم وفضائلهم.

العلّامة سليمان القندوزي في (ينابيع المودة) ص٥٥، ٨٦، ١٨٠ ط اسلامبول.

العلّامة الحموئي في (فرائد السمطين) مخطوط.

الفقيه ابن المغازلي في (مناقبه) ص٦٧ ط طهران.

العلّامة الذهبي في (ميزان الاعتدال) ج٢ ص٢٠ ط مصر.

العلّامة الحنفي الأمر تسري في (أرجح المطالب) ص٣٢ ط لاهور.

العلّامة المولوي عيني الهندي في (مناقب علي) ص٢٩ ط الهند.

العلّامة القندوزي في (ينابيع المودّة) ص١٨٠ ط اسلامبول.

ولمزيدٍ من التفاصيل، راجع موسوعة إحقاق الحق ج٤ ص١٦٠ وص١٥٩ وص٢٤٦ وص٢٨٧ وص٣٧٩ وج١٥ ص١٨٥ ـ ١٨٦.

* * *

عَليٌّ (عليه السلام) يتصدق بالخَاتَم

عن الامام الباقر (عليه السلام) في قوله عز وجل: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا﴾** الآية قال: إن رهطاً من اليهود أسلموا، منهم: عبد الله بن سلام وأسد وثعلبة وابن صوريا، فأتوا النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: يا نبي الله إن موسى أوصى إلى يوشع بن نون فمن وصيُّك يا رسول الله؟ ومن وليُّنا بعدك؟

فنزلت هذه الآية: **﴿إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾**.

ثم قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم): قوموا. فقاموا فأتوا المسجد فإذا سائل خارج.

فقال: يا سائل أما أعطاك أحد شيئاً؟

قال: نعم هذا الخاتم.

قال: من أعطاكه؟

قال: أعطانيه ذلك الرجل الذي يصلي.

قال: علىٰ أي حال أعطاك.

قال: كان راكعاً.

فكبَّر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) وكبَّر أهل المسجد.

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): «علي بن أبي طالب وليّكم بعدي».

قالوا: رضينا بالله رباً، وبالاسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً، وبعلي بن أبي طالب ولياً، فأنزل الله عز وجل: **﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله**

هم الغالبون﴾.

فتقدم حسان بن ثابت وأنشأ يقول:

أبـا حسن تفديك نفسي ومهجتي ... وكـل بطيءٍ في الهـدىٰ ومسارعِ
أيذهب مدحي والمحبر ضائع ... وما المدح في جنب الآله بضائع
فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... فدتك نفوس القوم يا خير راكع
فأنزل فيك الله خير ولاية ... وبيَّنها في محكمات الشرايع

وقال أيضاً:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى
وأفضل ذي نعل ومن كان حافيا
وأول من أدّى الزكاة بكفه
وأولُ من صلّى ومن صام طاويا
فلما أتاه سائل مدَّ كفه
إليه ولم يبخل ولم يك جافيا
فدسَّ إليه خاتماً وهو راكع
وما زال أوّاهاً إلىٰ الخير داعيا
فبشَّر جبريل النبي محمداً
بذاك وجاءَ الوحي في ذاك ضاحيا

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين:

فديت علياً إمام الورى ... سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول ... إمام البرية شمس الضحى

تصدّق خاتمه راكعاً فأحسِن بفعل إمام الورى
ففضّله ربّ العباد وأنزل في شأنه هل أتى

صورة أُخرى لنزول الآية

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: كنا جلوساً عند رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال عليه أثواب رثة والفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلّم على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ووقف بين يديه وأنشد يقول:

أتيتك والعَذراءُ تبكي برنّةٍ
وقد ذهلت أُم الصبي عن الطفل
وأختٌ وبنتان وأُمٌ كبيرة
وقد كدت من فقري أُخالط في عقلي
وقد مسني فقر وذلّ وفاقة
وليس لنا شيءٌ يمرّ ولا يحلي
ولسنا نرى إلا إليك فرارنا
وأين مفر الخلق إلّا إلى الرسل

فلما سمع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) ذلك بكى بكاءً شديداً، ثم قال لأصحابه: معاشر المسلمين إن الله تعالى، قد ساق إليكم ثواباً، وقاد إليكم أجراً، والجزاءُ من الله غرف في الجنة، تضاهي غرف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فمن منكم يواسي هذا الفقير؟ فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد

علي بن أبي طالب يصلي ركعات تطوعاً كانت له دائماً، فأومأ إلى الأعرابي بيده فدنا منه، فدفع إليه الخاتم من يده وهو في صلاته فأخذه الأعرابي وانصرف.

ثم إن النبي أتاه جبرئيل ونادى: السلام عليك يا رسول الله ربك يقرؤك السلام ويقول لك:إقرأ:

«إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون * ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون».

فعند ذلك قام النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) قائماً على قدميه وقال: معاشر المسلمين أيّكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل مَن آمن»؟ قالوا يا رسول الله ما فينا من عمل خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فانّه تصدق بخاتمه على الأعرابي وهو يصليّ. فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) وجبت الغرفة لابن عمي علي بن أبي طالب، فقرأ عليهم الآية ..... إلى آخره.

وقد روى المفسرون في نزول هذه الآية، إنها نزلت في شأن علي بن أبي طالب (عليه السلام) وان اختلفت الفاظ الرواية بالحديث والتفسير فالمفاد هنا والمضمون واحد.

وهذه الآية تصرّح لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بالولاية العامة على المسلمين، تلك الولاية الثابتة لله ولرسوله بأدلة دامغة، وسنذكر فيما يلي في حديث الولاية يوم الغدير ما تيسر من معنى الولي والمولىٰ في الولاية إن شاء الله.

نقل أبو إسحاق أحمد بن محمد الثعلبي في تفسيره يرفعه قال:

بينما عبد الله بن عباس (رضي الله عنه) جالسٌ قريباً من زمزم يقول: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو يحدث الناس إذ أقبل رجل متلثما فوقف، فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله، إلّا قال الرجل: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقال ابن عباس: سألتك بالله من أنت؟ فقال: أيها

الناس من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بهاتين وإلّا صمتا يقول عن علي بن أبي طالب: أنه قايد البررة، وقاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله. وصليت مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوما من أيام الظهر فسأل سائل في المسجد فلم يعطه أحد شيئاً، فرفع السائل يديه إلى السماء وقال: اللهم أني أشهدك أنّي سألت في مسجد نبيك محمد (صلّى الله عليه وآله) ولم يعطني أحد شيئاً. وكان علي في الصلاة راكعاً فأومأ إليه بخنصره اليمنىٰ وفيها خاتم، فأقبل السائل فأخذ الخاتم من خنصره، وذلك بمرأى من النبي (صلّى الله عليه وآله) وهو في المسجد، فرفع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) طرفه إلى السماء وقال:

«اللهم إنّ أخي موسى سألك فقال ﴿رب أشرح لي صدري ويسر لي أمري وأحلل عقدةً من لساني يفقهوا قولي وأجعل لي وزيراً من أهلي هٰرون أخي أشدُد به أزْري وأشركه في أمري﴾[1] فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً ﴿سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطاناً فلا يصلون اليكما﴾[2]، اللّهم وإني محمد نبيك وصفيك، اللّهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري وأجعل لي وزيراً من أهلي علياً أشدّ به ظهري، قال أبو ذر (رضي الله عنه): فما استتم دعاءه حتى نزل جبرئيل (عليه السلام) من عند الله ـ عز وجل ـ وقال اقرأ: ﴿انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون﴾[3].

(١) سورة طه/٢٥ ـ ٣٢.

(٢) سورة القصص/٣٥.

(٣) سورة المائدة/٥٥.

تبليغ علي سورة البراءة

في شهر ذي الحجة من السنة التاسعة للهجرة، نزلت الآيات الأُولىٰ من سورة براءة ـ التوبة ـ فأرسل النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم): أبا بكر يحج بالناس، والمشركون لايزالون يشاركون المسلمين في اداء الفريضة، فيحج في الموسم من يؤمن بالله، ومن يؤمن بالجبت والطاغوت. فمضى أبو بكر بمن معه من المسلمين ليشرف على الحج في ذلك العام، حتى انتهى إلى ذي الحليفة، وهو ميقات أهل المدينة، ـ المعروف بمسجد الشجرة في يومنا هذا ـ.

وفيما هو يسير بمن معه وإذا بالوحي ينزل على النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ويأمره بأن يرسل علياً مكان أبي بكر، وقال له: لا يؤديها إلّا أنت أو رجل منك.

وهذا مما يثبت بالدليل القاطع علىٰ أن علياً (عليه السلام) هو نفس النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم).

فأرسل النبي (صلّى الله عليه وآله) علياً (عليه السلام) وأمره أن يأخذ الآيات من أبي بكر ويؤديها بنفسه، فلحقه علي (عليه السلام) وهو لا يزال بذي الحليفة فاخذها منه، ورجع أبو بكر إلى المدينة خائفاً أن يكون قد نزل فيه ما يغضب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، فقال: يا رسول الله هل أنزل فيَّ شَيء؟ فقال النبي: «لا ولكني أُمرت أن أبلغها أنا أو رجل مني».

ومضىٰ عليٌ (عليه السلام) حتى بلغ مكة فقرأ على الناس الآيات الاولى من سورة براءة في اليوم العاشر من شهر ذي الحجة، كما جاء ذلك برواية ابن كثير في البداية والنهاية، ونادىٰ في الناس: ان لا يدخل مكة مشرك بعد عامه هذا، ولا يطوف في البيت عريان، ولا تدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ومن كان

بينه وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عهد فعهده إلى مدّته.

وفي رواية ثانية: إنه تلا عليهم سورة براءة حتى بلغ في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسجِدَ الْحَرَامَ بَعدَ عَامِهِم هذَا وإِنْ خِفْتُم عَيْلَةً فَسَوفَ يُغنِيكُمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ إِن شاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[1].

ثم أعاد عليهم القول: «لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوفن في البيت عريان[2]، ومن كان بينه وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عهد فأجله إلى

(١) سورةالتوبة/٢٨.

(٢) لقد جاء في تاريخ ابن كثير وغيره ممن كتبوا في السيرة النبوية:

ان القرشيين تشدّدوا في تعظيم البيت وتقديسه، وقالوا: نحن بنو إبراهيم وأهل الحرم وولاة البيت، فليس لِأحدٍ من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا، وادخلوا بعض البدع وشدّدوا في مناسكهم وتركوا بعضها، منها الوقوف على عرفات في التاسع من ذي الحجة والإفاضة منها مع علمهم بانها من شعائر إبراهيم (عليه السلام)، ـ وسموا أنفهسم بالحُمس ـ أي المتشدّدة ـ وما كانت العرب توافقهم على ذلك ـ.

ومن بدعهم التي أدخلوها في المناسك: لا يجوز ولا ينبغي لمن جاء حاجاً أن يأكل من الطعام الذي جاء به من الحل إلى الحرم، كما لا يجوز أن يطوف بالبيت إذا قدم حاجاً إلّا في ثياب الحُمس، فان لم يجد منها شيئاً طاف بالبيت عرياناً، فان طاف احد منهم بثيابه ـ رجلاً كان أو إمرأة ـ التي جاء بها من الحل ألقاها إذا فرغ من طوافه، ثم لا يجوز له أن ينتفع بها، أو يمسها هو أو أحد غيره، ويسمون ذلك الثوب ـ اللّقى ـ أي المطروح. وكانت المرأةإذا أرادت أن تطوف ولم تجد ثوباً من ثياب الحُمس، تطوف عارية واضعة يدها على فرجها.

وفي رواية ابن هشام انها تنزع جميع ثيابها إلّا درعاً مفرجاً عليها وتطوف به.

وقد طافت ضباعة بنت عامر بن صعصعة على تلك الحالة ـ وكانت أجمل نساء عصرها وأنضرهنّ ـ وهي تنشد:

اليوم يَبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أُحِلّه

ولها قصة مفصلة بذكرها أرباب السير والتاريخ، مع عبد الله بن جذعان وغيره، لم أذكرها روماً ←

مدته».

وأصغىٰ المشركون إلىٰ هذا القرار، بقلوب ترتعد من الخوف ويُسّعرُها الحقد، ثم رجَعوا إلىٰ أنفسهم وتلاوموا، وقال بعضهم لبعض: ماتصنعون وقد أسلمت قريش وأكثر العرب، فأسلم أكثرهم (اضطراراً) قبل نهاية الأشهر الأربعة.

هذه خلاصة ما ذكره أرباب السير والتواريخ في صحاحهم ومسانيدهم:

منهم: الحاكم في المستدرك بسنده إلىٰ ابن عباس.

ومنهم: النسائي بسنده إلى سعد بن عبادة، كما رواها بسنده إلى أنس بن مالك.

ومنهم: الترمذي رواه بسنده إلى حماد بن سلمة.

وفي مسند الإمام أحمد قال: أن النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) قال: «لا يذهب بها إلّا رجلٌ مني وأنا منه».

ويبدو ان حديث إرسال علي بسورة البراءة، وقول النبي (صلّى الله عليه وآله) «لا يؤديها إلّا أنا أو رجل مني وأنا منه» متفق عليه بين محدثي الشيعة والسنة؛ أنظر فضائل الخمسة من الصحاح الستة ج١ ص٣٤٣ وما بعدها».

→

للاختصار وخارجة عن البحث.

وظلت هذه الطقوس سارية بينهم إلى أن بعث الله رسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله) فابطلها بعد أن نهىٰ عنها الله سبحانه في كتابه المجيد بقوله: ﴿ثمّ أَفيضُوا مِنْ حيثُ أفاضَ الناسَ واستغفروا الله إنّ الله غفورٌ رحيم﴾ وقال في آية ثانية: ﴿يا بَني آدمَ خُذُوا زِينَتَكُم عِندَ كلِّ مَسجِدٍ وَكُلوا وَاشرَبُوا ولا تسرِفُوا إنّه لا يُحِبُّ المُسرِفين﴾ (البقرة/ ٢:١٩٩).

ردّ الشمس لعلي

ومما رواه أصحابنا من الآيات التي ظهرت على يديه الشاهدة بما تدل مناقبه ومزاياه (عليه السلام) رد الشمس عليه مرتين في عهد النبي (صلّى الله عليه وآله) مرّة، وبعد وفاته مرّة.

روت أسماء بنت عميس وأُم سلمة (رضي الله عنها) وجابر بن عبد الله الأنصاري، وأبو سعيد الخدري في جماعة من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله):

أن النبي (صلّى الله عليه وآله) كان ذات يوم في منزله وعلي (عليه السلام) بين يديه، إذ جاءه جبرئيل (عليه السلام) يناجيه عن الله ـ سبحانه ـ فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير المؤمنين (عليه السلام) ولم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلى العصر جالساً ايماءاً، فلما أفاق قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): فاتتك العصر؟ قال صليتها قاعداً إيماءاً. فقال أدع الله يردّ عليك الشمس حتى تصليها قائماً في وقتها، فإن الله يجيبك لطاعتك لله ولرسوله، فسأل الله في ردّها فردت عليه حتى صارت في موضعها من السماء وقت العصر، فصلاها ثم غربت قالت اسماء وأم سلمة: أم والله سمعنا لها عند غروبها كصرير المنشار.

وبعد النبي (صلّى الله عليه وآله) حين أراد أن يعبر الفرات ببابل، وأشتغل كثير من أصحابه بتعبير دوابهم، فصلىٰ هو (عليه السلام) مع طائفة من أصحابه العصر، وفاتت جمهورهم فتكلموا في ذلك، فلمّا سمع سئل الله في ردّها ليجتمع كافة أصحابه على الصلاة فأجابه الله تعالى وردّها، فكانت كحالها وقت العصر؛ فلما سلم بالقوم غابت وسمع لها وجيب شديد هال الناس، وأكثروا التسبيح والتهليل والاستغفار، والحمد لله على نعمته الّتي ظهرت فيهم، وسار خبر

ذلك ـ في الآفاق وفي ذلك يقول السيّد إسماعيل بن محمّد الحميري:

ردّت عليه الشمس لما فاته ... وقت الصلوة وقد دنت للمغرب
حتّى تبلّج نورها في وقتها ... للعصر ثم هوت هويّ الكوكب
وعليه قد ردّت ببابل مرة ... أُخرى وما ردّت لخلقٍ معرب
إلّا ليوشع أو له من بعده ... ولردّها تأويل أمر معجب

وله أيضاً:

فلمّا قضىٰ وحي النبي دعا له ... ولم يك صلّىٰ العصر والشمس تنزع
فردّت عليه الشمس بعد غروبها ... فصار لها في أول الليل مطلع

وله أيضاً:

علي عليه ردّت الشمس مرةً ... بطيبة يوم الوحي بعد مغيبِ
وردّت له أُخرىٰ ببابل بعد ... ما أفت[1] وتدلت عينها لغروبِ

وللصاحب ابن عباد في هذه المناسبة أيضاً:

لا تقبل التوبة من تائبٍ ... إلّا بحب ابن أبي طالب
أخي رسول الله بل صهره ... والصهر لا يعدل بالصاحب
يا قوم من مثل علي وقد ... ردّت عليه الشمس من غائب

---

(١) أفاء الظل: أي رجع.

علي يكسر الاصنام

روى في «المناقب» ص٢٠٢ ح٢٤٠ ط دار الأضواء ـ بيروت، بإسناده إلى سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعليٍّ بن أبي طالب يوم فتح مكّة: أما ترى هذا الصَّنم بأعلىٰ الكعبة؟

قال: بلىٰ يا رسول الله.

قال: فأحملك فتناوله.

فقال: بل أنا أحملك يا رسول الله.

فقال (صلّى الله عليه وآله): والله، لو أنَّ ربيعة ومضر جهدوا أن يحملوا منّي بضعة وأنا حيٌّ ما قدروا، ولكن قف يا عليُّ.

فضرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بيده إلى ساقِ علي فوق القُرنوس، ثمَّ اقتلعه من الأرض بيده فرفعه حتّى تبيّن بياض إبطيه، ثمَّ قال له: ما ترى يا عليُّ؟

قال: أرىٰ أنَّ الله ـ عزَّ وجلَّ ـ قد شرفني بك حتّىٰ أنّي لو أردت أن أمسَّ السّماء لمسستها.

فقال له: تناول الصَّنم يا عليُّ! فتناوله ثمَّ رمىٰ به.

ثمَّ خرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من تحت عليّ وترك رجليه فسقط علىٰ الأرض، فضحك فقال له: ما أضحكك يا عليُّ؟

فقال: سقطت من أعلى الكعبة فما أصابني شيء.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): وكيف يصيبك شيء وإنّما حملك محمّد، وأنزلك جبريل!

وروى في ص٤٢٩ ح٥ بإسناده إلى أبي مريم، عن عليٍّ (عليه السلام)

قال: انطلقت أنا ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتّى أتينا الكعبة فقال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): اجلس لي! فصعد على منكبي، فذهبت أنهض به فرآني من ضعفي، فنزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجلس لي، وقال: اصعد على منكبي.

قال: فنهض بي، فإنّه يخيَّل إليَّ لو شئت لنلت أُفق السَّماء، حتّى صعدت علىٰ البيت، وعليه تمثال صفر ـ أو نحاس ـ فجعلت أزيله عن يمينه وعن شماله ومن بين يديه ومن خلفه، حتّىٰ إذا استمكنت منه قال لي رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أقذف به! فقذفته، فتكسَّر كما تنكسر القوارير.

رواه جماعة من كبار حفّاظ العامّة منهم.

١ ـ الحافظ أحمد بن حنبل في «المسند» ج١ ص٨٤ ط مصر.

٢ ـ النسائي في «الخصائص» ص٣١ ط التقدم ـ مصر.

٣ ـ الخركوشي في «شرف النبي».

٤ ـ سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص» ص٣١ ط النجف.

٥ ـ أبو الفرج ابن الجوزي في «صفة الصفوة» ج١ ص١١٩ ط حيدر آباد. وفي «التبصرة» ص٤٤٢.

٦ ـ محب الدين الطبري في «ذخائر العقبى» ص٨٥ ط مصر.

٧ ـ أبو عبد الله محمّد بن عثمان البغدادي في «المنتخب من صحيحي البخاري ومسلم» ص١٩٦ مخطوط.

٨ ـ الحافظ نور الدين الهيثمي في «مجمع الزوائد» ج٦/٢٣ ط مصر.

٩ ـ الحاكم النيشابوري في «المستدرك» ج٢/٣٦٧ وج٣/٥ ط حيدر آباد.

١٠ ـ الخطيب البغدادي في «موضع أوهام الجمع والتفريق» ج٢/٤٣٢ ط حيدر آباد وفي «تاريخ بغداد» ج١٣/٣٠٢ ط القاهرة.

١١ ـ أخطب خوارزم في «المناقب» ص٧١ ط تبريز.

١٢ ـ الصفوري في «نزهة المجالس» ج٢/٨٧.

١٣ ـ الديار بكري في «تاريخ الخميس» ج٢/٨٦ ط مصر.

١٤ ـ المتقي الهندي في «كنز العمال» ج١٥/١٥١ ط حيدر آباد الدكن.

١٥ ـ جلال الدين السيوطي في «أنيس الجليس» ص١٨٤.

ولمزيد من المصادر راجع «إحقاق الحق» ج٨/٦٧٩ ـ ٦٩١، وج١٨/١٦٢ ـ ١٧٠، والغدير ج٧/٩ ـ ١٣.

وفي بعض المصادر المتقدِّمة وردت هذه الأبيات منسوبة للشافعي:

قيل لي قل في علي مدحاً ... ذكره يخمد ناراً مؤصده
قلت لا أقدم في مدح امرىءٍ ... ضلَّ ذو اللبِّ إلىٰ أن عبده
والنبي المصطفىٰ قال لنا ... ليلة المعراج لما صعده
وضع الله بظهري يده ... فأحسَّ القلب أن قد برده
وعليٌّ واضع أقدامهُ ... في محل وضع الله يده

وللشيخ الشاعر البارع صالح بن عبد الوهاب بن العرندس الحلّي، أحد أعلام الشيعة ومن مؤلّفي علمائها في الفقه والأُصول، المتوفّى في الحلة حدود سنة ٨٤٠ هـ، والمدفون فيها وقبره شاخص يزار ويتبرّك به، له قصيدة طويلة ذكر فيها جملة وافرة من مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام)، ومنها:

وصعود غارب أحمد فضل له ... دون القرابة والصحابة افضلا

إلىٰ أن قال:

هذا الذي حاز العلوم بأسرها ... ما كان منها مجملاً ومفصّلا
هذا الذي بصَلاته وصِلاته ... للدين والدنيا أتمّ وأكملا

هذا الذي بحسامه وقناته ... في خيبر صعب الفتوح تسّهلا
وأباد مرحب في النزال بضربة ... ألقت علىٰ الكفّار عبئاً مُثقلا
وكتائب الأحزاب صبّر عَمروها ... بدمائه فوق الرمال مرملا
وتبوك[1] نازل شوسها فأبادهم ... ضرباً بصارم عزمة لن يُفللا

وقال المفجع البصري في قصيدة الأشباه:

فارتقىٰ منكب النبي عليٌّ ... صنوه ما أجلّ ذاك رقيّا
فأماط الأوثان عن ظاهر ... الكعبة ينفي الأرجاس عنها تقيا
ولو ان الوصي حاول مسّ النجم ... بالكف لم يجده قصّيا

نكتفي بهذه الأبيات للدلالة علىٰ صعود عليّ (عليه السلام) علىٰ منكب النبي (صلّى الله عليه وآله) لتكسير الأصنام.

راجع كتابنا (علي في الكتاب والسنة) ج١ ص١٧٨ تفسير آية ١٧: ٨١ من سورة الاسراء.

---

(١) ربما قال «حنين» لإن الإمام لم يشترك في غزة تبوك ولا جرت هناك حرب.

استجابة دعائه

وهـذه الكـرامة ـ استجابة الدعاء ـ وردت لأئمة أهل البيت (عليهم السلام). فجل من ترجم لهم نص علىٰ بعض الحوادث التي دعوا الله تعالى فيها، واستجـابـة دعـائهم (عليهم السلام). ولا غرو في ذلك فقد ضمن الله تعالىٰ الاستجـابة لعباده المؤمنين، فقال: ﴿ادعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم﴾[1] فكيف بأئمة المؤمنين، وسادة المسلمين.

وفي هذا الفصل بعض ما ورد من استجابة دعائه (عليه السلام):

١ ـ لما استنشد عليٌ (عليه السلام) صحابة الرسول (صلّى الله عليه وآله وسلم) الذين شهدوا يوم الغدير، وقام ثلاثون صحابيا شهدوا له بذلك، ولم يقم أنس بن مالك، فقال له (عليه السلام): مالك لا تقوم مع صحابة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فتشهد بما سمعته يومئذ منه؟

فقال: يا أمير المؤمنين: كبرت سني ونسيت!!

فقال علي: إن كنت كاذباً فضربك الله ببيضاء لا تواريها العمامة.

فما قام حتىٰ أبيض وجهه برصا، فكان بعد ذلك يقول: اصابتني دعوة العبد الصالح[2].

٢ ـ وبلغـه (عليه السلام) هجوم بسر بن أرطأة ـ قائد معاوية ـ علىٰ

(١) سورة المؤمن/٦٠.

(٢) المراجعات/ ٢٠٩: ٢٢٣.

اليمن، وقتله الابرياء، فدعا عليه، فقال:

«اللّهم إنّ بسراً باع دينه، وأنتهك محارمك، وكانت طاعة مخلوق فاجر آثر عنده مما عندك، اللّهم فلا تمته حتىٰ تسلبه عقله، ولا توجب له رحمتك ولا ساعة من نهار، اللّهم العن بسراً وعمرواً ومعاوية، وليحل عليهم غضبك، وتنزل بهم نقمتك، وليصبهم بأسك وزجرك الذي لا ترده عن القوم المجرمين».

فلم يلبث بسر بعد ذلك إلّا يسيراً حتىٰ وسوس وذهب عقله، فكان يهذي بالسيف ويقول: اعطوني سيفاً أقتل به، لا يزال يردد ذلك، حتىٰ أُتخِذ له سيف من خشَب، وكانوا يدنون منه المرفقة فلا يزال يضربها حتىٰ يغشىٰ عليه فلبث كذلك إلىٰ أن مات[1].

٣ ـ من حديث له (عليه السلام) مع الحسن البصري في الوضوء، قال له الحسن: لقد قتلت بالامس رجالا كانوا يسبغون الوضوء.

فقال (عليه السلام): وانك لحزين عليهم؟!

قال: نعم.

فقال (عليه السلام): فأطال الله حزنك.

قال أيوب السجستاني: فما رأينا الحسن قط إلّا حزينا، كأنه رجع عن دفن حميم، أوخرنبدج[2] ظل حماره، فقلت له في ذلك: فقال: عملت في دعوة الرجل الصالح[3].

(١) منن الرحمان/٣٤٩.

(٢) خرنبدج: معرب خر نبدة، أي المكاري.

(٣) الكنىٰ والالقاب٢/٧٥.

مفاخرة علي عمه العباس وشيبة

روى الحاكم أبو القاسم الحَسكاني عن ابن بريدة عن أبيه قال:

بينا شيبة بن أبي طلحة، والعباس [بن عبد المطلب] عم النبي، يتفاخران إذ مرّ بهما علي بن أبي طالب (عليه السلام) فقال: «بماذا تتفاخران؟».

فقال العباس: لقد أوتيت من الفضل مالم يؤت أحد: سقاية الحاج.

وقال شيبة: أوتيت عمارة المسجد الحرام.

فقال عليٌّ (عليه السلام): «إستحييت لكما فقد أُوتيت على صغري مالم تأُتيا».

فقالا: وما أُوتيت يا علي؟

قال: ضربت خراطيمكما بالسيف حتى آمنتما بالله ورسوله».

فقام العباس يجر ذيل ثوبه حتى دخل على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وقال: أما ترى إلى ما يستقلبني به علي؟

فقال (صلّى الله عليه وآله): «ادُعوا لي علياً» فدعي له، فقال: «ما حملك على ما استقبلت به عمك؟».

فقال: «يا رسول الله صدمته بالحق، فمن شاء فليغضب، ومن شاء فليرض».

فنزل جبرئيل وقال: «يا محمّد إنّ ربّك يقرأُ عليك السلام ويقول: اتل عليهم:

﴿أَجَعَلتُم سِقايَةَ الحاجِّ وَعِمارَةَ المَسجِدِ الحَرام كَمَن آمَنَ بِاللهِ واليوم الآخِرِ وَجاهَدَ في سبيلِ اللهِ لا يَستَوُون﴾ (سورة التوبة ٩: ١٩).

فقال العباس: إنا قد رضينا ـ ثلاث مرات.

راجع تفصيل ذلك في الجزء الأول ص١٢٩/ مورد٣١ من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» في تفسير الآية ١٩ ـ ٢٢ من سورة براءة.

كما نقل ذلك العلّامة ابن الصباغ المالكي المكي في كتابه الفصول المهمة ص١٢٤/١٢٥ طبع النجف وطهران، بلفظ آخر نقله الواحدي في كتابه «أسباب النزول» فراجع.

* * *

آية النجوىٰ

سبق أن ذكرنا بعض خصائص الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) التي تفرّد بها عن غيره وكانت من جملة مفاخره، لأن الله سبحانه وتعالىٰ خصّه بها وانزل العديد من الآيات بشأنه، وتلك منزلة لم ينلها أحد في المسلمين.

ومن تلك الخصائص الفريدة، والمزايا الحميدة، ما رواه المفسرون، في تفسير قوله تعالىٰ في محكم كتابه المجيد: ﴿**يا أيُّها الذينَ آمَنوا إذا ناجيتُمُ الرَّسولَ فَقَدِّموا بَينَ يَدي نَجواكُم صَدَقةً ذلكَ خيرٌ لكم وأطهرُ**﴾ (سورة المجادلة/٥٨: ١٢).

أما الأغنياءُ فبخلوا، وغلّبوا علىٰ حبه والرغبة في مناجاته حب الحطام، وأما أهل العسرة «الفقراء» فلم يجدوا ما يقدموا بين يدي مناجاتهم صدقة. فخفّ ذلك الزحام على رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وأشتد على أصحابه، فنزلت الآية التي بعدها، راشقةً لهم بسهام الملامة، ناسِخةً بحكمها حيث أحجم مَن كان دأبه الإقدام.

وقال عليٌّ أمير المؤمنين (عليه السلام): «ان في كتاب الله تعالى لآيةً ما عَمِلَ بها أحدٌ قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي، (وهي آية المناجاة)، فإنها لما نزلت كان لي دينار فبعتهُ بعشرة دراهم، وكنت اذا ناجيت الرسول تَصدَّقت بدرهم حتى فنيت الدراهم، فنسخت (الآية) بقوله عز من قائل ﴿**ءأشفَقتُم أن تُقَدِّمُوا بَين يَدَي نجَواكُم صَدَقاتٍ**﴾ (سورة المجادلة/٥٨:١٣).

وروى الشيخ الطوسي (رحمه الله) عن الترمذي، والثعلبي، عن علي (عليه السلام) أنه قال:

«بي خَفّف الله عن هذه الأُمة، لأنّ الله ـ تبارك وتعالى ـ إمتحن الصحابة بهذه الآية فتقاعسوا عن مناجاة الرسول، وكان قد إحتجب في منزله من مناجاة كل أحدٍ إلّا من تصدّق، وكان معي دينارٌ فتصدقت به، فكنت أنا سبب التوبة من اللهِ تعالى على المسلمين حين عَمِلتُ بالآية، ولو لم يَعمَل بها أحد لنزل العذاب لإمتناع الكُل عن العمل بها».

وفي كتاب فرائد السمطين: إن علياً (عليه السلام) ناجىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) عشر مرات، بعشر كلمات قدّمها عشر صدقات:

فسأل الأُولىٰ: «ما الوفاءُ؟ قال: التوحيد: شهادة أن لا إله إلّا الله».

ثم قال: «وما الفساد؟ قال: الكفر والشرك بالله ـ عز وجل ـ».

ثم قال: «وما الحيلة؟ قال ترك الحيلة».

ثم قال: «وما عَليٌّ؟ قال: طاعةَ اللهِ، وطاعَة رسُولِه».

ثم قال: «وكيف أدعو الله تعالىٰ؟ قال: بالصدق واليقين».

ثم قال: «وما أسأل الله تعالىٰ؟ قال: العافية».

ثم قال: «وماذا أصنع لنجاة نفسي؟ قال: كُل حَلالاً وقُل صِدقاً».

ثم قال: «وما السرُور؟ قال: الجنة».

ثم قال: وما الراحة؟ قال: «لقاءَ الله تعالىٰ».

ثم قال: «وما الحق؟ قال: الإسلام والقرآن والولاية إذا انتهت إليك».

فلما فرغ نسخ حكم الآية.

وقال بعض الاعلام: وأنت إذا تأملت في هذه الكلمات العشر وما فيها من الحِكم والخَير الكثير التي لا يعطيها الله تعالىٰ ولا يؤتيها إلّا لخاصةِ خلقه، والصالحين من عباده، تجد أنها جديرة بأن يبذل بازائها الدنيا وما فيها، كيف لا وقد بذل أمير المؤمنين (عليه السلام) كل ما يملك في حياته، وكل ما كان يملك من المال حينذاك، وهو دينار واحد، كما استفدنا من الروايات السابقة، ليأخذ

هذه الكنوز الغالية من الحكم... إلىٰ آخره.

وقد ذكر المفسرون، والمحدِّثون، من الفريقين آيات كثيرة نزلت في شأنه (عليه السلام)، وإنه المقصود بها تفسيراً أو تأويلاً بأنه: الشهيد، والشاهد، والمشهود، والذكر، والنور، والهُدى، والصادق، والمصدّق، والفضل، والرحمة، والنِعمة، والذي عنده علم الكتاب.

وقد ورد لكل إسم من هذه الأسماءِ حديث أو أكثر، يُصرِّح بأن علياً (عليه السلام) هو المقصود بذلك الإسم ـ أو بتلك الأسماءِ ـ.

* * *

نزول سورة «هل اتىٰ»

وسائل هل أتىٰ نص بحق علي؟ أجبته هل أتى نص بحق علي

في أمالي الصدوق: عن الإمام الصادق (عليه السلام)، عن أبيه في قوله عز وجل: ﴿يوفونَ بالنَّذرِ﴾ (الإنسان/٧) قال:

«مرض الحسن والحسين (عليهما السلام)، وهما صَبِيّان صَغِيران فعادهما رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ومعه رجلان، فقال أحدهما: يا أبا الحسن لو نذرت في إبنيك نذراً إن الله عافاهما، فقال أصوم ثلاثة أيام شكراً لله ـ عز وجل ـ، وكذلك قالت فاطمة (عليها السلام)، وقال الصبّيان الحسن والحسين (عليهما السلام) ونحن أيضاً نصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت جاريتهم فضة، فالبسهما الله عافية، فاصبحوا صياماً وليس عندهم طعام، فانطلق عليٌ (عليه السلام)، فاستقرض ثلاثة أصوع من الشعير.

أخذت فاطمة (عليها السلام) صاعاً من الشعير فطحَنته وعجَنته وخَبزت منه خمسة أقراص، لكل واحدٍ قرصاً، وصلى عليٌ (عليه السلام) مع النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) المغرب، ثم أتى منزله فَوُضِعَ الخوَان وجلسوا خمستهم، فأول لقمة كسرها علي (عليه السلام)، وإذا مسكين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني مما تأكلون أطعمكم الله على موائد الجنة، فوضع علي (عليه السلام) اللُقمة من يده، ودفعها إلى المسكين وفعل أهل بيته كذلك، وعمدت فاطمة (عليها السلام) إلى ماكان على الخوان فدفعته إلى المسكين، وباتوا جياعاً، وأصبحوا صياماً، ولم يذيقوا الاّ الماء القراح.

وفي اليوم الثاني عمدت فاطمة (عليها السلام) إلى الشعير وطحنته وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحد قرصاً، فصلّىٰ علي المغرب مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم أتى منزله، فلما وضع الخوان بين يديه وجلسوا خمستهم فأول لقمة كسرها عليٌّ (عليه السلام)، وإذا بيتيم من يتامىٰ المسلمين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم أهل بيت محمدٌ أنا يتيم من يتامىٰ المسلمين أطعموني مما تأكلون، أطعمكم الله علىٰ موائد الجنة، فوضع علي (عليه السلام) اللقمة من يده فعمدت فاطمة (عليها السلام) إلىٰ الطعام فأعطته جميع ما في الخوان، وباتوا جياعاً لم يذقوا إلّا الماء القراح، واصبحوا صياماً.

وفي اليوم الثالث، عمدت فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وطحنت الباقي من الشعير وعجنته وخبزت منه خمسة أقراص لكل واحدٍ قرصاً، وصلّىٰ عليٌّ (عليه السلام) المغرب مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ثم أتى منزله، فَقرّب إليه الخوان وجلسوا خمستهم فأول لقمةٍ كسرها عليّ (عليه السلام) وإذا بأسير من أسراء المشركين قد وقف بالباب فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمّد، أنا أسيركم أطعموني مما أطعمكم الله، فوضع عليّ (عليه السلام) اللُّقمة من يده، ثم عمدوا جميعاً إلى ما كان على الخوان فأعطوه وباتوا جياعاًواصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء».

قال شعيب في حديث: وأقبل عليٌّ بالحسن والحسين (عليهم السلام)، نحو رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، وهما يرتعشان كالفِراخ من شِدَّةِ الجوع، فلما بصر بهم النبي قال: يا أبا الحسن شدّ ما يسوءني ما أرىٰ بكم!؟ انطلق إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها من شِدّة الجوع وغارت عيناها، فلما رآها رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم)، ضمها إليه وقال: واغوثاه بالله؟ أنتم منذ ثلاث فيما أرى؟

فهبَط جبرئيل.

فقال يا محمّد خذ ما هيأ الله لك في أهل بيتك.

قال: وما آخذ يا جبرئيل؟

قال: ﴿هَل أَتىٰ علىٰ الأنسانِ حينٌ من الدهرِ...﴾ حتىٰ إذا بلغ ﴿إنَّ هذا كانَ لكُم جزاءً وكانَ سعيكم مشكوراً﴾ (الانسان/٧٦:٢٢).

وبلفظ آخر: قال الحسن بن مهران في حديثه:

فوثب النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم) حتىٰ دخل منزل فاطمة (عليها السلام)، فرأىٰ ما بهم فجمعهم ثم انكبّ عليهم فبكىٰ وهو يقول: أنتم منذ ثلاث فيما أرىٰ وأنا غافل عنكم؟ فهَبَط عليه جبرئيل بهذه الآيات: ﴿ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً﴾ (الانسان/٧٦:٦).

قال: هي عين في دار النبي (صلّى الله عليه وآله وسلم)، تفجر إلى دور الانبياء والمؤمنين.

﴿يوفونَ بالنَّذرِ﴾ يعني علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام)، وجاريتهم.

﴿وَيَخافونَ يوماً كانَ شرهُ مُستطيراً﴾ (الانسان/٧٦:٧).

﴿ويُطعمونَ الطَّعامَ علىٰ حُبهِ﴾ يقول: علىٰ شهوتهم للطعام وإيثارهم له، ﴿مسكيناً﴾ من مساكين المسلمين ﴿ويتيماً﴾ من يتامىٰ المسلمين ﴿وأسِيراً﴾ من اسراء المشركين ويقولون إذا اطعموهم: ﴿إنَّما نطعمُكم لوجهِ الله لا نُريدُ منكم جزاءً ولا شُكوراً﴾ (الانسان/٧٦:٩) قال: والله ما قالوا هذا لهم ولكنهم اضمروه في أنفسهم، فأخبر الله بما في ضمائرهم ويقولون: لا نريد جزاءً ولا شكوراً تثنون به علينا، ولكن إنما اطعمناكم لوجه الله وطلب ثوابه.

قال الله تعالى ذكره: ﴿فَوقاهُمُ اللهُ شَرَ ذلكَ اليومِ ولقّاهُم نضرة﴾ (الانسان/٧٦:١١) في الوجوه ﴿وسُرُوراً﴾ في القلوب ﴿وجزاهُم بما صَبروا جنةً﴾

(الانسان/٧٦:١١) يسكنونها ﴿وحريراً﴾ يفترشون ويلبسونه ﴿مُتكئِينَ فيها علىٰ الأرائكِ﴾ جمع أريكة، والأريكة: السرير عليه الحجَلة ﴿لا يَرونَ فيها شمساً ولا زَمهريراً﴾.

بعدما عرفت من أجماع المفسرين والمحدثين على نزول هذه السورة في أصحاب الكساء (عليهم السلام)، علمت أنه لا شك فيه ولا ريب في أن مثل هذا الايثار لا يتأتى إلّا من قبل أهل البيت الأئمة الأخيار ومن أصحاب النفوس الطاهرة وأن نزول هذه السورة مع سورة المائدة عليهم، ومعظم الآيات النازلة بحقهم (عليهم السلام)، يدل دَلالة قاطعةً على جلالة قدرهم، ورفعة شأنهم، وشموخ مقامهم، ومنزلتهم عند العزيز الجبار ـ سبحانه وتعالىٰ ـ.

وبهذا ضرب أهل البيت (عليهم السلام) المثل الاعلىٰ في التضحية والمواسات والايثار بحيث مدحهم الله ـ سبحانه وتعالى ـ في محكم كتابه بقوله: ﴿ويُؤثِرُونَ عَلىٰ أنفُسهم ولو كان بِهِمْ خَصاصَة﴾ أي مع حاجتهم الماسة إلى الطعام ومع ذلك يفضلون غيرهم علىٰ أنفسهم.

وللمزيد من التفاصيل راجع كتب الاخلاق والحديث.

* * *

آية التطهير

ليس من شك أن حديث نزول آية التطهير، أو ما أطلق عليه العلماء والمحدثون أسم (حديث الكساء) كان في أهل البيت (عليهم السلام). فقد روي بطرق كثرة، جازوت حد التواتر، وبلغ من الشهرة والثبوت بحيث لم يُبقِ سبيلاً أمام أي عالم، باحث، محقق، مؤمن، منصف إلّا صدّقه وصححه وأذعن به، بل أدىٰ هذا التواتر إلى انكباب كبار الحفاظ وأجلّة العلماء وثقاة الرواة إلى روايته وحفظه ودراسته، والتصدي له بالتأليف والتصنيف، وحرّك في صيارفة القول وصاغة القريض والشعراء البارعين روْح الإبداع، فنظموه في قصائد عصماء وأراجيز بديعة، سار ذكرها مع الركبان، وحكاها مهرة الفن وأئمة النقل، منهم علىٰ سبيل المثال البغوي في (مصابيح السنّة)، الترمذي، وأحمد بن حنبل، والطبراني في (المعجم الصغير) والخطيب البغدادي، وابن حَجَر العسقلاني، في (المطالب العالية)، والبيهقي، والبخاري، والسيوطي، وابن مغازل ـ وغيرهم ممن يطُول ذكرهم.

وهناك حديث مفصل ومطول رواه العلّامة الجليل البحراني في (العوالم) أدخرته لأنقله لكم في الحقلة الثالثة من السلسلةالذهبية ـ (المصطفىٰ والعترة) فاطمة الزهراء (عليها السلام) إن شاء الله.

أما في هذا الجزء أنقل لكم الحديث بصورة موجزة عن أم المؤمنين أم سلمة (عليها الرحمة) وقد جاء بطرق متعددة قريبة الالفاظ تدل إلى معنىً واحد اختار أحدهم، وإليك نص الحديث:

روى المحدث المفسر الحسين بن الحكم الحبري المتوفى سنة (٢٨٦ هـ)

في ما نزل من القرآن في علي (عليه السلام) ص٢٩٧ ح٥٠ بإسناده إلى أمّ سلمة، قالت:

نزلت هذه الآية في عَليّ **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**.

قالت: قلت يا رسول الله ألست من أهل البيت؟

قال (صلّى الله عليه وآله): «إنكِ علىٰ خير، إنكِ من أزواج النبي».

وكان في البيت رسول الله، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

وروى أيضاً في ص٢٩٩ ح٥١ بإسناده إلى شهر بن حوشب، قال: أتيت أم سلمة زوج النبي (صلّى الله عليه وآله) لأُسلِمَ عليها، فقلت لها: رأيْتِ هذه الآية، يا أم المؤمنين؟ **﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾**؟

قالت: نزلت وأنا ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) على منامة لنا تحتنا كساءٌ خَيبريّ، فجاءَت فاطمة ومعها حَسَنٌ وَحُسَينٌ، وفخار فيه حريرة.

فقال: اين ابن عمك؟

قالت: في البيت.

قال: فاذهبي فادعيه.

قالت: فدعوته، فأخذ الكساء من تحتنا، فعطفه، فأخذ جميعه بيده، فقال (صلّى الله عليه وآله) اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وأنا جالسة خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فقلت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، فأنا؟ قال: إنكِ على خير. فنزلت هذه الآية **﴿إنّما يريد الله ليُذهبَ عَنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً﴾** في النبي، وعلي، وفاطمة، والحسن، والحسين (صلوات الله عليهم أجمعين).

وقال بعضهم في ذلك شعراً:

أن النبي محمّداً ووصيه ... وأبنيه وأبنته البتول الطاهرة

أهل العباء فأنني بولائهم ... أرجوا السلامة والنجا في الآخرة

* * *

آية المودة

روى الإمام أبو الحسين البغوي في تفسيره يرفعه بسنده إلى ابن عباس؛ قال: لما نزلت الآية قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ لاَ أَسئَلُكُمْ عَليهِ أجراً إلاّ المَودَة في القُربىٰ﴾ .

قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين أمرنا الله بمودتهم؟

قال: علي، وفاطمة، وابناهما.

ورَوى السدّي عن أبي مالك عن ابن عباس في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَقْتَرِف حَسَنَةً نزِدْ لَهُ فيها حُسْناً﴾ .

قال: المودة لآل محمد (صلّى الله عليه وآله) فهؤلاء هم أهل البيت المرتقون بتطهيرهم إلى ذروة أوج الكمال المستحقون لتوقيرهم مراتب الاعظام والاجلال ولله در القائل إذ قال:

هم العروة الوثقىٰ لمعتصم بها ... مناقبهم جاءت بوحي وانزال
مناقب في شورىٰ وسورة هل أتىٰ ... وفي سورة الاحزاب يعرفها التالي
وهم آل بيت المصطفىٰ فودادهم ... علىٰ الناس مفروض بحكم واسجال

وقال آخر:

هم القوم من أصفاهم الود مخلصاً ... يمسك في أخراه بالسبب الأقوىٰ
هم القوم فاقوا العالمين مناقباً ... محاسنها تجلىٰ وآياتها تروىٰ
موالاتهم فرض وحبّهم هدىٰ ... وطاعتهم ودّ وودّهم التقوىٰ

إلىٰ آخره.

وقد تسابق الشعراء والعلماء إلى نظم هذه الفضيلة، فقد روى الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» ج٢ ص١٤٦ بإسناده إلى حرب بن الحكم بن المنذر الجارود شعره الذي قال فيه:

فحسبي من الدنيا كفاف يكفني ... وأثواب كتّان أزور بها قبري
فحبي ذوي القربىٰ النبي محمدٍ ... وما سالنا إلاّ المودّة من أجر

وقال حافظ محمد بن يوسف الكنجي الشافعي في «كفايةالطالب» ص٣١٣ ط طهران: أنشد بعض مشايخنا، وهو محمد بن العربي شيخ المحققين:

رأيت ولائي آل طه فضيلة ... على رغم أهل البعد يورثني القربا
فما سأل المبعوث أجراً علىٰ الهدىٰ ... بتبليغه إلاّ المودّة في القربىٰ

ومن نظم شاعر أهل البيت سفيان بن مصعب العبدي:

آل النبي محمد أهل الفضائل والمناقب
المرشدون من العمىٰ المنقذون من اللوازب
الصادقون الناطقون السابقون إلى الرغائب
فولاهم فرض من الر حمن في القرآن واجب

أخرجه عنه العلّامة الأميني في الغدير ج٢ ص٣٠٥ وقد أعقبه بذكر آيةالمودّة، وبعض ما ورد فيها من آثار وأخبار مع مصادرها.

* * *

آية المباهلة

علي نفس النبي (صلّى الله عليه وآله)

ذكر البيهقي في الدلائل من طريق سلمة بن عبد يشوع عن أبيه عن جده:

إن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كتب إلى أهل نجران قبل نزول سورة النمل (طس) سليمان:

«بإسم إلٰه إبراهيم وإسحاق ويعقوب، من محمّد رسول الله إلى أسقف نجران، إن اسلمتم فإني أحمد إليكم الله إله إبراهيم، وإسحاق ويعقوب، أمّا بعد: فإني أدعوكم إلى عبادة الله من عبادة العباد، وأدعوكم إلى ولاية الله من ولاية العباد فإن أبيتم فالجزية وإن أبيتم فقد أوذنتُم بحرب، والسلام».

فلما قرأ الأسقف الكتاب فظع به وذعر ذعراً شديداً، فبعث إلى رجل من أهل نجران يقال له: شرحبيل بن وداعة، فدفع إليه كتاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقرأه، فقال له الأسقف: ما رأيك؟ فقال شرحبيل: قد علمت ما وعد الله إبراهيم في ذرية إسماعيل من النبوة فما يُؤمَنْ من أن ذلك الرجل، ليس لي في النبوة رأي، لو كان أمر من أُمور الدنيا لأشرت عليك فيه وجهدت لك.

فبعث الأسقف إلى واحد بعد واحد من اساقفة أهل نجران فكلمهم فقالوا مثل قول شرحبيل، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا شرحبيل بن وداعة، وعبد الله بن شرحبيل، وجبار بن فيض ـ وفي رواية قدم فيهم ثلاثة من النصارىٰ: وهم

العاقب، ومحسن، والاسقف فانطلق الوفد حتىٰ قدموا علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسألهم وسألوه، فلم تنزل به وبهم المسألة حتىٰ قالوا له: ما تقول في عيسىٰ بن مريم؟ فقال (صلّى الله عليه وآله) ما عندي فيه شيءٌ يومى هذا فأقيموا حتىٰ أخبركم بما يُقال لي في عيسىٰ صبح الغداة، فأنزل الله سبحانه ﴿إن مثَل عيسىٰ عِندَ اللهِ كَمَثَلِ آدمَ خَلقَه من تُراب ثمّ قال لَه كُن فَيَكون﴾[1] إلى قوله تعالىٰ: ﴿فنَجْعل لعَنة الله علىٰ الكاذبين﴾ فأبوا أن يقرّوا بذلك.

فلما أصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الغد بعدما أخبرهم الخبر أقبل مشتملاً علىٰ الحسن والحسين في خميلةٍ له، ومعه عليٌ وفاطمة (عليهم السلام)، تمشي عند ظهره للملاعنة، وله يومئذٍ عدة نسوة.

فقال شرحبيل ـ أو الأسقف ـ لصاحبيه: إني أرىٰ أمراً مقبلاً إن كان هذا الرجل نبياً مرسلاً فنُلاعِنه ولا يبقىٰ علىٰ وجه الأرض منا شَعر ولا ظِفر إلاّ هَلَك ـ وفي روايةٍ أُخرىٰ: إني لأرىٰ وجوهاً لو أقسمت علىٰ الله أن يزيل بها هذا الجبل لفعل.

فقالا له: ما رأيك؟

فقال: رأيي أن أُحكِّمُهُ فإني أرىٰ رجلاً مقبلاً لا يحكم شططاً أبداً.

فقالا له: أنت وذاك، فتلقىٰ شرحبيل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: إني قد رأيت خيراً من ملاعنتك.

قال: وما هو؟

قال: أُحكِّمك اليوم إلىٰ الليل، وليلتك إلىٰ الصباح، فمهما حكمت فينا فهو جائز، فرجع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ولم يلاعنهم وصالحهم علىٰ

---

(١) آل عمران/٥٩ ـ ٦١.

الجزية.

وفي رواية أُخرىٰ عن عليّ (عليه السلام) قال: لما قرأ النبي (صلّى الله عليه وآله) عليه الآية: ﴿ان مثل عيسىٰ عند الله...﴾ قال الاسقف: ما نجد هذا يا محمّد في التوراة، ولا في الإنجيل، ولا في الزبور، ولا نجد هذا إلّا عندك. ولما لم يؤمنوا، فأوحىٰ الله سبحانه إلى رسوله الكريم (صلّى الله عليه وآله) ﴿قُل تعالَوا نَدعُ أبناءَنا وَأبناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكم، وَأنْفُسَنا وَأنْفُسَكم...﴾ إلى آخر الآية فقرأها عليهم ودعاهم إلى المباهلة (الملاعنة) فقالوا: انصفتنا يا أبا القاسم، فمتىٰ موعدك؟ قال: بالغداة إن شاء الله. قالوا: حتىٰ نرجع وننظر في أمرنا ونأتيك غداً.

ثم قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، (عليه السلام): فلما صلّىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) الصبح أخذ بيدي وجعلني بين يديه، وأخذ فاطمة (عليها السلام) فجعلها خلف ظهره، وأخذ الحسن والحسين (عليهما السلام) عن يمينه وعن شماله ثم برك لهم باركاً، فلما رأوه قد فعل ذلك ندموا [قال أحدهم والله أنه برك كما يبرك الانبياء للمُباهلة] عند ذلك تشاوروا وتآمروا فيما بينهم وقالوا: والله أنه لنبي، ولئن باهلنا ليستجيب الله له علينا فيهلكنا ولا ينجينا شيء منه إلّا أن نستقيله، قال: فأقبلوا حتىٰ جلسوا بين يديه، ثم قالوا: يا أبا القاسم أقلنا، قال: نعم، قد أقلتكم، أما والذي بعثني بالحق نبياً لو باهلتكم ما ترك الله علىٰ ظهر الأرض نصرانياً إلّا أهلكه.

قال الطبرسي: أجمع المفسرون علىٰ أن المراد بابنائنا، الحسن والحسين (عليهما السلام)، قال أبو بكر الرازي: هذا يدل علىٰ أن الحسن والحسين ابناء رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وإن ولد الإبنة إبن في الحقيقة.

وقال شيخنا المجلسي: ويدل علىٰ كون المراد بأنفسنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ما رواه ابن حجر في صواعقه رواية الدارقطني:

أن علياً (عليه السلام) يوم الشورىٰ أحتج علىٰ أهلها فقال لهم: أنشدكم الله هل فيكم أحد أقرب إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الرحم مني؟ ومن جعله نفسه، وأبناءَه أبناءَهُ، ونساءه نساءَه غيري؟ قالوا: اللّهم لا.

وقد تواتر الحفّاظ والمحدثين في أسفارهم وصحاحهم ومسانيدهم بنقل هذا الحديث جَمٌّ عن الحصر وإليكم بعضاً منهم علىٰ سبيل المثال، منهم:

الحافظ أحمد بن حنبل في (المسند) ج١ ص١٨٥ ط مصر.

العلّامة الطبري في (تفسيره) ج٣ ص١٩٢ ط مصر، وفي (ذخائر العقبىٰ) ص٢٥ ط مصر.

الحافظ الحاكم في (المستدرك) ج٣ ص١٥٠ ط حيدر آباد الهند.

العلّامة البغوي في (معالم التنزيل) ج١ ص٣٠٢ وفي (مصابيح السنة) ج٢ ص٢٠٤ ط المطبعة الخيرية مصر.

العلّامة الزمخشري في تفسيره (الكشاف) ج١ ص١٩٢ ط مصطفىٰ محمد مصر.

العلّامة فخر الدين الرازي في (تفسيره) ج٨ ص٨٥ ط مصر.

الحافظ ابن حجر العسقلاني في (الإصابة) ج٢ ص٥٠٣ ط مصطفىٰ محمد مصر.

العلّامة الترمذي في (مناقب مرتضوي) ص٤٤ ط بومباي.

العلّامة ابن المغازلي في (المناقب) كما في (كفاية الخصام) ص٣٨٨ ط طهران.

العلّامة البيهقي في (السنن الكبرىٰ) ص٦٣ ط حيدر آباد الهند.

الحافظ السيوطي في (تاريخ الخلفاء) ص٦٥ ط مصر.

وفي الجزء الثاني والثالث من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ذكرنا ذلك بثلاث صور مفصلة فراجع.

الفصل الخامس

مقتطفات من أحاديث الرسول (صلّى الله عليه وآله) في شأن علي (عليه السلام) وهي خمسة وأربعين

فضائله لا تحصىٰ

١ ـ عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لو أنَّ الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حسّاب، والإنس كتّاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

كما رواه العلّامة أخطب خوارزم المتوفى سنة ٥٦٨ ـ في المناقب ص١٨ و٢٢٩ طبع تبريز.

والحافظ الكنجي الشافعي المتوفى سنة ٦٥٨ في كفاية الطالب ص١٢٣ طبع الغري.

والعلّامة الحمويني المتوفى سنة ٧٢٢ في كتابه فرائد السمطين مخطوط.

والحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ في لسان الميزان ج٥ ص٦٢ طبع حيدر آباد دكن.

والعلّامة السيد جمال الدين الحسيني الشيرازي الهروي المتوفى سنة ١٠٠٠ في الأربعين حديثاً، مخطوط.

كلهم أثبتوا هذا الحديث ونقلوه في صحاحهم ومسانيدهم وتاريخهم، فهل يبقىٰ لمشكّكٍ مجال؟؟

وعلىٰ هذا الاساس بنىٰ الإمام الشافعي ونظم هذا المعنىٰ وقال:

يقولون لي قل في علي مدائحاً
فإن أنا لم أفعل يقولوا معاندُ

إلى أن قال، ونِعْمَ ما قال:

فلو أن ماء الأبحر السبعة التي
خلقن مداداً والسمٰوات كاغدُ
وأشجار أرض الله أقلام كاتب
إذا الخط أفناهنّ عُدن عوائدُ
وكان جميع الجن والإنس كتّباً
إذا كَلَّ منهم واحد قام واحدُ
ورامواجميعاً منقباً أثر منقب
لما خُطَّ من تلك المناقب واحدُ

وقال العوفي، ونعم ما قال:

ولو كانت الآجام كلّ بأسرها
تقطع أقلاماً وتُبرىٰ وتحضر
وكانت سماء الله والأرض كاغداً
وكانت بأمر الله تُطوىٰ وتُنشَر
وكان جميع الإنس والجن كتّباً
وكان مداد القوم سبعة أبحر
لكلّت أياديهم وغار مدادهم
ولم يعطِ عشر العُشر من فضل حيدرِ

شبهه بالأنبياء

٢ ـ عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «مَن أراد أن ينظر إلىٰ آدم في عِلمه، وإلىٰ نوح في فَهمه، وإلىٰ يحيىٰ بن زكريا في زُهده، وإلىٰ موسىٰ بن عمران في بَطشه فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب».

شبهه بالملائكة

٣ ـ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «مَن أراد أن ينظر إلىٰ إسرافيل في هيبته، وإلىٰ ميكائيل في رتبته، وإلىٰ جبرئيل في عظمته وجلالته، وإلىٰ آدم في سلامته، وإلىٰ نوح في حُسنه، وإلىٰ إبراهيم في خلّته وسخاوته، وإلىٰ يعقوب في حُزنه، وإلىٰ يوسف في جماله، وإلىٰ سليمان في مُلكه، وإلىٰ موسىٰ في مناجاته وشجاعته، وإلىٰ أيّوب في صبره، وإلىٰ يحيىٰ في زهده، وإلىٰ عيسىٰ في سياحته وسننه، وإلىٰ يونس في ورعه، وإلىٰ محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) في خلقه وجسمه وشرفه وكمال منزلته، فلينظر إلىٰ علي بن أبي طالب».

رواه جماعة من أعلام القوم ومحدِّثيهم بطرق متعددة وألفاظٍ متقاربة، أذكر منهم:

العلّامة أخطب خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ في «المناقب» ص١٨ ط تبريز وص٢٢٩ ط تبريز.

ومنهم: الحافظ الكنجي الشافعي المتوفّى سنه ٦٥٨ في «كفاية الطالب» ص١٢٣ ط الغري.

ومنهم العلّامة أبي بكر بن حمويه الحمويني المتوفّى سنة ٧٢٢ في كتابه «فرائد السمطين».

منهم: الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في «لسان الميزان» ص٥ ص٦٢ ط حيدر آباد الدكن.

منهم: العلّامة محب الدين الطبري الشافعي المتوفّى سنة ٦٩٤ في «الرياض النضرة» ج٢ ص٢١٧ ط مصر.

ومنهم: العلّامة الواقدي المتوفّى سنة٤٦٨ في صحيحه.

ومنهم: الحافظ البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ في «فضائل الصحابة».

ومنهم: الحافظ ابن كثير القرشي المتوفّى سنة ٧٧٤ في كتابه «البداية والنهاية» ج٧ ص٣٥٦ ط مصر.

ومنهم: العلّامة الترمذي المتوفّى سنة ١٠٢٥ في «المناقب المرتضوية» ص ٨١ بومباي.

ومنهم: العلّامة القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في «ينابيع المودّة» ص١٢١ ط إسلامبول.

وللمزيد يمكنك مراجعة كتاب إحقاق الحق ج٤ ص٣٨٩ إلىٰ ص٤٠٥.

والِ علياً تحيا محمدياً

٤ ـ عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «مَن سرَّه أن يحيىٰ حياتي ويموت مماتي، ويسكن جنّة عدن، غرسها ربّي فليوالِ عليّاً من بعدي، وليوالِ وليّه، وليقتدِ بالأئمة من بعدي، فإنّهم عترتي، خُلِقُوا من طينتي، رزقوا فهماً وعلماً، وويل للمكذّبين بفضلهم من أُمتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أناالهم الله شفاعتي».

رواه الحافظ أبو نعيم الأصفهاني المتوفى سنة ٤٣٠ «في حلية الأولياء» ج١ ص٨٦ ط مصر.

والعلّامة ابن أبي الحديد المتوفّى سنة ٩٥٥ في «شرح نهج البلاغة» ج٢

ص٤٥٠.

والعلّامة الحموييني المتوفّى سنة ٧٢٢ في «فرائد السمطين».

والعلّامة المتّقي الحنفي المتوفّى سنة ٩٧٥ في «كنز العمال» ج٦ ص٢١٧ ط حيدر آباد الدكن.

والعلّامة البدخشي من أعلام القرن الثاني عشر في «مفتاح النجا» ص٦٠ مخطوط.

والعلّامة سليمان القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في «ينابيع المودّة» ص ١٢٦ ط إسلامبول.

ومن يريد التفاصيل فعليه بكتاب إحقاق الحق ج٥ ص١١١.

عليٌ نورٌ يُسبِّح الله قبل الخلق

٥ ـ عن سلمان الفارسي، قال: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: خلقتُ أنا وعلي بن أبي طالب من نورٍ عن يمين العرش.

وفي رواية أُخرىٰ عنه أيضاً، قال: سمعت حبيبي محمّداً رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول:

«كنتُ أنا وعلي نوراً بين يدي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ نسبِّح الله ونقدّسه من قبل أن يخلق الله ـ عزَّ وجلَّ ـ آدم بأربعة عشرألف سنة[1]، فلمّا خلق الله آدم نقلنا إلى أصلاب الرجال وأرحام النساء الطاهرات، ثمَّ نقلنا إلى صُلب عبد المطّلب، وقسّمنا نصفين، فجعل النصف في صلب أبي عبد الله، وجعل النصف الآخر في صلب عمّي أبي طالب، فخلقتُ من ذلك النصف، وخُلِقَ عليٌّ من النصف الآخر.

واشتق الله تعالى لنا من أسمائه أسماء، فالله ـ عزّ وجلّ ـ المحمود وأنا

(١) لا أدري هل هن من سنين الدنيا أو الآخرة؟.

محمّد، والله ـ تعالىٰ ـ الأعلىٰ وأخي علي، والله الفاطر وابنتي فاطمة، والله المحسن وابناي الحسن والحسين، وكان إسمي في الرسالة والنبوة، وكان إسمهُ في الخلافة والشجاعة، فأنا رسول الله وعلي سيف الله».

رواه جماعة من أعلام القوم منهم: العلّامة ابن المغازلي في «مناقب أمير المؤمنين» ص٨٧ ط طهران.

ومنهم: العلّامة الحموئي في «فرائد السمطين» ص٢٩ ط النجف.

ومنهم: العلّامة الثعلبي في «تفسيره» ص٨٩ مخطوط.

ومنهم: العلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص١٠ ط الأستانة.

راجع كتاب إحقاق الحق ج٤ ـ ص٩١ وج١٥ ص١٩٨ ـ ٢٠٠.

أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة

٦ ـ ذكر العلّامة القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في كتابه (ينابيع المودّة) ص١٢٣ ط إسلامبول.

في المناقب عن أبي سعيد بن عقيصا، عن سيّد الشهداء الحسين بن علي ـ عليهما السلام ـ، عن أبيه، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«يا علي، أنت أخي وأنا أخوك، أنا المصطفىٰ للنبوة، وأنت المجتبىٰ للإمامة، أنا وأنت أبوا هذه الأُمّة، وأنت وصيي ووارثي وأبو ولدي، أتباعك أتباعي، وأولياؤك أوليائي، وأعداؤك أعدائي، وأنت صاحبي علىٰ الحوض، وصاحبي في المقام المحمود، وصاحب لوائي في الآخرة، كما أنت صاحب لوائي في الدنيا، لقد سَعُدَ من تَولاّك وشَقِيَ مَن عاداك، وإنَّ الملائكة لتتقرب إلى الله تعالىٰ بمحبتك وولايتك، وإنَّ أهل مودّتك في السماء أكثر من أهل الأرض.

يا علي، أنت حجَّة الله علىٰ الناس بعدي، قولك قولي، وأمرك أمري، ونهيك نهيي، وطاعتك طاعتي، ومعصيتك معصيتي، وحزبك حزبي، وحزبي حزب

الله».

ثم قرأ الآية: ﴿**ومَن يتَولَّ اللهَ ورسَوله والذين آمنوا فإنَّ حزبَ اللهِ هُم الغالبون**﴾[1].

كما ذكره العلّامة ابن الأثير المتوفّى سنة ٦٣٠ في «أُسد الغابة» ج٥ ص١٠١ ط مصر.

والعلّامة محبّ الدين الطبري المتوفّى سنة ٦٩٤ في كتابه «ذخائر العقبىٰ» ص٦٦ ط مطر.

والعلّامة الحافظ الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧ في كتابه «مجمع الزوائد» ج٩ ص١٢١ ط مصر.

وللمزيد راجع كتاب إحقاق الحق ج٤ ص٢٢٧ ـ ٢٢٨.

أنا وعلي من شجرةٍ واحدة

٧ ـ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): إنَّ الله خلق الأنبياء من أشجار شتىٰ، وخلقني وعليّاً من شجرةٍ واحدة، فأنا أصلها وعليٌّ فرعها، وفاطمة لقاحها، والحسن والحسين ثمرها، فمَن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومَن زاغ عنها هوىٰ.

ولو أنَّ عبداً عبد الله بين الصفا والمروة (وفي روايات بين الركن والمقام) ألف عام، ثمَّ ألف عام، ثمَّ ألف عام، ثمَّ لم يدرك صحبتنا أكبّه الله علىٰ منخريه في النار، ثمَّ تلا الآية: ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً إلاَّ المودَّة في القُربىٰ**﴾[2].

رواه الطبراني في معجمه. ورواه جماعة من أعلام القوم.

منهم: العلّامة الكنجي الشافعي المتوفّى سنة ٦٥٨ في «كفاية الطالب»

---

(١) سورة المائدة/٥٦.

(٢) سورة الشورىٰ/٢٣.

ص١٧٨.

ومنهم الحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفّى سنة ٨٥٢ في «لسان الميزان» ج٤ ص٤٣٤ ط حيدر آباد.

ومنهم: العلّامة القندوزي في كتابه «ينابيع المودّة» ص٢٤٥ و٢٥٦.

وللمزيد راجع موسوعة إحقاق الحق ج٥ ص٢٦٢ إلىٰ ٢٦٦.

علي يؤدي دين النبي (صلّى الله عليه وآله)

٨ ـ روى الحافظ أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج١ ص٦٣ ط مصر عن أنس مرفوعاً، قال النبي لعلي:

أنت تؤدي عنّي ديني، وتسمعهم صوتي، وتبيّن لهم ما اختلفوا فيه من بعدي.

حديث الكساء

٩ ـ عن عبد الله بن جعفر الطيار، عن أبيه، قال: لمّا نظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلى الرحمة هابطة، قال: «ادعوا لي، ادعوا لي».

فقالت صفيّة: مَن يا رسول الله؟

قال: «أهل بيتي: عليّاً وفاطمة والحسن والحسين. فجيء بهم، فألقىٰ عليهم النبي (صلّى الله عليه وآله) كساءَه، ثمَّ رفع يديه، ثمَّ قال: اللهمَّ هؤلاء آلي، فصلِّ علىٰ محمّد وعلىٰ آل محمّد. فأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ الآية: ﴿**إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾[1].

عن أبي برزة، قال: صلّيتُ مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سبعة عشر

(١) سورة الاحزاب/٣٣.

شهراً، فإذا خرج من بيته أتىٰ باب فاطمة فقال: الصلاة، السلام عليكم ﴿**إنّما يُريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً**﴾ الآية.

رواه الطبراني، ورواه العلّامة الثعلبي في كتابه «الكشف والبيان».

ورواه ايضاً العلّامة ابن حجر العسقلاني الشافعي في الأصابة ج٢ ص١٦٩ ط مصر.

راجع كتاب إحقاق الحق ج٩ ص٥٢، كما ذكرنا ذلك في كتابنا ـ علي في الكتاب والسنّة ـ الجزء الثاني والثالث.

شيعتك هم المؤمنون

١٠ ـ عن الإمام جعفر بن محمّد الصادق، عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يا علي، مثلك في أُمتّي مثل المسيح عيسىٰ بن مريم، افترق قومه ثلاث فرق، فرقة مؤمنون وهم الحواريون، وفرقة عادوه وهم اليهود، وفرقة غلوا فيه فخرجوا من الإيمان؛ وإنَّ أُمّتي ستفترق فيك ثلاث، فرقة شيعتك وهم المؤمنون، وفرقة أعداؤك وهم الناكثون، وفرقة غلوا فيك وهم الجاحدون والضالّون.

فأنت يا علي وشيعتك في الجنّة، ومحبو شيعتك في الجنّة، وعدوك والغالي فيك في النار».

رواه العلّامة أخطب خوارزم المتوفّى سنة ٥٦٨ في كتابه «المناقب» ص٢٢١.

كما رواه العلّامة الشيخ سليمان القندوزي المتوفّى سنة ١٢٩٣ في «ينابيع المودّة» ص١٠٩ ط إسلامبول.

ولاية علي حبل الله

١١ ـ وعن علي بن موسىٰ الرضا (عليه السلام)، عن آبائه، عن علي (عليه السلام)قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«من أحبَّ أن يركب سفينة النجاة ويستمسك بالعروة الوثقىٰ، ويعتصم بحبل الله المتين، فليوالِ علياً، وليأتم بالهداة من ولده».

ذكره الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» ج١ ص١٣٠ ط بيروت، راجع كتاب إحقاق الحق ج١٤ ص٥٢١.

حب آل محمد

١٢ ـ روى العلّامة الخوارزمي في «المناقب» ص٤٣ ط تبريز بالإسناد إلى مالك بن أنس، عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«مَن أحبَّ عليّاً قَبِل الله منه صلاته وصيامه وقيامه، واستجاب دعاءه».

«ألا ومَن أحبَّ عليّاً أعطاه الله بكل عرق في بدنه مدينة في الجنّة».

«ألا ومَن أحبَّ آل محمد أمِنَ من الحساب والميزان والصراط».

«ألا ومَن مات على حُبِّ آل محمد فأنا كفيله بالجنّة مع الأنبياء».

«ألا ومَن أبغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه: آيس من رحمة الله».

ورواه أيضاً في «مقتل الحسين» ص٤٠ ط الغري.

ورواه الحافظ ابن حجر العسقلاني في «لسان الميزان» ج٥ ص٦٢ ط حيدر آباد.

والعلّامة الأمرتسري في «أرجح المطالب» ص ٥٢٦ ط لاهور، وغيرهم.

وللمزيد راجع كتاب «إحقاق الحق» ص١٦٢ ج٧.

أوسمة متفرقة

١٣ ـ روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة الإمام علي (عليه السلام) من «تاريخ دمشق» ج١ ص١٠٧ ط بيروت بسنده عن حصين التغلبي، عن أسماء بنت عُميس، قالت: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«أقول كما قال أخي موسى: ربِّ اشرح لي صدري ويسِّر لي أمري، واجعل لي وزيراً من أهلي ـ علياً ـ أخي أشدد به أزري وأشركه في أمري كي نسبّحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنّك كنت بنا بصيراً».

وذكر ذلك أيضاً العلّامة المولىٰ الهرَوي في «مرقاة المفاتيح في شرح مشكاة المصابيح» ج١١ ص٣٣٧ ط ملتان.

والحاكم الحسّكاني في «شواهد التنزيل» ص٣٦٩ ط بيروت.

والعلّامة النقشبندي في «مناقب العشرة» ص١١ مخطوط.

والعلّامة القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٢٠٤ ط إسلامبول.

راجع كتاب إحقاق الحق ج١٥ ص٢٤٥ إلى ٢٤٧.

محبّوا علي في الجنة

١٤ ـ روى العلّامة الترمذي في «المناقب المرتضوية» ص٢٠٦ ط بومباي قال: روي في بشائر المصطفىٰ بإسناد طويل أنّه دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذات يومٍ ضاحكاً في بيت علي (عليه السلام)، فقال: «قدمت لأبشرّك يا أخي: بأنَّ جبرئيل نزل إليَّ في ساعتي هذه برسالة من عند الله، وهي: إنَّ الله تعالىٰ يقول:

«يا أحمد، بَشّر عليّاً بأنَّ أحبّاءَك مطيعهم وعاصيهم من أهل الجنّة».

فسجد عليٌّ شكراً لله، وقال: اللهمَّ اشهد، فإنّي قد أعطيتهم نصف حسناتي، فقالت فاطمة: اللّهم اشهد، وأنا قد أعطيتهم نصف حسناتي. فقال الحسن والحسين (عليهما السلام): ونحن قد أعطيناهم نصف حسناتنا.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم): «ولستم بأكرم منّي، وأنا قد أعطيتهم حسناتي».

يغفر الله لمحبي علي

١٥ ـ فنزل جبرئيل، فقال: يا رسول الله، إنّ الله ـ تبارك وتعالىٰ ـ يقول: لستم بأكرم منّي، وقد غفرت سيئات محبّي علي، وأرزقهم الجنّة ونعيمها.

يغفر الله لشيعة علي

١٦ ـ روي عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يا علي، إنّ الله غفر لك ولأهلك، ولشيعتك، ولمحبّي شيعتك، ولمحبي محبّي شيعتك، فابشر فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم».

رواه جماعة من أعلام القوم وحفّاظهم:

منهم: الحافظ ابن المغازلي في «المناقب».

ومنهم: العلّامة الخوارزمي في «المناقب» ص٢٣٤ ط تبريز.

ومنهم: العلّامة الحموييني في «فرائد السمطين».

ومنهم: العلّامه ابن حجر الهيثمي في «الصواعق» ص٩٦ ط مصر.

ومنهم: العلّامة الترمذي في «المناقب المرتضوية» ص٩٩ ط بومباي.

ومنهم: العلّامة البدخشي، والقندوزي وغيرهم.

للتفاصيل راجع إحقاق الحق ج٧ ص٣٧ ـ ٣٨.

علي إمام المتقين

١٧ ـ روي عن علي أمير المؤمنين (عليه السلام) أنّه قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله):

«يا عليّ، أنت أمير المؤمنين، وإمام المتّقين».

«يا عليّ، أنت سيّد الوصيين، ووارث علم الأوّلين، وخير الصّديقين، وأفضل السابقين».

«يا عليّ، أنت زوج سيّدةِ نساء العالمين، وخليفة خير المرسلين».

«يا عليّ، أنت مولىٰ المؤمنين.»

يا علي أنت الحجّة بعدي على الخلق أجمعين، استوجب الجنّة مَن تولاّك، واستحقَّ النار منَ عاداك».

«يا عليّ، والذي بعثني بالنبوة، واصطافني على جميع البريّة، لو أنَّ عبداً عبد الله ألف عام، ما قبل الله ذلك منه إلاّ بولايتك، وبولاية الأئمة من ولدك، وإنَّ ولايتك لا يقبلها الله ـ تعالىٰ ـ إلاّ بالبراءة من أعدائك وأعداء الأئمة من ولدك. بذلك أخبرني الأمين جبرئيل، فمَن شاء فليؤمن ومَن شاء فليكفر».

أقول: إستناداً إلىٰ هذا الحديث وغيره من الأحاديث النبويّة الصحيحة، والواردة في شأن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) نظم العلّامة الجليل الخواجة نصير الدين الطوسي، (رضوان الله عليه) هذه الأبيات الرائعة:

لو أنَّ عبداً أتى بالصالحات غداً ... وودَّ كلَّ نبيّ مرسل وليّ

وصام ما صام صوّاماً بلا ملل ... وقام ما قام قواماً بلا كسلِ

وعاش في الناس آلافاً مؤلَّفةً ... خلواً من الذنب معصوماً من الزَلَلِ

وطار في الجوِّ لا يأوي إلىٰ كنفٍ ... وغاص في البحر لا يخشىٰ من البللِ

ما كان ذلك يوم الحشر ينفعه إلّا بحب أمير المؤمنين علي

١٨ ـ قال (صلّى الله عليه وآله): «عليٌّ منّي بمنزلة هارون من موسىٰ إلّا أنه لا نبيّ بعدي».

١٩ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «مَن كنت مولاه فعليٌّ مولاه، اللّهم والِ مَن والاه، وعاد مَن عاداه، وانصر مَن نصره واخذل مَن خذله».

٢٠ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «مَن أطاعني فقد أطاع الله، ومَن عصاني فقد عصىٰ الله، ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني، ومَن عصىٰ عليّاً فقد عصىٰ الله».

٢١ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «إنّي تاركٌ فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض، فانظروني، بم تخلفوني فيهما».

٢٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «مَن يريد أن يحيىٰ حياتي، ويموت مماتي، ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي، فيتولَّ علي بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدىً، ولن يدخلكم في ضلال».

٢٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «عنوان صحيفة المؤمن حبُّ علي بن أبي طالب».

٢٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): لما نظر إلىٰ عليّ وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام): «أنا حربٌ لمن حاربَكم وسِلم لمن سالمكم».

٢٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «عليٌّ منّي وأنا منه، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي».

٢٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله) في حديث له: «عليّ أمير المؤمنين، وإمام المتّقين، وقائد الغرّ المُحجّلين إلى جنّات ربِّ العالمين، أفلح مَن صدّقه، وخاب مَن

كذّبه؛ ولو أنّ عبداً عَبدَ الله بين الركن والمقام ألف عام وألف عام، حتّىٰ يكون كالشن البالي، ولقىٰ الله مبغضاً لآل محمّد أكبَّه الله علىٰ منخره في نار جهنم».

٢٧ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا يحبّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق».

٢٨ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «يا علي، طوبىٰ لمن أحبَّك وصدّق فيك وويلٌ لمن أبغضك وكذب فيك».

٢٩ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «مَن أحبّ علياً فقد أحبّني ومن أبغض عليّاً فقد أبغضني».

٣٠ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «هذا أمير البررة، قاتل الفجرة، منصورٌ مَن نصره، مخذولٌ مَن خذله».

٣١ ـ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «ألَا ومن مات علىٰ حب آل محمد (صلّى الله عليه وآله) صافحته وزارته أرواح الأنبياء، وقضىٰ الله له كل حاجة كانت له عند الله تعالىٰ».

٣٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا يجوز أحدٌ علىٰ الصراط إلّا مَنْ كتب له عليٌّ الجواز».

٣٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «لا يجوز أحدٌ علىٰ الصراط إلّا ومعه [من عليّ] براءة بولايته وولاية أهل بيته؛ يشرف علىٰ الجنّة، فيدخل محبِّيه الجنّة، ومبغضيه النار».

٣٤ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «معرفة آل محمدٍ براءة من النار، وحبُّ آل محمدٍ جواز علىٰ الصراط، والولاء لآل محمد أمان من العذاب».

٣٥ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «سيكون بعدي قوم يقاتلون عليّاً، علىٰ الله جهادهم، فَمَن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه، فمَن لم يستطع بلسانه فبقلبه، ليس وراء ذلك شيء».

٣٦ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): [ياعلي] «أنت وشيعتك تأتي يوم القيامة، أنت وهم راضين مرضيين، ويأتي أعداؤك غُضاباً مقمحين». قال: ومَن عدوّي؟ قال: «مَن تبرّأ منك ولعنك».

٣٧ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق».

٣٨ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «الزموا مودّتنا أهل البيت، فإنّه مَن لقي الله ـ عزَّ وجلَّ ـ وهو يودُّنا دخل الجنّة بشفاعتنا، والذي نفسي بيده لا ينفع عبداً عمَله إلاّ بمعرفة حقّنا».

٣٩ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «لو أنّ رجلاً صفن بين الركن والمقام، فصلّىٰ وصام، ثمَّ لقي الله وهو مبغض لأهل بيت محمّد دخل النار».

٤٠ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «إنّ الله جعل أجري عليكم المودّة في أهل بيتي، وإنّي سائلكم غداً عنهم».

٤١ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «وقفوهم إنّهم مسؤولون عن ولاية علي».

٤٢ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين يوم القيامة، ونصب الصراط علىٰ جسر جهنم، ما جازها أحدٌ حتّىٰ كانت معهُ براءة بولاية علي بن أبي طالب».

٤٣ ـ وقال (صلّى الله عليه وآله): «لكل نبيّ وصي ووارث وإن وصيي ووارثي علي بن أبي طالب».

رواه جماعة من أعلام القوم وحفاظهم بطرق متعددة والفاظ مختلفة. راجع المجلد الرابع من موسوعة إحقاق الحق ج٥ ص٧١ ـ ٨٤. كما ذكرته في كتابنا ـ علي في الكتاب والسنة الجزء الثاني والثالث.

والحديث عن سعيد بن جبير عن أبن عباس، قال: قال رسول الله (صلّى

الله عليه وآله) لام سلمة: «هذا علي بن أبي طالب لحمه لحمي، ودمه دمي، وهو مني بمنزلة هارون من موسىٰ، إلاّ أنه لا نبي بعدي. يا أُم سلمة، هذا عليٌّ أمير المؤمنين، وسيد المسلمين، ووصيي وعيبة علمي، وبابيَ الذي أُوتَىٰ منه، أخي في الدنيا والآخرة، ومعي في السنام الأعلىٰ، يقتل القاسطين والمارقين والناكثين،.....إلى آخره في ج٢ من كتابنا علي في الكتاب والسنة.

٤٤ ـ عن أبي ثابت مولىٰ أبي ذر قال: دخلت علىٰ أُمّ سلمة فرأيتها تبكي وتذكر عليّاً، وقالت: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول: «عليٌّ مع الحق، والحق مع علي، ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض يوم القيامة».

ذكر هذا الحديث معظم حفاظ ورواة القوم بدرجة التواتر، وبطرق متعددة وألفاظ مختلفة، ومتقاربة. وقد ذكرته في الجزء الثاني والثالث من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» ط بيروت.

وللمزيد راجع المصادر المثبتة في موسوعة إحقاق الحق ج٥ من ص٦٢٣ ـ ٦٣٨ وهي اثنا عشر مصدراً وفي ج٤ ص٢٧ و٢٨٧ وغيرها، وفي ج١٦ من ص٣٨٤ الباب التاسع عشر، بعشرة طرق والفاظ مختلفة ومتقاربة.

٤٥ ـ عن أُمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) يقول: «عليّ مع القرآن والقرآن مع علي ولن يفترقا حتّىٰ يردا عليَّ الحوض».

راجع المصادر المذكورة في موسوعة إحقاق الحق ج٥ من ص٦٢٩ إلى ص٦٤٥ وج١٦ من ص٢٩٨ إلى ص٤٠١، كما ذكرت ذلك في كتابنا، علي في الكتاب والسنة طبع بيروت في الجزء الثاني والثالث، راجع.

هذا مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهذا غيضٌ من فيض ممّا جاء في ولائه وعدائه، فأيُّ صحابي عادلٍ عاصر نبيَّ الرحمة، ووعىٰ منه هاتيك الكلمات الدرّية، وشاهد مولانا (عليه السلام)، وعرف انطباقها عليه بتمام معنىٰ الكلمة، ثمَّ تجاوز عنه، واتخذ سبيلاً غير سبيله، فبغىٰ به الغوائل، وتربّص به

الدوائر، ويقع فيه بملء فمه، وحشو فؤاده، ويرميه بقذائف الحقد والشنئان إلاّ مطعون في طهارة مولده، مثل ابن هند لافظة الأكباد؟».

«عليٌ يقاتل علىٰ التأويل»

عن أبي سعيد الخدري، روىٰ عنه جماعة من أعلام القوم منهم: الحافظ أحمد بن حنبل في (مسنده) ج٣ ص٣٣ ط الميمنة بمصر قال:

بحديث معنعن عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «أنّ منكم من يقاتِل على تأويله، كما قاتلت علىٰ تنزيله». قال: فقام أبو بكر وعمر، فقال (صلّى الله عليه وآله): «لا، ولكن خاصف النعل»، وكان علي يخصف نعله[1].

قال العلاّمة الشيخ تقي الدين بن عبد الملك في (نزهة الخواطر) ص٩٣ ط الميمنة بمصر، قال محمد بن عطية: (وقد علم المؤمنون أنّ علياً رضي الله عنه هوالذي قاتل أهل التأويل).

«عليٌ مع الحق والحق مع علي»

رواه جماعة من أعلام القوم:

منهم: الحافظ أبو بكر البغدادي في (تاريخ بغداد) ج١٤ ص٣٢١ ط السعادة بمصر قال:

معنعناً عن أبي ثابت مولىٰ أبي ذرّ، قال: دخلت علىٰ [أُمّ المؤمنين] أُم سلمة، فرأيتها تبكي وتذكر علياً، وقالت سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول: «علي مع الحق والحق مع علي ولن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض يوم القيامة».

(١) راجع إحقاق الحق ج٦ باب إثنين وثلاثين، ص٢٤، ذكر ما ينيف علىٰ الثلاثين مصدراً عن أبي سعيد الخدري وغيرهم.

الفصل السادس
معركة بدر الكبرىٰ

بدرٌ رجل من جهينة، وقيل: إنّه ينسب إلىٰ بَدْر بن يَخْلُد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضُمرة سكن هذا الموضع فنسب إليه، ونسبها الزبير بن بكّار إلىٰ بدر بن قريش بن الحارث، وقال: به سمّيت بدر التي كانت بها الوقعة المباركة، لأنّه كان احتفر بئرها، وبهذا الماء كانت الوقعة المشهورة التي أظهر الله بها الإسلام وفرق بين الحقّ والباطل، في شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة[1].

أمّا الواقدي فيقول: ذكرتُ ذلك ليحيىٰ بن النعمان الغفاري، فقال: سمعتُ شيوخنا من غفار يقولون: هو ماؤنا ومنزلنا، وما ملكهُ أحدٌ قطٌ يقال له (بدر) وما هو من بلاد جهينة، إنّما هو من بلاد غفار. قال الواقدي: وهو المعروف عندنا[2].

كيفما كان فإن بدراً تقع جنوب غرب المدينة، في طريق مكة، وبينها وبين المدينة ثمانية وعشرون فرسخاً (١٥٠ كليو متر)، وبها عينان جاريتان، عليهما الموز والعنب والنخل.

قال الشيخ المفيد (رضوان الله عليه) في «مسار الشيعة» ص٤٤:

«الليلة السابعة عشر من شهر رمضان المبارك السنة الثانية للهجرة:

(١) معجم البلدان ج١/٣٥٧.

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج١/٢٣١.

كانت ليلة بدر، وهي ليلة الفرقان، ليلة مسرّةٍ لأهل الإسلام، ويستحبُّ فيها الغسل.

اليوم السابع عشر منه: كانت الوقعة بالمشركين ببدر، ونزول الملائكة بالنصر من الله تعالىٰ لنبيّه (صلّى الله عليه وآله)، وحصلت الدائرة علىٰ أهل الكفر والطغيان، وظهر الفرق بين الحق والباطل، وكان بذلك عز أهل الإيمان، وذل أهل الضلال والعدوان، ويستحبُّ الصدقة فيه، ويستحبُّ فيه الإكثار من شكر الله تعالىٰ علىٰ ما أنعم به علىٰ أهل الحق من البيان، وهو يوم عيد وسرور لأهل الإسلام».

وأرّخها الشيخ بهاء الدين العاملي في «توضيح المقاصد» ص٢٣ في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك، يوم الجمعة، سنة اثنتين من الهجرة قال: «وكان المسلمون ثلاثمائة وثلاثة عشر، والمشركون تسعمائة وعشرين، وقُتِلَ من المسلمين أربعة عشر رجلاً، وأمّا المشركون فقُتِلَ منهم سبعون». [وأُسِر منهم سبعون].

أمّا قصّة هذه الغزوة، فقد ذكر أصحاب السير والتاريخ من علماء الفريقين، وذكر أبو حمزة الثمالي وعلي بن إبراهيم والشيخ الطبرسي في تفاسيرهم، وغيرهم ـ وقد أدخلتُ حديث بعضهم في بعض ـ قالوا:

أقبل أبو سفيان بعير قريش من الشام، وفيها أموالهم، هي اللطيمة[1] فيها أربعون راكباً من قريش، فندب النبيّ (صلّى الله عليه وآله) أصحابه للخروج إليها ليأخذوها، وقال: لعلّ الله أن ينفّلكموها. فانتدب الناس، فخفّ بعضهم وثقل بعضهم، ولم يظنّوا أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يلقىٰ كيداً

(١) اللطيمة: العير التي تحمل الطيب وبزّ التجارة وسائر المتاع، غير الميرة، وكانت الف بعير وفيها أموال عظام، ولم يبق قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعداً إلّا بعث به في العير. ويقال: فيها خمسون ألف دينار.

ولا حرباً، فخرجوا لا يريدون إلّا أبا سفيان، والركب لا يرونها إلّا غنيمة لهم، فلمّا سمع أبو سفيان بمسير النبيّ (صلّى الله عليه وآله) استأجر ضمضم بن عمرو الغفاريّ فبعثه إلىٰ مكّة، وأمره أن يأتي قريشاً فيستنفرهم، ويخبرهم أنّ محمداً قد تعرّض لعيرهم في أصحابه، وأمره أن يجدع بعيره إذا دخل مكّة، ويحوّل رحله، ويشقّ قميصه من قُبُلِهِ ودُبُرِه، ويصيح: الغوث، الغوث. وكان من عادة العرب إذا أرادوا أن ينذروا قومهم بشرٍّ أن يعمَلوا هكذا. فخرج ضَمضَم سريعاً إلىٰ مكّة.

وكانت عاتكة بنت عبد المطّلب رأت فيما يرىٰ النائم، قبل مقدم ضمضم بن عمرو بثلاث ليال، أنّ رجلاً أقبل علىٰ بعير له ينادي: يا آل غالب، اغدوا إلىٰ مصارعكم. ثمّ وافىٰ بِجَمله علىٰ أبي قبيس[1] فأخذ حجراً فدهدهه[2] من الجبل، فما ترك داراً من دور قريش إلّا أصابته منه فلذة، فانتبهت فزعةً من ذلك، فأخبرت العبّاس بذلك، فأخبر العبّاس عتبة بن ربيعة، فقال عتبة: هذه مصيبة تحدث في قريش.

وفشت الرؤيا فيهم، وبلغ ذلك أبا جهل، فقال: هذه نبيّة ثانية في بني عبد المطّلب، واللّات والعزّىٰ لننظرنّ ثلاثة أيّام، فإنْ كان ما رأت حقّاً، وإلّا لنكتبنّ كتاباً بيننا أنّه ما مِن أهل بيتٍ من العرب أكذب رجالاً ولا نساءً من بني هاشم.

فلمّا كان اليوم الثالث أتاهم ضَمضَم يناديهم بأعلىٰ الصوت: يا آل غالب، يا آل غالب، اللطيمة اللطيمة، العير العير، أدركوا وما أراكم تدركون، إنّ محمّداً والصباة[3] من أهل يثرب قد خرجوا يتعرّضون لعيركم. فتهيّأوا للخروج، وما

(١) أبو قبيس: الجبل المشرف علىٰ مكّة من جهة الشرق.

(٢) أي دحرجة ـ دهدره.

(٣) أراد بهم الخارجون من دين قريش إلىٰ دين الإسلام، وكانوا يسمّونهم كذلك.

بقي أحد من عظماء قريش إلّا أخرج مالاً لتجهيز الجيش، وقالوا: مَن لم يخرج نهدم داره. وخرج معهم العبّاس بن عبد المطلب، ونوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، وعقيل بن أبي طالب، وأخرجوا معهم القيان[1] يضرب الدفوف.

وخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلاً، فلمّا كان بقرب بدر أخذ عيناً للقوم فأخبره بهم.

وفي حديث أبي حمزة الثماليّ: بعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عيناً له علىٰ العير اسمه (عدي) فلمّا قدم علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره أين فارق العير، نزل جبرئيل علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره بنفير المشركين من مكّة، فاستشار أصحابه في طلب العير وحرب النفير، فقام أبو بكر فقال: يا رسول ا: إنّها قريش وخيلاؤها، ما آمنت منذ كفرت، ولا ذلّت منذ عزّت، ولم نخرج علىٰ أهبة الحرب. كلام مثبط للعزائم.

ثمّ قام عمر بن الخطّاب فقال مثل ذلك، فقال: اجلس. فجلس. كذلك كلامه كان مثبطاً.

ثمّ قام المقداد فقال: يا رسول الله، إنّها قريش وخيلاؤها، وقد آمنّا بك وصدّقنا، وشهدنا أنّ ما جئت به حقٌّ، والله لو أمرتنا أن نخوض جمر الغضا[2] وشوك الهراس[3] لخضناه معك، والله لا نقول لك ما قالت بنو إسرائيل لموسىٰ: ﴿اذهب أنت وربّك فقاتلا إنّا ههنا قاعدون﴾[4] ولكنّا نقول: امض لأمر ربّك

(١) اي المغنيّات وضاربات الدف وغيرهن.

(٢) الجمر: النار المتّقدة،الغضا: نوع من الشجر، خشبه أصلب الخشب، وجمره يدوم زمناً طويلاً لا ينطفئ.

(٣) الهراس: شجر معروف بطول شوكه.

(٤) سورة المائدة/٢٤.

فإنّا معك مقاتلون. فجزاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) خيراً علىٰ قوله ذلك.

ثمّ قال: أشيروا عليّ أيّها الناس. وإنّما يريد الأنصار، لأنّ أكثر الناس منهم، ولأنّهم حين بايعوه بالعقبة قالوا: إنّا براء من ذمّتك حتّىٰ تصل إلىٰ دارنا، ثمّ أنت في ذمّتنا نمنعك ممّا نمنع أبناءنا ونساءنا. فكان صلّىٰ الله عليه وآله يتخوّف أن لا يكون الأنصار ترىٰ عليها نصرته إلّا علىٰ مَن دهمه بالمدينة من عدوّ، وأن ليس عليهم أن ينصروه بخارج المدينة.

فقام سعد بن معاذ فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، كأنّك أردتنا؟ فقال: «نعم».

فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، إنّا قد آمنّا بك، وصدّقناك، وشهدنا أنّ ما جئت به حقّ من عند الله، فمُرنا بما شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، واترك منها ما شئت، والله لو أمرتنا أن نخوض هذا البحر لخضناه معك، ولعلّ الله أن يريك ما تقرّ به عينك، فسر بنا علىٰ بركة الله.

ففرح بذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: سيروا علىٰ بركة الله، فإنّ الله وعدني إحدىٰ الطائفتين، ولن يخلف الله وعده، والله لكأنّي أنظر إلىٰ مصرع أبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وفلان وفلان. وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالرحيل، وخرج إلىٰ بدر، وهو بئر.

وأقبلت قريش وبعثوا عبيدها ليستقوا من الماء فأسرهم أمير المؤمنين (عليه السلام) فأتىٰ بهم إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال لهم: من أنتم؟ قالوا: يا محمّد، نحن عبيد قريش، قال: كم القوم؟ قالوا: لا علم لنا بعددهم. قال: كم ينحرون كلّ يوم مِن جزور؟ قالوا: تسعة إلىٰ عشرة.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): القوم تسعمائة إلىٰ ألف رجل.

وذكر في السيرة: أنه سألها عن مكان القوم فقالا: هم والله من وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعدوة القصوىٰ.

وسأل عن أشرافهم فقالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوف، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود.

فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علىٰ الناس فقال: «هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

فأمر (صلّى الله عليه وآله) بهم فحُبسوا، وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا علىٰ مسيرهم.

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال: أما ترىٰ هذا البغي، والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم بغوا قطّ، ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير.

وقيل: إن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لما نظر إلىٰ كثرة عدد المشركين، وقلّة عدد المسلمين، استقبل القبلة وقال: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللّهمّ إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» فما زال يدعو ربّه مادّاً يديه حتّىٰ سقط ردائه من منكبه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إذ تستغيثون ربّكم﴾[1] الآية، وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام).

(١) سورة الأنفال/٩.

قال: ولمّا أمسىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجنّه الليل ألقىٰ الله علىٰ أصحابه النعاس، وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا تثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً[1] حتّىٰ لبد الأرض[2] وثبتت أقدامهم، وكان المطر علىٰ قريش مثل العزالي[3]، وألقىٰ الله في قلوبهم الرعب كما قال: ﴿سأُلقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾[4] الآية.

فلمّا أصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر عبّأ أصحابه، وكان في عسكره فَرَسَان: فرسٌ للمقداد بن الأسود، وفرس للزبير بن العوّام، وقيل: بل لمرثد بن أبي مرثد الغنوي.

وروي أنّه لم يكن يوم بدر فارس إلّا المقداد. وكان معهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف.

وكان في عسكره سبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ يتعاقبون علىٰ جمل لمرثد.

وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، وقيل: مائتا فرس، عُدّة وَعدَد غير متكافئة فلمّا نظرت قريش إلىٰ قلّة أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد. وقال عتبة بن ربيعة: أترىٰ لهم كميناً أو مدداً؟

فبعثوا عُمَيْر بن وهب الجمحيّ، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتّىٰ

(١) الرذاذ: المطر الخفيف الناعم.

(٢) أي رشّها.

(٣) أي شديداً، والعزالي: مصب الماء من القربة ونحوها.

(٤) سورة الأنفال/١٢.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): القوم تسعمائة إلىٰ ألف رجل.

وذكر في السيرة: أنه سألهما عن مكان القوم فقالا: هم والله من وراء هذا الكثيب الذي ترىٰ بالعدوة القصوىٰ.

وسأل عن أشرافهم فقالا: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر بن نوف، وطعيمة بن عدي بن نوفل، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل بن هشام، وأُميّة بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجّاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود.

فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلّم) علىٰ الناس فقال: «هذه مكّة قد ألقت إليكم أفلاذ كبدها».

فأمر (صلّى الله عليه وآله) بهم فحُبسوا، وبلغ ذلك قريشاً ففزعوا وندموا علىٰ مسيرهم.

ولقي عتبة بن ربيعة أبا البختري بن هشام فقال: أما ترىٰ هذا البغي، والله ما أبصر موضع قدمي، خرجنا لنمنع عيرنا وقد أفلتت فجئنا بغياً وعدواناً، والله ما أفلح قوم بغوا قطّ، ولوددت أنّ ما في العير من أموال بني عبد مناف ذهبت ولم نسر هذا المسير.

وقيل: إن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) لما نظر إلىٰ كثرة عدد المشركين، وقلّة عدد المسلمين، استقبل القبلة وقال: «اللّهمّ أنجز لي ما وعدتني، اللّهمّ إنْ تهلك هذه العصابة لا تُعبد في الأرض» فما زال يدعو ربّه مادّاً يديه حتّىٰ سقط رداؤه من منكبه، فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إذ تستغيثون ربّكم﴾[1] الآية، وهو المرويّ عن أبي جعفر (عليه السلام).

(١) سورة الأنفال/٩.

قال: ولمّا أمسىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجنّه الليل ألقىٰ الله علىٰ أصحابه النعاس، وكانوا قد نزلوا في موضع كثير الرمل لا تثبت فيه قدم، فأنزل الله عليهم المطر رذاذاً[1] حتّىٰ لبد الأرض[2] وثبتت أقدامهم، وكان المطر علىٰ قريش مثل العزالي[3]، وألقىٰ الله في قلوبهم الرعب كما قال: ﴿سألقي في قلوب الذين كفروا الرعب﴾[4] الآية.

فلمّا أصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر عبّأ أصحابه، وكان في عسكره فَرَسَان: فرسٌ للمقداد بن الأسود، وفرس للزبير بن العوّام، وقيل: بل لمرثد بن أبي مرثد الغنوي.

وروي أنّه لم يكن يوم بدر فارس إلّا المقداد. وكان معهم من السلاح ستة أدرع، وثمانية سيوف.

وكان في عسكره سبعون جملاً كانوا يتعاقبون عليها، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليّ بن أبي طالب (عليه السلام) ومرثد بن أبي مرثد الغنويّ يتعاقبون علىٰ جمل لمرثد.

وكان في عسكر قريش أربعمائة فرس، وقيل: مائتا فرس، عُدّة وَعدَد غير متكافئة فلمّا نظرت قريش إلىٰ قلّة أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال أبو جهل: ما هم إلّا أكلة رأس، لو بعثنا إليهم عبيدنا لأخذوهم أخذاً باليد. وقال عتبة بن ربيعة: أترىٰ لهم كميناً أو مدداً؟

فبعثوا عُمَيْر بن وهب الجمحيّ، وكان فارساً شجاعاً، فجال بفرسه حتّىٰ

(١) الرذاذ: المطر الخفيف الناعم.

(٢) أي رشّها.

(٣) أي شديداً، والعزالي: مصب الماء من القربة ونحوها.

(٤) سورة الأنفال/١٢.

طاف علىٰ عسكر رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ثمّ رجع فقال: ما لهم كمين ولا مدد، ولكن نواضح[١] يثرب قد حملت الموت الناقع، أما ترونهم خرساً لا يتكلّمون، يتلمّظون تلمّظ الأفاعي، ما لهم ملجأ إلّا سيوفهم، وما أراهم يولّون حتّىٰ يقتلوا، ولا يُقتلون حتّىٰ يقتلوا بعددهم، فارتأوا رأيكم. فقال له أبو جهل: كذبت وجبنت. فأنزل الله سبحانه: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾[٢].

فبعث إليهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: «يا معشر قريش، إنّي أكره أن أبدأكم، فخلّوني والعرب وارجعوا».

فقال عتبة: ما ردّ هذا قوم قطّ فأفلحوا. ثمّ ركب جملاً له أحمر، فنظر إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو يجول بين العسكرين وينهىٰ عن القتال.

فقال (صلّى الله عليه وآله): «إنْ يَكُ عند أحد خير فعند صاحب الجمل الأحمر، وإن يطيعوه يرشدوا».

وخطب عتبة، فقال في خطبته: يا معاشر قريش، أطيعوني اليوم، واعصوني الدهر، إنّ محمّداً له إلٌّ[٣] وذمّة، وهو ابن عمّكم فخلّوه والعرب، فإنْ يَكُ صادقاً فأنتم أعلىٰ عيناً به، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان العرب أمره.

فغاظ أبا جهل قوله وقال له: جبنت وانتفخ سَحْرُك[٤].

فقال: يا مصفراً إسته[٥]، مثلي يجبن؟! ستعلم قريش أيّنا ألأم وأجبن،

(١) جمع ناضح، وهو البعير، أو غيره، الذي يُستقىٰ عليه الماء.

(٢) سورة الأنفال/٦١.

(٣) الإل: العهد والقرابة.

(٤) يقال للجبان الذي ملأ الخوف جوفه: انتفخ سَحْرُه.

(٥) كلمة تقال في الشتم، أو تقال للمتنعّم الذي لم تحنّكه التجارب والشدائد. وقيل: رماه بالأبنة وأنّه كان يزعفر إسته. وقيل غير ذلك.

وأيّنا المفسد لقومه.

ولبس عتبة درعه وتقدّم هو وأخوه شيبة وابنه الوليد، وقال: يا محمّد أخرج إلينا أكفاءنا من قريش. فبرز إليه ثلاثة نفر من الأنصار، قيل: هم عَوْف ومُعَوَّذ وعبد الله بن رواحة[١]، وانتسبوا لهم، فقالوا: ارجعوا، إنّما نريد الأكفاء من قريش.

فنظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ عبيدة بن الحارث بن عبد المطّلب، وكان له يومئذ سبعون سنة، فقال: قم يا عبيدة. ونظر إلىٰ حمزة فقال: قم يا عمّ، ثمّ نظر إلىٰ عليّ فقال: قم يا عليّ ـ وكان أصغر القوم ـ؛ فاطلبوا بحقّكم الّذي جعله الله لكم، فقد جاءت قريش بخيلائها وفخرها، تريد أن تطفئ نور الله، ويأبىٰ الله إلّا أن يتم نوره.

ثمّ قال: يا عبيدة، عليك بعتبة بن ربيعة. وقال لحمزة: عليك بشيبة. وقال لعليّ (عليه السلام): عليك بالوليد.

فمرّوا حتّىٰ انتهوا إلىٰ القوم فقالوا: أكفاء كرام. فحمل عبيدة علىٰ عتبة فضربه علىٰ رأسه ضربة فلقت هامته، وضرب عتبة عبيدة علىٰ ساقه فأطنّها[٢] فسقطا جميعاً، وحمل شيبة علىٰ حمزة فتضاربا بالسيفين حتّىٰ انثلما، وحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) علىٰ الوليد فضربه علىٰ حبل عاتقه فأخرج السيف من أُبطه.

قال عليّ (عليه السلام): لقد أخذ الوليد يمينه بشماله فضرب بها هامّتي، فظننت أنّ السماء وقعت علىٰ الأرض.

ثمّ اعتنق حمزة وشيبة فقال المسلمون: يا عليّ، أما ترىٰ الكلب نهز عمّك[٣]؟

(١) كما في سيرة ابن هشام ٢/٢٧٧.

(٢) أي قطعها.

(٣) أي دفعه وضربه.

فحمل عليه عليّ (عليه السلام) فقال: يا عم، طأطئ رأسك. وكان حمزة أطول من شيبة، فأدخل حمزة رأسه في صدره، فضربه عليٌّ فطرح نصفه، ثمّ جاء إلىٰ عتبة وبه رمق فأجهز عليه.

فكان قتل هؤلاء المشركين الثلاثة أوّل وهن لحق بهم، وذل دخل عليهم، ورهبة اعتراهم بها الرعب من المسلمين وظهرت أمارات النصر ولاحت بشائر الفوز.

وحمل عبيدة حمزة وعليٌّ حتّىٰ أتيا به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فاستعبر، فقال: يا رسول الله، ألستُ شهيداً؟ قال: بلىٰ، أنت أوّل شهيد من أهل بيتي.

ورفع (صلّى الله عليه وآله) يده فقال: «(يا ربّ، إن تهلك هذه العصابة لا تعبد». ثمّ أصابه الغشي، فسري عنه، وهو يسلت العرق عن وجهه فقال: هذا جبرئيل قد أتاكم في ألف من الملائكة مردفين.

نزول الملائكة

قال تعالىٰ: ﴿ولقد نصركم الله ببدرٍ وأنتم أذلّةٌ فاتّقوا اللهَ لعلكم تَشكرون * إذ تقولُ للمؤمنينَ ألن يكفيكُمْ أن يُمدَّكُم ربُّكم بثلاثةِ آلافٍ من الملائكة منزلين * بلىٰ إن تصبرُوا وتتّقوا ويأتُوكم من فورِهم هذا يُمدِدْكُم ربُّكم بخمسةِ آلافٍ من الملائكةِ مُسَوّمين * وما جعله الله إلّا بُشرىٰ لكم ولتطمئنَ قلوبُكم به ومَا النصرُ إلّا من عند الله العزيز الحكيم * ليقطع طرفاً من الذين كفروا أو يكبتهم فينقلبوا خائبين﴾ (سورة آل عمران ٣:١٢٣ ـ ١٢٧).

وقال عزّ وجلّ: ﴿إذ تستغيثون ربَّكم فاستجابَ لكم أنّي مُمِدُّكم بألفٍ من الملائكةُ مُرْدِفين * وما جعلَهُ اللهُ إلّا بُشرىٰ ولتطمئنَّ بهِ قلوبكُم ومَا النصرُ إلّا من عند اللهِ إنَّ اللهَ عزيز حكيم * .... إذ يُوحي ربُّك إلىٰ الملائكة أنّي معكُم فثبِّتوا الذين آمَنُوا سأُلقي في قُلوب الذين كفروا الرُّعبَ فاضربوا

فوق الأعناق واضربُوا منهم كُلَّ بنان * ذلك بأنَّهم شاقُّوا اللهَ ورسولَهُ ومَن يشاقِق اللهَ ورسولَهُ فإنَّ الله شديدُ العقاب * ذٰلِكُمْ فذوقُوهُ وأنَّ للكافرين عذاب النارِ﴾ (سورة الأنفال ٨:٩و١٠و١٢ ـ ١٤).

وقال سبحانه: ﴿ولو ترىٰ إذ يَتوفَّى الذينَ كفرُوا الملائكةُ يضربون وجوهَهُمْ وأدبارَهُم وذوقُوا عذابَ الحريق * ذلك بما قدَّمت أيديكم وأنَّ اللهَ ليس بظلّامٍ للعبيد﴾ (سورة الأنفال ٨:٥٠ و٥١).

روى عكرمة، عن ابن عبّاس أنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) قال يوم بدر: هذا جبرئيل آخذ برأس فرسه، عليه أداة الحرب.

أورده البخاريّ في الصحيح.

وروى أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عن أبيه، قال: لقد رأيتنا يوم بدر وإنّ أحدنا يشير بسيفه إلىٰ المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف.

وفي قتل عتبة وشيبة والوليد تقول هند بنت عتبة زوجة أبي سفيان وأم معاوية:

أيا عين جودي بدمع سرب[1] علىٰ خير خندف لم ينقلب
تداعىٰ له رهط عدوةً بنو هاشم وبنوا المطلب
يذيقونه حد أسيافهم يعرّونه بعدما قد شجب[2]

وقالت:

أبي وعمي وشقيق بكري أخي الذي كان كضوء البدر
بهم كسرت يا علي ظهري

(١) أي: سائل.

(٢) أي: هلك.

كما قتل حنظلة بن أبي سفيان، ونوفل بن خويلد، وأبو جهل، وابن جدعان، والعاص بن سعيد، والمنذر بن أبي رفاعة، وحرملة بن عمرو، وأبوقيس بن الفاكة، وغيرهم من شجعان قريش وطواغيتهم.

قال المؤرخ محمد بن إسحاق: أكثر قتلىٰ المشركين يوم بدر كان لعليّ (عليه السلام).

وقال ابن أبي الحديد المعتزلي «في شرح النهج» ج١ ص٢٤:

وأمّا الجهاد في سبيل الله فمعلوم عند صديقه وعدوّه أنه عليه السلام سيد المجاهدين، وهل الجهاد لأحدٍ من الناس إلاّ له، وقد عرفت إنَّ أعظم غزاة غزاها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واشدّها نكايةً في المشركين بدر الكبرىٰ، قُتِلَ فيها سبعون من المشركين، قتل عليٌّ نصفهم، وقتل المسلمون والملائكة النصف الآخر.

وإذا رجعت إلىٰ مغازي الواقدي، وتاريخ الاشراف للبلاذري وغيرهما علمت صحة ذلك، ناهيك عمن قتلهم في غيرها كأُحد والخندق وخيبر...الخ.

وهذا الفصل لا معنىٰ للإطناب فيه، لانه من المعلومات الضرورية، كالعلم بوجوده والواضح وضوح الشمس في رائعة النهار، وقد اثبتنا ذلك مفصلاً بأسانيد ومصادر معتبرة في الجزء الثاني من كتابنا «علي في الكتاب والسنة» فراجع.

أما الذين استشهدوا في هذه المعركة من المسلمين فعددهم اربعة عشر شهيداً وهم:

١ ـ عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان شيخاً مسناً، برز مع عمه حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، وتشابك مع عتبة فاختلفا ضربة

بضربة، فقتل عبيدة عتبة، وأصابت ضربة عتبة رجل عبيدة فقطعها، وبقىٰ جريحاً ينزف يومين حتىٰ استشهد بطريق العودة إلىٰ المدينة، في منطقة تسمىٰ (الصفراء) وادٍ بناحية المدينة، كثير النخل والزرع، بينه وبين بدر مرحلة.

٢ ـ عمير بن أبي وقاص.

٣ ـ صفوان بن وهاب.

٤ ـ سعد بن خيثمة الأوسي وهو الذي هجم علىٰ رأس الشرك (أبوجهل).

٥ ـ حبش بن عبد منذر أخو أبو لبابة.

٦ ـ الحارث بن سراقة.

٧ ـ دشمله، قيل هو عمير بن عبد عمرو الخزاعي.

٨ ـ مهجع بن صالح، وقيل:مهجع بن ذي الشمالين.

٩ ـ عاقل بن البكير.

١٠ ـ رافع بن المعلىٰ الرزقي.

١١ ـ عمير بن الحمام.

١٢ ـ يزيد بن الحارث.

١٣ ، ١٤ ـ عوذ، ومعوذ ابناء عفراء.

هؤلاء الشهداء الأربعة عشر الذين سقطوا في ساحة معركة بدر باتفاق جميع المصادر في السِيَر وكتب التاريخ، وقد إستخلصته من مصدرين:

الأول: من كتاب تاريخ الاسلام للذهبي، قسم المغازي ص٦٥ ط الأعلمي بيروت.

والثاني:: سمعته أنا مباشرةً من الحراس والخدم الموكلين علىٰ قبور الشهداء في بدر وأنا واقف علىٰ حفرتهم.

وكان عليٌ صاحب راية رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم بدر، وغيرها.

وإليك نبذة من الأشعار في يوم بدر:

مقطع من قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي المتوفى ١٢٠١ هـ يخص معركة يوم بدر، ونعم ما قال:

أسد الله ما رأت مقلتاه ... نار حرب تشب إلّا اصطلاها
فارس المؤمنين في كل حرب ... قطب محرابها امام وغاها
لم يخض في الهياج إلا وابدى ... عزمة يتقي الردى إياها
ذاك رأس الموحدين وحامي ... بيضة الدين من أكف عداها
من ترى مثله إذا صرت الحر ... ب ودارت على الكماة رحاها
ذاك فمقامها الذي لا يروّي ... غير صمصامه أوام صداها
وبه استفتح الهدى يوم (بدر) ... من طغاة أبت سوى طغواها
صب صوب الردى عليهم هام ... ليس يخشى عقبى التي سواها
يوم جاءت وفي القلوب غليل ... فسقاها حسامه ما سقاها
من تلقى يد (الوليد) بضرب ... حيدري يرى اليراع براها
وسقى منه (عتبة) كأس بؤس ... كان صرفاً إلى المعاد احتساها
ورأى تيه (ذي الخمار) فردّا ... ه من الذل بردة ما ارتداها
فأقامت ما بين طيش ورعب ... وكفاها ذاك المقام كفاها
ظهرت منه في الوغى سطوات ... ما أتى القوم كلهم مأتاها

وقال الصحابي الشهيد يوم مؤته عبد الله بن رواحة البدري:

لهن علياً يوم بدر حضوره ... ومشهده بالخير ضرباً مرعبلاً[1]

(١) يقال: رعبل اللحم أي قطعه.

وكائن له من مشهد غير خامل ... يظل له رأس الكمي محدّلا[1]
وغادر كبش القوم في القاع ثاوياً ... تخال عليه الزعفران المعللّا[2]
صريعاً ينوء القشعمان[3] برأسه ... وتدنوا إليه الضبع طوراً لتأكلا

وكان حسان بن ثابت يستشهد بشعره في جرح وهزيمة عمر بن عبدود يوم بدر:

ولقد رأيت غداة بدر عصبةً ... ضربوك ضرباً غير ضرب المحضر[4]
أصبحت لاتدعى ليوم كريهة ... يا عمرو أو لجسيم أمر منكر

إلى هنا أكتفي، ويمكنك عزيزي القارئ مراجعة الجزء الثاني من كتابنا (علي في الكتاب والسنة) لتطلع على المزيد من التفاصيل.

(١) الكمي: الشجاع. المجدّل: الصريع.
(٢) المعلل: طلي به مرة بعد أُخر، ـ كبش القوم: شجاعهم في البقاع نائماً.
(٣) القشعمان: النسر.
(٤) من احضر للقتال بنفسه، راغباً غير مكره.

معركة أُحد

أُحدٌ جَبَلٌ يبعد عن المدينة ثلاثة أميال، وهو أقرب الجبال إليها وروي فيه أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «أُحُدٌ جبلٌ يُحبُّنا ونُحِبُّه، وهو علىٰ باب من أبواب الجنّة»[1].

وروىٰ شيخنا الصدوق في «الخصال» ص٣٤٤ ح١٠ عن ابن عبّاس أنّ جبل أُحُد من الجبال السبعة التي تطايرت يوم طلب موسىٰ (عليه السلام) الرؤية.

وقال ابن جبير في رحلته ص١٧٣ متحدِّثاً عن قبر حمزة ومسجده في أُحد: «والقبر برحبة جوفي المسجد، والشهداء (رضي الله عنهم) بأزائه، والغار الذي آوىٰ إليه النبي بأزاء الشهداء أسفل الجبل، وحول الشهداء تربة حمراء، هي التربة التي تُنْسَب إلىٰ حمزة ويتبرّك الناس بها»[2].

وقال ابن بطوطة في رحلته ص١٢٦ مثله، وزاد: «وفي طريق أُحد مسجدٌ يُنسب لعلي بن أبي طالب (عليه السلام).

وقال الشيخ المفيد (أعلىٰ الله درجته) في كتابه «مسار الشيعة» ص٥١: «في النصف منه ـ يعني شهر شوال ـ سنة ثلاث من الهجرة كانت واقعة أُحُد، وفيها استشهد أسد الله وأسد رسوله، وسيّد شهداء وقته وزمانه، عمّ رسول الله

(١) روى أبو زيد ابن شبّة في «تاريخ المدينة» ج١/٧٩ ـ ٨٦ عدّة روايات في فضل جبل أُحُد، وما في المتن واحدة منها.

(٢) لقد ضيّع الوهابيون وهدموا معظم معالم أُحد، كما فعلوا ذلك في المدينة، في قبر عبد الله بن عبد المطلب والد الرسول (صلّى الله عليه وآله) وفي البقيع وغيرها.

(صلّى الله عليه وآله) حمزة بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف (رضي الله عنه وأرضاه).

وفيها بان التمييز بين الصابرين مع نبيّه (صلّى الله عليه وآله)، والمنهزمين من المستضعفين المنافقين، وظهر لأمير المؤمنين (عليه السلام) فيها من البرهان ما نادىٰ به جبرئيل (عليه السلام) في الملائكة المقرّبين، ومدحه بفضله في عليّين، وأبان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن منزلته في النسب والدين.

وقال الشيخ البهائي محمّد بن الحسين في «توضيح المقاصد» ص٢٧: «الخامس عشر منه ـ أي من شهر شوال ـ كانت غزوة أُحد سنة ثلاث من الهجرة، وباشر النبي (صلّى الله عليه وآله وسلّم) القتال بنفسه المباركة، وكان المسلمون ألفاً، والمشركون ثلاثة آلاف، واستشهد من المسلمين سبعون، منهم حمزة (رضي الله عنه)، وقُتِلَ من المشركين اثنان وعشرون رجلاً».

وكان سبب غزوة أُحد أنّ قريشاً لمّا رجعت من بدر إلىٰ مكّة، وقد أصابهم ما أصابهم من القتل والأسر، حيث قتل منهم سبعون، وأُسر منهم سبعون، فلمّا رجعوا إلىٰ مكّة قال أبو سفيان: يا معشر قريش، لا تدعوا نساءكم يبكين علىٰ قتلاكم، فإنّ البكاء والدمعة إذا خرجت أذهبت الحزن والحرقة والعداوة لمحمّد، ويشمت بنا محمّد وأصحابه.

فلمّا غزوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يوم أُحد أذنوا لنسائهم بعد ذلك في البكاء والنوح.

فلمّا أرادوا أن يغزوا رسول الله إلىٰ أُحد، ساروا في حلفائهم من كنانة وغيرها فجمعوا الجموع والسلاح، وخرجوا من مكّة في ثلاثة آلاف فارس، وألفي راجل، وأخرجوا معهم النساء يذكرنهم ويحثثنهم علىٰ حرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأخرج أبو سفيان هند بنت عتبة، وخرجت معهم عمرة بنت علقمة الحارثيّة.

فلمّا بلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك جمع أصحابه وأخبرهم أنّ قريشاً قد تجمّعت تريد المدينة، وحثّ أصحابه علىٰ الجهاد والخروج.

فضرب (صلّى الله عليه وآله) عسكره ممّا يلي طريق العراق، وقعد عنه عبد الله بن أُبيّ وقومه وجماعة من الخزرج مع المنافقين اتّبعوا رأيه.

ووافت قريش إلىٰ أُحد، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عدّ أصحابه وكانوا سبعمائة رجل، فوضع عبد الله بن جبير في خمسين من الرماة علىٰ باب الشِعب، وأشفق أن يأتي كمينهم من ذلك المكان، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعبد الله بن جبير وأصحابه: «إنْ رأيتمونا قد هزَمناهم حتّىٰ أدخلناهم مكّة فلا تبرحوا من هذا المكان، وإنْ رأيتموهم قد هزَمونا حتّىٰ أدخلونا المدينة فلا تبرحوا والزموا مراكزكم».

ووضع أبو سفيان خالد بن الوليد في مائتي فارس كميناً، فقال له: إذا رأيتمونا قد اختلطنا بهم فاخرجوا عليهم من هذا الشِعب حتّىٰ تكونوا مِن ورائهم.

فلمّا أقبلت الخيل واصطفّوا وعبّأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أصحابه، دفع الراية إلىٰ أمير المؤمنين (عليه السلام).

وكانت راية قريش مع طلحة العبدريّ من بني عبد الدار. فخرج يومئذ فوقف بين الصفّين فنادىٰ: يا أصحاب محمّد، إنّكم تزعمون أنّ الله ـ تعالىٰ ـ يعجّلنا بسيوفكم إلىٰ النار، ويعجّلكم بسيوفنا إلىٰ الجنّة، فأيّكم يبرز إليّ؟ فبرز أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه، فقال: والله لا أُفارقك هذا اليوم حتّىٰ أُعجّلك بسيفي إلىٰ النار. وأنشأ (عليه السلام) يقول:

يا طلح إن كنتم كما تقولُ
لكم خيولٌ ولنا نصولُ

فاثبت لنا نظر إنّنا المقتول
وأيّنا أولىٰ بما تقولُ
فقد أتاك الأسد الصؤولُ
بصارم ليس به فلولُ
ينصره القاهر والرسول

فقال: طلحة: مَن أنتَ يا غلام؟

قال: أنا عليّ بن أبي طالب.

قال: قد علمتُ يا قضم، أنّه لا يجسر عليَّ أحد غيرك.

فشدّ عليه طلحة فضربه، فاتّقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالجحفة، ثمّ ضربه أمير المؤمنين علىٰ فخذيه فقطعهما جميعاً، فسقط علىٰ ظهره، وسقطت الراية، فذهب عليّ (عليه السلام) ليجهّز عليه فحلّفه بالرحم فانصرف عنه، فقال المسلمون: ألاّ أجهزت عليه؟ قال: قد ضربته ضربةً لا يعيش منها أبداً. فمات طلحة في مكانه، وبشّر النبي (صلّى الله عليه وآله) بذلك فسرّ به، وقال: هذا كبش الكتيبة.

ثمّ أخذ الراية أبو سعد بن طلحة، فقتله عليٌّ (عليه السلام)، وسقطت الرايته إلىٰ الأرض.

فأخذها عثمان بن أبي طلحة فقتله عليّ وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فأخذها مسافع بن أبي طلحة، فقتله عليّ (عليه السلام)، وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فأخذها الحارث بن أبي طلحة فقتله علي (عليه السلام)، وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فأخذها أبو يزيد بن عمير، فقتله عليٌّ (عليه السلام)، وسقطت الراية

إلىٰ الأرض.

فأخذها عبد الله بن أبي جميلة بن زهير، فقتله عليّ (عليه السلام) وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فقتل أمير المؤمنين التاسع من بني عبد الدار وهو أرطاة بن شرحبيل مبارزةً، وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فأخذها مولاهم صوأب، فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) علىٰ يمينه فقطعها، وسقطت الراية إلىٰ الأرض، فأخذها بشماله، فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) علىٰ شماله فقطعها، فسقطت الراية إلىٰ الأرض فاحتضنها بيديه المقطوعتين، ثمّ قال: يا بني عبد الدار، هل أعذرت فيما بيني وبينكم؟ فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) علىٰ رأسه فقتله وسقطت الراية إلىٰ الأرض.

فأخذتها عمرة بنت علقمة الحارثيّة فنصبتها.

روىٰ الحسن بن محبوب، عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد، عن أبيه (عليهما السلام) قال: كان أصحاب اللّواء يوم أُحد تسعة، قتلهم عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عن آخرهم، وانهزم القوم، وطارت مخزوم، فضحها عليّ (عليه السلام) يومئذٍ.

وبارز عليٌّ (عليه السلام) الحكم بن الأخنس فضربه، فقطع رجله من نصف الفخذ، فهلك منها، ولمّا جال المسلمون تلك الجولة أقبل أُميّة بن أبي حذيفة بن المغيرة وهو دارع، وهو يقول: يومٌ بيوم بدر. فعرض له رجل من المسلمين فقتله أُميّة، وصمد له عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فضربه بالسيف علىٰ هامته، فنشب في بيضة مغفره، وضربَه أُميّةُ بسيفه فاتقاها أمير المؤمنين (عليه السلام) بدرقته فنشب فيها، ونزع أمير المؤمنين (عليه السلام) سيفه من مغفره، وخلص أُمية سيفه من درقته أيضاً، ثمّ تناوشا.

قال عليّ (عليه السلام): فنظرت إلىٰ فتق تحت إبطه، فضربته بالسيف

فيه فقتلته، وانصرفت عنه.

فحمل الأنصار كلّهم علىٰ مشركي قريش، فانهزموا هزيمةً قبيحةً، ووقع أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في سوادهم، وانحطّ خالد بن الوليد من مائتي فارس، فلقي عبد الله بن جبير، فاستقبلوهم بالسهام، فرجعوا.

ثمّ نظر أصحاب عبدالله بن جبير إلىٰ أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ينتهبون سواد القوم: قالوا لعبد الله بن جبير: ما يقيمنا ههنا وقد غنم أصحابنا ونبقىٰ نحن بلا غنيمة؟ فقال لهم عبد الله: اتّقوا الله، فإنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد تقدّم إلينا أن لا نبرح. فلم يقبلوا منه، وأقبل ينسلّ رجل فرجل، حتّىٰ أخلوا مراكزهم، وبقي عبد الله بن جبير في اثني عشر رجلاً.

وهجم خالد بن الوليد علىٰ عبد الله بن جبير، وقد فرَّ أصحابه وبقي في نفر قليل، فقتلوهم علىٰ باب الشِعب، واستقفوا المسلمين فوضعوا فيهم السيف، ونظرت قريش في هزيمتها إلىٰ الراية قد رُفِعَتْ فلاذوا بها، وأقبل خالد بن الوليد من وراء المسلمين يقتلهم، وانهزم أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هزيمةً قبيحةً، وأقبلوا يصعدون في الجبال وفي كلّ وجه، فلمّا رأى رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الهزيمة كشف البيضة عن رأسه، فقال: «إليّ إنّي أنا رسول الله، إلىٰ أين تفرّون عن الله وعن رسوله»؟.

ولم يبق مع رسول الله إلّا أبو دُجانة سماك بن خرشة وأمير المؤمنين (عليه السلام)، وكلّما حملت طائفة علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) استقبلهم أمير المؤمنين (صلوات الله عليه) فيدفعهم عن رسول الله، ويقتلهم حتّىٰ انقطع سيفه.

وبقيت مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نسيبة بنت كعب المازنيّة، وكانت تخرج مع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في غزواته تداوي الجرحىٰ، وكان ابنها معها، فأراد أن ينهزم ويتراجع، فحملت عليه فقالت: يا بنيّ، إلىٰ أين

تفرّ؟ عن الله وعن رسوله؟ فردّته فحمل عليه رجل فقتله، فأخذت سيف ابنها، فحملت علىٰ الرجل فضربته علىٰ فخذه فقتلته.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «بارك الله عليك يا نسيبة».

وحمل ابن قميئة علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: أروني محمّداً، لا نجوتُ إنْ نجا. فضربه علىٰ حبل عاتقه وناديٰ: قتلتُ محمّداً واللّات والعزّىٰ.

ونظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ رجل من المهاجرين قد ألقىٰ ترسه خلف ظهره وهو في الهزيمة، فناداه: «يا صاحب الترس، إلق ترسك ومر إلىٰ النار» فرمىٰ بترسه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا نسيبة، خذي الترس. فأخذت الترس، وكانت تقاتل المشركين، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «لمقام نسيبة أفضل من مقام فلان وفلان وفلان».

فلمّا انقطع سيف أمير المؤمنين (عليه السلام) جاء إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله، إنّ الرجل يقاتل بالسلاح، وقد انقطع سيفي. فدفع إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) سيفه ذا الفقار، فقال: قاتل بهذا. ولم يكن يحمل علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أحد إلّا استقبله أمير المؤمنين (عليه السلام)، فإذا رأوه رجعوا. فانحاز رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ ناحية أُحد، فوقف، وكان القتال من وجهٍ واحد، وقد انهزم أصحابه.

فلم يزل أمير المؤمنين (عليه السلام) يقاتلهم حتّىٰ أصابه في وجهه ورأسه وصدره وبطنه ويديه ورجليه تسعون جراحة، وسمعوا منادياً من السماء:

(لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ)

فنزل جبرئيل علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: يا محمّد، هذه والله المواساة.

قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): لأنّي منه وهو منّي. فقال جبرئيل:

وأنا منكما.

وقد روىٰ محمّد بن مروان، عن عمارة، عن عكرمة قال: سمعت عليّاً (عليه السلام) يقول: لمّا انهزم الناس يوم أُحد عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لحقني من الجزع عليه ما لم يلحقني قطّ، ولم أملك نفسي، وكنت أمامه أضرب بسيفي بين يديه، فرجعتُ أطلبه فلم أره، فقلت: ما كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ليفرّ، وما رأيته في القتلىٰ، وأظنّه رُفِعَ من بيننا إلىٰ السماء؛ فكسرت جفن سيفي، وقلت في نفسي: لأقاتلنّ به عنه حتّىٰ أُقتَل، وحملتُ علىٰ القوم، فأفرجوا عنّي فإذا أنا برسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد وقع علىٰ الأرض مغشيّاً عليه، فقمت علىٰ رأسه، فنظر إليّ فقال: ما صنع الناس يا عليّ؟ فقلت: كفروا يا رسول الله، وولّوا الدبر من العدّو، وأسلموك.

فنظر النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ كتيبة قد أقبلت عليه فقال لي: ردّ عنّي، يا عليّ هذه الكتيبة، فحملتُ عليها أضربها بسيفي يميناً وشمالاً حتّىٰ ولّوا الأدبار. فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أما تسمع يا عليّ مديحك في السماء، إنّ ملكاً يقال له (رضوان) ينادي:

«لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ».

فبكيتُ سروراً، وحمدت الله سبحانه وتعالىٰ علىٰ نعمته.

وروي عن زيد بن وهب أنّه قال: قلت لابن مسعود: انهزم الناس عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتّىٰ لم يبق معه إلّا عليّ بن أبي طالب، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف؟!

فقال: انهزم الناس إلّا عليّ بن أبي طالب وحده، وثاب إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) نفر، وكان أوّلهم عاصم بن ثابت، وأبو دجانة، وسهل بن حنيف. ولحقهم طلحة بن عبيد الله.

فقلت له: وأين كان أبو بكر وعمر؟

قال: كانا فيمن تنحّىٰ.

قلت: وأين كان عثمان؟

قال: جاء بعد ثالثة من الوقعة، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه واله): لقد ذهبت فيها عريضة.

قال: فقلتُ له: وأين كنتَ أنتَ؟

قال: كنتُ ممّن تنحّىٰ.

قلت له: فمَن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم، وسهل بن حنيف.

قال: قلت له: إنّ ثبوت عليّ (عليه السلام) في ذلك المقام لعجب.

فقال: إن تعجّبت من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل (عليه السلام) قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلىٰ السماء: (لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ).

قلت له: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟

فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عنه، فقال: ذلك جبرئيل.

وأخرج القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٦٤ و١٤٧ ط استانبول عن أبي الحسن المغازلي وصاحب المناقب بسنديهما، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب.

يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضِعَ عملك يوم أُحُد في كفّة أُخرىٰ لرجح عملك علىٰ جميع ما عمل الخلائق. وإنّ الله باهىٰ بك يوم أُحُد ملائكته المقرّبين، ورفع الحُجُب من السماوات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وإنّ الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبطك به كلّ نبي ورسول وصدّيق وشهيد.

فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أبشر يا علي، فإنّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً.

ثمّ نظر إلىٰ كتيبة قد أقبلت إليه، فقال له: أحمل عليّ هذه يا عليّ. فحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) عليها فقتل منها هشام بن أُميّة المخزوميّ، وانهزم القوم.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرىٰ، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أحمل علىٰ هذ. فحمل. عليها، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحيّ، وانهزمتْ أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرىٰ، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أحمل علىٰ هذه. فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامريّ، وانهزمت الكتيبة، ولم يعد بعدها أحد منهم.

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلىٰ النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، وانصرف المشركون إلىٰ مكّة، وانصرف المسلمون مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ المدينة، فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) ومعها إناءٌ فيه ماء، فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد خضب الدم يده إلى كتفه، ومعه (ذو الفقار) فناوله فاطمة (عليها السلام) وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميمِ ... فلستُ برعديد ولا بمليمِ
لعمري لقد أعذرت في نصرِ أحمد ... وطاعة ربِ العباد عليمِ
أميطي دماء القوم عنه فإنّه ... سقىٰ آل عبد الدار كاس حميمِ

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): خذيه يا فاطمة فقد أدّىٰ بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

وكان حمزة بن عبد المطّلب يحمل علىٰ القوم، فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له

قال: كانا فيمن تنحّىٰ.

قلت: وأين كان عثمان؟

قال: جاء بعد ثالثة من الوقعة، فقال له رسول الله (صلّى الله عليه واله): لقد ذهبت فيها عريضة.

قال: فقلتُ له: وأين كنتَ أنتَ؟

قال: كنتُ ممّن تنحّىٰ.

قلت له: فمَن حدّثك بهذا؟ قال: عاصم، وسهل بن حنيف.

قال: قلت له: إنّ ثبوت عليّ (عليه السلام) في ذلك المقام لعجب.

فقال: إن تعجّبت من ذلك فقد تعجّبت منه الملائكة، أما علمت أنّ جبرئيل (عليه السلام) قال في ذلك اليوم وهو يعرج إلىٰ السماء: (لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتىٰ إلّا عليّ).

قلت له: فمن أين علم ذلك من جبرئيل؟

فقال: سمع الناس صائحاً يصيح في السماء بذلك، فسألوا النبيّ (صلّى الله عليه وآله) عنه، فقال: ذلك جبرئيل.

وأخرج القندوزي في «ينابيع المودّة» ص٦٤ و١٢٧ ط استانبول عن أبي الحسن المغازلي وصاحب المناقب بسنديهما، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لعلي بن أبي طالب.

يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق وأعمالهم في كفّة ميزان، ووضِعَ عملك يوم أُحُد في كفّة أُخرىٰ لرجح عملك علىٰ جميع ما عمل الخلائق. وإنّ الله باهىٰ بك يوم أُحُد ملائكته المقرّبين، ورفع الحُجُب من السماوات السبع، وأشرفت إليك الجنّة وما فيها، وابتهج بفعلك ربّ العالمين، وإنّ الله يعوضك ذلك اليوم ما يغبطك به كلّ نبي ورسول وصدّيق وشهيد.

فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أبشر يا علي، فإنّ الله منجز وعده، ولن ينالوا منّا مثلها أبداً.

ثمّ نظر إلىٰ كتيبة قد أقبلت إليه، فقال له: أحمل علىٰ هذه يا عليّ. فحمل أمير المؤمنين (عليه السلام) عليها فقتل منها هشام بن أُميّة المخزوميّ، وانهزم القوم.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرىٰ، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أحمل علىٰ هذ. فحمل. عليها، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحيّ، وانهزمتْ أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرىٰ، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): أحمل علىٰ هذه. فحمل عليها فقتل منها بشر بن مالك العامريّ، وانهزمت الكتيبة، ولم يعد بعدها أحد منهم.

وتراجع المنهزمون من المسلمين إلىٰ النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، وانصرف المشركون إلىٰ مكّة، وانصرف المسلمون مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ المدينة، فاستقبلته فاطمة (عليها السلام) ومعها إناءٌ فيه ماء، فغسل به وجهه، ولحقه أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد خضب الدم يده إلى كتفه، ومعه (ذو الفقار) فناوله فاطمة (عليها السلام) وقال لها: خذي هذا السيف فقد صدقني اليوم، وأنشأ يقول:

أفاطم هاك السيف غير ذميمِ ... فلستُ برعديد ولا بسليمِ
لعمري لقد أعذرت في نصرِ أحمد ... وطاعة ربِ العباد عليمِ
أميطي دماء القوم عنه فإنّه ... سقىٰ آل عبد الدار كاس حميمِ

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): خذيه يا فاطمة فقد أدّىٰ بعلك ما عليه، وقد قتل الله بسيفه صناديد قريش.

وكان حمزة بن عبد المطّلب يحمل علىٰ القوم، فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له

أحد، وكانت هند بنت عتبة عليها اللعنة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمّداً أو عليّاً أو حمزة لأعطينّك رضاك. وكان وحشيّ عبداً لجبير بن مطعم، حبشياً.

فقال وحشيّ: أمّا محمّد فلا أقدر عليه، وإمّا عليّ فرأيته رجلاً حذراً، كثير الالتفات، فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة فرأيته يهدّ الناس هدّاً، فمرّ بي فوطئ على جرف نهر فسقط، فأخذت حربتي فهززتها ورميته، فوقعت في خاصرته وخرجت من مثانته فسقط، فأتيته فشققت بطنه، فأخذت كبده، وجئت بها إلى هند، فقلت لها: هذه كبد حمزة. فأخذتها في فمها فلاكتها، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة[1]، فلفظتها، ورمت بها، فبعث الله ملكاً فحمله وردّه إلى موضعه.

فقال أبو عبد الله (عليه السلام): أبى الله أن يدخل شيئاً من بدن حمزة النار.

فجاءت إليه هند، فقطعت مذاكيره، وقطعت أُذنيه، وجعلتها خرصين، وشدّتها في عنقها، وقطعت يديه ورجليه.

وتراجع الناس، فصارت قريش على الجبل فقال أبو سفيان وهو على الجبل: أُعل هُبلْ.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين: قل له: الله أعلى وأجلّ.

فقال أبو سفيان: يا عليّ، إنّه قد أُنعم علينا.

فقال عليّ: بل الله أنعم علينا.

ثمّ قال: يا عليّ، أسألك باللّات والعزّى، هل قُتِلَ محمّد؟

فقال له: لعنك الله ولعن اللّات والعزّى معك، والله ما قُتِل وهو يسمع

(١) الداغصة: العظم المدوَّر المتحرِّك في رأس الركبة، أو الشحمة تحت الجلد التي فوق الركبة.

كلامك.

قال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميئة، زعم أنّه قتل محمّداً.

وكان عمرو بن ثابت قد تأخرّ إسلامه، فلمّا بلغه أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الحرب، أخذ سيفه وترسه، وأقبل كالليث العادي يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله. ثمّ خالط القوم فاستشهد، فمرّ به رجل من الأنصار، فرآه صريعاً بين القتلى، فقال: عمرو، وأنت على دينك الأوّل؟ قال: لا والله، إنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمّداً رسول الله. ثمّ مات.

فقال رجلٌ من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا رسول الله، إنّ عمرو بن ثابت قد أسلم وقُتِل، فهو شهيد؟ قال: إي والله شهيد، ما رجل لم يصلّ لله ركعة ودخل الجنّة غيره.

وكان حنظلة بن أبي عامر رجل من الخزرج تزوّج في تلك الليلة الّتي كانت صبيحتها حرب أُحد ببنت عبد الله بن أُبيّ بن سلول، ودخل بها في تلك اللّيلة، واستأذن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يقيم عندها، فأنزل الله: **﴿إنّما المؤمنون الّذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتّى يستأذنوه إنّ الّذين يستأذنونك أُولئك الّذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأْذن لمن شئت منهم﴾**[1].

فأذن له رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فدخل حنظلة بأهله ووقع عليها، فأصبح، وخرج وهو جنب، فحضر القتال، فبعثت امرأته إلى أربعة نفر من الأنصار لمّا أراد حنظلة أن يخرج من عندها، وأشهدت عليه أنّه قد واقعها، فقيل لها: لِمَ فعلتِ ذلك؟ قال: رأيت في هذه اللّيلة في نومي كأنّ السماء قد انفرجت، فوقع فيها حنظلة، ثمّ انضمّت، فعلمتُ أنّها الشهادة، فكرهت أن لا

(١) سورة النور/٦٢.

أشهد عليه. فحملت منه.

فلمّا حضر القتال نظر إلىٰ أبي سفيان علىٰ فرس يجول بين العسكر فحمل عليه فضرب عرقوب فرسه، فاكتسعت الفرس، وسقط أبو سفيان إلىٰ الأرض، وصاح: يا معشر قريش، أنا أبو سفيان وهذا حنظلة يريد قتلي. وعدا أبو سفيان ومرَّ حنظلة في طلبه، فعرض له رجل من المشركين فطعنه، فمشىٰ إلىٰ المشرك في طعنته، فضربه فقتله، وسقط حنظلة إلىٰ الأرض بين حمزة وعمرو بن الجموح وعبد الله بن حزام وجماعة من الأنصار فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «رأيت الملائكة تغسل حنظلة بين السماء والأرض بماء المزن في صحائف من ذهب» فكان يسمّىٰ غسيل الملائكة.

وروي أنَّ مغيرة بن العاص كان رجلاً أعسر، فحمل في طريقه إلىٰ أُحد ثلاثة أحجار، فقال: بهذه أقتل محمّداً.

فلمّا حضر القتال نظر إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبيده السيف، فرماه بحجر فأصاب به رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فسقط السيف من يده، فقال: قتلته واللاّت والعزّىٰ، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): كذب لعنه الله.

فرماه بحجر آخر، فأصاب جبهته، فقال رسول الله: «اللّهمّ حيرّه» فلمّا انكشف الناس تحيرّ، فلحقه عمّار بن ياسر فقتله.

وسلّط الله علىٰ ابن قميئة الشجر، فكان يمرّ بالشجر فيقع في وسطها، فتأخذ من لحمه، فلم يزل كذلك حتّىٰ صار مثل الصرّ، ومات لعنه الله.

ولمّا سكن القتال، قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مَن له علم بسعد بن الربيع؟ فقال رجل: أنا أطلبه. فأشار رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ موضعٍ فقال: اطلبه هناك، فإنّي قد رأيته في ذلك الموضع قد شرّعت حوله اثنا عشر رمحاً.

قال: فأتيت ذلك الموضع، فإذا هو صريع بين القتلىٰ. فقلت: يا سعد، فلم

يجبني. ثمَّ قلت: يا سعد، فلم يجبني.

فقلت: يا سعد، إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد سأل عنك. فرفع رأسه. فانتعش كما ينتعش الفرخ، ثمّ قال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لحيّ؟ قلت: إي والله إنّه لحيّ، وقد أخبرني أنّه رأىٰ حولك اثني عشر رمحاً.

فقال: الحمد لله، صدق رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، قد طعنت اثني عشر طعنة كلّها قد جافتني[1]، أبلغ قومي الأنصار السلام وقل لهم: والله مالكم عند الله عذر إن تشوك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) شوكة وفيكم عين تطرف.

ثمّ تنفّس فخرج منه مثل دم الجزور، وقد كان احتقن في جوفه، وقضىٰ نحبه (رحمه الله).

ثمَّ جئت إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأخبرته فقال: «رحم الله سعداً نصرنا حيّاً، وأوصىٰ بنا ميّتاً».

ثمَّ قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مَن له علمٌ بعمّي حمزة؟ فقال له الحارث بن الصمة: أنا أعرف موضعه. فجاء حتّىٰ وقف علىٰ حمزة فكره أن يرجع إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فيخبره.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام): يا علي، اطلب عمّك. فجاء علي (عليه السلام) فوقف علىٰ حمزة فكره أن يرجع إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله).

فجاء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتّىٰ وقف عليه، فلمّا رأى ما فُعِلَ به بكىٰ، ثم قال: والله ما وقفت موقفاً قطّ أغيظ عليّ من هذا المكان، لئن أمكنني الله من قريش لأمثلنّ بسبعين رجلاً منهم.

فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: ﴿وإن عاقبتم فعاقِبوا بمثل

---

(١) أي دخلت كلها في جوفي.

ما عوقبتم به ولئن صَبرتم لهو خَيرٌ للصابرين ﴾[1].

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل أصبر فألقىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه) علىٰ حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها علىٰ راسه بدت رجـلاه، وإذا مدّها علىٰ رجليه بدا رأسه، فمدّها علىٰ رأسه وألقىٰ علىٰ رجليه الحشيش، وقال: «لولا أنّي أحذر نساء بني عبد المطّلب لتركته للعقبان والسباع، حتّى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير».

وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالقتلىٰ، فجمعوا فصلّىٰ عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبّر علىٰ حمزة سبعين تكبيرة.

قال: وصاح إبليس بالمدينة: قُتِلَ محمّد. فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلّا خرج، وخرجت فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تعدو علىٰ قدميهـا، حتّىٰ وافت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقعدت بين يديه، فكانت إذا بكىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بكت، وإذا انتحب انتحبت.

ونادىٰ أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل، فنقتتل.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام): قل: نعم.

وارتحل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ودخل المدينة، واستقبلته النساء يولولن ويبكين، فاستقبلته زينب بنت جحش فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): احتسبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟قال:أخاك. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة.

ثمّ قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: حمزة بن عبد المطلب. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هنيئاً له الشهادة.

(١) سورة النحل/آية١٢٦.

ثم قال لها: احتسبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أن للزوج عند المرأة لحدّاً ما لا حد مثله، فقيل لها: لِمَ قلت ذلك في زوجك؟ قالت: ذكرت يتم ولده.

إلىٰ هذا الحـد أكتفي روماً للاختصار، ولمزيد من التفصيل راجع الجزء الثـاني من كتابنا (علي في الكتاب والسنّة) مع كثير من الاشعار التي نظّمت بالمناسبة لا سيما قصيدة الازري (رحمه الله).

وروى محمد بن إسحاق ما معناه: أن علياً (عليه السلام) لما فرغ من القتال دخل المدينة وجاء إلىٰ داره فناول سيفه ذا الفقار إلىٰ فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) فقال: اغسليه من الدم وأنشد يقول:

أفـاطـم هاكِ الـسيف غير ذميم ... فلسـت برعـديد ولا بنـمـيم
لعمـري فقـد اعذرت في نصر أحمد ... وطـاعـة رب الـعـبـاد عليم

وقال ابن إسحاق في هذا اليوم هبت ريح فسمع هاتفاً يقول:

لا سيف إلّا ذو الـفـقـار ... ولا فتـىً إلّا علي
فاذا ندبـتـم هالـكـاً ... فابـكـوا الـولي ابـن الـولي

وأنشد الخطيب الخوارزمي المكي بقوله:

أسـد إلآلـه وسيفـه وقنـاتـه ... كالـظفـر يوم صيالـه والـنـاب
جاء الـنـداء من إلآلـه وسيفـه ... بدم الـكـماة يسيح في تسكـاب
لا سيف إلّا ذو الـفـقـار ولا فتـىً ... إلّا علي هازم الاحـزاب

وقال محمد بن إسحاق: وكان الفتح يوم أحد نصر علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعنايته وثباته وحسن بلائه، وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي شعراً بالمناسبة:

ما عوقبتم به ولئن صَبرتم لهو خَيرٌ للصابرين ﴾[1].

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): بل أصبر فألقىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآلـه) علىٰ حمزة بردة كانت عليه، فكانت إذا مدّها علىٰ راسه بدت رجـلاه، وإذا مدّها علىٰ رجليه بدا رأسه، فمدّها علىٰ رأسه وألقىٰ علىٰ رجليه الحشيش، وقال: «لولا أنّي أحذر نساء بني عبد المطّلب لتركته للعقبان والسباع، حتّى يحشر يوم القيامة من بطون السباع والطير».

وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالقتلىٰ، فجمعوا فصلّىٰ عليهم ودفنهم في مضاجعهم، وكبّر علىٰ حمزة سبعين تكبيرة.

قال: وصاح إبليس بالمدينة: قُتِلَ محمّد. فلم يبق أحد من نساء المهاجرين والأنصار إلّا خرج، وخرجت فاطمة بنت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) تعدو علىٰ قدميهـا، حتّىٰ وافت رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقعدت بين يديه، فكانت إذا بكىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بكت، وإذا انتحب انتحبت.

ونادىٰ أبو سفيان: موعدنا وموعدكم في عام قابل، فنقتتل.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام): قل: نعم.

وارتحل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ودخل المدينة، واستقبلته النساء يولولن ويبكين، فاستقبلته زينب بنت جحش فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): احتسبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟قال:أخاك. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هنيئاً له الشهادة.

ثمّ قال لها: احتسبي. قالت: مَن يا رسول الله؟ قال: حمزة بن عبد المطلب. قالت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون. هنيئاً له الشهادة.

(١) سورة النحل/آية١٢٦.

ثم قال لها: احتسبي. فقالت: مَن يا رسول الله؟ قال: زوجك مصعب بن عمير. قالت: واحزناه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أن للزوج عند المرأة لحدّاً ما لا حد مثله، فقيل لها: لِمَ قلت ذلك في زوجك؟ قالت: ذكرت يتم ولده.

إلىٰ هذا الحـد أكتفي روماً للاختصار، ولمزيد من التفصيل راجع الجزء الثـاني من كتابنا (علي في الكتاب والسنّة) مع كثير من الاشعار التي نظّمت بالمناسبة لا سيما قصيدة الازري (رحمه الله).

وروى محمد بن إسحاق ما معناه: أن علياً (عليه السلام) لما فرغ من القتال دخل المدينة وجاء إلىٰ داره فناول سيفه ذا الفقار إلىٰ فاطمة الزهراء (سلام الله عليها) فقال: اغسليه من الدم وأنشد يقول:

أفـاطـم هاكِ الـسيف غير ذميم ... فلسـت برعـديد ولا بنـمـيم
لعمـري فقـد اعذرت في نصر أحمد ... وطـاعـة رب الـعـبـاد عليم

وقال ابن إسحاق في هذا اليوم هبت ريح فسمع هاتفاً يقول:

لا سيف إلّا ذو الـفـقـار ... ولا فتـىً إلّا علي
فاذا ندبـتـم هالـكـاً ... فابـكـوا الـولي ابـن الـولي

وأنشد الخطيب الخوارزمي المكي بقوله:

أسـد إلآلـه وسـيفـه وقنـاتـه ... كالـظفـر يوم صيالـه والـنـاب
جاء الـنـداء من إلآلـه وسـيفـه ... بدم الـكـماة يسـيح في تسكـاب
لا سيف إلّا ذو الـفـقـار ولا فتـىً ... إلّا علي هازم الاحـزاب

وقال محمد بن إسحاق: وكان الفتح يوم أحد نصر علي بن أبي طالب (عليه السلام) وعنايته وثباته وحسن بلائه، وفي ذلك يقول الحجاج بن علاط السلمي شعراً بالمناسبة:

لله أي مذبب عن حربه ... أعْني ابن فاطمة المعم المحولا
جادت يداك له بعاجل طعنةٍ ... تركت طليحة للجبين مجدلا
وشددت شدة باسلٍ فكشفتهم ... بالسفح إذ يجرون أسفل سفلا
وعللت سيفك بالدماء ولم يكن ... لترده ضمان حتىٰ ينهلا

وروى الحافظ محمد بن عبد العزيز الجنابذي في كتابه «معالم العترة النبوية» مرفوعاً إلىٰ قيس بن سعد عن أبيه أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول: أصابتني يوم أُحد ست عشر ضربة سقطت إلىٰ الأرض في أربعة منها، فجاءني رجل حسن الوجه طيب الريح، فأخذ بضبعي فأقامني، ثم قال: أقبل عليهم فإنك في طاعة الله ورسوله، وهما عنك راضيان، قال علي: فأتيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبرته فقال: يا علي أقر الله عينك ذاك جبرئيل[1].

وإليك مقطع من قصيدة المروحوم الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي المتوفى سنة ١٢٠١ هـ ما يخص من معركة أُحد:

و(بأُحد) كم فل آحاد شوس ... كلما أوقدوا الوغىٰ أطفاها
يوم دارت بلا ثوابت إلّا ... أسد الله كان قطب رحاها
يوم خانت نبالة القوم عهدا ... لنبي الهدىٰ فخاب رجاها
وتراءت لها غنائم شتىٰ ... فاقتفىٰ الاكثرون أثر ثراها
واحاطت به مذاكي الاعادي ... بعدما اشرفت علىٰ استيلاها
فترىٰ ذلك النفير كما تخبط ... في ظلمة الدجىٰ عشواها
يتمنىٰ الفتىٰ ورود المنايا ... والمنايا لو تشترىٰ لاشتراها
كلما لاح في المهامه برق ... حسبته قنا العدىٰ وظباها

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ص٥٦ ـ ٥٨ ط النجف وطهران.

لم تخلها إلا أضالع عجف ... قد براها السرىٰ فحل براها
لا تلمها لحيرة وارتياع ... فقدت عزها فعز عزاها
أن يفتها ذاك الجميل فعذراً ... إنما حِلْيَة الرجال حجاها
قد أراها في ذلك اليوم ضرباً ... لو رأته الشبان شابت لحاها
وكساها العار الذميم بطعن ... من حلىٰ الكبرياء قد أعراها
يوم سالت سيل الرمال ولكن ... هب فيها نسيمه فذراها
لا ترم وصفه ففيه معان ... لم يصفها إلا الذي سوّاها

وللسيد محسن الأمين هذه القصيدة نقتطف منها بالمناسبة:

وفي يوم أُحد كنت ردء محمد ... وناصره الكرار أذ عوز الكر
فأفنيت أصحاب اللوا وطحنتهم ... جميعاً فلم يسمع لهم بعدها ذكر
هزمت جيوش الشرك بالصارم الذي ... إلىٰ الحشر في سمع الزمان له نبر
أقام أُناساً في فم الشعب موصياً ... لهم أن يقيموا فيه مهما أقتضىٰ الامر
عصوا أمره مذ عاينوا النهب واقعاً ... وكان حقيقاً أن يطاع له الامر
فكرّ عليهم خالد من ورائهم ... فلمّا رأىٰ الفرار خيلهم كروا
هناك فر المسلمون وأسلموا ... نبيهم الهادي وعمهم الذعر

إلىٰ أن قال:

هنالك جبريل أهاب منادياً ... نداءً للمرتضىٰ الشرف الدثر
فلا سيف إلّا ذو الفقار ولافتىٰ ... سوىٰ حيدر الكرار هذا هو الفخر
وعاد بذاك السيف ينكر لونه ... أجل وعليه للدما حلل حمر
أفاطم هاكِ السيف غير مذمم ... فما أنا رعديد إذا شدة تعرو
أميطي دماء القوم عنه فأنه ... سقىٰ آل عبد الدار كأسا هو الصبر
أنا الأسد الوثاب في حومة الوغىٰ ... إذا خرس الابطال كان له زأر

معركة الخندق

غزوة الخندق وتسمّىٰ (غزوة الأحزاب) أيضاً، وكانت في السنة الخامسة من الهجرة، وقال ابن إسحاق: كانت غزوة الخندق في شوال من السنة الخامسة للهجرة.

وعن الواقدي: كانت في ذي القعدة، وكان المسلمون ثلاثة آلاف، والمشركون عشرة آلاف، يرأسهم أبو سفيان.

وسبب وقوع الحرب أنّ قريشاً ـ بتحريض من يهود بني النضير ـ قد تجمّعت في سنة خمس من الهجرة، وساروا في العرب وجلبوا، واستنفروهم لحرب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فوافوا في عشرة آلاف، ومعهم كنانة وسليم وفزارة، وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حين أجلا بني النضير ـ وهم بطن من اليهود ـ من المدينة، وكان رئيسهم حييّ بن أخطب، وهم يهود من بني هارون (عليه السلام)، فلمّا أجلاهم من المدينة صاروا إلىٰ خيبر، وخرج حييّ بن أخطب، وسلام بن أبي الحقيق، وكنانة بن أبي الحقيق، وهوذة بن قيس، إلىٰ قريش بمكّة وقالوا لهم: إنّ مُحمّداً قد وتركم ووترنا، وأجلانا من المدينة من ديارنا وأموالنا، وأجلا بني عمّنا بني قينقاع، فسيروا في الأرض، واجمعوا حلفاءكم وغيرهم حتّىٰ نسير إليهم، فإنّه قد بقي من قومي بيثرب سبعمائة مقاتل، وهم بنو قريظة، وبينهم وبين محمّد عهدٌ وميثاق، وأنا أحملهم علىٰ نقض العهد بينهم وبين محمّد، ويكونون معنا عليهم، فتأتونه أنتم من فوق، وهم من أسفل. وكان موضع بني قريظة من المدينة علىٰ قدر ميلين، وهو الموضع الّذي يسمّىٰ ببئر بني المطّلب.

فلم يزل يسير معهم حييّ بن أخطب في قبائل العرب حتّىٰ اجتمعوا قدر عشرة آلاف من قريش وكنانة، والأقرع بن حابس في قومه، وعباس بن مرداس

في بني سليم. فبلغ ذلك رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، واستشار أصحابه وكانوا سبعمائة رجل فقال سلمان: يا رسول الله، إنّ القليل لا يقاوم الكثير في المطاولة.

قال: فما نصنع؟

قال: نحفر خندقاً يكون بيننا وبينهم حجاباً، فيمكنك منعهم في المطاولة، ولا يمكنهم أن يأتونا من كلّ وجه، فإنّا كنّا معاشر العجم في بلاد فارس إذا دهمنا دهم من عدوّنا نحفر الخنادق، فتكون الحرب من مواضع معروفة.

فنزل جبرئيل علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: أشار بصواب.

فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بحفرة من ناحية أُحد إلىٰ راتج، وجعل علىٰ كلّ عشرين خطوة وثلاثين خطوة قوماً من المهاجرين والأنصار يحفرونه، فأمر فحملت المساحي والمعاول، وبدأ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأخذ معولاً فحفر في موضع المهاجرين بنفسه، وأمير المؤمنين (عليه السلام) ينقل التراب من الحفرة، حتّىٰ عرق رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعَيّ وقال: «لا عيش إلّا عيش الآخرة، اللّهمَّ اغفر للأنصار والمهاجرة».

قال جابر: فعلمتُ أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مقوي ـ أي جائع ـ لمّا رأيت علىٰ بطنه الحجر، فقلت: يا رسول الله، هل لك في الغداء؟

قال: ما عندك يا جابر؟

فقلت: عناق[1] وصاع من شعير.

فقال: تقدّم وأصلح ما عندك.

قال جابر: فجئت إلىٰ أهلي، فأمرتها فطحنت الشعير، وذبحت العنزة وسلختها، وأمرتها أن تخبز وتطبخ وتشوي.

فلمّا فرغت من ذلك جئت إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقلتُ:

---

(١) العناق: الأنثىٰ من المعز.

بأبي وأُمي أنت يا رسول الله، قد فرغنا فاحضر مع مَن أحببت.

فقام (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ شفير الخندق ثمَّ قال: يا معشر المهاجرين والأنصار، أجيبوا جابراً. وكان في الخندق سبعمائة رجل، فخرجوا كلّهم، ثمَّ لم يمرَّ بأحدٍ من المهاجرين والأنصار إلّا قال: أجيبوا جابراً.

قال: جابر: فتقدَّمتُ وقلتُ لأهلي: قد والله أتاكِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بما لا قِبَل[1] لكِ به!

فقالت: أعلمته أنتَ ما عندنا؟

قال: نعم.

قالت: هو أعلم بما أتىٰ.

قال جابر: فدخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فنظر في القدر، ثمَّ قال: اغرفي وأبقي. ثمَّ نظر في التنّور، ثمَّ قال: اخرجي وأبقي. ثمَّ دعا بصحفة فثرد فيها وغرف، فقال: يا جابر، أدخل عليَّ عشرة. فأدخلت عشرة، فأكلوا حتّىٰ نهلوا[2]، وما يرىٰ في القصعة إلّا آثار أصابعهم.

ثمَّ قال: يا جابر عليَّ بالذراع، فأتيته بالذراع فأكلوه.

ثمَّ قال: أدخل عليَّ عشرة. فدخلوا، فأكلوا حتّىٰ نهلوا، وما يُرىٰ في القصعة إلّا آثار أصابعهم.

ثمَّ قال: يا جابر عليَّ بالذراع، فأتيته. فأكلوا فخرجوا.

ثم قال: أُدخل عليَّ عشرة فأدخلتهم فأكلوا حتّىٰ نهلوا وما يُرىٰ في القصعة إلا آثار اصابعهم.

ثم قال يا جابر عليَّ بالذراع. فأتيته بالذراع فقلتُ: يا رسول الله، كم

(١) أي طاقة.

(٢) أي شبعوا.

للشاة من ذراع؟ قال: ذراعان فقلتُ: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً، لقد أتيتك بثلاثة. فقال: أما لو سكتَّ يا جابر، لأكلوا كلّهم من الذراع.

قال جابر: فأقبلتُ أُدخل عشرة عشرة، فيأكلون حتّىٰ أكلوا كلّهم، وبقي والله لنا من ذلك الطعام ما عشنا به أيّاماً.

قال: وحفر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الخندق وجعل له ثمانية أبواب، وجعل علىٰ كلّ باب رجلاً من المهاجرين ورجلاً من الأنصار مع جماعة يحفظونه، وقدَمِتْ قريش وكنانة وسليم وفزارة، فنزلوا زَغَابة[1] ففرغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام.

وأقبلت قريش ومعهم حييّ بن أخطب، فلمّا نزلوا العقيق جاء حييّ بن أخطب إلىٰ بني قريضة في جوف الليل، وكانوا في حصنهم قد تمسّكوا بعهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فدقّ باب الحصن، فسمع كعب بن أسد قرع الباب، فقال لأهله: هذا أخوك قد شأم قومه، وجاء الآن يشأمنا ويهلكنا، ويأمرنا بنقض العهد بيننا وبين محمّد، وقد وفى لنا محمّد وأحسن جوارنا. فنزل إليه من غرفته فقال له: مَن أنت؟

قال: حييّ بن أخطب، قد جئتك بعزّ الدهر.

فقال كعب: بل جئتني بذل الدهر.

فقال: يا كعب، هذه قريش في قادتها وسادتها قد نزلت بالعقيق مع حلفائها من كنانة، وهذه فزارة مع قادتها وسادتها قد نزلت زغابة، وهذه سليم وغيرهم قد نزلوا حصن بني ذبيان، ولا يفلت محمّد واصحابه من هذا الجمع أبداً، فافتح الباب وانقض العهد بينك وبين محمّد.

فقال كعب: لستُ بفاتح لك الباب، أرجع من حيث جئت.

(١) زَغَابة: موضع قرب المدينة، وهي مجتمع السيول آخر العقيق، غربي قبر حمزة.

فقال حييّ: ما يمنعك من فتح الباب إلاّ جشيشتك[1] التي في التنّور، تخاف أن أُشركك فيها، فافتح فإنّك آمن من ذلك.

فقال له كعب: لعنك الله، لقد دخلتَ عليَّ من باب دقيق. ثمَّ قال: افتحوا له الباب. ففتحوا له.

فقال: ويلك يا كعب! انقض العهد بينك وبين محمّد، ولا تردَّ رأيي، فإنّ محمّداً لا يفلت من هذا الجمع أبداً، فإن فاتك هذا الوقت لا تدرك مثله أبداً.

قال: واجتمع كلُّ مَن كان في الحصن من رؤساء اليهود، مثل غزال بن شمول، وياسر بن قيس، ورفاعة بن زيد، والزبير بن باطا، فقال لهم كعب: ما ترون؟

قالوا: أنت سيّدنا والمطاع فينا وصاحب عهدنا وعقدنا، فإنْ نقضت نقضنا معك، وإنْ أقمت أقمنا معك، وإنْ خرجت خرجنا معك.

قال الزبير بن باطا، وكان شيخاً كبيراً مجرّباً قد ذهب بصره: قد قرأتُ التوراة التي أنزلها الله في سفرنا بأنّه «يبعث نبيٌّ في آخر الزمان يكون مخرجه بمكّة، ومهاجرته في هذه البحيرة[2]، يركب الحمار العريّ، ويلبس الشملة، ويجتزئ بالكسيرات والتميرات، وهو الضحوك القتّال، في عينيه حُمرة وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه علىٰ عاتقه، لا يبالي مَن لاقىٰ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر. فإنْ كان هذا هو فلا يهولنّه هؤلاء وجمعهم، ولو ناوءته هذه الجبال الرواسي لغلبها.

فقال حييّ: ليس هذا ذاك. ذلك النبيُّ من بني إسرائيل، وهذا من العرب من ولد إسماعيل، ولا يكون بنو إسرائيل أتباعاً لولد إسماعيل أبداً، لأنّ الله قد

(١) طعام يصنع من الطحين يلقىٰ عليه اللحم أو التمر.

(٢) أي المدينة المنوَّرة.

فضّلهم علىٰ الناس جميعاً، وجعل فيهم النبوّة والملك، وقد عهد إلينا موسىٰ أن لا نؤمن لرسول حتّىٰ يأتينا بقربان تأكله النار، وليس مع محمّد آية، وإنّما جمعهم جمعاً وسحرهم، ويريد أن يغلبهم بذلك.

فلم يزل يقلّبهم عن رأيهم حتّىٰ أجابوه، فقال لهم: أخرجوا الكتاب الّذي بينكم وبين محمّد. فأخرجوه، فأخذه حييّ بن أخطب ومزقه، وقال: قد وقع الأمر فتجهّزوا وتهيّأوا للقتال.

وبلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك فغمّه غمّاً شديداً، وفزع أصحابه، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لسعد بن معاذ وأُسيد بن حضير، وكانا من الأوس، وكانت بنو قريظة حلفاء الأوس: إئتيا بني قريظة فانظرا ما صنعوا، فإنْ كانوا نقضوا العهد فلا تعلما أحداً إذا رجعتما إليّ، وقولا: عضل والقارة.

فجاء سعد بن معاذ وأُسيد بن حضير إلىٰ باب الحصن، فأشرف عليهما كعب من الحصن فشتم سعداً وشتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله). فقال له سعد: إنّما أنت ثعلب في حجر، لتولينّ قريش وليحاصرنّك رسول الله، ولينزلنّك علىٰ الصغر والقمأ[1]، وليضربنّ عنقك.

ثمَّ رجعا إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالا له: عضل والقارة. فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «لعناً، نحن أمرناهم بذلك». وذلك أنّه كان علىٰ عهد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عيون لقريش يتجسّسون خبره، وكانت عضل والقارة قبيلتان من العرب دخلتا في الإسلام ثمَّ غدرتا، وكان إذا غدر أحد ضرب بهما المثل، فيقال: عضل والقارة.

ورجع حُييّ بن أخطب إلىٰ أبي سفيان وقريش، فأخبرهم بنقض بني

(١) القمأ: الذل.

قريضة العهد بينهم وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ففرحت قريش بذلك.

فلمّا كان في جوف اللّيل جاء نعيم بن مسعود الأشجعيّ إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقد كان أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة ايّام، فقال: يا رسول الله، قد آمنتُ بالله وصدّقتك وكتمتُ إيماني عن الكفرة، فإن أمرتني آتيك بنفسي وأنصرك بنفسي فعلت، وإن أمرت أن أُخذّل بين اليهود وبين قريش فعلت، حتّىٰ لا يخرجوا من حصنهم.

فقال رسول الله(صلّى الله عليه وآله): إنما أنت واحد خذّل بين اليهود وبين قريش، فإنّه أوقع عندي.

قال: فتأذن لي أن أقول فيك ما أُريد؟

قال: قل ما بدا لك.

فجاء إلىٰ أبي سفيان فقال له: تعرف مودّتي لكم ونصحي ومحبتّي أن ينصركم الله علىٰ عدوّكم، وقد بلغني أنّ محمّداً قد وافق اليهود أن يدخلوا بين عسكركم ويميلوا عليكم، ووعدهم إذا فعلوا ذلك أن يردّ عليهم جناحهم الّذي قطعه بني النضير وقينقاع، فلا أرىٰ أن تَدعُوهم يدخلوا عسكركم حتّىٰ تأخذوا منهم رهناً تبعثوا بهم إلىٰ مكّة، فتأمنوا مكرهم وغدرهم.

فقال له أبو سفيان: وفّقك الله وأحسن جزاءك، مثلك أهدىٰ النصائح. ولم يعلم أبو سفيان بإسلام نعيم، ولا أحد من اليهود.

ثمّ جاء من فوره ذلك إلىٰ بني قريظة، فقال لكعب: يا كعب، تعلم مودّتي لكم، وقد بلغني أنّ أبا سفيان قال: نخرج هؤلاء اليهود فنضعهم في نحر محمّد، فإنْ ظفروا كان الذِّكرُ لنا دونهم، وإنْ كانت علينا كانوا هؤلاء مقاديم الحرب؛ فلا أرىٰ لكم أن تدعوهم يدخلوا عسكركم حتّىٰ تأخذوا منهم عشرة من أشرافهم يكونون في حصنكم، إنّهم إنْ لم يظفروا بمحمّد لم يبرحوا حتّىٰ يردّوا عليكم عهدكم وعقدكم بين محمّد وبينكم، لأنّه إنْ ولّت قريش ولم يظفروا بمحمّد

غزاكم محمّد فيقتلكم.

فقالوا: أحسنت وأبلغت في النصيحة، لا نخرج من حصننا حتّىٰ نأخذ منهم رهناً يكونون في حصننا.

وأقبلت قريش، فلمّا نظروا إلىٰ الخندق قالوا: هذه مكيدة ما كانت العرب تعرفها قبل ذلك. فقيل لهم: هذا من تدبير الفارسيّ الّذي معه، فوافىٰ عمرو بن عبدودّ، وهبيرة بن وهب، وضراب بن الخطّاب إلىٰ الخندق. وكان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد صفّ أصحابه بين يديه، فصاحوا بخيلهم حتّىٰ طفروا الخندق إلىٰ جانب رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فصار أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلّهم خلف رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وقدّموا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بين أيديهم، وقال رجل من المهاجرين وهو (فلان) لرجل بجنبه من إخوانه: أما ترىٰ الشيطان عمرو؟! لا والله ما يفلت من بين يديه أحد، فهلمّوا ندفع إليه محمّداً ليقتله، ولنلحق نحن بقومنا. فأنزل الله علىٰ نبيّه في ذلك الوقت: **﴿قد يعلم الله المعّوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمَّ إلينا ولا يأتون البأس إلاّ قليلاً﴾** إلىٰ قوله: **﴿أشحّة علىٰ الخير أُولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك علىٰ الله يسيراً﴾**[1].

وركز عمرو بن عبدود رمحه في الأرض، وأقبل يجول جولة، ويرتجز ويقول:

ولقد بححت من النداء ... بجمعكم هل من مبارز
ووقفت إذ جبن الشجاع ... مواقف القرن المناجز[2]
إنّي كذلك لم أزل ... متسرّعاً نحو الهزاهز[3]

(١) سورة الأحزاب/ آية١٨ ـ ١٩.

(٢) أي المقاتل.

(٣) أي البلايا والحروب.

إنّ الشجاعة في الفتىٰ والجود من خير الغرائز[1]

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): مَن لهذا الكلب؟ فلم يُجبهُ أحد، فوثب إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: أنا له يا رسول ا لله.

فقال: يا عليّ، هذا عمر بن عبدود فارسُ يَلْيَل[2].

قال: وأنا عليّ بن أبي طالب.

فقال له رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أُدن منّي. فدنا منه، فعمّمه بيده، ودفع إليه سيفه ذا الفقار، وقال له: «إذهب وقاتل بهذا؛ اللّهمَّ احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته».

فمرّ أمير المؤمنين (عليه السلام) يهرول في مشيته، وهو يقول:

لا تعجلنّ فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نيّة وبصيرة والصدق منجىٰ كلّ فائز
إني لأرجو أن أُقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء[3] يبقىٰ صوتها بعد الهزاهز

فقال عمرو: مَن أنت؟

قال: أنا عليُّ بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله وختنه.

فقال: والله، إنَّ أباك كان لي صديقاً ونديماً. وإنّي أكره أن أقتلك، ما أمن ابن عمّك حين بعثك إليّ أن أختطفك برمحي هذا، فاتركك شائلاً بين السماء والأرض، لا حيّ ولا ميّت!

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): قد علم ابن عمّي أنّك إن قتلتني

(١) أي الطبائع.

(٢) قيل: هو أسم موضع هجم فيه عمرو على عير وهزم ألف خيال منهم.

(٣) أي واسعة.

دخلتُ الجنّة وأنتَ في النار، وإن قَتلتُك فأنتَ في النار وأنا في الجنّة.

فقال عمرو: كلتاهما لك يا عليّ، تلك إذا قسمة ضيزىٰ[1].

فقال عليّ: دع هذا يا عمرو، إنّي سمعت منك وأنت متعلّق بأستار الكعبة تقول: لا يعرض عليّ أحدٌ في الحرب ثلاث خصال إلّا أجبته إلىٰ واحدة منها؛ وأنا أعرض عليك ثلاث خصال، فأجبني إلىٰ واحدة.

قال: هاتها ياعليّ.

قال: تشهد أن لا إله إلّا الله، وأنّ محمّداً رسول الله.

قال: نحِّ عنّي هذه.

قال: فالثانية، أن ترجع وتردَّ هذا الجيش عن رسول الله، فإنْ يك صادقاً فأنت أعلىٰ به عيناً، وإن يك كاذباً كفتكم ذؤبان[2] العرب أمره.

فقال: إذن تتحدّث نساء قريش بذلك، وينشد الشعراء في أشعارها أنّي جبنت ورجعت علىٰ عقبي من الحرب، وخذلت قوماً رأسوني عليهم.

فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): فالثالثة أن تنزل إليّ فإنّك راكب وأنا راجل حتّىٰ أنابذك.

فوثب عن فرسه وعرقبه[3]، وقال: هذه خصلة ما ظننت أنّ أحداً من العرب يسومني عليها.

ثمَّ بدأ فضرب أمير المؤمنين (عليه السلام) بالسيف علىٰ رأسه، فاتّقاه أمير المؤمنين (عليه السلام) بالدرقة فقطعها، وثبت السيف علىٰ رأسه.

فقال له عليّ: يا عمرو، أما كفاك إني بارزتك وأنت فارس العرب حتّىٰ

(١) أي جائرة.

(٢) أي صعاليكهم ولصوصهم.

(٣) أي: قطع عرقوبه، والعرقوب عصب غليظ فوق العقب، ويقال للفرس ارجع قوائمه عرقوب.

استعنت عليّ بظهير؟!

فالتفت عمرو إلىٰ خلفه، فضربه أمير المؤمنين (عليه السلام) مسرعاً علىٰ ساقيه، فأطنّها[1] جميعاً، وارتفعت بينهما عجاجة[2]، فقال المنافقون: قُتِلَ عليّ بن أبي طالب. ثمَّ انكشفت العجاجة ونظروا فإذا أمير المؤمنين (عليه السلام) علىٰ صدره قد أخذ بلحيته يريد أن يذبحه، ثمَّ أخذ رأسه، وأقبل إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والدماء تسيل علىٰ راسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول والرأس بيده:

أنا علي بن عبد المطلب الموت خير للفتىٰ من الهرب

فقال رسول الله: يا عليّ، ما كَرْتَهُ؟ قال: نعم يا رسول الله الحرب خديعة.

قال العلّامة صلاح الدين الصفدي الشافعي في «الغيث المسجم» ج١١٤/٢: «كان عمرو بن عبدودّ العامري جبّاراً عنيداً، غليظاً عتلاً من الرجال، فقطع عليٌّ فخذه من أصلها، فنزل عمرو وأخذ فخذ نفسه فضرب بها عليّاً، فتوارىٰ عنها، فوقعت في قوائم بعيرٍ فكسرتها.»

فلما رأىٰ عكرمة بن أبي جهل، وهبيرة بن أبي وهب، وضرار بن الخطاب، عمراً صريعاً ولّوا بخيلهم منهزمين حتّىٰ اقتحموا الخندق ولا يلوون إلىٰ شيء، وسقط نوفل بن عبد الله في جوف الخندق ولم ينهض به فرسه، فجعل المسلمون يرمونه بالحجارة، فقال لهم: قتلة أجمل من هذه، ينزل إليّ بعضكم أُقاتله، فنزل إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) فضربه حتّىٰ قتله، ولحق هبيرة فاعجزه وضرب قربوس سرجه، وسقط درع كانت عليه، وفر عكرمة، وهرب ضرار بن الخطاب.

وجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) برأس عمر بن عبدود وهو يقول:

(١) أي قطعها.

(٢) الغبار.

أعليّ تفتخر الفوارس هكذا عني وعنهم سائلوا أصحابي

اليوم تمنعني الفرار حفيظتي ومصمم في الرأس ليس بناب

اربت عمراً اذ طغىٰ بمهندٍ صافي الحديد مجرب قصاب

هذا ابن عبدود كذب قوله وصدقت فاستمعوا إلىٰ الكذاب

نصر الحجارة من سفاهة رأيه ونَصرتُ ربَ محمّدٍ بصواب

فضربته وتركته متجدّلاً كالجذع بين دكادك وروابي

وعففت عن أثوابه ولو انني كنت المغطىٰ بزّني أثوابي

لا تحسبن الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الاحزاب

أعود لتتميم أحداث الغزوة.

ويروىٰ أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعث الزبير إلىٰ هبيرة، فضربه علىٰ رأسه ضربة فلق هامته. وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عمر بن الخطّاب أن يبارز ضرار بن الخطّاب، فلمّا برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً، فقال ضرار: ويلك يابن صهّاك اترميني في مبارزة، والله لئن رميتني لاتركت عدوياً بمكّة إلّا قتلته. فانهزم عنه عمر، ومرّ نحوه ضرار وضربه بالقناة علىٰ رأسه، ثمَّ قال: احفظها يا عمر، فإنّي آليت أن لا أقتل قرشّياً ما قدرت عليه، فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي وولاّه.

فبقي رسول الله يحاربهم في الخندق خمسة عشر يوماً، فقال أبو سفيان لحُييّ بن أخطب: ويلك يا يهوديّ، أين قومك؟ فصار حييّ بن أخطب إليهم فقال: ويلكم، اخرجوا فقد نابذتم محمّداً الحرب، فلا أنتم مع محمّد ولا أنتم مع قريش. فقال كعب: لسنا خارجين حتّىٰ تعطينا قريش عشرة من أشرافهم رهناً يكونون في حصننا، إنّهم إنْ لم يظفروا بمحمّد لم يبرحوا حتّىٰ يردّ علينا محمّد عهدنا وعقدنا، فإنّا لا نأمن أن تفرّ قريش ونبقىٰ نحن في عقر دارنا، ويغزونا

محمّد فيقتل رجالنا ويسبي نسائنا وذرارينا، وإنْ لم نخرج لعله يردَّ علينا عهدنا.

فقال له حييّ بن أخطب: تطمع في غير مطمع، فقد نابذت[1] محمّداً الحرب، فلا أنت مع محمّد، ولا أنتم مع قريش.

فقال كعب: هذا من شؤمك، إنّما أنت طائر تطير مع قريش غداً وتتركنا في عقر دارنا ويغزونا محمّد.

فقال له: لك عهد الله عليَّ وعهد موسىٰ، إنّه إنْ لم تظفر قريش بمحمّد أنّي أرجع معك إلىٰ حصنك يصيبني ما يصيبك.

فقال كعب: هو الّذي قد قلته لك، إنْ أعطتنا قريش رهناً يكونون عندنا، وإلّا لم نخرج.

فرجع حييّ بن أخطب إلىٰ قريش فأخبرهم، فلمّا قال: يسألون الرهن. قال أبو سفيان: هذا والله أوّل الغدر، قد صدق نعيم بن مسعود، لا حاجة لنا في إخوان القردة والخنازير.

وطال علىٰ أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الأمر واشتدَّ عليهم الحصار، وكانوا في وقت بردٍ شديد، وأصابتهم مجاعة، وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلّم المنافقون بما حكىٰ الله عنهم، ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلّا نافق إلّا القليل.

فلمّا رأىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من أصحابه الجزع لطول الحصار صعد إلىٰ مسجد الفتح ـ وهو الجبل الّذي عليه مسجد الفتح اليوم ـ فدعا الله وناجاه فيما وعده وقال:

«يا صريخَ المكروبين، ويا مجيب المضطرين، ويا كاشف الكرب العظيم، أنت مولاي ووليّي ووليّ آبائي الأوّلين، اكشف عنّا غمّنا وهمّنا وكربنا، واكشف

(١) المنابذة: المكاشفة والمقاتلة.

عنا كرب هؤلاء القوم بقوّتك وحولك وقدرتك».

فنزل جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمّد، إنّ الله قد سمع مقالتك، وأجاب دعوتك، وأمر الدبور[1] مع الملائكة أن تهزم قريشاً والأحزاب.

وبعث الله علىٰ قريش الدبور فانهزموا، وقلعت أخبيتهم، ونزل جبرئيل فأخبره بذلك، فنادىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حذيفة بن اليمان، وكان قريباً منه فلم يجبه، ثمّ ناداه ثانياً فلم يجبه، ثمّ ناداه ثالثاً فقال: لبّيك يا رسول الله.

فقال: أدعوك فلا تجيبني؟

قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، من الخوف والبرد والجوع.

فقال: ادخل في القوم وأتني بأخبارهم، ولا تحدثنّ حدثاً حتّىٰ ترجع إليّ، فإنّ الله قد أخبرني إنّه قد أرسل الرياح علىٰ قريش وهزمهم.

قال حذيفة: فمضيت وأنا أنتفض من البرد، فوالله ما كان إلّا بقدر ما جزت الخندق حتّىٰ كأنّي في حمّام، فقصدت خباءً عظيماً، فإذا نار تخبو وتوقد، وإذا خيمة فيها أبو سفيان قد دلّا خصيتيه علىٰ النار، وهو ينتفض من شدة البرد، ويقول: يا معشر قريش، إنْ كنّا نقاتل أهل السماء بزعم محمّد فلا طاقة لنا بأهل السماء، وإنْ كنّا نقاتل أهل الأرض فنقدر عليهم. ثمّ قال: لينظر كلّ رجل منكم إلىٰ جليسه، لا يكون لمحمّد عين فيما بيننا.

قال حذيفة: فبادرت أنا فقلت للّذي عن يميني: مَن أنت؟

قال: أنا عمرو بن العاص.

ثمّ قلت للّذي عن يساري: مَن أنت؟

قال: أنا معاوية.

(١) أي الريح.

وإنّما بادرتُ إلىٰ ذلك لئلّا يسألني أحدٌ مَن أنت.

ثمَّ ركب أبو سفيان راحلته وهي معقولة، ولولا أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: لا تُحْدِث حدثاً حتّىٰ ترجع إليّ لقدرت أن أقتله. ثمَّ قال أبو سفيان لخالد بن الوليد: يا أبا سليمان، لابدّ من أن أُقيم أنا وأنت علىٰ ضعفاء الناس. ثمَّ قال: ارتحلوا إنّا مرتحلون. ففرّوا منهزمين.

فلمّا أصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لأصحابه: لا تبرحوا. فلمّا طلعت الشمس دخلوا المدينة وبقي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في نفر يسير.

وكان ابن عرقة الكناني رمىٰ سعد بن معاذ (رحمه الله) بسهم في الخندق فقطع أكحله[1]، فنزفه الدم، فقبض سعد علىٰ أكحله بيده ثمَّ قال:

«اللّهمَّ إنْ كنتَ أبقيتَ من حرب قريش شيئاً فابقني لها، فلا أحد أحبّ إليَّ محاربتهم من قومٍ حاربوا الله ورسوله، وإنْ كانت الحرب قد وضعت أوزارها بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبين قريش، فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتّىٰ تقرّ عيني من بني قريظة».

فأمسك الدم وتورّمت يده، فضرب له رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في المسجد خيمة وكان يتعاهده بنفسه.

وفي الأحزاب أنزل الله تعالىٰ: ﴿**إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنّون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً * وإذ يقول المنافقون والّذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلّا غروراً**﴾[2] إلىٰ قوله: ﴿**وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكان الله قويّاً عزيزاً**﴾[3].

(١) عِرق في اليد، هو عرق الحياة.

(٢) سورة الأحزاب/آية ١٠ ـ ١٢.

(٣) سورة الأحزاب/آية ٢٥.

فتوجّه العتب والتوبيخ والتقريع إلىٰ الصحابة، ولم ينج من ذلك أحد بالاتّفاق إلّا أمير المؤمنين (عليه السلام) إذ كان الفتح له وعلىٰ يديه، وكان قتله عمرو ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين، وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزونا.

وقد روى سيف بن كليب، عن سفيان بن زيد، عن قرّة وغيره، عن عبد الله بن مسعود أنّه كان يقرأ: ﴿**وكفىٰ الله المؤمنين القتال**﴾ بعلي ﴿**وكان الله قويّاً عزيزاً**﴾.

وقد ذكرنا قراءة ابن مسعود هذه عن مصادر معتبرة وبطرق وأسانيد كثيرة في الجزء الاول من كتابنا «علي في الكتاب والسنّة» فراجع.

وروى أحمد بن عبد العزيز قال: حدّثنا سليمان بن أيّوب، عن أبي الحسن المدائنيّ، قال: لمّا قتل عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) عمرو بن عبدود نعي إلىٰ أُخته فقالت: مَن ذا الّذي اجترأ عليه؟ فقالوا: ابن أبي طالب (عليه السلام). فقالت: لم يعد موته إلّا علىٰ يد كفو كريم، لا رقأت دمعتي إن هرقتها عليه، قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيّته علىٰ يد كفو كريم من قومه، ما سمعت بأفخر من هذا يا بني عامر.

ثمَّ أنشأت تقول:

لو كان قاتِلُ عَمرو غيرَ قاتله ... لكنت أبكي عليه آخر الأبدِ
لكن قاتل عمرو لا يُعابُ به ... مَن كان يدعىٰ قديماً بيضة البلدِ

وفي شرح النهج للواقدي، أن مبارزة علي بن أبي طالب (عليه السلام) لعمرو بن عبدود، يوم الخندق أعظم من أن يقال عنها عظيمة، وأجل من أن يقال عنها جليلة، وما هي إلّا كما قال شيخنا أبو الهذَيل وقد سأله سائل إيما أعظم منزلةً عند الله تعالىٰ علي، أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله لمبارزة علي (عليه السلام) عمراً يوم الخندق

تعدل أعمال المهاجرين والأنصار وطاعتهم كلها، وتربى عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

وفي المجلد الثاني من فضائل الخمسة من الصحاح الستة، عن المجلد الثاني من مستدرك الصحيحين، عن سفيان الثوري بسنده عن النبي (صلّى الله عليه وآله) أنه قال:

«لمبارزة علي بن أبي طالب لعَمرو بن عبدود يوم الخندق أفضل أعمال أُمتي إلىٰ يوم القيامة».

رواه الخطيب البغدادي في تاريخه ج١٢ ص١٩، وذكر هذا الحديث بنصه الحر في في تفسيره الكبير، في الجزء الاخير خلال حديث عن ليلة القدر وفضلها.

ونقل ابن الصباغ في فصوله المهمة ص٦٣/٦٢ ط النجف وطهران ـ منه:

ولما قتل عمرو وولده حل وأنهزم عكرمة ومن معه من فوارس قريش الذين أقتحموا الخندق، أرسل الله تعالىٰ الريح علىٰ قريش وغطفان ووقع الاختلاف والاضطراب بينهم فولوا راجعين ﴿وردّ الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً وكفىٰ الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً﴾.

وفي قتل عمرو بن عبدود قال حسان:

أمسىٰ الفتىٰ عمرو بن ود يرىٰ ... بجنوب يثرب غارة لم ينظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ... ولقد وجدت رماحنا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصبة ... ضربوك ضرباً ليس ضرب المحضر
أصبحت لا تدعي ليوم عظيمة ... يا عمرو كلا والاله الاكبر

وجاءت اخت عمرو وقد نعي إليها أخوها وقالت من أجترأ عليه؟ فقالوا: علي بن أبي طالب، فقالت كفو كريم وأنشدت تقول:

أسدان في ضيق المكر تصاولا ... وكلاهما كفو كريم باسل
فتخالسا جنح النفوس كلاهما ... وسط المجال مجالد ومقاتل
وكلاهم حضر القراع حفيظة ... لم يثنه عن ذلك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله ... قول سديد ليس فيه تحامل

ثم قالت: والله لا ثأرت قريش بأخي ما حنّت النوق.

وقالت أُم عمرو ترثيه:

لو كان قاتل عمر غير قاتله ... ما زلت أبكي عليه دائم الأبد
لكن قاتله مالا يراب به ... من كان يدعىٰ أبوه بيضة البلد
من هاشم في ذراها وهي صاعدة ... إلىٰ السماء تميت الناس بالجسد
قوم أبىٰ الله إلّا أن تكون لهم ... مكارم الدين والدنيا إلىٰ الأبد
يا أُم كلثوم أبكيه ولا تدعي ... بكاء معوّلة حرىٰ علىٰ ولد

فكان سلواها وعزاها، وهون عليها قتل ولدها، هو جلالة قدر القاتل وافتخرت أن يكون ولدها مقتولاً بسيف علي بن أبي طالب.

وإليك مقطع من قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي المتوفى سنة١٢٠١ هـ ما يخص يوم الاحزاب:

ظهرت منه في الوغىٰ سطوات ... ما أتىٰ القوم كلهم مأتاها
يوم غصت بجيش (عمرو بن ود) ... لهوات الفلا وضاق فضاها
وتخطىٰ إلىٰ المدينة فرداً ... بسرايا عزائم ساراها
فدعاهم وهم ألوف ولكن ... ينظرون الذي يشب لظاها
أين أنتم عن قسور عامري ... تتقي الاُسد بأسه في شراها
فابتدأ المصطفىٰ يحدّث عما ... تؤجر الصابرون في اخراها

قائلا ان للجليل جنانا ... ليس غير المجاهدين يراها
أين من نفسه تتوق إلىٰ الجنـ ... ـات أو يورد الجحيم عداها
من لعمرو وقد ضمنت علىٰ الله له من جنانه أعلاها
فالتووا عن جوابه كسوام ... لا تراها مجيبة من دعاها
واذا هم بفارس قرشي ... ترجف الأرض خيفة إذ يطاها
قائلاً ما لها سواي كفيل ... هذه ذمة علي وفاها
ومشىٰ يطلب الصفوف كما ... تمشي خماص الحشا إلىٰ مرعاها
فانتضىٰ مشرفيه فتلقىٰ ... ساق عمرو بضربة فبراها
وإلىٰ الحشر رنة السيف منه ... يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات ... لم يزن ثقل اجرها ثقلاها
هذه من علاه احدىٰ المعالي ... وعلىٰ هذه فقس ما سواها

* * *

غزوة بني قريضة

بنو قُرَيْظَة فخذ مِن جُذام إخوة النضير، نزلوا بجبلٍ يقال له (قُرَيْظَة) فنُسبوا إليه، وقِيلَ: إنَّ قريظة اسم جدِّهم.

وقد ذكرنا في خبر غزوة الأحزاب أنّه كان بينهم وبين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) صلح فنقضوه ومزّقوه، وظاهروا قريشاً وأعانوهم ومالوا معهم، وذكرنا الخلاف الذي أحدثه بينهم نعيم بن مسعود الأشجعي، والآن ما تبقىٰ من أحداث غزوة الرسول (صلّى الله عليه وآله) لهم:

لمّا دخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) المدينة عائداً من الخندق واللواء معقود، أراد أن يغتسل من الغبار، فناداه جبرئيل: عَذِيرَك من محارب، والله ما وضعت الملائكة لأمتها، فكيف تضع لأمتك؟ إنّ الله يأمرك أن لا تصلّيّ العصر إلّا ببني قريظة، فإنّي متقدّمك ومزلزل بهم حصنهم، إنّا كنّا في آثار القوم نزجرهم زجراً حتّىٰ بلغوا حمراء الأسد.

فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فاستقبله حارثة بن نعمان فقال له: ما الخبر يا حارثة؟

فقال: بأبي وأُمّي يا رسول الله، هذا دحية الكلبيّ ينادي في الناس: ألّا لا يصلّينّ العصر أحد إلّا في بني قريظة.

فقال: ذاك جبرئيل؛ أُدعوا عليّاً.

فجاء عليّ (عليه السلام) فقال له: «نادِ في الناس أن لا يصلّينّ أحد العصر إلّا في بني قريظة».

فجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فنادىٰ فيهم، فخرج الناس فبادروا إلىٰ

بني قريظة، وخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وعليّ (عليه السلام) بين يديه مع الراية العظمىٰ.

وكان حييّ بن أخطب لمّا انهزمت قريش جاء فدخل حصن بني قريظة، فجاء أمير المؤمنين (عليه السلام) فأحاط بحصنهم، فأشرف عليهم كعب بن أسد من الحصن يشتمهم ويشتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأقبل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علىٰ حمارٍ فاستقبله أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله، لا تَدنُ من الحصن.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «يا عليّ: لعلّهم شتموني إنّهم لو آذوني لأذلّهم الله».

ثمّ دنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من حصنهم فقال: «يا أُخوة القردة والخنازير، وعبدة الطاغوت، أتشتموني، إنّا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباحهم».

وكان حول الحصن نخل كثير، فأشار إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بيده فتباعد عنه وتفرّق في المفازة، وأنزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) العسكر حول حصنهم، فحاصرهم ثلاثة أيّام فلم يطلع أحد منهم رأسه.

فلمّا كان بعد ثلاثة أيّام نزل إليه غزال بن شمول فقال: يا محمّد، تعطينا ما أعطيت إخواننا من بني النضير، إحقن دماءنا، ونخلّي لك البلاد وما فيها ولا نكتمك شيئاً؟

فقال: لا، أو تنزلون علىٰ حكمي.

فرجع وبقوا أيّاماً، فبكىٰ النساء والصبيان إليهم، وجزعوا جزعاً شديداً فلمّا أشتدّ عليهم الحصار نزلوا علىٰ حكم رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالرجال فكتّفوا، وكانوا سبعمائة، وأمر بالنساء فعزلن.

وقامت الأوس إلىٰ رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالوا: يا رسول الله،

حلفاؤنا وموالينا من دون الناس. نصرونا علىٰ الخزرج في المواطن كلّها، وقد وهبتَ لعبد الله بن أُبيّ سبعمائة دارع، وثلاثمائة حاسر في صبيحة واحدة، وليس نحن بأقلّ من عبد الله بن أُبيّ.

فلمّا أكثروا علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال لهم: أما ترضون أن يكون الحكم فيهم إلىٰ رجل منكم؟ فقالوا: بلىٰ، فمَن هو؟ قال: سعد بن معاذ. قالوا: قد رضينا بحكمه.

فأتوا به في محفّة[1]، واجتمعت الأوس من حوله يقولون له: يا أبا عمرو، اتّق الله وأحسن في حلفائك ومواليك، فقد نصرونا بِبُعاث[2]، والحدائق، والمواطن كلّها.

فلمّا أكثروا عليه قال: قد آن لِسعدٍ أن لا تأخذه في الله لومة لائم. فقالت الأوس: واقوماه، ذهب والله بنو قريظة. وبكىٰ النساء والصبيان إلىٰ سعد.

فلمّا سكتوا قال لهم سعد: يا معشر اليهود، أرضيتم بحكمي فيكم؟

قالوا: بلىٰ قد رضَينَا بحكمك، والله قد رجونا نصفك ومعروفك وحسن نظرك.

فأعاد عليهم القول، فقالوا: بلىٰ يا أبا عمرو.

فالتفت إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إجلالاً له فقال: ما ترىٰ بأبي أنت وأُمّي؟

فقال: أُحكمْ فيهم يا سعد، فقد رضيتُ بحكمك فيهم.

فقال: قد حكمت يا رسول الله أن تقتل رجالهم، وتسبي نساءهم وذراريهم، وتقسّم غنائمهم وأموالهم بين المهاجرين والأنصار.

---

(١) المحفّة: سرير يحمل عليه المريض أو المسافر.

(٢) حرب كانت بين الأوس والخزرج.

فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1]. ثمّ انفجر جرح سعد بن معاذ، فما زال ينزفه الدم حتّىٰ قضىٰ (نحبه رحمه الله).

وساقوا الأسارىٰ إلىٰ المدينة، وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأُخدود، فحفرت بالبقيع، فلمّا أمسىٰ أمر بإخراج رجل رجل وكان يضرب عنقه، فقال حييّ بن أخطب لكعب بن أسد: ما ترىٰ يصنع بهم؟ فقال له: ما يسوءك، أما ترىٰ الداعي لا يقلع، والّذي يذهب لا يرجع! فعليكم بالصبر والثبات علىٰ دينكم.

فأخرج كعب بن أسد مجموعة يديه إلىٰ عنقه، وكان جميلاً وسيماً، فلمّا نظر إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال له: «يا كعب أما نفعك وصيّة ابن الحواس الحبر الذكيّ الّذي قدم عليكم من الشام»، فقال: «تركتُ الخمر والخنزير. وجئتُ إلىٰ البؤس والتمور، لنبيّ يبعث، مخرجه بمكّة، ومهاجره في هذه البحيرة، يجتزئ بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار العريّ، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه علىٰ عاتقه، لا يبالي مَن لاقىٰ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر»؟

فقال: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود يعيّروني أنّي جزعت عند القتل لآمنتُ بك وصدّقتك، ولكنّي علىٰ دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قدّموه واضربوا عنقه فضربت.

ثمّ قدّم حييّ بن أخطب فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا فاسق، وكيف رأيتَ الله صنعَ بك؟ فقال: والله يا محمّد، ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد

(١) يعني: سبع سماوات، وكل سماء يقال لها: رقيع.

قلقلت كلّ مقلقل، وجهدت كلّ الجهد، ولكن من يخذل الله يخذل.

ثم قال حين قدم للقتل:

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يخذل الله يخذل

فقدّم وضرب عنقه، فقتلهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في البردين: بالغداة والعشيّ، في ثلاثة أيّام.

وكان (صلّى الله عليه وآله) يقول: «اسقوهم العَذِب، واطعموهم الطيّب، واحسنوا إسارهم».

* * *

فقام رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال: حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة[1]. ثمَّ انفجر جرح سعد بن معاذ، فما زال ينزفه الدم حتّىٰ قضىٰ (نحبه رحمه الله).

وساقوا الأسارىٰ إلىٰ المدينة، وأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بأُخدود، فحفرت بالبقيع، فلمّا أمسىٰ أمر بإخراج رجل رجل وكان يضرب عنقه، فقال حييّ بن أخطب لكعب بن أسد: ما ترىٰ يصنع بهم؟ فقال له: ما يسوءك، أما ترىٰ الداعي لا يقلع، والّذي يذهب لا يرجع! فعليكم بالصبر والثبات علىٰ دينكم.

فأخرج كعب بن أسد مجموعة يديه إلىٰ عنقه، وكان جميلاً وسيماً، فلمّا نظر إليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال له: «يا كعب أما نفعك وصيّة ابن الحواس الحبر الذكيّ الّذي قدم عليكم من الشام»، فقال: «تركتُ الخمر والخنزير. وجئتُ إلىٰ البؤس والتمور، لنبيّ يبعث، مخرجه بمكّة، ومهاجره في هذه البحيرة، يجتزئ بالكسرة والتميرات، ويركب الحمار العريّ، في عينيه حمرة، وبين كتفيه خاتم النبوّة، يضع سيفه علىٰ عاتقه، لا يبالي مَن لاقىٰ، يبلغ سلطانه منقطع الخفّ والحافر»؟

فقال: قد كان ذلك يا محمّد، ولولا أنّ اليهود يعيّروني أنّي جزعت عند القتل لآمنتُ بك وصدّقتك، ولكنّي علىٰ دين اليهود عليه أحيا وعليه أموت.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): قدّموه واضربوا عنقه فضربت.

ثمَّ قدّم حييّ بن أخطب فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا فاسق، وكيف رأيتَ الله صنعَ بك؟ فقال: والله يا محمّد، ما ألوم نفسي في عداوتك، ولقد

(١) يعني: سبع سماوات، وكل سماء يقال لها: رقيع.

قلقلت كلّ مقلقل، وجهدت كلّ الجهد، ولكن من يخذل الله يخذل.

ثم قال حين قدم للقتل:

لعمري ما لام ابن أخطب نفسه ولكنّه من يخذل الله يخذل

فقدّم وضرب عنقه، فقتلهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في البردين: بالغداة والعشيّ، في ثلاثة أيّام.

وكان (صلّى الله عليه وآله) يقول: «اسقوهم العَذِب، واطعموهم الطيّب، واحسنوا إسارهم».

* * *

علي في غزوة خيبر[1]

وخَيْبَر ناحية تبعد ثمانية بُرُد (جمع بريد) من المدينة لمن أراد الشام، أي ما يقارب بحسابنا اليوم = ١٧٧ كليو متر، وتشمل علىٰ سبعة حصون هي: حصن ناعم، القموص وهو حصن أبي الحُقَيْق، حصن الشقّ، حصن النطاة، حصن السّلالم، حصن الوطيح، حصن الكتيبة.

واسم (خَيْبَر) معناه بالعبرية (الحصن)، وقال أبو القاسم الزجاجي: أنّها سمّيت بخيبر بن قانية بن مِهْلائيل... بن نوح (عليه السلام)، وكان هو أول مَن نزل هذا الموضع؛ ومعظم سكانها يدينون باليهودية، وعن الشيخ الطبرسي أنّ بخيبر أربعة عشر ألف يهودي[2].

وتشتهر بكثرة مزارعها ونخيلها وتمرها، وهي موصوفة بكثرة الحمّىٰ التي لا تكاد تفارق أهلها، وزعم اليهود أنّ مَن أراد دخول خيبر فليقف علىٰ بابها علىٰ أطرافه الأربعة، وينهق نهيق الحمار عشراً، فبذلك لا تضرّه حمّىٰ خيبر، ويسمّىٰ ذلك تعشيراً.

وقال الشيخ الطبرسي في اعلام الورىٰ ص١٠٧:

كانت غزوة خيبر في ذي الحجّة من سنة ستّ، وذكر الواقديّ أنها كانت أوّل سنة سبع من الهجرة، وحاصرهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بضعاً وعشرين ليلة، وبخيبر أربعة عشر ألف يهوديّ في حصونهم، فجعل رسول الله

(١) أما تاريخ هذه الغزوة فقد عيّنه الشيخ بهاء الدين العاملي (قدس سره)، يوم الخامس عشر من شهر محرم الحرام سنة سبع من الهجرة (توضيح المقاصد ص٢٤).

(٢) أنظر معجم البلدان ج٢/ ٤٠٩، آثار البلاد وأخبار العباد ص٩٢.

(صلّى الله عليه وآله) يفتحها حصناً حصناً، وكان من أشدّ حصونهم وأكثرها رجالاً (القموص)، فأخذ أبو بكر راية المهاجرين ليقاتل بها، ثمّ رجع منهزماً، ثمّ أخذها عمر من الغد، فرجع منهزماً يجبّن الناس ويجبّنونه، حتّىٰ ساء رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذلك، فقال: لأُعطينّ الراية غداً رجلاً كرّاراً غير فرّار، يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، لا يرجع حتّىٰ يفتح الله علىٰ يديه، فغدت قريش يقول بعضهم لبعض: أمّا عليّ فقد كفيتموه، فإنّه أرمد، لا يبصر موضع قدمه.

وقال عليّ (عليه السلام) لمّا سمع مقالة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) «اللّهمّ لا معطي لما منعت، ولا مانع لما أعطيت».

فأصبح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واجتمع إليه الناس.

قال سعد: جلستُ نصب عينيه، ثمّ جثوت علىٰ ركبتي، ثمّ قمت علىٰ رجلي قائماً، رجاءَ أن يدعوني، فقال: «ادعوا لي عليّاً»، فصاح الناس من كلّ جانب: إنّه أرمد رمداً لا يبصر موضع قدمه. فقال: «أرسلوا إليه، وادعوه».

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): «ليست هذه الراية لمن حملها، جيئوني بعليّ بن أبي طالب».

فقيل له: أنه أرمد.

قال: «أرونيه، تروني رجلاً يحبّ الله ورسوله، ويحبّه الله ورسوله، يأخذها بحقّها، ليس بفرّار».

فجاؤوا بعليّ (عليه السلام) يقودونه إليه، فقال له النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «ما تشكي يا عليّ»؟

قال: رمدٌ ما أُبصر معه، وصداع برأسي.

فقال له: «اجلس وضع رأسك علىٰ فخذي» ففعل عليّ (عليه السلام) ذلك، فدعا له النبيّ (صلّى الله عليه وآله) وقال في دعائه: «اللّهمّ قِهِ الحرَّ والبرد» فتفل في يده، فمسح بها علىٰ عينيه ورأسه، فانفتحت عيناه، وسكن ما كان يجده

من الصداع.

وأعطاه الراية، وكانت راية بيضاء وقال له: «خذ الراية وامض بها، فجبرئيل معك، والنصر أمامك، والرعب مبثوث في صدور القوم، واعلم، يا علي إنّهم يجدون في كتابهم أنّ الذي يدمّر عليهم اسمه (إيليا) فإذا لقيتهم فقل: أنا عليّ، فإنّهم يخذلون إن شاء الله تعالىٰ».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): فمضيت بها، حتّىٰ أتيت الحصون، فخرج مرحب وعليه مغفر، وحجر قد ثقبه مثل البيضة علىٰ رأسه، وهو يرتجز ويقول:

قد علمت خيبر أنّي مرحب شاك السلاح بطل مجرّب

فقلت:

أنا الذي سمّتني أُمّي حيدرة كليث غابات شديد قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

واختلفنا ضربتين، فبدرته وضربته، فقددت الحجر والمغفرة ورأسه حتّىٰ وقع السيف في أضراسه: فخرّ صريعاً.

وجاء في الحديث أنّ أمير المؤمنين (عليه السلام) لمّا قال: أنا عليّ بن أبي طالب.

قال: حَبر من أحبار القوم: غُلِبْتُم وما أنزل علىٰ موسىٰ. فدخل في قلوبهم من الرُعب ما لم يمكنهم معه الاستيطان به.

ولمّا قتلَ أميرُ المؤمنين (عليه السلام) مرحباً رجع من كان معه، وأغلقوا باب الحصن عليهم دونه، فصار إليه أمير المؤمنين (عليه السلام) إليه فعالجه حتّىٰ فتحه، وأكثر الناس من جانب الخندق لم يعبروا معه، فأخذ (عليه السلام) باب الحصن فجعله علىٰ الخندق جسراً لهم حتّىٰ عبروا، فظفروا بالحصن، ونالوا

الغنائم.

فلمّا انصرفوا أخذه (عليه السلام) بيمناه فدحا به أذرعاً من الأرض، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً.

وبلفظ آخر نقله العلّامة ابن الصباغ المالكي في فصوله المهمة[1] عن صحيح البخاري ومسلم وغيرهما من الصحاح، أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قال يوم خيبر: لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله علىٰ يديه، يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فبات الناس يخوضون ليلتهم أيّهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كلٌّ منهم يرجو أن يعطاها، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أين علي بن أبي طالب.

فقيل: يا رسول الله إنّه أرمد.

قال: فأرسلو إليه، فأُتي به فبصق في عينه ودعا له فبريء حتّىٰ لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي (عليه السلام) يا رسول الله أقاتلهم حتّىٰ يكونوا مثلنا؟ قال: أنفذ علىٰ رسلك حتّىٰ تنزل بساحتهم ثم أدعهم إلىٰ الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لئن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من أن يكون لك حمر النعم.

قال: فمضىٰ وفتح الله علىٰ يديه.

وفي ذلك يقول حسان بن ثابت في مدحه:

وكان علي أرمد العين يبتغي دواءً فلما لم يحس مداويا

شفاه رسول الله منه بتفلةٍ فبورك مرقياً وبورك راقياً

وقال سأعطي راية القوم فارساً كميتاً شجاعاً في الحروب مجاريا

---

(١) الفصول المهمة/٣٧ ـ ٣٨ ط النجف.

يحب إلهاً والإله محبه به يفتح الله الحصون الأوابيا
فخص لها دون البرية كلهم علياً وسماه الولي المواخيا

قال الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» ج٩/١٨٣ ط دار المعرفة ـ بيروت:

ثمّ لم يزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يفتح الحصون حصناً فحصناً، ويحوز الأموال حتّىٰ انتهوا إلىٰ حصن الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتح، وحاصرهم رسول الله بضع عشرة ليلة.

قال ابن إسحاق: ولمّا افتتح القموص، حصن ابن أبي الحقيق، أُتي رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بصفيّة بنت حيّ بن أخطب، وبأُخرىٰ معها، فمرَّ بهما بلال ـ وهو الّذي جاء بهما ـ علىٰ قتلىٰ من قتلىٰ اليهود، فلمّا رأتهم الّتي معها صفيّة صاحت وصكّت وجهها، وحثت التراب علىٰ رأسها، فلمّا رآها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قال: «أعزبوا عنّي هذه الشيطانة»، وأمر بصفيّة فحيزت خلفه، وألقىٰ عليها رداءه، فعرف المسلمون أنّه قد اصطفاها لنفسه.

وقال (صلّى الله عليه وآله) لبلال لمّا رأىٰ من تلك اليهوديّة ما رأىٰ: «أنزعت منك الرحمة يا بلال؟ حيث تمرّ بامرأتين علىٰ قتلىٰ رجالهما».

وكانت صفيّة قد رأت في المنام، وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق، أنّ قمراً وقع في حجرها، فعرضت رؤياها علىٰ زوجها فقال: ما هذا إلاّ إنّك تتمنّين ملك الحجاز محمّداً. ولطم علىٰ وجهها لطمة اخضرّت عينها منها، فأُتي بها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبها أثر منها، فسألها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ما هو؟ فأخبرته.

وقال الحافظ البرسي في «مشارق الأنوار» علىٰ ما في «بحار الأنوار» ج٢١ ص٤٠ ح٣٧:

لمّا جاءت صفيّة إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وكانت من أحسن

الناس وجهاً، فرأى في وجهها شجّة، فقال: ما هذه ، وأنت ابنة الملوك؟

فقالت: إنّ علياً (عليه السلام) لمّا قدم إلىٰ الحصن هزّ الباب، فاهتزّ الحصن، وسقط من كان عليه من النظّارة، وارتجف بي السرير، فسقطت لوجهي، فشجّني جانب السرير.

فقال لها رسول الله (صلّى الله عليه وآله): يا صفيّة، إنّ علياً عظيم عند الله، وإنّه لمّا هزّ الباب اهتزّ الحصن، واهتزّت السماوات السبع، والأرضون السبع، واهتزّ عرش الرحمن غضباً لعليّ.

وفي ذلك اليوم لمّا سأله عمر فقال: يا أبا الحسن، لقد اقتلعت منيعاً وأنت ثلاثة أيّام خميصاً، فهل قلعتها بقوّة بشريّة؟

فقال: ما قلعتها بقوّة بشريّة، ولكن قلعتها بقوّة إلهيّة، ونفس بلقاء ربّها مطمئنّة رضيّة.

وأرسل ابن أبي الحقيق إلى رسول الله (صلّى الله عليه وآله): أنزل فأُكلّمك؟ قال: نعم. فنزل وصالح رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علىٰ حقن دماء مَن في حصونهم في المقاتلة،وترك الذريّة لهم، ويخرجون من خيبر وأرضها بذراريهم، ويخلّون بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبين ما كان لهم من مال وأرض، وعلىٰ الصفراء والبيضاء والكراع، وعلىٰ الحلقة وعلىٰ البز[1] إلاّ ثوب علىٰ ظهر إنسان.

وقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «وبرئتْ منكم ذمّة الله وذمّة رسوله إن كتمتموني شيئاً»، وصالحوه علىٰ ذلك.

فلمّا سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ما صنعوا، بعثوا إلىٰ رسول الله (صلّى

(١) قيل: هي السلاح عامّاً، وقيل: هي الدروع خاصة. والبز: الثياب.

الله عليه وآله) يسألونه أن يسيّرهم[1] ويحقن دماءهم، ويخلّون بينه وبين الأموال، ففعل، وكان ممّن مشىٰ بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبينهم في ذلك محصّة بن مسعود أحد بني حارثة.

فلمّا نزل أهل خيبر علىٰ ذلك سألوا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن يعاملهم الأموال علىٰ النصف، وقالوا: نحن أعلم بها منكم وأعمر لها. فصالحهم رسول الله علىٰ النصف، علىٰ أنّا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم. وصالحه أهل فدك علىٰ مثل ذلك.

فكانت أموال خيبر فيئاً بين المسلمين، وكانت فدك خالصة لرسول الله (صلّى الله عليه وآله)، لأنّهم لم يوجفوا عليها بخيل ولا ركاب.

ولمّا اطمأنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أهدت له زينب بنت الحارث زوجة سلّام بن مشكم، وهي ابنة أخي مرحب، شاة مصليّة[2]، وقد سألت: أيّ عضو من الشاة أحبّ إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقيل لها: الذراع. فأكثرت فيها السمّ، وسممت سائر الشاة. ثمّ جاءت بها: فلمّا وضعتها بين يديه، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة، وانتهش منها، ومعه بشر بن البراء بن معرور فتناول عظماً فانتهش منه فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «ارفعوا أيديكم، فإنّ كتف هذه الشاة تخبرني أنّها مسمومة». ثمّ دعاها، فاعترفت، فقال: «ما حملك علىٰ ذلك»؟

قالت: بلغتَ من قومي ما لم يخف عليك، فقلتُ: إنْ كان نبيّاً فسيُخْبَر، وإن كان ملكاً استرحت منه. فتجاوز عنها رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ومات بشر بن البراء من أكلته الّتي أكل وقيل أنه أمر بقتلها قوداً ببشر.

قال: ودخلت أُمّ بشر بن البراء علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)

(١) أي يبعدهم وينفيهم من أرضهم.
(٢) أي مشوية.

تعوده في مرضه الّذي توفّي فيه، فقال (صلّى الله عليه وآله): «يا أُمّ بشر، ما زالت أكلة خيبر الّتي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني، فهذا أوان قطعت أبهري».

فكان المسلمون يرون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مات شهيداً، مع ما أكرمه الله به من النبوّة.

واستشهد من المسلمين في هذه الغزوة واحدٌ وعشرون رجلاً، علىٰ ما ذكر ابن إسحاق وابن هشام وغيرهم. وقُتِلَ من اليهود ثلاثة وتسعون علىٰ ما ذكر علاء الدين مغلطاي في «سيرته» ص٦٣ ط مصر

ووافق وصول جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة يوم فتح خيبر، فتلقّاه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقبّل جبهته، وقال: «والله، ما أدري بأيّهما أفرح، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر».

قال جعفر: فاسهم لنا، وما قسم لأحدٍ غاب عن فتح خيبر شيئاً إلّا لمن شهد معه، إلّا أصحاب سفينتنا.

وإليك مقطعاً من قصيدة الشيخ محمد كاظم الازري البغدادي المتوفى سنة ١٢٠١ هـ في ما يخص غزوة خيبر.

ولـه يوم (خـيبر) فتكـات ... كبرت منـظراً علىٰ من رآهـا
يوم قال النـبـي إني لأعطي ... رايتي ليثـهـا وحـامـي حماهـا
فاستـطالت أعنـاق كل فريق ... ليروا أي ماجـد يعـطاهـا
فدعـا أين وراث الـعلم والحلم ... مجير الايام من بأسـاهـا
أين ذو النجـدة الـذي لودعتـه ... في الـثـريا مروعـة لبـاهـا
فأتـاه الـوصـي أرمـد عين ... فسـقـاه من ريقـه فشـفـاهـا
ومضىٰ يطلب الـصـفـوف فولت ... عنـه علماً بأنـه أمـضـاهـا
وبـرىٰ (مـرحـباً) بكف اقتـدار ... أقـوياء الاقـدار من ضعفـاهـا

ودحـا بابهـا بقـوة بأس لو حمتهـا الافـلاك منه دحاها
عائـد للمـؤمـلّين مجيب سامـع ما تسـر من نجـواهـا

وقال السيد الحميري في القصيدة المذّهبة:

ولـه بخـيبر إذ دعـاه لرايةٍ ردّت عليه هنـالـك أكـرم منقب
إذ جاء حاملهـا فأقبـل متعبـاً يهوي بها العـدوي أو كالمتـعب
يهوي بها وفـتىٰ اليهـود يشله كالـثـور ولي من لواحق أكلب
غضـب الـنـبـي لها فأنّبـهُ بها ودعـا أخـا ثقـة لكهـل منجب

إلىٰ إن قال:

ومضىٰ فأقبـل مرحب متـذمـراً بالـسـيف يخطر كالهـزبر المغضب
فتخـالسـا مهـج النفوس فأقلعـا عن جري أحمـر سائـل من مرحب
فهـوىٰ بمختلف القنـا متجـدلاً ودم الجـبـين بخـده المـنـترب
أجـلىٰ فوارسـه وأجـلىٰ رجـله عن مقـعص بدمـائـهِ متـخـضب

وللسيد محسن الأمين هذه الأبيات بالمناسبة:

وفي خيبر فردا براية أحمـد يجبـن بعض بعـضـهـم ما لهم صبر
فقـال سأعـطي رايتي من يحوزهـا بحقٍ ومن من دأبـه الكـر لا الفـر
يحب إلهـي والإلـه يحبـه فتىً في يديه النجـح والفتـح والنصر
تطاولـت الاعنـاق من ذا يحوزهـا فمن حازهـا يعلو له الشـأن والقـدر
فأين عليّ ساعـدي قيل أرمـد فكـان دواه الـريق وأنمصـح الضـر
إلهـي عنـه الحـر والـبرد قصـه فما ضره من بعـد برد ولا حر
فسـار بها نحـو اليهـود مهـرولاً فنـالتهم البؤسىٰ وعمهم الـذعـر
تنـادوا أخـو عمـرو أتـاكم أتـاكم ففـروا سراعـاً راجعـين ومـا فروا
وعـاجـل بالسيف المهنـد مرحباً وقـد قدمتـه الهـام والبيضـة الصخر

فتح مكّة

كانت الهـدنـة بين رسـول الله (صلّى الله عليه وآله) وبين قريش عام الحديبية في ذي القعدة سنة ست من الهجرة وكانت مدتها عشر سنين، فدخلت خزاعة في عقد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حليفةً، كما كانت مع جده عبد المطلب من قبل، ودَخلت بنو بكر في عقد قريش، وكان لبني بكر ثأر علىٰ خزاعة في الجاهلية، فاتفقوا مع جماعةٍ من قريش وعدَوا علىٰ خزاعة، فقتلوا منهم عشرين رجلاً ليلاً علىٰ ماءٍ يدعىٰ الوتير، وجاء أربعون رجلاً من خزاعة يشكون إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) واخبروه بذلك، فقال (صلّى الله عليه وآله): «لا نصرت إن لم أنصر خزاعة مما أنصر منه نفسي»، وندمت قريش علىٰ ما صنعت، وعلمت أنه نقضٌ للعهد، فأرسلوا أبا سفيان إلىٰ المدينة. ولما انتهىٰ إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) طلب منه تجديد العهد بينهما ويزيد في أمده.

فقال له النبي (صلّى الله عليه وآله): «أهذا جئت يا أبا سفيان؟

قال: نعم.

قال: فهل حدث عندكم ما يوجب ذلك؟

قال: معاذ الله فنحن علىٰ موقفنا وصلحنا يوم الحديبية لا نغيّر ولانبدّل.

وقام من مجلس النبي ودخل علىٰ ابنتهِ رمَلة المكناة بأُم حبيبة، وكان النبي قد تزوج منها وهي بالحبشة بعد وفاة زوجها، فلما أراد الجلوس علىٰ الفراش الذي يجلس عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) طوته دونه، فقال لها: أرغبت بهذا الفِراش عني، أم رغبت بي عنه؟

فقالت: بل هو فراش رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأنت امرؤ نجس مشرك.

فقال لها: لقد أصابَكِ بَعدي شر يا أُم حبيبة.

فقالت له: إن الله هداني بالإسلام، وأنت سيد قريش وكبيرهم، وما أدري كيف تتنكر للإسلام وتعبد حجراً لا يسمع ولا يبصر ولا يغني شيئاً؟

فقال لها: وهذا أعجب منك، تريدين أن أترك دين آبائي وأتبع دين محمد؟ ثم قام من بيتها وقد استولىٰ عليه الغضب من هذا الموقف الذي لم يكن يترقبه من أقرب الناس إليه. (ابنته).

وجاء في كتب السيرة والتاريخ إن أبا سفيان ذهب إلىٰ أبي بكر، وعمر، وعثمان، يستعين بهم علىٰ اقناع النبي بتجديد العهد وزيادة أمده، فلم يجد منهم تجاوباً علىٰ ذلك، ورفضوا مراجعة النبي بهذا الخصوص.

ثم دخل علىٰ فاطمة الزهراء (عليها السلام) وطلب منها أن تجيره كما أجارت أختها زينب زوجها أبا العاص بن الربيع يوم كان مشركاً، علىٰ حد تعبير الراوي، فأبت عليه أن تتدخل بشيء من هذا النوع مع أبيها، وظل يُصِرُّ عليها ويتوسل إليها بولديها الحسن والحسين، وبقيت علىٰ موقفها السلبي منه:

وذهب بعدها الىٰ علي (عليه السلام)، وعرض عليه نفس الشيء الذي عرضه علىٰ غيره، فقال له ويحك يا أبا سفيان إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عزم أن لا يفعل، وليس أحد يستطيع أن يكلمه في شيء يكرهه. ولما يئس منه أبو سفيان طلب منه أن يشير عليه بما ينفعه، فقال له: إني لا أرىٰ لك إلّا أن تقوم فتجير بين الناس فإنك من سادة كنانة، ومع ذلك فإني لا أظن أن ذلك يجديك شيئاً، فخرج أبو سفيان وصاح علىٰ ملأ من الناس ألا وإني قد أجرت بين الناس، ودخل علىٰ النبي وأخبره بذلك، ثم قال له: إني لا اظنك ترد جواري يا

محمد، فقال له النبي: أنت تقول ذلك.

وركب أبو سفيان ناقته متجهاً نحو مكّة، وكانت قد طالت غيبته فظنت قريش بأنه قد دخل في الإسلام، ولما انتهىٰ إلىٰ مكّة واجتمع عليه الناس أخبرهم بما جرىٰ له في رحلته، وبما أشار به علي بن أبي طالب عليه، فقالوا له: لقد لعب فيك علي بن أبي طالب، واعتبرته قريش فاشلاً في رحلته، وساورها الخوف من النبي محمد (ص) ولكنها انطوت علىٰ نفسها، وظلت تراقب ما ستتجلي عنه الأيام القادمة.

ولما عزم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علىٰ غزو مكّة، كان تدبيره بتكتم وسرية، ولم يكن أحد من الناس يظن أنه يريد قريشاً، وكانت تحركاته توحي إلىٰ الناس أنه يريد غيرها من الأعراب الذين لا يزالون علىٰ شركهم، كبني سليم، وهوازن، وثقيف، وغيرها، حِرصاً منه علىٰ أن لا تدخل مكّة في حساب أحد. فقد أرسل أبا قتادة في جماعة من أصحابه إلىٰ مكان يدعىٰ البطن، ليوهم الناس إنه متجه إلىٰ تلك الجهات.

ومع هذا التحفظ الشديد وتكتمه عن سائر الناس ما عدا أبي بكر وبعض الخاصة من أصحابه كما يدعي المؤلفون في السيرة النبوية فقد تسرب نبأ مسيرته إلىٰ حاطب بن بلتعة ـ وكان من المسلمين ـ فكتب إلىٰ قريش يخبرهم بالذي عزم عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأعطىٰ الكتاب إلىٰ امرأة من مزينة وأعطاها مبلغاً من المال مقابل إيصال كتابه لقريش، فوضعت الكتاب في رأسها وفتلت عليه قرونها، وخرجت بإتجاه مكّة، فنزل الوحي علىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) يخبره بما صنع حاطب، فاستدعىٰ بذلك أمير المؤمنين (عليه السلام) وقال له: أن بعض أصحابي قد كتب إلىٰ أهل مكّة يخبرهم بخبرنا، والكتاب مع إمرأة سوداء، ثمَّ استدعىٰ الزبير بن العوام وقال له: أمض مع علي بن أبي طالب، وأمرهما أن يَجِدَّ السير في طلب المراة قبل أن تفوتهما.

فخرجا مسرعين حتّىٰ أدركاها بذي الحُلَيْفَة، علىٰ أميال من المدينة، وسبق

إليها ابن الزبير فسألها عن الكتاب الذي معها، فانكرته وحلفت أنه لا شيء معها وبكت، فقال الزبير: ما أرىٰ يا أبا الحسن معها كتاب، فارجع بنا إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لنخبره ببراءة ساحتها. فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): يخبرني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن معها كتاباً ويأمرني بأخذه منها وتقول أنت أنه لا كتاب معها؟

ثم اخترط السيف وتقدم إليها فقال: أما والله لإن لم تخرجي الكتاب لاكشفنك، ثم لأضربن عنقك، فقالت له: أن كان لا بدّ من ذلك فاعرض يا ابن أبي طالب بوجهك عني، فأعرض بوجهه عنها، فكشفت قناعها وأخرجت الكتاب من عقيصتها ودفعته إليه، فأخذه أمير المؤمنين وصار به إلىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله). فنادىٰ الصلاة جامعة فاجتمعوا حتّىٰ امتلأ بهم المسجد ثم صعد المنبر وأخذ الكتاب بيده وقال:

أيها الناس: لقد سألت الله أن يخفي أخبارنا عن قريش، وأن رجلاً منكم كتب إلىٰ أهل مكّة يخبرهم بخبرنا، فليقم صاحب الكتاب قبل أن يفضحه الوحي.

فلم يقم أحد، فلما أعاد النبي (صلّى الله عليه وآله) مقالته قام حاطب بن بلتعة وهو يرتعد كالسعفة في مهب الريح وقال أنا صاحب الكتاب يا رسول الله. ومضىٰ يعتذر ويقول: والله أني لمسلم مؤمن بالله ورسوله ما غيرت ولا بدلت ـ وفي رواية وما أحدثت نفاقاً بعد إسلامي ولا شكاً بعد يقيني.

قال (صلّى الله عليه وآله): فما حملك علىٰ ذلك؟

قال: ولكني كنت أمرأ ليس لي في القوم أصل ولا عشيرة، وأصبح لي بين أظهرهم أهل وولد، فصانعتهم. فأمر النبي بإخراجه من المسجد، فجعل الناس يدفعونه في ظهره حتّىٰ أخرجوه وهو يلتفت إلىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) ولا يتكلم، فرق له وأرجعه إلىٰ المسجد، وقال له: قد عفوت عنك وعن جرمك

فاستغفر ربك ولا تعد لمثله.

ولما تم تجهيز الجيش خرج النبي (صلّى الله عليه وآله) من المدينة في العشرة الأُولىٰ من شهر رمضان سنة ثمانية من الهجرة، في عشرة آلاف مقاتل من المهاجرين والأنصار وغيرهم من القبائل المتاخمة، كأسلَم، وغِفار، ومُزينة، وجُهينَة، وأشجعَ، وسُليم، وغيرهم، ومعهم نحو من ألف فارس، وعقد للمهاجرين ثلاثة ألوية، فأعطىٰ علياً (عليه السلام) لواءً وأعطىٰ للزبير ولسعد بن أبي وقاص لكل واحدٍ لواء، ووزع الألوية والرايات علىٰ الباقين، فأعطىٰ لكل قبيلة لواء لرجلٍ منها، وكان العباس بن عبد المطلب، ومخرمة بن نوفل، قد خرجا من مكّة يريدان المدينة وهما يظنان أن النبي (صلّى الله عليه وآله) لا يزال فيها، فلقياه في السقيا فمضىٰ العباس ورفيقه مع النبي، وأرسل العباس أهله وَنقلَه إلىٰ المدينة.

ودخل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مكة من أعلاها، وأعطىٰ الراية يوم الفتح سعد بن عبادة، وأمره أن يدخل مكّة أمامه، فغلظ سعد علىٰ القوم واظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، وهو يقول:

اليوم يوم الملحمة اليوم تسبىٰ الحرمة

فسمعها العباس فقال للنبي (صلّى الله عليه وآله) أما تسمع يا رسول الله ما يقول سعد بن عبادة وإني لا آمن أن يكون له في قريش صولة، فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): أدرك سعداً فخذ الراية منه وكن أنت الذي تدخل بها مكّة، فأدركه علي (عليه السلام) فأخذها منه ولم يمتنع منه عليه سعد من دفعها، فحملها الإمام وهو يقول:

اليوم يوم المرحمة اليوم تصان الحرمة

وفي رواية كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قد خطط لدخول مكّة من جهاتها الأربع، ودخل علي (عليه السلام) باللواء من الجهة التي دخلها النبي

(صلّى الله عليه وآله)، كما نص على ذلك جماعة من المؤرخين. ونزل (صلّى الله عليه وآله) بالأبطح وضربت له خيمة بالحجون وخرج منها إلى الحرم، ولما انتهى إلى الكعبة تقدم وهو على راحلته فأستلم الركن وكبّر، فكبّر المسلمون لتكبيره حتّى ارتجت مكة، ثم طاف بالبيت على راحلته ومحمد بن سلمة آخذٌ بزمامها، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً مرصوصة بالرصاص، وكان هُبَل أعظَمها وهو باتجاه الكعبة من ناحية بابها، واسافه، ونائلة، حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، فجعل كلما مر بصنم منها يشير بقضيب في يده ويقول: ﴿جَاءَ الحَقُّ وَزَهَقَ الباطِلُ إنّ الباطِلَ كَانَ زَهُوقاً﴾ فيقع الصنم لوجهه، ثم أمر بهُبل فكُسرّ وهو واقف عليه والمشركون فوق الجبال ينظرون ثم جلس النبي (صلّى الله عليه وآله) ناحية من نواحي المسجد وأرسل بلالاً إلى عثمان بن طلحة يطلب منه مفتاح الكعبة وكان المفتاح بيد أمه، فأخذ منها المفتاح فجاء به إلى النبي (صلّى الله عليه وآله)، ولما تناوله بسط العباس يده وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله إجمَع لنا بين السقاية والحجابة، فقال: إني أعطيكم ما ترضون فيه، ولا أعطيكم ما ترزؤون منه.

ثمَّ أمر أن تفتح الكعبة فَفُتِحَت له ودَخلا، وكانت التماثيل والصور قد ملأت جدرانها من الداخل، فأمر من كان معه أن لا يدَع صورةً ولا تمثالاً إلّا محاه، ولما أزال كل ما كان فيها، وصلّى فيها خرج منها وأخذ بعضادتي الباب وأشرف على الناس ومَعه مفتاحها، وأهل مكّة قيام تحته، وبعضهم جلوس على الأرض، فقال: (صلّى الله عليه وآله):

«الحمد لله الذي صدق وعده، ونصَر عبده، وهزم الأحزاب وحده، الا إنّ كل مأثرةٍ أو دمٍ أو رباً في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين، إلّا سدانة الكعبةِ وسِقايَة الحاج».

ثمَّ التفت الى قريش وقال:

«يا معشر قريش: إنّ الله قد أذهب نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء؛ الناس لآدم وآدم من تراب، ثم تلا هذه الآية قوله تعالى: ﴿يا أيها الناسُ إنا خَلَقْناكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْناكُم شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنّ أكرَمَكُم عِنْدَ اللهِ أتْقاكُم﴾».

ووجه حديثه إلى المكيين ثانيةً وسألهم: ماذا ترونَ أني فاعل بكم وتظنون؟ قالوا: أخٌ كريم وابن أخٍ كريم، وقد قدرت واصبحَ أمرنا بيدك، فقال: إني أقول لكم: ما قاله أخي يوسف لإخوته، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. إذهبوا فأنتم الطُلَقاء.

واطمأن المكّيون على مصيرهم بعد هذا الإعلان، وبعد أن أصبحوا في قبضته وتحت قدميه، وحياتهم جميعاً رهن بكلمةٍ واحدةٍ يوجهها لتلك الألوف المدججة بالسلاح القادرة على إبادتهم جميعاً في لحظات معدودات، ولكنه بُعث رحمة للعالمين، فعفا عنهم وضرب بذلك للعالم كله وللأجيال في كل عصر وزمان مثلاً رائعاً في الرحمة والعفو والترفع عن الحِقد والانتقام.

ثم إستدعى عثمان بن طلحة وسَلّمه مفتاح الكعبة، وقال: خذوها يا بني طلحة خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلّا ظالم. وانتقلت سدانة الكعبة من بعده إلى أخيه شيبة، وتوارثها أولاده من بعده، والظاهر لحد الآن.

بهذه الصورة الموجزة وصفنا لك عزيزي القارئ حديث وقصة فتح مكّة والذي يعتبر من أهم المنعطفات المهمة في تاريخ الاسلام.

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في الجزء الأول من هذه الموسوعة في الحلقة الأولى من سلسلة المصطفى والعترة، فراجع والله ولي التوفيق.

* * *

غزوة حُنَين

تقع منطقة حُنَين في وادٍ بين سلسلة جبالٍ شاهقة بين مكّة والطائف، بينها وبين مكّة ثلاث ليالٍ، وتسكنها عشائر هوازن وثقيف وجماعات متفرّقة من بني نصر وبني جُشَم وغيرهم.

وحدثت هذه المعركة في شوال في عام الفتح ـ أي فتح مكّة ـ وكان في السنة الثامة من الهجرة، وقيل إنّها كانت في يومٍ مطير.

وسأذكر هنا قصّة هذه الغزوة معتمداً في إيرادها على مصادر كثيرة، منها إرشاد الشيخ المفيد ص٧٤ ـ٨٠ تفسير القمّي ج١ ص٢٨٥ ـ ٢٨٨، اعلام الورى: ١١٣ ـ ١٢١، مجمع البيان ج٥ ص٢٦ ـ ٣١، بحار الأنوار ج٢١ ص١٤٦ ـ ١٨٥، طبقات ابن سعد ج٣ ص١٤٩ ـ ١٥٧، مغازي الواقدي ج٣ ص٨٨٥ ـ ٩٢٢، تاريخ الطبري ج٣ ص١٢٥ ـ ١٣٢، سيرة ابن هشام ج٤ ص٨٠ ـ ١٢٠.

وقد جمعت فيما بين رواياتهم فجاءت بصيغة واحدة جامعة نافعة إن شاء الله:

كان سبب غزوة حنين أنّ هوازن جمعت له جمعاً كثيراً. فذُكِرَ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّ صفوان بن أُميّة عنده مائة درع، فسأله ذلك، فقال: أغصباً يا محمّد؟ فقال: لا، ولكن عارية مضمونة، قال: لا بأس بهذا، فأعطاه.

فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ألفين من مكّة وعشرة آلاف كانوا معه، فظنّ بعضهم أنّهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدّتهم وسلاحهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال: لن نغلب اليوم من قلّة. وكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّوا واعانهم أبو بكر بعجبه بهم.

وأقبل مالك بن عوف النصريّ فيمن معه من قبائل قيس وثقيف، فبعث رسول الله عبد الله بن أبي حدرد عيناً فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن، إنّكم أحدُّ العرب وأعدّهم، وإنّ هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم، واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتىٰ ابن أبي حدرد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره.

فقال عمر: كذب.

فقال ابن حدرد: والله، لئن كذّبتني لربّما كذّبت بالحق يا عمر، فقد كذّبت مَن هو خيرٌ منّي ـ يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ.

فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟!

فقال: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر، وابن أبي حدرد صادق».

قال الصادق (عليه السلام): وكان مع هوازن دُرَيْد بن الصِّمَّة[1]، خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمّنون برأيه، فلمّا نزلوا بأوطاس[2] قال: نِعْمَ مَجَالُ الخَيْل، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ، ولا سَهْلٌ دَهِسٌ[3]، مالي اسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير؟

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم.

قال: فأين مالك؟

فدعي مالك له فأتاه، فقال: يا مالك، أصبحت رئيس قومك وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيّام، مالي أسمع رغاء[4] البعير، ونهاق الحمير، وبكاء

(١) من شعراء العرب وفرسانهم، كان شجاعاً، عاش نحواً من مائتي سنة، وقتل كافراً في هذه الغزوة.

(٢) وادٍ في ديار هوازن.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الأرض الخشنة. والدهس المكان السهل اللين، ليس

غزوة حُنَين

تقع منطقة حُنَين في وادٍ بين سلسلة جبالٍ شاهقة بين مكّة والطائف، بينها وبين مكّة ثلاث ليالٍ، وتسكنها عشائر هوازن وثقيف وجماعات متفرّقة من بني نصر وبني جُشَم وغيرهم.

وحدثت هذه المعركة في شوال في عام الفتح ـ أي فتح مكّة ـ وكان في السنة الثامنة من الهجرة، وقيل إنّها كانت في يومٍ مطيرٍ.

وسأذكر هنا قصّة هذه الغزوة معتمداً في إيرادها على مصادر كثيرة، منها إرشاد الشيخ المفيد ص٧٤ ـ ٨٠ تفسير القمّي ج١ ص٢٨٥ ـ ٢٨٨، اعلام الورى: ١١٣ ـ ١٢١، مجمع البيان ج٥ ص٢٦ ـ ٣١، بحار الأنوار ج٢١ ص١٤٦ ـ ١٨٥، طبقات ابن سعد ج٣ ص١٤٩ ـ ١٥٧، مغازي الواقدي ج٣ ص٨٨٥ ـ ٩٢٢، تاريخ الطبري ج٣ ص١٢٥ ـ ١٣٢، سيرة ابن هشام ج٤ ص٨٠ ـ ١٢٠.

وقد جمعت فيما بين رواياتهم فجاءت بصيغة واحدة جامعة نافعة إن شاء الله:

كان سبب غزوة حنين أنّ هوازن جمعت له جمعاً كثيراً. فذُكِرَ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) أنّ صفوان بن أُميّة عنده مائة درع، فسأله ذلك، فقال: أغصباً يا محمّد؟ فقال: لا، ولكن عارية مضمونة، قال: لا بأس بهذا، فأعطاه.

فخرج رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في ألفين من مكّة وعشرة آلاف كانوا معه، فظنّ بعضهم أنّهم لن يغلبوا لما شاهدوه من جمعهم وكثرة عدّتهم وسلاحهم، وأعجب أبا بكر الكثرة يومئذ فقال: لن نغلب اليوم من قلّة. وكان الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّوا واعانهم أبو بكر بعجبه بهم.

وأقبل مالك بن عوف النصريّ فيمن معه من قبائل قيس وثقيف، فبعث رسول الله عبد الله بن أبي حدرد عيناً فسمع ابن عوف يقول: يا معشر هوازن، إنّكم أحدُّ العرب وأعدّهم، وإنّ هذا الرجل لم يلق قوماً يصدقونه القتال، فإذا لقيتموه فاكسروا جفون سيوفكم، واحملوا عليه حملة رجل واحد. فأتى ابن أبي حدرد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فأخبره.

فقال عمر: كذب.

فقال ابن حدرد: والله، لئن كذّبتني لربّما كذّبت بالحق يا عمر، فقد كذّبت مَن هو خيرٌ منّي ـ يعني رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ـ.

فقال عمر: ألا تسمع يا رسول الله ما يقول ابن أبي حدرد؟!

فقال: «قد كنت ضالاً فهداك الله يا عمر، وابن أبي حدرد صادق».

قال الصادق (عليه السلام): وكان مع هوازن دُرَيْد بن الصِّمَّة[1]، خرجوا به شيخاً كبيراً يتيمّنون برأيه، فلمّا نزلوا بأوطاس[2] قال: نِعْمَ مَجَالُ الخَيْل، لا حَزْنٌ ضَرِسٌ، ولا سَهْلٌ دَهِسٌ[3]، مالي اسمع رُغاء البعير، ونهاق الحمير، وبكاء الصغير؟

قالوا: ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم وذراريهم.

قال: فأين مالك؟

فدعي مالك له فأتاه، فقال: يا مالك، أصبحت رئيس قومك وإنّ هذا يوم كائن له ما بعده من الأيّام، مالي أسمع رغاء[4] البعير، ونهاق الحمير، وبكاء

---

(١) من شعراء العرب وفرسانهم، كان شجاعاً، عاش نحواً من مائتي سنة، وقتل كافراً في هذه الغزوة.

(٢) وادٍ في ديار هوازن.

(٣) الحزن: ما غلظ من الأرض. والضرس: الأرض الخشنة. والدهس المكان السهل اللين، ليس

الصغير، وثغاء الشاء[1]؟

قال: أردتُ أن أجعلَ خلف كلّ رجل أهله وماله ليقاتل عنهم.

قال: ويحك لم تصنع شيئاً، قدَّمت بيضة هوازن في نحور الخيل، وهل يردّ وجه المنهزم شيء! إنّها إنْ كانت لك لم ينفعك إلّا رجل بسيفه ورمحه، وإنْ كانت عليك فضحت في أهلك ومالك.

قال: إنّك قد كبرت وكبر عقلك[2].

فقال دريد: إن كنت قد كبرت فتورث غداً قومك ذلّاً بتقصير رأيك وعقلك، هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه.

ثمّ قال: حرب عوان:

يا ليتني فيها جذع[3] أخبُّ فيها وأضع[4]

قال جابر: فسرنا حتّىٰ إذا استقبلنا وادي حنين، كان القوم قد كمنوا في شعاب الوادي ومضايقه، فما راعنا إلّا كتائب الرجال بأيديها السيوف والعمد والقنا، فشدّوا علينا شدّة رجل واحد، فانهزم الناس راجعين لا يلوي أحد علىٰ أحد، وأخذ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) ذات اليمين. ولم يبق منهم مع النبيّ (صلّى الله عليه وآله) إلّا عشرة أنفس: تسعة من بني هاشم خاصّة، وعاشرهم أيمن بن أُمّ أيمن، فقتل أيمن (رحمة الله عليه)، وثبتت التسعة الهاشميّون حتّىٰ ثاب إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مَن كان انهزم، فرجعوا أوّلاً فأوّلاً حتّىٰ تلاحقوا، وكانت لهم الكرّة علىٰ المشركين.

(١) الثغاء: صياح الشاة.

(٢) أي أصابه ضعف الكبر، وفي رواية: وذهب علمك وعقلك. وفي أُخرىٰ: وساخ علمك.

(٣) أي ليتني كنت شاباً.

(٤) الخبب: ضرب من العَدو، وأضع: أسرع في السير.

وفي ذلك أنزل الله تعالىٰ وفي إعجاب أبي بكر بالكثرة:

﴿ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فَلَمْ تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثمّ وليتم مدبرين * ثمّ أنزل الله سكينته علىٰ رسوله وعلىٰ المؤمنين﴾[1].

يعني أمير المؤمنين عليّاً (عليه السلام) ومَن ثبت معه من بني هاشم، وهم يومئذٍ ثمانية، أمير المؤمنين (عليه السلام) تاسعهم: العبّاس بن عبد المطّلب عن يمين رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، والفضل بن العبّاس عن يساره، وأبو سفيان بن الحارث ممسك بسرجه عند نفر بغلته، وأمير المؤمنين (عليه السلام) بين يديه يضرب بالسيف، ونوفل بن الحارث، وربيعة بن الحارث، وعبد الله بن الزبير بن عبد المطّلب، وعتبة ومعتّب ابنا أبي لهب حوله، وقد ولّت الكافّة مدبرين سوىٰ مَن ذكرناه.

وفي ذلك يقول مالك بن عبادة الغافقي:

لم يواس النبي غير بني ها ... شم عند السيوف يوم حنين
هرب الناس غير تسعة رهطٍ ... فهم يهتفون بالناس أين
ثمّ قاموا مع النبي علىٰ الموت ... فأتوا زيناً لنا غير شين
وسوىٰ أيمن الأمين من القوم ... شهيداً فاعتاض قرّة عين

وقال العبّاس بن عبد المطّلب في هذا المقام:

نصرنا رسول الله في الحرب تسعةً ... وقد فرّ من قد فرّ عنه فأقشعوا
وقولي إذا ما الفضل شدّ بسيفه ... علىٰ القوم أُخرىٰ يا بنيّ ليرجعوا
وعاشرنا لاقي الحمام بنفسه ... لما ناله في الله فلم يتوجّع

(١) سورة التوبة/٢٥ ـ ٢٦.

يعني به أيمن بن أُمّ أيمن (رحمه الله).

وروى شيخ الطائفة الطوسي (قدس سرّه) في أماليه ج١٨٧/٢ بإسناده إلىٰ المغيرة بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطّلب، عن أبيه، عن جدّه نوفل أنه كان يحدِّث عن يوم حنين قال:

فرَّ الناس جميعاً وأعروا[1] رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، فلم يبق معه إلّا سبعة نفر من بني عبد المطّلب: العبّاس، وابنه الفضل، وعليّ، وأخوه عقيل، وأبو سفيان، وربيعة ونوفل بنو الحارث بن عبد المطّلب، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) مصلت سيفه في المجتلد، وهو علىٰ بغلته الدلدل، وهو يقول:

أنـا الـنـبـيّ لا كذب أنـا ابـن عبـد المـطّلب

قال الحارث بن نوفل: فحدّثني الفضل بن العبّاس قال: التفت العبّاس يومئذ وقد أقشع الناس عن بَكرة أبيهم، فم يَرَ علياً فيمن ثبت، فقال: شوهة بوهة[2] أفي مثل هذه الحال يرغب ابن أبي طالب بنفسه عن رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وهو صاحب ما هو صاحبه؟ يعني المواطن المشهورة له.

فقلت: نقّص قولك لابن أخيك يا أبه.

قال: ما ذاك، يا فضل؟

قلت: أما تراه في الرعيل الأوّل؟! أما تراه في الرهج[3]؟

قال: أشعره لي يا بنيَّ.

قلت: ذو كذا وكذا، ذو البُردة.

قال: فما تلك البرقة؟

(١) أي تركوه.

(٢) هما كلمتا استنكار وتقريع، الشوهة: القبح، والبوهَ: اللعن.

(٣) أي غبار المعركة.

قلت: سيفه يزيّل[1] به بين الأقران.

فقال: برّ بن برّ، فداه عمّ وخال.

قال: فضرب عليٌّ يومئذ أربعين مبارزاً، كلّهم يقدّه حتّىٰ أنفه.

قال: وكانت ضرباته مبتكرة[2].

ولمّارأىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) هزيمة القوم عنه قال للعبّاس، وكان رجلاً جهوريّا صيّتاً[3]: «نادِ بالقوم، وذكّرهم العهد».

فنادىٰ العبّاس بأعلىٰ صوته: يا أهل بيعة الشجرة، يا أصحاب سورة البقرة، إلىٰ أين تفرّون؟ اذكروا العهد الّذي عاهدتم عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله). والقوم علىٰ وجوههم قد ولّوا مدبرين.

وكانت ليلة ظلماء، ورسول الله (صلّى الله عليه وآله) في الوادي، والمشركون قد خرجوا عليه من شعاب الوادي، وجنباته ومضايقه، مصلتين سيوفهم وعمدهم وقسيّهم.

قال: فنظر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ الناس ببعض وجهه في الظلماء فأضاء كأنّه القمر ليلة البدر، ثمّ نادىٰ المسلمين: «أين ما عاهدتم الله عليه»؟ فأسمع أوّلهم وآخرهم، فلم يسمعها رجل إلّا رمىٰ بنفسه إلىٰ الأرض فانحدروا إلىٰ حيث كانوا من الوادي، حتّىٰ لحقوا بالعدوّ فقاتلوه.

قالوا: وأقبل رجل من هوازن علىٰ جمل أحمر، بيده راية سوداء في رأس رمح طويل أمام القوم، إذا أدرك ظفراً من المسلمين أكبّ عليهم، وإذا فاته الناس

(١) أي يفرِّق.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ج١/ ١٤٩: وفيه «كانت ضربات عليٍّ مُبتكرات لا عُواناً» أي أنّ ضربته كانت بكراً يقتل بواحدة منها، لا يحتاج أن يعيد الضربة ثانياً.

(٣) أي كان صوته شديداً عالياً.

رفعه لمن وراءه من المشركين، فاتّبعوه وهو يرتجز ويقول:

أنـا أبـو جرول لا براحُ حتّـىٰ نبـيح الـقـوم أو نبـاحُ

فصمد له أمير المؤمنين (عليه السلام) فضرب عجز بعيره فصرعه، ثمّ ضربه فقطّره، ثمّ قال:

قد علم الـقـوم لدىٰ الـصبـاح أنّي في الهـيجـاء ذو نصـاح

فكانت هزيمة المشركين بقتل أبي جرول ـ لعنه الله ـ.

ثمّ التأم المسلمون وصفّوا للعدّو، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «اللّهمّ إنّـك أذقت أوّل قريش نكـالاً، فأذق آخرها نوالاً» وتجالد المسلمون والمشركون. فلمّا رآهم النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قام في ركابَي سرجه، حتّىٰ أشرف علىٰ جماعتهم، ثمّ قال: «الآن حمي الوطيس»[1].

وعن موسىٰ بن عقبـة قال: قام رسـول الله (صـلّى الله عليه وآله) في الركابين وهو علىٰ البغلة فرفع يديه إلىٰ الله يدعوا ويقول: «اللّهمّ إنّي أُنشدك ما وعدتني، اللّهمّ لا ينبغي لهم أن يظهروا علينا».

ونادىٰ أصحابه وذمرهم: «يا أصحاب البيعة يوم الحديبية الله الله الكرّة علىٰ نبيّكم».

وقيل: إنّه قال: «يا أنصار الله وأنصار رسوله يا بني الخزرج» فأقبل إليه أصحابه سراعاً يبتدرون.

قال سلمة بن الأكوع: ونزل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن البغلة،

(١) قال ابن الأثير في النهاية ج٥/ ٢٠٤: الوطيس: شِبْه التنُّور، وقيل: هو الضراب في الحرب، ولم يُسْمَع هذا الكلام من أحدٍ قبل النبي (صلّى الله عليه وآله)، وهو من فصيح الكلام، عَبَّر به عن اشتباك الحرب وقيامها علىٰ ساق.

ثمّ قبض قبضة من تراب، ثمّ استقبل به وجوههم وقال: «شاهت الوجوه» فما خلق الله منهم إنساناً إلّا ملأ عينه تراباً بتلك القبضة، فولّوا مدبرين، وأتبعهم المسلمون فقتلوهم، وغنمهم الله نساءهم وذراريهم وشاءهم وأموالهم. وفرّ مالك بن عوف حتّىٰ دخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه. وأسلم عند ذلك كثير من أهل مكّة حين رأوا نصر الله وإعزاز دينه.

ولمّا قَتَل أمير المؤمنين (عليه السلام) أبا جرول، وخذل القوم بقتله، وضع المسلمون سيوفهم فيهم، وأمير المؤمنين (عليه السلام) يقدمهم، حتّىٰ قتل بنفسه أربعين رجلاً من القوم، ثمّ كانت الهزيمة والأسر حينئذ.

وكان أبو سفيان صخر بن حرب بن أُميّة في هذه الغزاة، فانهزم في جملة مَن انهزم من المسلمين.

وروي عن معاوية بن أبي سفيان أنّه قال: لقيت أبي منهزماً مع بني أُميّة من أهل مكّة، فصحت به: يا ابن حرب، والله ما صبرت من ابن عمّك، ولا قاتلت عن دينك، ولا كففت هؤلاء الأعراب عن حريمك.

فقال: مَن أنت؟ قلت: معاوية.

قال: ابن هند؟ قلت: نعم.

وما زال المسلمون يقتلون المشركين ويأسرون منهم، حتّىٰ ارتفع النهار، فأمر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالكفّ، ونادىٰ أن لا يقتل أسير من القوم.

وكانت هذيل بعثت رسولاً يقال له: ابن الأكوع أيّام الفتح عيناً علىٰ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حتّىٰ علم علمه، فجاء إلىٰ هذيل بخبره، وأُسر يوم حنين فمرَّ به عمر بن الخطّاب، فلمّا رآه أقبل علىٰ رجل من الأنصار وقال: هذا عدوّ الله الّذي كان علينا عيناً، ها هو أسير فاقتله. فضرب الأنصاريّ عنقه، وبلغ ذلك النبيّ (صلّى الله عليه وآله) فكره ذلك، وقال: «ألم آمركم أن لا تقتلوا أسيراً»؟!

وقتل بعده جميل بن معمّر بن زهير وهو أسير، فبعث رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ الأنصار وهو مغضب فقال: «ما حملكم علىٰ قتله وقد جاءكم الرسول أن لا تقتلوا أسيراً»؟! فقالوا: إنّما قتلناه بقول عمر. فأعرض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) حتّىٰ كلّمه عمير بن وهب في الصفح عن ذلك.

قال: وقد كان فيمن سبي أُخته الشيماء بنت حليمة، فلمّا قامت علىٰ رأسه قالت: يا محمّد أُختك سبي بنت حليمة.

قال: فنزع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) برده فبسطه لها فأجلسها عليه، ثمّ أكبّ عليها يسائلها، وهي الّتي كانت تحضنه لمّا كانت أُمّها ترضعه.

وكان فيما قالت له: يا محمّد، أنسيت عضتك حينما كنتُ حاملتك علىٰ صدري؟! وكشفت له عن كتفها، وأرته إيّاها فتبسّم ـ بأبي وأُمي ـ وقال لها: لا ما نسيت.

ثمّ أكرمها وردَّ عليها مالها، فقالت: لا والله، ما أقبل حتّىٰ تردَّ علىٰ قومي أموالهم، وتطلق أسرهم. وكانوا قد أجبروا علىٰ الخروج لمحاربته، ويقولون: إنّ محمّداً ابننا فلا نخرج لقتاله. فأجابها إلىٰ ما طلبت منه إكراماً لها بعد أن استرضىٰ أصحابه.

يذكّرني هذا الموقف بموقفٍ آخر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) حينما جيء بالسبايا من طيء، وكانت من بينهم (سفانة بنت حاتم الطائي) فأكرمها بعدما عرفها، وردَّ عليها وعلىٰ قومها أموالهم وأطلق أسراهم، إكراماً لأبيها، علىٰ الرغم من أنّه مات مشركاً، وذلك لخصلة الكرم فيه، وقال قولته المشهورة: «أكرموا عزيز قومٍ ذل، وغنياً افتقر، وعالماً ضاع بين جهّال».

فلمّا شاهدت ابنة حاتم الطائي هذا الكرم وحُسن المعاملة، قالت: يا محمّد، هذا عطاء مَن لا يخاف الفقر.

فقال: «أدّبني ربّي» أو «هكذا علّمني ربّي فأحسن تعليمي».

فقالت: دعني أدعو لك.

فقال (صلّى الله عليه وآله) لأصحابه: انصتوا لدعائها وأمّنوا.

فقالت: يا محمّد، جعل الله برّك في مواضعه، ولا جعل الله لك عند لئيم حاجة، وما سلب الله نعمة عبدٍ إلّا وجعلك سبباً في ردِّها عليه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): آمين.

هذا موقفٌ من أصحاب الشيم والنبل والكرم وطيب الأرومة، ولننظر إلىٰ موقف بني أُميّة المتّصف بالخزي والعار من عقيلة بني هاشم وصريخة عبد المطّلب بعد معركة الطف المأساوية، فهلّا أكرموها، وهي حفيدة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وابنة فاطمة الزهراء (صلوات الله عليها)، وهم يدّعون كذباً وزوراً أنّهم مِن أُمته ومن رعيته، أين هم من الإسلام الذي أظهروه، ما كان أحراهم أن يظهروا الكفر والنفاق الذي أبطنوه.

ولنِعْمَ ما قال الشاعر:

ملكنا فكان العفو منّا سجيّةً ... ولمّا ملكتم سال بالدم أبطحُ
فحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكلُّ إناءٍ بالذي فيه ينضَحُ
وحلّلتم قتل الأسارىٰ وطالما ... عفونا عن الأسرىٰ نعف ونصفحُ

ونرجع في الحديث إلىٰ حيث انتهينا.

وأدرك وفد هوازن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بالجعرانة وقد أسلموا، فقالوا: يا رسول الله، لنا أصل وعشيرة، وقد أصابنا من البلاء ما لم يخفَ عليك، فامنن علينا مَنَّ الله عليك. وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال:

يا رسول الله، إنّا لو ملكنا الحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثمّ ولِيَ منّا مثل الّذي ولّيت لعاد علينا بفضله وعطفه، وأنت خير المكفولين، وإنّما في الحظائر خالاتك وبنات خالاتك، وحواضنك، وبنات حواضنك اللاتي أرضعنك،

ولسنا نسألك مالاً إنّما نسألكهنّ.

وقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) قسّم منهنّ ما شاء الله، فلمّا كلّمته أُخته قال: أمّا نصيبي ونصيب بني عبد المطّلب فهو لكِ، وأمّا ما كان للمسلمين فاستشفعي بي عليهم.

فلمّا صلّوا الظهر قامت فتكلّمت، وتكلّموا، فوهب لها الناس أجمعهم إلاّ الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن، فإنّهما أبيا أن يهبا، وقالوا: يا رسول الله، إنّ هؤلاء القوم قد أصابوا من نسائنا، فنحن نصيب من نسائهم مثل ما أصابوا.

فأقرع رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بينهم، ثمّ قال: «اللّهمّ توّه سهميهما» فأصاب أحدهما خادماً لبني عقيل، وأصاب الآخر خادماً لبني نمير.

قال: وكلّمته أُخته في مالك بن عوف، فقال: إن جاءني فهو آمن. فأتاه فردَّ عليه ماله، وأعطاه مائة من الإبل.

وقسم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) غنائم حنين في قريش خاصّة، وأجزل القسم للمؤلفة قلوبهم، كأبي سفيان صخر بن حرب، وعكرمة بن أبي جهل، وصفوان بن أُميّة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو، وزهير بن أبي أُميّة، وعبد الله بن أُميّة، ومعاوية بن أبي سفيان، وهشام بن المغيرة والأقرع بن حابس، وعيينة بن حصن في أمثالهم.

وقيل: إنّه جعل للأنصار شيئاً يسيراً، وأعطى الجمهور لمن سمّيناه. فغضب قوم من الأنصار لذلك، وبلغ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عنهم مقال أسخطه، فنادى فيهم فاجتمعوا وقال لهم: اجلسوا، ولا يقعد معكم أحد من غيركم. فلمّا قعدوا جاء النبيّ (صلّى الله عليه وآله) يتبعه أمير المؤمنين (صلوات الله عليهما) حتّى جلس وسطهم وقال لهم: إنّي سائلكم عن أمر فأجيبوني عنه.

فقالوا: قل: يا رسول الله.

قال: «ألستم كنتم ضالّين فهداكم الله بي؟».

فقالوا: بلىٰ، فللّه المنّة ولرسوله.

قال: «ألم تكونوا علىٰ شفا حفرة من النار فأنقذكم الله بي؟».

قالوا: بلىٰ، فللّه المنّة ولرسوله.

قال: «ألم تكونوا قليلاً فكثّركم الله بي؟».

قالوا: بلىٰ، فللّه المنّة ولرسوله.

قال: «ألم تكونوا أعداء فألّف الله بين قلوبكم بي؟».

قالوا: بلىٰ، فللّه المنّة ولرسوله.

ثمّ سكت النبيّ (صلّى الله عليه وآله) هنيئة ثمّ قال: «ألا تجيبوني بما عندكم؟».

قالوا: بم نجيبك، فداؤك آباؤنا وأُمّهاتنا، قد أجبناك بأنّ لك الفضل والمنّ والطول علينا؟

قال: «أما لو شئتم لقلتم: وأنتَ قد كنت جئتنا طريداً فآويناك، وجئتنا خائفاً فآمنّاك، وجئتنا مكذّباً فصدقّناك».

فارتفعت أصواتهم بالبكاء، وقام شيوخهم وساداتهم إليه فقبّلوا يديه ورجليه، ثمّ قالوا: رضينا بالله وعنه، وبرسوله وعنه، وهذه أموالنا بين يديك، فإن شئت فاقسمها علىٰ قومك، وإنّما قال مَن قال منّا علىٰ غير وغر[1] صدر، وغلّ في قلب، ولكنّهم ضنّوا سخطاً عليهم وتقصيراً لهم، وقد استغفروا الله من ذنوبهم، فاستغفر لهم يا رسول الله.

فقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): «اللّهمّ اغفر للأنصار ولأبناء الأنصار، ولأبناء أبناء الأنصار. يا معشر الأنصار أما ترضون أن يرجع غيركم بالشّاء والنعم، ورجعتم أنتم وفي سهمكم رسول الله؟».

---

(١) الوغر: الحقد والضغينة والعداوة.

قالوا: بلىٰ رضينا.

قال النبيّ (صلّى الله عليه وآله) حينئذٍ: «الأنصار كرشي وعيبتي[1]، ولو سلك الناس وادياً وسلكتْ الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللّهمّ أغفر للأنصار».

وقد كان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أعطىٰ العبّاس بن مرداس أربعاً من الإبل، فسخطها، وأنشأ يقول:

أتجعل نهبي ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرعِ
فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخي في المجمعِ
وما كنت دون امرئ منهما ... ومن تضع اليوم لم يرفعِ

فبلغ النبيّ (صلّى الله عليه وآله) قوله فاستحضره وقال له: أنتَ القائل: أتجعل نهبي ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة؟

فقال له أبو بكر: بأبي أنت وأُمّي لست بشاعر.

فقال: وكيف؟

قال: قال: بين عيينة والأقرع[2].

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) لأمير المؤمنين (عليه السلام): قم يا عليّ واقطع لسانه.

قال: فقال العبّاس بن مرداس: والله، لهذه الكلمة كانت أشدّ عليّ من

(١) أراد أنّهم بطانته وموضع سرّه وأمانته، والذين يَعتمد عليهم في أُموره. واستعار الكرش والعيبة لأنّ الأوّل يجمع فيه الأكل والعلف، والثاني توضع فيه الثياب وما شابه ذلك. وقيل: أراد بالكرش الجماعة، يقال: عليه كرشٌ من الناس أي جماعة.

(٢) تعمَّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) التقديم والتأخير ليغيِّر القافية، ولئلّا يجري على لسانه الشعر، فلم يفهم أبو بكر ذلك.

يوم خثعم حين أتونا في ديارنا، فأخذ بيدي عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فانطلق بي، ولو أدري أنّ أحداً يخلّصني منه لدعوته، فقلت: يا عليّ، إنّك لقاطع لساني؟! قال: إنّي لمضٍ فيك ما أُمرت، قال: ثمّ مضىٰ، فما زال بي حتّىٰ أدخلني الحظائر فقال لي: اعتد ما بين أربع إلىٰ مائة.

قال: فقلت: بأبي أنت وأُمي، ما أكرمكم وأحلمكم وأعلمكم.

قال: فقال: إنّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أعطاك أربعاً وجعلك مع المهاجرين، فإن شئت فخذها. وإن شئت فخذ المائة وكن من أهل المائة.

قال: قلت: أشر عليّ.

قال: فإنّي آمرك أن تأخذ ما أعطاك رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وترضىٰ. قلت: فإني أفعل.

ولمّا قسّم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) غنائم حنين أقبل رجل طويل آدم أحنىٰ، بين عينيه أثر السجود، فسلّم ولم يخصّ النبيّ (صلّى الله عليه وآله)، ثمّ قال: قد رأيتك وما صنعتَ في هذه الغنائم.

قال: وكيف رأيت؟

قال: لم أرك عدلت.

فغضب رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وقال: ويلك، إذا لم يكن العدل عندي فعند مَن يكون؟

فقال المسلمون: ألا نقتله؟

قال: «دعوه، فإنّه سيكون له أتباع يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلهم الله علىٰ يد أحبّ الخلق إليه من بعدي».

فقتله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) فيمن قتل يوم النهروان من الخوارج. والظاهر أنّه كان ذا الثدية رأس الخوارج.

ورواها الزهري بلفظٍ آخر، عن أبي سلمة، عن أبي سعيد الخدريّ قال:

بينا نحن عند رسول الله وهو يقسّم إذ أتاه ذو الخويصرة، رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، أعدل.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «ويلَكَ مَن يعدل إنْ أنا لم أعدل؟ وقد خبتُ، أو خسرتُ، إنْ أنا لم أعدل».

فقال عمر بن الخطّاب: يا رسول الله، إئذن لي فيه أضرب عنقه.

فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «دعه، فإنّ له أصحاباً يحقّر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلىٰ نصله فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر إلىٰ رصافه فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر إلىٰ نضيّه، وهو قدحه، فلا يوجد فيه شيء، ثمّ ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدىٰ عضديه مثل ثدي المرأة، أو مثل البضعة، تدردر، يخرجون علىٰ خير فرقة من الناس».

قال أبو سعيد: فأشهد أنّي سمعت هذا من رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأشهد أنّ عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) قاتَلَهُمْ وأنا معه، وأمر بذلك الرجل فالتُمِسْ، فوجِد، فأُتي به حتّىٰ نظرت إليه علىٰ نعت رسول الله الّذي نعت.

وهـذا متـواتر مشهور بين الفريقين، متّفق علىٰ صحّته، ولعليٍّ أتعرّض لمصادره وتفصيل قصته في معركة النهروان. إن شاء الله.

قال الشيخ المفيد (قدّس سرّه) في الإرشاد ص ٧٨ بعد أن روىٰ وقائع غزوة حنين.

فانظر إلىٰ مناقب أمير المؤمنين (عليه السلام) في هذه الغزاة، وتأمّلها، وفكّر في معانيها، تجده (عليه السلام) قد تولّىٰ كلّ فضلٍ كان فيها، واختصّ من ذلك بما لم يشركه فيه أحد من الأُمّة. وذلك أنّه (عليه السلام) ثبت مع رسول الله

(صلّى الله عليه وآله) عند انهزام كافّة الناس، إلّا النفر الذين كان ثبوتهم بثبوته، (عليه السلام)، وذلك إنّا قد أحطنا علماً بتقدُّمه في الشجاعة والبأس والصبر والنجدة علىٰ العبّاس والفضل ابنه وأبي سفيان بن الحارث والنفر الباقين، لظهور أمره في المقامات التي لم يحضرها أحد منهم، واشتهار خبره في منازلة الأقران، وقتل الأبطال، ولم يُعرف لأحدٍ من هؤلاء مقام من مقاماته، ولا قتيلٌ عزي إليهم بالذكر. فعُلِمَ بذلك أنّ ثبوتهم كان به (عليه السلام)، ولولاه كانت الجناية علىٰ الدين لا تتلافىٰ، وأنّ بمقامه ذلك المقام، وصبره مع النبي (صلّى الله عليه وآله) كان رجوع المسلمين إلىٰ الحرب، وتشجعهم في لقاء العدو.

ثمّ كان مِن قتله أبا جرول متقدّم المشركين، ما كان هو السبب في هزيمة القوم وظَفَرِ المسلمين بهم. وكان مِن قتله (عليه السلام) الأربعين الذين تولّىٰ قتلهم الوهن علىٰ المشركين، وسبب خذلانهم وهلعهم وظَفَر المسلمين بهم.

وكان من بليّة المتقدم عليه في مقام الخلافة من بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) أن أعان المسلمين بإعجابه بالكثرة؛ وكانت هزيمتهم بسبب ذلك؛ أو كان أحدُ أسبابها.

ثمّ كان من صاحبه من قتل الأسارىٰ من القوم، وقد نهىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) عن قتلهم ما ارتكب به عظيم الخلاف لله ـ تعالىٰ ـ ولرسوله، حتّىٰ أغضبه ذلك وأسفه وأنكره وأكبره.

وكان من صلاح أمر الأنصار بمعونة النبي (صلّى الله عليه وآله) في جمعهم وخطابه ما قوّىٰ به الدين، وزال له الخوف من الفتنة التي أضلّت القوم بسبب القسمة، فساهم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) في فضل ذلك، وشركه فيه دون مَن سواه.

وتولّىٰ من أمر العبّاس بن مرداس ما كان سبب استقرار الإيمان في قلبه، وزوال الريب في الدين من نفسه، والإنقياد إلىٰ رسوله (صلّى الله عليه وآله) في

الطاعة لأمره والرضا بحكمه.

ثمّ جعل رسول الله (صلّى الله عليه وآله) الحكم على المعترض في قضائه عَلَماً على حقِّ أمير المؤمنين (عليه السلام) في فعاله وصوابه في ضروبه، ونبَّه على وجوب طاعته وخطر معصيته، وأنَّ الحقَّ في حيزه وجنبيه، وشهد له بأنّه خير الخليقة.

وهذا بيان ما كان من خصومه الغاصبين لمقامه من الفعال، ويضاد ما كانوا عليه من الأعمال، ويخرجهم من الفضل إلى النقص الذي يوبق صاحبه أو يكاد، فضلاً عن سُمُوِّه على أعمال المخلصين في تلك الغزاة وقربهم بالجهاد الذي تولّوه، فبانوا به ممَّن ذكرناه بالتقصير الذي وصفناه.

وإليك مقطع من قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي بالمناسبة:

ومن المهتدي بيوم «حنين» ... حين غاوي الفرار قد اغواها
حيث بعض الرجال تهرب من بيـ ... ـض المواضي والبعض من قتلاها
حيث لا يلتوي إلى الإلف إلفٌ ... كل نفس أطاشها ما دهاها
من سقاها في ذلك اليوم كأساً ... فايضاً بالمنون حتى رواها
اعجب القوم كثرة العد منها ... ثمّ ولت والرعب حشو حشاها
وقفوا وقفة الذليل وفروا ... من أسود الشرى فرار مهاها
وعليّ يلقى الالوف بقلب ... صوّر الله فيه شكل فناها
إنما تفضل النفوس بجد ... وعلى قدره مقام علاها
لو تراه وَجودهُ مستباح ... قبل كشف العفاة سر عفاها
خلت من أعظم السحائب سحباً ... سقت الروض قبل ما استسقاها
وهو للدائرات دائرة السعد ... ألا ساء حظ من ناواها

الفصل السابع
عودة على بدء
حجة الوداع

بحلول شهر ذي القعدة الحرام من السنة العاشرة من الهجرة، أعلن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) عن عزمه زيارة بيت الله الحرام لأداء الحج حَسبما أنزل الله ـ سبحانه وتعالى ـ عليه، وما كاد نبأ هذه الرحلة ينتشر في المدينة وخارجها حتى أقبل الناس من كل حَدَبٍ وصوب يهرَعون إلى المدينة المنورة للإلتحاق بالركب الميمون، وضُرِبَت الخيام لعشرات الألوُف من المسلمين.

وفي الخامس والعشرين من ذي القعدة تحرك الركب المبارك محاطاً بتلك الجموع المؤلفة التي قدّر تعدادها بعض المؤرخين بتسعين ألفاً، والبعض الآخر قَدّره بما يزيد على المائة ألف انسان، يحدوهم الأيمان، وتملأ قلوبهم المحبة الصادقة، والغبطة بهذا اللقاء الذي لم يشهد تاريخ العرب نظيراً له من قبل، إنّه لقاءٌ بين العرب وغيرهم من المسلمين، تجمعهم راية واحدة، وهدف واحد، وهم يرددون نفس الكلمات والشعارات التي أعلن عنها الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) وجاهد من أجلها، وهي:

لبيك اللّهمّ لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك لبيك.

وأخرج معه جميع نسائه وابنته فاطمة الزهراء (عليها السلام)، وأعد لكل واحدة منهم هودجاً تختص به.

وفي الإرشاد: أن النبي (صلّى الله عليه وآله) قبل خروجه إلى مكّة بأيام

كتب إلىٰ علي (عليه السلام) في اليمن، وكان قد أرسله علىٰ رأس جماعة إلىٰ بني مذحج، ليوافيه إلىٰ مكّة حاجاً، فخرج أمير المؤمنين (عليه السلام)، من اليمن بمن معه من الجيش، ومعه الحُلل والهدايا التي استلمها من نجران، واسرع ليلتقي بالنبي (صلّى الله عليه وآله) قبل دخوله مكّة، فأدركه وقد أشرف علىٰ دخولها، فسلم عليه وأخبره بما صنع ، وبما معه من الغنائم والحُلَلَ، فسرّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بذلك وابتهج بلقائه، وقال له: «بم أهللت ياعلي»؟ فقال: يا رسول الله لم تكتب إليَّ بإهلالِك فعقدت نيتي بنيتك، وقلت اللّهم إهلالاً كأهلال نبيك، وسقت معي من البدن اربعاً وثلاثين بدَنة، فقال (صلّى الله عليه وآله) الله أكبر قد سِقتُ أنا ستاً وستين، وأنت شريكي في حَجي ومناسكي وهدَيي، فأقم علىٰ إحرامك.

ودخل النبي (صلّى الله عليه وآله) مكّة في الخامس من شهر ذي الحجة، من باب كدَه ـ وهي إحدىٰ مداخل مكّة ـ وضرب خيامه بالأبطح في منطقة الحجون[1]، ومضىٰ حتّىٰ انتهىٰ إلىٰ باب شيبة، فدخل المسجد وطاف بالبيت سبعة أشواط، ثم صلّىٰ خلف مقام إبراهيم (عليه السلام)، وسعىٰ بين الصفا والمروة بمن معه من المسلمين، وهو يقرأ الآية الكريمة: ﴿**إنّ الصفا والمروة من شَعائِر الله**﴾[2] إلىٰ آخرها وأتم جميع مناسكه، وقبل خروجه إلىٰ عرفات خطب الناس ووعظهم، وبَيّن لهم أحكام الحج وما يتعلق بها، وهي مكتوبة في كتب السير والتاريخ.

وفي صبيحة التاسع من ذي الحجة نزل بعرفات، فلما كان وقت **الظهر** أمر بناقته فركبها، ووقف في وسط الجموع المحتشدة وخطب الناس خطبته

(١) المنطقة المحيطة بمقابر قريش حالياً.

(٢) البقرة/١٥٨.

المعروفة، وبقي بعرفات حتّىٰ غربت الشمس، ثم ركب ناقته ومضىٰ حتّىٰ أتىٰ المزدلفة ـ المشعر الحرام ـ، فصلىٰ بها المغرب والعشاء بأذان واقامتين ولم يفصل بينهما، وبات فيها، فلما أصبح أفاض منها إلىٰ منىٰ، ومضىٰ فرمىٰ جمرة العقبة ونحر الهدَي.

وجاء في أكثر المؤلفات والسِيَر: إنّه خطَب الناس يوم النحر خطاباً جامعاً.

هذا ملخص ما ذكرناه مفصلاً في الجزء الثاني من كتابنا «**علي في الكتاب والسنة**» وكذلك في موسوعة السلسلة الذهبية (**المصطفىٰ والعترة**) الحلقة الأُولىٰ «**محمّد رسول الله (صلّى الله عليه وآله)**» فصل حجة الوداع فراجع.

وجاء في تاريخ ابن كثير: إنّ النبي (صلّى الله عليه وآله) كان يخطب وعليٌ (عليه السلام) يذيع خطابه علىٰ الناس بصوت يسمعه الجميع.

ولمّا أتم النبي (صلّى الله عليه وآله) والمسلمون مناسكهم في منىٰ [أيام التشريق] خرجوا منها فنزلوا المُحصّب وباتوا ليلتهم فيه، وعند السَحر أمر النبي (صلّى الله عليه وآله) بالرحيل، فركب هو وأصحابه ودخل مكّة فطاف بها طواف الوداع وأتجه إلىٰ المدينة، حتّىٰ وصل غدير خم يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، قبل الجحفة ـ وسيأتيك شرح أحداث يوم الغدير والبيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) أميراً للمؤمنين، وخليفةً لرسول رب العالمين، إن شاء الله تعالىٰ.

* * *

يوم الغدير

قال الله سبحانه وتعالىٰ في مُحكم كتاب المجيد: ﴿**يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ اِلَيكَ مِن رَبِكَ وَإن لَم تَفْعَل فما بَلَّغتَ رسَالَتَـهُ واَللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَاس**﴾.

هذه الآية المباركة نزلت تَحمِلُ أمراً من السماء بتتويج الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، بإمرة المؤمنين، والخلافة العُظمىٰ، والإمامَةِ العامة، علىٰ المسلمين كافة، وأنذر رسوله العظيم أن لم يبلّغ ما أُمِرَ به، كأنه لم يُبلّغ رسالته، وأخيراً قال ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

وهذا البحث من أهم البحوث الإسلامية، التي خاضها المُسلِمونَ منذ صدوره إلىٰ يومنا هذا، وقد كُتِبَ حول هذا الموضوع بالذات، وحول الإمامة والخلافة بصورة عامة ما قد جاوز العَدّ والضبط والإحصاء من اثباتٍ، أوردٍّ، أو مناقشةٍ، أو ما يدور في هذا الفلك.

ومما يدهش اللبِّيب إنّ بعض المسلمين بعد اعترافهم بإقامة الأدلة الكافية، والبراهين الشافية، والحُجَج القاطعة، علىٰ صحة خلافة علي بن أبي طالب وثبوت إمرة المؤمنين له (عليه السلام)، وبعد المناقشة في سند الحديث ودلالة متنه ومفهومه قال: إنّ علياً هو الأفضل ولكن غيره أصلح؟؟ سبحان الله، هذه الكلمة تُضْحِكُ الثَكلىٰ؟ لأن معناها: إنَّ الله ورَسوله ما كانا يعرفان الأصلح؟ أو كانا يعرفانه ولكنهما قدّما غير الأصلح، نعوذ بالله من الباطل، وخطل الرأي، والهُجر.

ولنا أن نذكر الواقعة بصورة موجزة، ثم ننظر إلىٰ أين ينتهي بنا البحث؟:

لمّا قَضىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) مناسكهُ قفل راجعاً إلىٰ المدينة

ومعه من كان من الجموع الغفيرة، ووصل إلىٰ منطقةٍ قريبة من الجحفة تسمىٰ بغدير خُم حيث تتشعب طرق المدنيين، والمصريين، والعراقيين، وذلك في يوم الخميس الثامن عشر من ذي الحجة، كما أسلفت، فنزل الأمين جبرائيل عن الله سبحان وتعالىٰ بقوله:

﴿**يا أيها الرَّسُولُ بَلِّغْ ما أُنْزِلَ اِلَيكَ مِن رَبِّكَ**﴾ إلىٰ آخر الآية.

وأمره أن يقيم علياً علماً للناس، ويبلّغهم ما نزل فيه من الولاية وفرض الطاعة علىٰ كل أحد، وكان أوائل القوم قريباً من الجحفة، فأمر رسول الله أن يُردّ من تقدم منهم، ويُحبَس من تأخر عنهم في ذلك المكان، ونهىٰ عن سمراتٍ خمس متقاربات، دوحاتٍ عِظام أن ينزل تحتهن أحَد، حتّىٰ إذا أخذ القوم منازلهم فقمّ (كنس) ما تحتهن حتّىٰ إذا نودي بالصلاة، صلاة الظهر ثم عمد اليهن فصلّىٰ بالناس تحتهن، وكان يوماً هاجراً، يضع الرجل بعض ردائه علىٰ رأسه، وبعضه تحت قدمَيه من شدّة الرّمضاء، وظُلِلّ لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) بثوب علىٰ شجرة سمرة من الشمس، فلما إنصرف (صلّى الله عليه وآله) من صلاته قام خطيباً وسط القوم علىٰ اقتاب الإبل وأسمَع الجميع، رافعاً عقيرته فقال:

الحمد لله ونستعينه ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونعوذ بالله [تعالىٰ] من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، الذي لا هادي لمن أضل، ولا مضل لمن هدىٰ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله ـ أما بعد ـ :

أيها الناس قد نبأني اللطّيف الخبير أنّه لم يعمّر نبي إلاّ نصف عمر الذي قبله، وأني أُوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون، فماذا أنتم قائلون؟

قالوا: نشهد أنك قد بلّغت ونصحت وجاهدت فجزاك الله خيراً.

قال: ألستم تشهدون أن لا آله إلاّ الله، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن

جنته حق وناره حق، وأن الموت حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور؟

قالوا: بَلَىٰ نشهدُ بذلك.

قال: اللّهم أشهد.

ثمَّ قال: أيها الناس ألا تسمعون؟

قالوا: نعم.

قال: فإني فرط علىٰ الحوض وأنتم واردون عليَّ الحوض، وإنّ عرضه ما بين صنعاءَ وبصُرىٰ فيه أقداح عدد النجوم من فضة. فأنظروا كيف تخلفوني في الثقلين.

فنادىٰ منادٍ: وما الثقلان يا رسول الله؟

قال: الثقل الأكبر كتاب الله طرف بيد الله ـ عزَّ وجلّ ـ وطرف بأيديكم فتمسكوا به لا تضلوا. والأخر الأصغر، عترتي، وأن اللّطيف الخبير نبأني إنهما لن يفترقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض فسألت ذلك لهما ربي، فلا تقدموهما فتهلكوا، ولا تقصّروا عنهما فتهلكوا.

ثمَّ أخذ بيد علي فرفعها حتّىٰ رؤي بياض آباطهما وعرفه القوم أجمعُون ـ فقال: أيها الناس من أولىٰ الناس بالمؤمنين من أنفسهم؟ فمن كنت مولاه فعلي مولاه، ـ يقولها ثلاث مرات ـ، وفي لفظ أحمد إمام الحنابلة: أربع مرات. ثم قال: «اللّهم والِ مَن والاه، وعادِ مَن عاداه، وأحب مَن أحبه، وأبغض مَن أبغضه، وانصر مَن نصره، واخذل من خذله، وأدر الحق معه حيث دار، ألا فليبلِّغ الشاهد الغائب».

وقد ذكروا لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) خطبة مفصلةً جداً رواها الطبرسي في الإحتجاج، ورواها غيره في كتبهم بغير تفصيل، ولما فرغ (صلّى الله عليه وآله) من خطبته نزل وأمر المسلمين أن يبايعوا علياً بالخلافة ويسلموا عليه

بإمرة المؤمنين فتهافت عليه الناس يبايعونه. وجاء الشيخان: أبو بكر وعمر إلىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقالا: هذا أمر منك أم مِنَ الله؟ فقال النبي (صلّى الله عليه وآله): وهل يكون هذا عن غير أمر الله؟ نعم أمرٌ مِن الله ورسوله فقاما وبايعا، وسلما عليه بإمرة المؤمنين فقالا: السلام عليك يا أمير المؤمنين بخٍ بخٍ لك يابن أبي طالب أصبحت مولاي ومولىٰ كل مؤمنٍ ومؤمنة؟؟

هذه الواقعة من أشهر الحوادث بين المفسرين، والمحدثين، والمؤرخين، وتعتبر عندهم من أصح الأحاديث لتواتر الروايات الواردة فيها. ويروىٰ أن الحضور كان ينيف علىٰ المائة ألف وقد نظم الشعراء والأُدباء علىٰ اختلاف مِلَلهم ونِحَلِهم ولغاتهم قصائد متينة اشتهرت علىٰ مر القرون ـ وقد ذكرت ذلك مفصلاً في الجزء الأول من هذه السلسلة «المصطفىٰ والعترة». كما ذكرت ذلك في الجزء الثاني من كتابنا ـ علي في الكتاب والسنّة ـ في فصل عيد الغدير، فراجع.

وبهذه المناسبة اذكر قسماً من أبيات شاعر النبي (صلّى الله عليه وآله) حسان بن ثابت التي ألقاها ارتجالاً في يوم الغدير ـ بعد أن استأذن من النبي (صلّى الله عليه وآله) حيث قام وقال: يا رسول الله أقول في عليّ شعراً؟

فقال النبي (صلّى الله عليه وآله) إفعل.

فقال يا معشر مشيخة قريش اتبعها بشهادةٍ من رسول الله، في الولاية ماضية.

ثم قال:

يناديهم يوم الغدير نبيهم	بِخُمٍّ وأسمع بالرسول منادياً
وقد جاءه جبريل عن أمر ربه	بأنك معصوم فلاتك وانياً
وبَلِّغهُم ما أنزل الله ربهم	إليك ولا تخشىٰ هناك الأعاديا
فقام به إذ ذاك رافع كفه	بكف علي معلن الصوت عالياً

فقال: فمن مولاكم ووليكم؟ فقالوا ولم يبدوا هناك تعاميا
إلهك مولانا وأنت ولينا ولن تجد فينا لك اليوم عاصيا
فقال له: قم يا علي فإنني رضيتك من بعدي إماماً وهاديا
فمن كنت مولاه فهذا وليّه فكونوا له أنصار صدقٍ مواليا
هناك دعا: اللّهم وال وليه وكن للذي عادىٰ علياً معاديا
فيا رب أنصر ناصريه لنصرهم امام هدىٰ كالبدرِ يجلوا الدياجيا

فلمّا فرغ حسان من هذه القصيدة قال له النبي (صلّى الله عليه وآله): «لا تزال ياحسّان مؤيداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك».

وقد ذكرنا ذلك مفصلاً في تفسير الآية في الجزء الأوّل ص٨١ وفي الجزء الثاني من كتابنا ـ علي في الكتاب والسنّة ـ وكذلك في الجزء الأول، من السلسلة الذهبية ـ المصطفىٰ والعترة ـ.

* * *

اكمال الدين

ولما انتهت البيعة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) بإمارة المؤمنين، وتُوِّجَ بخلافة رسول رب العالمين، هبَط الأمين جبرئيل علىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله) بهذه الآية المباركة: ﴿اَلْيَومَ أكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الإِسْلامَ ديناً﴾

فقد اتفقت كلمة المفسرين والمحدثين من علماء الشيعة علىٰ نزول هذه الآية في يوم الغدير، بعد انتهاء البيعة لعليّ (عليه السلام) بإمرة المؤمنين، ومن روىٰ ذلك من أعلام القوم وحفاظهم ومحدثيهم عدد كبير لا يستهان بـه ـ وقد أدرجت ستة عشر مصدراً بمعنىٰ واحد وألفاظ متقاربة، منهم، الطبري، وابن كثير، والخطيب البغدادي، والحاكم الحَسكاني، وابن عساكر، وابن المغازلي، والخوارزمي، وابن الجوزي، والسيوطي، والحموئي، والبدخشي، وغيرهم.

نزول العذاب

ولما انتشر خبر واقعة الغدير، وشاع في البلاد فبلغ ذلك الحارث ابن النعمان الفهري، [وكان من أجلاف العَرب]، أتىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علىٰ ناقةٍ له حتىٰ أتىٰ الأبطح، فنزل عن ناقته فأناخها، فقال: يا محمد أمرتنا عن الله أن نشهد أن لا إله إلّا الله، وأنك رسول الله فقبلنا، وأمرتنا أن نصلي [لله] خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه، وأمرتنا بالحج فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتىٰ رفعت بضبع ابن عمك، ففضلته علينا وقلت: من

كنتُ مولاه فعلي مولاه، فهذا شيء منك أم مِنَ الله [عزَّ وجلَّ]؟ فقال: والذي لا إله إلّا هو إنّ هذا مِن الله. فولىٰ الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهمّ إن كان ما يقول محمد حقاً فامطر علينا حجارة من السماء أو إئتنا بعذاب أليم. فما [استتم كلامه] ووصل إليها ـ راحلته ـ حتّىٰ رماه الله تعالىٰ بحجرٍ فسقط علىٰ هامته وخرج من دبره فقتله، وأنزل الله ـ عزَّ وجلَّ ـ هذه الآية: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ * مِنَ اللهِ ذِي المَعَارِجِ﴾[1].

هذا الحادث جزء من ردّ الفعل الذي كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يتخوف منه في تبليغ آية الولاية والتي قال عنها سبحانه ﴿والله يعصمك من الناس﴾.

وقد روىٰ نزول هذه الآية في شأن الحارث بن النعمان الفهري، عدد كبير من مفسري وأعلام القوم وحفاظهم في صحاحهم ومسانيدهم، وقد ذكرنا تسعة وعشرين مصدراً ومفسراً في الجزء الثاني من كتابنا ـ علي في الكتاب والسنّة ـ كما ذكرنا ذلك في الجزء الأول من هذه الموسوعة ـ (المصطفىٰ والعترة) ـ فراجع.

أمّا المفسرون والمحدثون من علماء فقه أهل البيت ـ الشيعة ـ فلا يشك منهم أحد في نزول هذه الآية في شأن الحارث بعد استنكاره واقعة الغدير.

مقطع من قصيدة المرحوم الشيخ محمد كاظم الأزري البغدادي في ما يخص يوم غدير خم:

«وبخم» ماذا جرىٰ يوم خم ... تلك اكرومة ابت أن تضاهىٰ
ذاك يوم من الزمان أبانت ... ملة الحق فيه عن مقتداها
كم حوىٰ ذلك «الغدير» نجوما ... ما جرت أنجم الدجىٰ مجراها

(١) سورة المعارج.

اذ رقىٰ منبر الحدايج هاد ... طاول السبعة العلىٰ برقاها
موقفاً للانام في فلوات ... وعرات بالقيظ يشوىٰ شواها
أيها الناس حدثوا اليوم عني ... وليبلغ ادنىٰ الورىٰ اقصاها
كل نفس كانت تراني مولىٰ ... فلتر اليوم حيدراً مولاها
رب هٰذي أمانة لك عندي ... وإليك الأمين قد أداها
وال من لا يرىٰ الولاية إلّا ... لعلي وعاد من عاداها

حكي عن العلّامة السيد باقر الهندي المتوفىٰ سنة ١٣٢٩ هـ أنّه رأىٰ في المنام الحجة صاحب الأمر عجل الله فرجه، ليلة الغدير حزيناً كئيباً فقال له يا سيدي مالي أراك في هذا اليوم حزيناً والناس في فرح وسرور بعيد الغدير فقال (عليه السلام) ذكرت أمي الزهراء وحزنها ثم قال:

لا تراني اتخذت لا وعلاها ... بعد بيت الأحزان بيت سرور

ولما انتبه السيد (قدس سره) نظم قصيدة في يوم الغدير وما جرىٰ بعدها علىٰ جدته فاطمة الزهراء (عليها السلام) بعد ابيها وضمنها هذا البيت وهي محفوظة وهذا مطلعها:

كل غدر وقول افك وزور ... هو فرع عن جحد نص الغدير
فتبصّر تبصر هداك إلىٰ الحق ... فليس الأعمىٰ به كالبصير
ليس تعمىٰ العيون لكنما تعمىٰ ... القلوب التي أنطوت في الصدور
يوم أوحىٰ الجليل يأمر طه ... وهو سار أن مر بترك المسير
حطّ رحل السرىٰ علىٰ غير ماء ... وكلا في الفلا وحر الهجير
ثم بلغهم وإلا فما بلغت ... وحياً عن اللطيف الخبير
أقم المرتضىٰ اماماً علىٰ الخلق ... ونوراً يجلو دجىٰ الديجور

فرقى آخذاً بكف علي ... منبراً كان من حدوج وكور
ودعا الملأ حضور جميعاً ... غيب الله رشدهم من حضور
ان هذا أميركم وولي ... الأمر بعدي ووارثي ووزيري
هو مولىٰ لكل من كنت مولا ... ه من الله في جميع الأمور
فأجابوا بألسن تظهر الطا ... عة والغدر مضمر في الصدور
بايعوه وبعدها طلبوا البيعة ... منه لله ريب الدهور
اسرعوا حين غاب أحمد للغدر ... وخافوا عواقب التأخير
نبذوا العهد والكتاب وما ... جاء به والوصي خلف الظهور
خالفوا كلما به جاء طه ... وهو أذ ذاك ليس بالمقبور
عدلوا عن أبي الهداة الميامين ... إلىٰ بيعة الأثيم الكفور
قدموا الرجس بالولاية للامر ... علىٰ أهل آية التطهير
لست تدري لم أحرقوا الباب ... بالنار أرادوا اطفاء ذاك النور
لست تدري ما صدر فاطم ... ما المسمار ما حال ضلعها المكسور
ما سقوط الجنين ما حمرة العين ... وما بال قرطها المنثور
دخلوا الدار وهي حسرىٰ بمرأىٰ ... من علي ذاك الأبي الغيور
واستداروا بغياً علىٰ أسد الله ... فاضحىٰ يقاد قود البعير
والبتول الزهراء في أثرهم تعثر ... في ذيل بردها المجرور
بأنين أورىٰ القلوب ضراماً ... وحنين اذاب صم الصخور
ودعتهم خلوا ابن عمي عليا ... أو لاشكو إلىٰ السميع البصير
ما رعوها بل روعوها ومروا ... بعلي ملبباً كالأسير
بعض هذا يريك ممن تولىٰ ... بارز الكفر ليس بالمستور

كيف حق البتول ضاع عناداً ... مثل ما ضاع قبرها في القبور
قابلوا حقها المبين بتزوير ... وهل عندهم سوىٰ التزوير
ورووا عن محمد خبراً لم ... يك فيه محمد بخبير
وعلي يرىٰ ويسمع والسيف ... رهيف والباع غير قصير
قيدته وصية من أخيه ... حملته ما ليس بالمقدور
افصبراً يا صاحب الأمر والخطب ... جليل يذيب قلب الصبور
كم مصاب يطول فيه بياني ... قد عرىٰ الطهر في الزمان القصير
كيف من بعد حمرة العين منها ... يا ابن طه تهنىٰ بطرف قرير
فابك وازفر لها فان عداها ... منعوها من البكا والزفير
وكأني به يقول ويبكي ... بسلو نزر ودمع غزير
لا تراني اتخذت لا وعلاها ... بعد بيت الاحزان بيت السرور
فمتىٰ يا ابن فاطم تنشر الطا ... غوت والجبت قبل يوم النشور
فتدارك منا بقايا نفوس ... قد اذيبت بنار غيظ الصدور

* * *

بعث أُسامة ومرض النبي (صلّى الله عليه وآله)

كان النبي (صلّى الله عليه وآله) يفكر كثيراً في ما وراء الحدود الشمالية لشبه الجزيرة بعد أن أسلم معظم عرب الحِجاز ولم يعد بينهم علىٰ الشرك من يخشىٰ من بأسه وسطوته، ولم يكن يطمئن إلىٰ بلوغ هدف رسالته ودوامها وإلىٰ جانبه أكبر دولة في العالم يوم ذاك تراقب جميع تحركاته، وتعتبر خطر انتشار الإسلام علىٰ المسيحية وعلىٰ وجودها ـ الامبراطورية الرومانية ـ أشدّ خطراً من دسائس اليهود والدول الأخرىٰ التي كانت تنافسها في بسط نفوذها يوم ذاك، فكان يخطط لغزوهم وفرض وجوده وهيبته عليهم قبل أن يغزوه، فأرسل سريته الأُولىٰ إلىٰ مؤته، وعاد المسلمون منها بعد أن خسروا جماعةً منهم وقدمو الشهداء لا سيما قوادهم الثلاثة، وهم: جعفر ابن أبي طالب، و زيد بن الحارثة و عبد الله ابن رواحة.

وبعد هذه الخسارة الفادحة غزاهم (صلّى الله عليه وآله) بنفسه في ثلاثين ألفـاً حتّىٰ بلغ تبوك فألفاهم قد انسحبوا إلىٰ داخل بلادهم وحصونهم، حينما تناهىٰ إليهم أخبار زحف المسلمين، ورجع الرسول الأعظم بجيشه إلىٰ المدينة بعد أن استسلم أمراء البلاد المتاخمة لحدود الحجاز وعاهدوه علىٰ أن لا يتعاونوا مع أحدٍ عليهم.

وهذه المقدّمة تبين سبباً من أسباب بعث أُسامة بن زيد الحارثي علىٰ رأس جيش المسلمين لغزوِ الروم في الشام، وكان ذلك قبل حجة الوداع.

وبعد رجوع النبي (صلّى الله عليه وآله) والمسلمين من حجّة الوداع أمر بتجهيز جيش لعله من أكبر الجيوش التي عرفتها الجزيرة العربية من قبل حيث حشد في ذلك الجيش وجوه المهاجرين والأنصار منهم أبو بكر، وعمر، وعثمان،

وسعد بن أبي وقاص وغيرهم، ـ كما نصّت علىٰ ذلك كتب السير والتاريخ ـ وأمر علىٰ ذلـك الجيش أُسامة بن زيد بن حارثة، وهو يوم ذاك في مطلع شبابه، لا يتجاوز العشرين سنة من عمره علىٰ أبعد التقادير، وفي المسلمين من هو أشدّ صلابةً منه، وأكثر مراساً للحروب، وخبرة بقيادة الجيوش، مما دعا إلىٰ دهشة كبار الصحابة واستيائهم مِن تأميره عليهم، وتثاقلوا في تنفيذ أوامر النبي بالرغم من تأكيداته (صلّى الله عليه وآله) المتكررة المتتالية علىٰ تسريح الجيش بقيادته، مما اضطر أن يخرج ـ روحي فداه ـ بنفسه إلىٰ الناس ويحثهم علىٰ الخروج والجهاد بقيادة أُسامة ، وبدا عليه الانزعاج والتصلب حينما طالبوه بأن يولي عليهم غيره، وقال لهم: «لعمري لئن قلتم في إمارته اليوم فلقد قلتم في امارة أبيه من قبله، وانه لخليق بالإمارة كما كان أبوه خليقاً بها من قبل».

وفي روايةٍ مشهورة بين المحدثين: إنّه كان يقول ويكرر «أنفذوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلف عن جيش أُسامة»، هذا وقد بدأ يحس بالمرض وشدة وطأته عليه بين الحين والآخر.

وخرج أُسامة بمن تهيأ من الجيش إلىٰ الجرف علىٰ مقربة من المدينة، وعسكر فيه لحين يتم تجهيز البقية الباقية، وخلال ذلك كان المرض يشتد علىٰ النبي (صلّى الله عليه وآله)، فبدأت خيوط التمرد، والمحاولات لعدم تحرك الجيش من مكانه، وبخاصة بعد أن أحسوا إنّ مرض النبي يزداد من وقت لآخر، ويشكل خطراً علىٰ حياته (صلّى الله عليه وآله).

قال ابن هشام في سيرته: أن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) استبطأ الناس من بعث أُسامة وأخذ الوجع يشتد به، فخرج عاصباً رأسه وجعل يحثهم علىٰ الخروج، ثم قال:

«أيها الناس إني أوشك أن أُدعىٰ فأُجيب، وإنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي؛ كتاب الله حبل ممدود من السماء إلىٰ الارض ، وعترتي أهل بيتي،

وأن اللطيف الخبير أخبرني إنهما لن يفترقا حتّىٰ يردا على الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».

وذكر هذه المقالة الشيخ المفيد (رحمه الله) في الإرشاد وأضاف إليها أنه قال:

«أيها الناس لا ألفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، فتلقوني في كتيبة كمجر السيل الجرار، ألا وأن علي بن أبي طالب أخي ووصيي، يقاتل بعدي علىٰ تأويل القرآن كما قاتلت علىٰ تنزيله».

أما تأمير أُسامة بن زيد علىٰ الجيش، فبالإضافة إلىٰ كفاءته التي تؤهله لذلك فقد أراد (صلّى الله عليه وآله) أن يرفع من شأن الموالي، ويزعزع كبرياء الذين كانوا يتعاظمون ويحاولون أن يبرزوا علىٰ غيرهم من الناس لا لشيءٍ إلّا لأن الرسول (صلّى الله عليه وآله) كان يقربهم إليه ويتغاضىٰ عن تصرفاتهم لامور تفرضها مصلحة الإسلام العليا.

والأهم من ذلك فأنه (صلّى الله عليه وآله) أراد أن يصادر تشكيك العرب في خلافة علي (عليه السلام) وفي القوم من هو أكبر منه سناً حيث كانت العرب تكره تأمير الشبان، وتوكل الأمر إلىٰ الشيوخ وكبار السن، فأثبت لهم الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) أن سابقة السن ليست لها أدنىٰ خصوصية حتىٰ ليأمر أُسامة الشاب الحدث علىٰ شيوخ قريش وكبار العرب، ولا شك في كون علي (عليه السلام) أكثر كفاءةً وقوة في دين الله ومراساً وهو ربيب الوحي ووصي النبي (صلّى الله عليه وآله).

وروىٰ المفيد في إرشاده عن أهل البيت (عليهم السلام): أنه قال حينما دُعيَ للصلاة: «يصلي بالناس بعضهم فأني مشغول بنفسي»، فقالت عائشة: مروا أبا بكر، وقالت حفصة: مروا عمر بن الخطاب، فقال رسول الله (صلّى الله عليه وآله): «اكففن فانكنَّ صُوَيحِبات يوسف»، وقام مبادراً وهو لا يستطيع أن يستقل

علىٰ الأرض من الضعف، فأخذ بيد علي والفضل بن العباس، فاعتمد عليهما ورجلاه تخطان الأرض من الضعف، فلما دخل المسجد وجد أبا بكر قد سبق إلىٰ المحراب فأومأ إليه أن تأخر عنه، فتأخر وقام مقامه فكبر وابتدأ الصلاة التي كان قد ابتدأها أبو بكر، ولم يبن علىٰ ما مضىٰ منها.

ولما أنصرف النبي من تلك الصلاة التي خرج إليها ورجع إلىٰ منزله استدعىٰ أبا بكر وعمر وجماعة ممن حضروا المسجد، وقد ازعجه عدم انضمامهم إلىٰ الجيش وهو مقيم بالجرف في ضواحي المدينة، وقال: «ألم آمركم أن تنفذوا جيش أُسامة».

فقالوا بلىٰ يا رسول الله.

فقال: «لِمَ تأخرتم عن أمري؟».

فقال أبو بكر: إني خرجت ثم رجعت لِاجُدِّدَ بك عَهداً، وقال عمر بن الخطاب: إني لم أخرج لأني لا أحب أن اسأل عنك الركب.

فقال (صلّى الله عليه وآله): «أنفذوا جيش أُسامة» وكرر ذلك ثلاثاً.

ثم أُغمي عليه من التعب ومما لحقه من الاذىٰ لتجاهلهم أوامره، ومكث فترة من الزمن مغمىً عليه، فبكىٰ المسلمون وارتفع النحيب من أزواجه وابنته ونساء المؤمنين وجميع من حضر. فلما أفاق نظر إليهم وقال: «أئتوني بدواة وكتف لِأكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده ابداً»، ثم أُغمِيَ عَليهِ، فقام بعض من حضر يلتمس دواةً وكتفاً، فقال له عمر بن الخطاب: إرجع فإنه يَهجُر، فرجع. وندم من حضر علىٰ ما كان منهم من التضييع في إحضار الدواة والكتف فلما أفاق قال بعضهم: إلا نأتيك بدواة وكتف يا رسول الله؟ قال: «لا، أبعد الذي قلتم، [لقد أدرك النبي (صلّى الله عليه وآله) مغزىٰ كلمة عمر بإنهم سيقولون ذلك وأكثر من ذلك] ولكني أُوصِيكُم بأهل بيتي خيراً» وأعرض بوجهه عن القوم فنهضوا.

وهناك روايات متعددة بوحدة المعنىٰ وتقارب الألفاظ ذكرها البخاري في

صحيحه، وابن جرير في تاريخه، وابن سعد في طبقاته، وابن كثير في بدايته، ومسلم في صحيحه، وقد ذكروا لما قال عمر: أن الرجل ليهجر، أو غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله، فأختلف الحاضرون واختصموا من قال: قدموا له ليكتب لكم كتاباً لا تختلفون بعده، ومنهم أخذ بقول عمر، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي قال لهم (صلّى الله عليه وآله): «قوموا عني»: وفي رواية فتنازعوا وما ينبغي عند نبي تنازع ـ وهكذا تبددت جهود الرسول الأعظم، بكلمة واحدة صدرت من عمر، ولو كتب لهم (صلّى الله عليه وآله) عشرين كتاباً لكانو يحوّرون ويؤولون مضامينها بما يتفق ومصالحهم، وقد يذهبون إلىٰ أبعد من ذلك، وهذا هو الذي دعا النبي (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ عدم الكتابة حينما أفاق، وهو الذي لا ينطق عن الهوىٰ، استجير بالله من الخطأ والضلال.

وأضاف إلىٰ ذلك البخاري، إنّ عبد الله بن عباس كان يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب.

* * *

الفصل الثامن

إلتحاق النبي (صلّى الله عليه وآله) بالرفيق الأعلىٰ

وجاء في بعض المرويات: إنه قبيل وفاته وجد نفسه نشيطاً حيث خفّت عنه حرارة الحُمّىٰ، فخرج معتمداً علىٰ علي ابن أبي طالب (عليه السلام) والفضل بن العباس حتّىٰ أتىٰ المسجد، فأقبل علىٰ الناس رافعاً صوته حتّىٰ سَمِعهُ من كان خارج المسجد، فقال: «أيها الناس: سُعِّرت النار وأقبلت الفتن كقطع الليلِ المظلم، إلىٰ آخر كلامه (صلّى الله عليه وآله).

فما رجع من المسجد حتّىٰ عاوده الضعف وأشتد عليه، فَسُمِعَ يقول: «بل الرفيق الأعلىٰ»، فعلموا أنه اختار لقاء الله علىٰ الحياة في هذه الدنيا.

وكان عليٌ (عليه السلام) قد احتضنه حينما رآه يصارع الموت ففاضت نفسه الشريفة وهو إلىٰ صدر عليّ (عليه السلام) كما جاء في رواية ابن سعد وغيره.

وروىٰ الحاكم في المستدرك بسنده إلىٰ أُم سلمة إنها قالت: والذي أحلف به أن علياً (عليه السلام) كان أقرب الناس عهداً برسول الله (عليه السلام). ومضت تقول: عدنا رسول الله (صلّى الله عليه وآله) غداة وهو يقول: «جاء عليٌ» يكررها مراراً، فقالت له فاطمة: «كأنك بعثته في حاجة»، فلما جاء ظننت إنّ له إليه حاجة فخرجنا من البيت وقعدنا عند الباب، وكنت من أدناهم إليه، فأكب عليه رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وجعل يسارّه ويناجيه، ثم قبض رسول الله (صلّى الله عليه وآله) من يومه ذلك [وساعته] فكان عليٌ (عليه السلام) أقرب الناس به عهداً.

وروىٰ ابن عساكر في (تاريخ دمشق)[1] معنعناً عن عائشة، قالت: قال رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وهو في بيتها لمّا حضره الموت: «اُدعوا لي حبيبي». [قالت] فدعوت له أبا بكر فنظر إليه ثم وضع رأسه، ثم قال: «اُدعو لي حبيبي». فدعونا له عمر، فلمّا نظر إليه وضع رأسه، ثمّ قال: «اُدعوا لي حبيبي». فقلت ويلكم اُدعوا له علي بن أبي طالب فوالله ما يريد غيره؟!

فدعوا علياً فأتاه فلمّا رآه أفرد الثوب الذي كان عليه ثمّ أدخله فيه فلم يزل يحتضنه [ويناجيه] حتىٰ قبض ويده عليه.

وكانت وفاته يوم الاثنين كما هو مشهور بين الرواة، وذهب أكثر الإمامية أن وفاته (عليه السلام) كانت يوم الاثنين لليلتين بقيتا من صفر، سنة إحدىٰ عشر من الهجرة.

واتفق المحدثون علىٰ إن أبا بكر كان غائباً خارج المدينة حين وفاته (صلّى الله عليه وآله)، وإنّ المسلمين حين سمعوا عويل النساء دُهِشوُا لهذا الحادث بعد إن رأوه قبل ساعات قليلة يخرج فيصلي بهم وعلامة الإرتياح بادية عليه، فدخل عليه عمر بن الخطاب فكشف عن وجهه، وقال حين خرج إلىٰ الناس وهم بين باك وباكية، وهو يصيح بين الناس: أن محمداً ما مات ولكنه ذهب إلىٰ ربه، وسيرجع كما رجع موسىٰ بن عمران بعد أن غاب عن قومه أربعين ليلة، واستمر علىٰ ذلك مدّةمن الوقت يهدد ويتوعّدكُلّ من يّدعي بأن محمداً قد مات، وسَرت مقالته بين الناس في وطأة الذهول والدهشة، وروّج لها أتباعه، وغزت أذهان العامة من الناس، واستطاع بهذا الذكاء الحاد والتفكير البعيد أن يشغل الكثير من الناس عن وفاته والتفكير في البيعة لخليفته الشرعي من بعده، واستمر علىٰ هذا المنوال يهدد ويتوعد وينادي بين الناس ويقول أن رجالاً من

(١) ج٣ ص١٧ حديث ١٣١٧ إلىٰ ١٠٤٠ من ترجمة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام).

المنافقين يزعُمون بأن محمداً قد مات، وانه والله ما مات، ولكنه ذهب إلىٰ ربه كما ذهب موسىٰ بن عمران، ووالله ليرجعن رسول الله (صلّى الله عليه وآله) كما رجع موسىٰ بن عمران، وليقطّعن أيدي وأرجل رجال زعموا أنه مات، ولئن بلغني عن رجل من المسلمين يزعم إنّ محمداً قد مات ضربته بسيفي هذا، وخرج علىٰ الناس شاهراً سيفه يردد مقالته يهدد ويتوعد، حتّىٰ وصل أبو بكر ودخل علىٰ النبي وهو مسجىٰ علىٰ فراش الموت فنظر إلىٰ وجههِ وخرج إلىٰ الناس، وعمر بن الخطاب لا يزال يهدد ويتوعد بان محمداً ما مات ولن يموت، وأبىٰ أن ينصت لكلام أبي بكر أولاً، ثم قال أبو بكر:

أيها الناس من كان يعبد محمداً فان محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت، ثم تلا علىٰ الناس قول الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿وَما مُحمدٌ إلاّ رَسُولٌ قَد خَلَت مِن قَبْلِهِ الرُّسُل أفَئِن ماتَ أو قُتِلَ انقَلَبتُم علىٰ أعقابِكُم وَمَن يَنقَلِب علىٰ عَقِبَيهِ فَلن يَضُرَّ اللهَ شَيئاً﴾[1].

عندها سكت عمر حيث انتهت مهمته، وسلّم قيادها لأبي بكر.

وجاء في سيرة ابن هشام: أن الراوي قال: واللهِ لكأن الناس لم يعلموا بنزول هذه الآية حتىٰ تلاها أبو بكر، وفي ذلك دلالة علىٰ مدىٰ تأثير مقالة ابن الخطاب في تلك اللّحظات علىٰ الجماهير التي اُصيبت بالذهول والدهشة لنبأ وفاة الرسول (صلّى الله عليه وآله) وابن الخطاب ليس بالرجل العادي الذي لا يحسب لكلامه أحد، فقد استطاع أن يسيطر علىٰ عدد كبير من الجماهير التي تنفعل بكل فكرة تعرض لها، ويسقط العقل وسلطانه، وبخاصة إذا رافقتها الصرامة التي أظهرها ابن الخطاب وهو يتحدث إلىٰ الجماهير المدهوشة ويمنيهم بحياة أعز الناس عليهم تارة، وبهددهم بالقتل وتقطيع الأيدي والأرجل إذا لم

(١) آل عمران/١٤٤.

يقتنعوا بحياته تارةً أُخرىٰ، وصاروا يتعلقون بخيوط الأوهام، لا سيما إذا كان فقيدهم من النوع الذي يجوز عليه ما لا يجوز علىٰ سائر الناس.

والحقيقة إنّ عمر بن الخطاب كان أبعد الناس عن التعلل بمثل هذه الأوهام، ولم يتردد لحظة واحدة في وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله)، بل كان منذ أن إشتد به المرض علىٰ ثقة بأنه سيلاقي ربه، ولذلك خطط هو وصاحبه في التخلف عن جيش أُسامة، وحاول أن يحول دون تنفيذ الجيش، واحباط خطةِ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وحينما طلب النبي (صلّى الله عليه وآله) دواة وقرطاساً ليملي عليهم عهده قال: إنه ليهجر حسبنا كتاب الله، وإذا كان معتقداً بأنه لا يموت فما يضره أن يعهد لأيٍ كان من الناس، ولا معنىٰ لقوله حسبنا كتاب الله، إلّا ان كتاب الله يكفينا بعد موتك فلا حاجة لنا بكتابك!!.

ولقد قدّر عمر بن الخطاب وخاف بعد وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) وغياب أبي بكر عن المدينة أن يجتمع الناس علىٰ علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تلك اللحظات، لا سيما وان أكثرهم لا يحتملها لأحدٍ غيره، فأراد بذكائه، الحاد أن يَصرفَ الناس عمّا هم فيه ويحوّل تفكيرهم إلىٰ ناحيةٍ أُخرىٰ، ويشغلهم بحديث من هذا النوع لينصرفوا عن التفكير في البيعة لِأحد، حتّىٰ يحضر أبو بكر، وقد كان عامّة المهاجرين والأنصار لا يشكّون في أن علياً (عليه السلام) هو صاحب الأمر بعد رسول الله (صلّى الله عليه وآله) إلّا القلة التي كانت متفقةً مع أبي بكر وعمر والسائرة في ركابهما، كما جاء ذلك في شرح النهج ج٢ ص٨ من رواية الزبير بن بكار عن محمد بن إسحاق.

* * *

سقيفة بني ساعدة

اتفق المؤرخون والمحدثون علىٰ أن موقف عمر بن الخطاب من وفاة النبي (صلّى الله عليه وآله) قد انتهىٰ بحضور أبي بكر وقراءتِه الآية علىٰ الناس، وقد خرجا معاً مِن البيت الذي كان النبي (صلّى الله عليه وآله) فيه جثة هامدة، وتركاه لأهله، ونسائه، أما إلىٰ أين ذهبا؟ وأين إجتمعا؟ وبماذا كانا يخططان؟

إن كتب التاريخ والسيرة لم تكشف علىٰ وجه التحقيق شيئاً من ذلك، ولكن إذا أخذنا بعين الإعتبار موقف أبي بكر وعمر وانصارهما من علي بن أبي طالب (عليه السلام) وتصميمها علىٰ صرف الأنظار عنه لكثرة الشواهد علىٰ ذلك، ولم يعد لنا بديل عن القول بانهما خرجا من البيت الذي فيه جثمان النبي الطاهر (صلّى الله عليه وآله) لإنهاء أمر البيعة لأبي بكر، ذلك إن الأنصار بعد أن تأكدوا بان بعض المهاجرين قد اجتمعوا علىٰ ابعاد علي بن أبي طالب (عليه السلام) عنها أرادوا أن يبرزوا كطرف آخر لِأنهم لا يرون لغير علي (عليه السلام) فضلاً وميزةً عليهم لأحدٍ من الناس، لذلك اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار سعد بن عبادة الأنصاري.

وجاء في تاريخ ابن خلدون وشرح النهج ج١ ص١٢٨: إنّ أبا بكر وعمر بن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح، لمّا علموا باجتماع الأنصار توجهوا إلىٰ سقيفة بني ساعدة حيث اجتماع الأنصار لانتخاب زعيمهم سعد بن عبادة، فتدخل أبو بكر وأصحابه: وقال: نحن أولياء النبي وعشيرته، وأحق الناس بأمره ولانُنازع في ذلك، وأنتم لكم حق السابقة والنصرة فنحن الأمراء وأنتم الوزراء.

وتكلم بعده الحباب بن منذر فأشاد بالأنصار ومواقفهم وجهادهم، ودعاهم إلىٰ التماسك والترابط، وعدم التنازل عن حقهم في خلافة الرسول (صلّى الله

عليه وآله) [وكان متألقاً في خطابه متسامياً بقومه، وفجأةً تخاذل وهَبط وقال] وأقل من أن تكون الإمارة مشتركة بين المهاجرين وبينهم من كل فريق أمير، [وبالحرف الواحد قال: منا أمير ومنكم أمير.].

فأنتهز عمر هذه النقطة من الضعف فوقف... ليرد عليه، فقال: هيهات لا يجتمع سيفان في غَمدٍ واحد، والله لا ترضىٰ العرب أن تؤمركم ونبيها من غيركم، ولا تمنع العرب[1] أن تولي أمرها من كانت النبوة منهم، من ينازعنا سلطان محمد ونحن أولياؤه[2] وعشيرته.

وعاد الحباب ليتكلم مرة ثانية. [بعد أن شعر بفشله وخذلانه] ولكن بغير اللّهجه التي تكلم بها أولاً، فقال مخاطباً الأنصار أملِكوا أيديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر، فإن أبوا عليكم فأجلوهم من هذه البلاد وأنتم أحق بهذا الأمر فإنه بأسيافكم دان الناس بهذا الدين.

وأضاف يقول: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المُرجّب، وَالله إن شئتم لنعيدها جَذِعَة، فردّ عليه عمر وقال: اذن يقتلك الله، وردّ عليه الحباب بالمثل، [وارتفعت الأصوات، وأشتد التناحر والجدال حتّىٰ كادت الفتنة أن تقع].

وهنا جاء دور أبي عبيدة بن الجراح كوسيط بين الطرفين في هذا النزاع الذي أشرفت نهايته أن تكون لصالح أبي بكر، فقال يا معاشر الأنصار: أنتم أوّل من نصر وآزر فلا تكونوا أوّل من غير وبدّل.

وبهذا الأسلوب الهادئ ظهرت بوادر التفكك بين هذا الحي من الأنصار [لا سيما حينما ضرب علىٰ الوتر الحساس وأثار وهَيّجَ الضغائن الكامنة بين الأوس والخزرج]. فقام بشير بن سعد الخزرجي وقال: يا معشر الأنصار ألا إنّ

(١) ما قال عمر المسلمين ولا حسب لهم حساب.

(٢) احتج الإمام عليهم بهذا الاحتجاج وقال إحتجوا بالشجرة واضاعوا الثمرة.

محمداً من قريش وقومه أولىٰ به، وأيم الله لا يراني الله أُنازعهم هذا الأمر، [فكانت هذه الكلمة قاصمةً لظهر الأنصار].

وهنا استغل أبو بكر الفرصة وقال للناس بايعوا أحد الرجلين «عمر ابن الخطاب» و«أبا عبيدة بن الجراح» - [وكان الأمر قد دبر بليل]. فانتفض عمر وأبو عبيدة وكأنهما كارهان لهذا الأمر وقالا معاذ الله، والله لأنت أفضل المهاجرين وخليفة رسول الله علىٰ الصلاة، أبسط يدك، فبسطها دون تردد وكأنهم علىٰ اتفاق مسبق علىٰ هذا الأسلوب، وبايعاه وأسرع إليه بشير بن سعد.

وبالطبع كانت الأوس تكره استخلاف سعد بن عبادة الخزرجي، وتودّ أن يتولاها غيره، فلما بايعه عمر وأبو عبيدة وبشير بن سعد، دعا أسيد بن حظير قومه من الأوس أن يسرعوا إلىٰ البيعة لتكون لهم اليَد الأولىٰ عند الخليفة، فأسرعوا وتسابق الناس إلىٰ بيعته حتّىٰ كادوا أن يطأوا سعد بن عبادة بأرجلهم، وخرجوا يزفون أبا بكر إلىٰ المسجد. وكلّ من لقيهم أو وجدوه بالطريق أخذوا يده ومسحوها علىٰ يد أبي بكر شاء أم أبىٰ، وهكذا أخذوا البيعة بسرعة مذهلة علىٰ حين غفلة من الناس، كما قال عمر في خلافته: (كانت بيعة إبي بكر فلتة وقانا الله شرها فمن عاد لمثلها فاقتلوه). وعليٌّ وبنو هاشم وجماعة من المهاجرين وبعض الأنصار لا يعلمون ممّا جرىٰ شيئاً لإنصرافهم إلىٰ تجهيز الرسول (صلّى الله عليه وآله) إلىٰ مقره الأخير.

ويبدو ممّا أورده ابن هشام في سيرته من حديث عمر عن السقيفة وما تم فيها إن اجتماع الأنصار كان رداً علىٰ اتفاق جماعة من المهاجرين علىٰ الإستيلاء عليها كما ذكرناه.

* * *

تجهيز النبي (صلّى الله عليه وآله) ودفنه

يكاد يكون من المتفق عليه بين المؤرخين والمحدّثين إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) مذ أن دَبّ المَرض في جسم النبي (صلّى الله عليه وآله) كان منصرفاً هو والهاشميين وبعض المهاجرين والأنصار إلىٰ تمريض النبي وتجهيزه بعد وفاته، واستقبال المعزين والوافدين، ولم يعلم بما كان يجري لإقصائه عن الخلافة، وحتّىٰ لو كان يعلم بتلك التدابير التي أتخذها القوم لم يكن ليترك النبي (صلّى الله عليه وآله) مسجّىٰ في بيته وينصرف للمطالبة بحقه في حين أن كل ما تم لم يكن منتظراً بتلك السرعة الخاطفة.

ومن المؤكد أنه لم يعلم هو وجماعته من الهاشميين وبعض المهاجرين والأنصار إلّا بعد خروج الناس من السقيفة يزفون أبا بكر إلىٰ المسجد ويهتفون بإسمه، وكلما ألتقوا بأحد جروه إلىٰ المسجد وأمروه بالبيعة، فأصيب الناس في بادئ الأمر بمثل الدَّهشةِ التي أصابتهم ساعة وفاة الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله).

وقال الشيخ المفيد: فلما أراد أمير المؤمنين (عليه السلام) تغسيل النبي (صلّى الله عليه وآله) إستدعىٰ الفضل بن العباس وأمره أن يناوله الماء، فلمّا فرغ من غُسلهِ وتحنيطه تقدم وصلّىٰ عليه وحده، ولم يشرك معه أحداً في الصلاة عليه، والمسلمون يخوضون فيمن يؤمهم في الصلاة عليه؟! وأين يدفن؟! فخرج إليهم أمير المؤمنين وقال لهم:

«إن رسول الله أمامنا حياً وميتاً، فليدخل عليه فوج بعد فوج فيصلون عليه بغير إمام وينصرفون، وان الله لم يقبض نبياً في مكان إلّا وقد ارتضاه لرمسه فيه واني لدافنه في حجرته التي قبض فيها.

فلم يعارضه أحد في ذلك.

وروىٰ ابن عبد البرّ في الاستيعاب: أنه لما صلّىٰ عليه عليٌّ وبنو هاشم وخرجوا دخل المهاجرون، ثم الأنصار، ثم بقية الناس يصلون عليه بدون إمام.

ولما فرغ من الصلاة عليه انفذ العباس إلىٰ أبي عبيدة بن الجراح وكان يحفر لأهل مكّة ويضرح، وأنفذ إلىٰ زيد بن سهل وكان يحفر لأهل المدينة، فقيل له احفر لرسول الله (صلّى الله عليه وآله) فحفر له لحداً ودخل أمير المؤمنين، والعباس، والفضل، وأُسامة بن زيد ليباشروا دفنه، فنادت الأنصار من وراء البيت يا علي نذكّرك الله وحقنا اليوم من رسول الله أن يذهب، أدخِل منا رجلاً يكون لنا به حظ من مواراة رسول الله، فقال: ليدخل أوس بن خولي، وكان بدرياً فاضلاً من بني عوف، فلمّا دخل قال له علي (عليه السلام) أنزل القبر فنزل ووضع أمير المؤمنين جثمان رسول الله (صلّى الله عليه وآله) علىٰ يديه ودلاه في حفرته، فلما وضعه في حفرته، قال له أخرج فخرج، ونزل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) فكشف عن وجه رسول الله ووضع خده علىٰ الأرض ووجهه إلىٰ القبلة، ثم وضع عليه اللبن وأهال عليه التراب، ورفع قبره عن وجه الأرض مقدار شبر واحد، وقيل أكثر من ذلك بقليل.

وجاءت فاطمة الزهراء (عليها السلام) إلىٰ القبر ساعة دفنه، وقالت أطابت نفوسكم أن تحثوا التراب علىٰ رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، وأخذت من تراب القبر ووضعته علىٰ عينيها وانشأت تقول:

ماذا علىٰ من شم تربة أحمد ... أن لا يشم مدىٰ الزمان غواليا

صُبّت عليّ مصائب لو أنها ... صُبّت علىٰ الأيام عدن لياليا[1]

(١) وروي أنها انشأت هذه الابيات بعد المصائب التي مرت عليها من الهجوم علىٰ الدار ورجوعها من المسجد بعد خطبتها ومحاججتها أبو بكر وعمر وأصحابه.

وغاب في ذلك اليوم عن دنيا الناس وجه ما عرف التاريخ وجهاً أكرم منه ولا رجلاً أعطىٰ البشرية ما أعطاه وترك لها ما ترك، ولا رجلاً حمل إلىٰ العالم مثل تلك الرسالة، معجزة الدهور والعصور، واستطاع أن يهزم العالم من أقصاه إلىٰ أقصاه منذ ألف وأربعمائة ونيف من السنين حتّىٰ يومنا هذا، وسيبقىٰ ما بقي التاريخ، الرجل الأوّل في تاريخ الانسانية الذي يهز الجبابرة والطغاة وملوك الدنيا وحكامها الأشداء. وستبقىٰ سيرته غنيةً بمعاني التضحيات في سبيل الحق والعدل والعقيدة.

فسلام عليه يوم ولد ويوم جاهد وبلّغ، ويوم يبعث حياً ـ ليكون شفيعاً لأمته المؤمنين به وبآله الطيبين الطاهرين، صلوات الله عليه وعليهم **أجمعين**.

نقلت هذا الفصل من مصادر متعددة، من السير وتاريخ الفريقين، وتصرفت في بعض الفاظه أحياناً دون المساس بالمعنىٰ روماً للاختصار.

* * *

محنة علي والزهراء (عليهما السلام)

تمّت البيعة لأبي بكر في سقيفة بني ساعدة، وذهبت مساعي النبي (حول تعيين الخليفة) أدراج الرياح، وصارت تلك الجهود هباءً منثوراً. وحدثت حوادث مؤلمة مشجية لا نذكرها تحفظاً علىٰ العواطف أن تخدش، وإن كانت تلك الحوادث مذكورة في الآلاف المؤلفة من كتب الحديث والتاريخ. ومشهورة عند المسلمين. ونذكر جملة عن موقف الإمام في ذلك العهد:

لقد أخذوا البيعة من الناس لأبي بكر، وجاؤا إلىٰ علي ليخرجوه من البيت ليبايع لأبي بكر فلم تأذن لهم فاطمة بالدخول في بيتها، فصدر الأمر بالهجوم فهجموا وأخذوا علياً بعد أن خلعوا عنه سلاحه، وأخرجوه من البيت يريدون به المسجد، وخرجت فاطمة خلفهم وهي بأشد الأحوال، اذ إنها أجهضت جنينها حيث عُصِرَت من قبل المهاجمين بين الباب والحائط ونبت المسمار في صدرها فكأنها نسيت آلامها، فجعلت تعدو وتصيح: خلوا عن ابن عمي؟ خلوا عن بعلي! والله لأكشف عن رأسي، ولأضعن قميص أبي علىٰ رأسي، وأدعو عليكم!!!

ووصلت إلىٰ باب المسجد فرأت منظراً مؤلماً لا تستطيع أن تصفه حيث شاهدت علياً حاسر الرأس مشدوداً بحمائل سيفه والسيف مسلط علىٰ رأسه مهدداً بقتله أن لم يبايع أبا بكر، فاستطاعت أن تخلّص زوجها من أيدي الناس وتحول بينهم وبين أخذ البيعة منه، ورافقت زوجها إلىٰ البيت سالماً.

عزيزي القارئ: أعرض لك إنّ شاء الله صورة أُخرىٰ للحوادث التي حصلت بعد يوم السقيفة وما جرىٰ علىٰ أهل بيت الرسالة.

أنقلها ملخصاً مما رواه أئمة الحديث والحفاظ في صِحاحهم ومسانيدهم

ومصادرهم الصحيحة من إخواننا علماء أهل السنة والجماعة[1].

فأقول: بعد البيعة المفاجئة والخاطفة التي تمت بالخلافة لأبي بكر، عاد إلىٰ بعضهم رشـدهم، وندموا علىٰ إندفاعهم لعقد البيعة بصورة إرتجالية لأبي بكر بتأثير عمر بن الخطاب والتحقوا بالمؤمنين الذين رفضوا إعطاء البيعة له وهم من أعيان الصحابة من المهاجرين والأنصار وخيارهم وممن أشاد النبي (صلّى الله عليه وآلـه وسلم) بفضلهم وإدراكهم لحقـائق الأُمور، أمثال العباس بن عبد المطلب، وعمار بن ياسر، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، والمقداد بن الأسود، وخـزيمة ذي الشهادتين، وعبادة بن الصامت، وحذيفة بن اليَمان، وسهل بن حُنيف، وعثمان بن حنيف، وأبي أيوب الأنصاري، وعتبة بن أبي لهب، وغيرهم من الذين لم تسيطر عليهم الغوغائية، ولم يرهبهم تهديدات الانقلابيين وفي مقدمتهم عمر بن الخطاب، وكانوا يتجاهرون بإنتقاد السلطات الحاكمة بكل جرأة جهاراً علىٰ رغم الارهاب الذي شمل الكل، مما ألهب مشاعر الكثيرين الذين انجرفوا مع التيار، وندموا فيما بعد علىٰ ما ظهر منهم علىٰ استجابتهم لتلك البيعة الخاطفة المرتجلة التي أُخذت منهم غفلة، بالإضافة إلىٰ ما ظهر منهم من العداء السافر إتجاه أهل بيت النبوة، أضف إلىٰ ذلك بعض العشائر المؤمنة المحيطة بالمدينة مثل أسد، وفزارة، وبني حنيفة، وغيرهم ممّن شاهدوا بيعة يوم الغدير (غدير خم) التي عقدها الرسول الأعظم لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب بإمرة المؤمنين من بعده، ولم يطل بهم المقام حتىٰ سمعوا بإلتحاق الرسول إلىٰ الرفيق الأعلىٰ، والبيعة لأبي بكر ابن أبي قحافة وتربعه علىٰ منصة الخلافة فإندهشوا لهذا الحادث ورفضوا البيعة لأبي بكر جملة وتفصيلاً وأمتنعوا عن أداء الزكاة ريثما ينجلي الموقف، وكانوا

(١) أعتمدت هذه الحوادث علىٰ كتاب فاطمة الزهراء للسيد الخطيب القزويني وكذلك علىٰ كتاب السيرة للأئمة للسيد هاشم معروف الحسني.

علىٰ إسلامهم يقيمون الصلاة ويؤدون جميع الشعائر، ولكنّ السلطة الحاكمة رأت من مصلحتهـا أنّ تجعل حداً لمثل هؤلاء برميهم بالإرتداد والكفر وسعت إلىٰ محاربتهم بكل ما أُوتوا من قوة بقيادة خالد بن الوليد ومن سار في ركبهم.

وقد أدرك هذه الحقيقة جماعة من المستشرقين والكتّاب العرب والمحدثين، وألمـح إليها بعض المؤلفين القدامىٰ في هذا الموضوع وبهذه المناسبة، فقد قال المستشرق لانس في كتابه:

إنّ الحزب القرشي الذي يرأسه أبو بكر وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة ابن الجراح، لم يكن وليد الساعة ولا مفاجئة أو إرتجالاً وإنّما كان وليد مؤامرة سرّية مجرمـة حيكت أُصـولها ورتبتّ أطرافها بكل إحكام وإتقان، وإنّ أبطال هذه المؤامرة أبو بكر، وعمر بن الخطاب، وأبو عبيدة بن الجراح، وسالم مولىٰ حذيفة، وعائشة، وحفصة، وغيرهم. [مات بعضهم قبل تنفيذها].

وعنـد ذلـك أحس أبو بكر وحزبه بالخطر المحيط بهم وبحكمهم من تصاعد المعارضة إنّ لم يبادروا فوراً إلىٰ إيقاف هذا التيار، وذلك بإجبار رأس المعارضة علي بن أبي طالب ومن يدور في فلكه علىٰ بيعة أبي بكر، فإجتمع الحزب الحاكم وأمر عمر بن الخطاب، وخالد بن الوليد، والمغيرة بن شعبة ومن يتابعهم مثل قنفذ وغيرهم قصدوا دار علي وفاطمة وإبنائها (عليهم السلام)، حاملين معهم رزمات الحطب، وقبس من النار كان بيد عمر، وذلك لإحراق البيت علىٰ أهله إنّ لم يخرج علي لبيعة أبي بكر.

وكان في الدار علي، وسلمان، والمقداد، وعمار، وأبو ذرّ والزبير، ولمّا أحاط الانقلابيون بالدار صاح عمر بن الخطاب وقبس النار بيده، والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ من الدار إلىٰ البيعة أو لأحرقنّها علىٰ من فيها، وبدا عليه الهيجان والتصميم علىٰ ذلك.

فقيل له: إنّ في الدار فاطمة بنت رسول الله وأبنائها الحسن والحسين،

قال وإن.

فخرج إليهم الزبير شاهراً سيفه ليمنعهم فعثر ووقع السيف من يده فهجموا عليه وأخذوا السيف وضربوا به الحائط.

ثمّ حاول المهاجمون إنّ يدخلوا الدار فوقفت السيدة فاطمة الزهراء وراء الباب لتمنعهم من الدخول فلم يراعوا حرمتها ومقامها من رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فدفع عمر الباب بقوة ولاذت فاطمة وراء الباب رعاية لسترها لأنّها كانت بدون حجاب، فعصرها عمر بين الحائط والباب عصرة شديدة كسَر ضلعها وأسقط جنينها، ونبت المسمار في صدرها ووقعت علىٰ الأرض مغشياً عليها، فجاءت خادمتها فضة فأسندتها إلىٰ صدرها وحملتها إلىٰ فراشها.

وهجم القوم علىٰ الدار وأخرجوا الإمام من الدار قاصدين به المسجد ملبداً بحمائل سيفه حاسر الرأس والسيف مسلط علىٰ رأسه مهددين له بالقتل إنّ لم يبايع أبا بكر.

هذا ما نقلته بصورة موجزة مما قرأته في كتب أعلام القوم ومحدثيهم، وإليكم صورة أُخرىٰ رواها المؤرخون والمحدثون في صحاحهم وكتبهم ومصادرهم الموثوقة ملخصاً روماً للاختصار، فإليك أولاً أيّها القارئ العزيز:

لقد وصلنا في حديثنا هذا إلىٰ موضع حساس جداً تاريخياً ودينياً وعقائدياً، ولا أعلم ما يكون صدىٰ هذهالاحداثالتي سأذكرها، وهي من روايات وأقوال فطاحل العلماء والمؤرخين من إخواننا أهل السنة والجماعة التي اثبتوها في صحاحهم ومسانيدهم بمصادرهم وطرقهم الخاصة.

ولعلّك لا ترضىٰ بهذه الحقائق الثابتة ولا تصدق إنّها صدرت من أُناس تسنموا الصدارة في الإسلام وفي طليعة الصحابة.

علىٰ كل حال لا يهمني هذا بقدر ما يهمني إنّ تَطلّع علىٰ الحقائق الدامغة نقلتها من كتب ومصادر إخواننا أهل السنة والجماعة والثابتة ثبوت الوتد في

الأرض أو واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، أنقلها للحقيقة والتاريخ.

وإليك أولاً: الاستاذ الفذّ عبد الفتاح عبد المقصود في كتابه (الإمام علي ابن أبي طالب) ص٢٢٥.

أنقلها ملخصاً حيث قال:

وأجتمعت جموعهم ـ آونة في الخفاء وأُخرىٰ علىٰ ملاء يدعون إلىٰ علي بن أبي طالب لِأنهم رأوه أولىٰ النـاس بإن يلي أُمور الناس: ثمّ تألّبوا حول داره يهتفون بإسمه ويدعونه إنّ يخرج إليهم ليردّوا عليه تراثه المسلوب.

وكذلك سبقت الشائعات خطوات ابن الخطاب ذلك النهار، وهو يسير في جمع من صحبه ومعاونيه إلىٰ دار فاطمة وفي باله أنّ يحمل ابن عمّ رسول الله، إن طوعاً وإن كرهاً، علىٰ البيعة وإقّرار ما أباه حتىٰ الآن سواءً بالسيف أو بالنار وأقبل الرجل محنقاً مندلع الثورة علىٰ دار عليّ وقد ظاهره معاونوه ومن جاء بهم فأقتحموها وعندما أوشكوا علىٰ الإقتحام، فإذا وجه كوجه رسول الله يبدو بالباب حائلاً من حزن، علىٰ قسماته خطوط آلام، وغضوا الابصار من خزي أو استحياء وهي ترفع صوتها الرقيق الحزين النبرات، تهتف بمحمّد الثاوي بقربها، وتناديه باكية مريرة يا أبتِ يا رسول الله، يا أبتِ يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة!؟... فكأنما زلزلت الأرض بندائها تحت هذا الجمع الباغي، من رهبة النداء..

هذا ما اقتطفناه من كتاب الأُستاذ عبد الفتاح الكاتب المصري المعاصر (الإمام علي بن أبي طالب).

وأمّا ما ذكره المأرخون القدامىٰ، فهاك بعض أقوالهم حول الموضوع.

في العقد الفريد ج٢ ص٢٥٠، وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٥٦، وأعلام النساء ج٣ ص١٢٠٧:

قالوا: وبعث إليهم أبو بكر عمر بن الخطاب وقال لهم: فإنّ أبوا فقاتلهم.

وأقبل عمر بقبس من نار علىٰ أنّ يضرم عليهم الدار فلقيته فاطمة فقالت: «يا ابن الخطاب أجئت لتحرق دارنا؟». قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأُمّة.

وفي تاريخ الطبري ج٣ ص١٩٨، والإمامة والسياسة ج١ ص١٣ وشرح ابن أبي الحديد ج١ ص١٣٤: دعا [عمر] بالحطب وقال: والله لنحرقنّ عليكم أو لتخرجنّ إلىٰ البيعة. فيقال للرجل: إنّ فيها فاطمة فيقول: وإن!!

وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ص١٩ قال: وإنّ أبا بكر تفقد قوماً تخلفوا عن بيعته عند علي (عليه السلام) فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار علي، فأبوا أنّ يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لإحرقنّها علىٰ مَن فيها. فقيل له: يا أبا حفص أنّ فيها فاطمة! قال: وإن!

فوقفت فاطمة (عليها السلام) خلف الباب وقالت: «لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ من محضركم، تركتم رسول الله (صلّى الله عليه وآله) جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم، لم تستأمرونا ولم تردوا لنا حقاً؟!».

ويقول محمد حافظ إبراهيم (شاعر النيل) في قصيدته العمرية:

وقولة لعليٍّ قالها عمر ... أكرم بسامعها أعظم بملقيها
حرقت دارك لا أبقي عليك بها ... إنّ لم تبايع وبنت المصطفىٰ فيها
ما كان غير أبي حفص يفوه بها ... أمام فارس عدنان وحاميها

كما روىٰ ابن جرير الطبري بحديث مماثل له.

وقد روىٰ الشهرستاني في (الملل والنحل) ص٣٨ عن النظام قال: إنّ عمر ضرب بطن فاطمة يوم البيعة حتىٰ ألقت الجنين (المحسن) من بطنها، وكان [عمر] يصيح أحرقوا دارها بمن فيها. وما كان في الدار غير علي وفاطمة والحسن والحسين.

وروىٰ مثل ذلك البلاذري في (أنساب الأشراف) ج١ ص٤٠٤.

كما ذكر ابن خزابة في غرره: قال زيد ابن أسلم: كنت ممّن حمل الحطب مع عمر إلىٰ باب فاطمة حين امتنع عليّ وأصحابه عن البيعة، فقال: عمر لفاطمة: أخرجي من البيت أو لأحرقنّه ومن فيه!! قال: في البيت علي وفاطمة والحسن والحسين وجماعة من أصحاب النبي (صلّى الله عليه وآله) فقالت: فاطمة: «أفتحرق عليَّ ولديّ؟». فقال: إي والله أو ليخرجنّ وليبايعنّ!!

هذا ما ظَفرت به من المصادر المذكورة في كتب أهل السنة[1] ولعلّ غيري يجد أكثر من هذه المصادر في كتب التاريخ.

بعد إستعراض هذه النصوص التاريخية انكشف لنا موقف بعض المسلمين تجاه أهل بيت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) وأتضح لنا إنّهم لم يراعوا حرمة السيدة فاطمة الزهراء ولا حرمة زوجها أمير المؤمنين علي، ولا كرامة ولديها: الإمامين الحسن والحسين (عليهم السلام)، وقد سمعنا إنّ العصابة جاءت لإخراج الإمام علي من بيته ليبايع أبا بكر، وان أبىٰ فالتهديد بإحراق البيت ومن فيه.

فالخوف والذعر والإضطراب يبلغ أشده ويسلب من العائلة استقرارها فالاطفال يتصارخون باكين من هول الموقف، والأصوات ترتفع في تلك اللحظات الرهيبة من كلّ جانب.

كانت السيدة فاطمة الزهراء (قبل هجوم القوم) خلف الباب وقد جاءت معصبة الرأس ولم يكن عليها خمار لتمنع العصابة من الهجوم وإقتحامهم الدار. فلمّا هجم القوم لاذت خلف الباب لتستر نفسها عن أُولئك الرجال، فعصروها عصرة شديدة وكانت في الشهر السادس من حملها.

---

(١) نقلت معظمه من كتاب فاطمة الزهراء للسيد الخطيب القزويني، وسيرة الأئمة للسيد هاشم معروف الحسني فراجع.

صرخت السيدة من شدّة ألم العصرة، لأن جنينها قُتِل من صدمة الباب، ولا تسأل عن المسمار الذي نبت في صدرها بسبب العصرة.

وفي تلك اللحظات العصيبة كان القوم قد ألقوا القبض علىٰ الإمام علي وهم يريدون إخراجه من البيت، وهنا حالت السيدة فاطمة بين القوم وبين إخراج زوجها بالرغم مما بها من شدّة الآلام وإضطراب الجنين في أحشائها.

وهنا صدر الأمر إلىٰ [قنفذ] بضرب السيدة فاطمة حبيبة رسول الله وعزيزته، أمام مرآىٰ ومسمع أولادها.

ولقد خاطب الإمام الحسن، فيما بعد المغيرة بن شعبة في مجلس معاوية بقوله: «وأنت ضربت فاطمة بنت رسول الله حتىٰ أدميتها، وألقت ما في بطنها، استذلالاً منك لرسول الله، ومخالفة منك لأمره، وإنتهاكاً لحرمته، وقد قال لها رسول الله: «أنتِ سيدة نساء أهل الجنّة» والله مصيرك [يا مغيرة] إلىٰ النار»[1].

وفي كتاب سليم بن قيس الكوفي عن ابن عباس... فضربها قنفذ بالسوط فلمّا ماتت حين ماتت وإنّ في عضدها كمثل الدملج من ضربته ولكزها بنعل السيف فألجأ إلىٰ عضادة باب بيتها ودفعها، فكسَر ضلعاً من جنبها مما سبب أجهاضها فألقت جنيناً من بطنها.

ومرضت من ذلك مرضاً شديداً حتىٰ وافتها المنيّة.

وترىٰ الشعراء يتألمون من هذه المأساة المروعة فنضموا هذه الابيات:

فأسقطت بنت الهدىٰ واحزنا ... جنينها ذاك المسمىٰ محسناً

وقال آخر:

والداخلين علىٰ البتولة بيتها ... والمسقطين لها أعز جنين

(١) الاحتجاج للطبرسي ١٣٧ والبحار ج١٠.

والآخر قال:

أو تدري ما صدر فاطم ما المسمار ... ما حال ضلعها المكسور

ما سقوط الجنين؟ ما حمرة العين ... وما بال قرطها المنثور

وقال آخر:

ولست أدري خبر المسمار ... سل صدرها خزانة الأسرار

ولكنّ القوم لم يعيروا اهتماماً بما جرىٰ علىٰ سيدة النساء وابنة سيد الأنبياء، بل أخذوا زوجها أمير المؤمنين ملبّداً بحمائل سيفه بعد أنّ نزعوا عنه سلاحه.

وهنا يقف القلم عن الجري، ويخرس اللسان عن البيان وشرح ما جرىٰ تلك اللحظات علىٰ آل الرسول.

وقد قادوه إلىٰ المسجد وهو ينظر يميناً وشمالاً، وينادي: واحمزتاه، ولا حمزة لي اليوم، واجعفراه ولا جعفر لي اليوم، وقد مروا به علىٰ قبر أخيه وابن عمه رسول الله وهو ينادي «يا ابن أُمّ إنّ القوم **استضعفوني وكادوا يقتلونني**».

فقال له عمر بايع. قال علي: «**فإنّ أنا لم أفعل فمَهْ؟**» **قال له إذن والله** أضرب عنقك!

قال علي: «إذن والله تقتلون عبد **الله وأخا رسول الله**».

فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا **أخو رسول الله فلا**.

فقال: «أتجحدون أنّ رسول الله (صلّى الله عليه **وآله**) **آخىٰ بيني وبينه؟!**».

نعود إلىٰ ما ذكره ابن قتيبة في (الإمامة والسياسة) ص**١١**:

وذكروا إنّ علياً أُتي به أبا بكر وهو يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله».

فقيل له: بايع أبا بكر.

فقال: «أنا أحق بهذا الأمر منكم. لا أُبايع، وأنتم أولىٰ بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبي (صلّى الله عليه وآله) وتأخذونه من أهل البيت غصباً؟؟

ألستم زعمتم لِلأنصار أنّكم أولىٰ بهذا الأمر لمكان محمّد (صلّى الله عليه وآله) منكم؟؟ فأعطوكم المقادة، وسلّموا إليكم الإمارة؟

وأنا أحتج عليكم بمثل ما احتججتم به علىٰ الأنصار: نحن أولىٰ برسول الله (صلّى الله عليه وآله) حياً وميتاً فأنصفونا من أنفسكم» [إن كنتم تخافون المعاد].

فقال له عمر: أنت لست متروكاً حتىٰ تبايع.

فقال له علي: «أحلب حلباً لك شطره!! اشددّ له اليوم ليرده عليك غداً، والله يا عمر لا أقبل قولك ولا أُبايعه».

فقال له أبو بكر: فإنّ لم تبايعني فلا أُكرهك.

فقال علي: «يا معشر المهاجرين الله! الله! لا تخرجوا سلطان محمّد (صلّى الله عليه وآله) من داره وقعر بيته إلىٰ دوركم وتدفعوا أهله عن مقامه في الناس وحقه».

هذا ما رواه ابن قتيبه في كتابه (الإمامة والسياسة).

وأما ما ذكره العياشي في (تفسيره) ج٢ ص٦٧ فقد سبق أنّ ذكرته.

وجرىٰ حوار شديد بين الإمام وبين الزمرة الحاكمة وعند ذلك وصلت السيدة فاطمة إلىٰ المسجد وقد أخذت بيد ولديها: الحسن والحسين، وما بقيت هاشمية إلّا وخرجت معها، يصحن ويولولن وصاحت «خلّوا عن ابن عمي!! خلّو عن بعلي، والله لأكشفن رأسي ولأضعن قميص أبي علىٰ رأسي ولادعون عليكم،

فما ناقة صالح بأكرم علىٰ الله مني، ولا فصيلها بأكرم علىٰ الله من ولدي»[1].

وفي رواية العياشي: قالت: يا أبا بكر أتريد أنّ ترمّلني من زوجي وتيتم أولادي؟ والله لئن لم تكف عنه لِأنشرنّ شعري، ولِأشقن جيبي، ولآتين قبر أبي، ولأصيحنّ إلىٰ ربيّ، فأخذت بيد الحسن والحسين تريد قبر أبيها عند ذلك صاح الناس من هنا وهناك بأبي بكر ما تريد إلىٰ هذا؟ أتريد أن تنزل العذاب علىٰ هذه الأُمة؟

وما رجعت السيدة فاطمة إلىٰ البيت إلّا وأخذت زوجها معها وأنقذته من تلك الزمرة وخلصته من أخذ البيعة منه.

إظلمّت الدنيا في عين علي (عليه السلام) وضاقت عليه الأرض بما رحبت، لأنه فقد الرسول الأعظم (صلّى الله عليه وآله) ومصيبة النبي أعظم مصيبة علىٰ قلب كل أحد، ولم تنته الكارثة، فقد خيمت الأحزان علىٰ بيت علي، وإنقلب البيت إلىٰ مجلس عزاء وحزن وبكاء، فلقد كانت الصديقة الطاهرة لا تفارق البكاءَ علىٰ وفاة أبيها، وعلىٰ مصائبها ونوائبها التي استولت علىٰ قلبها المجروح، ولم تجد من الناس أي تعزية وتسلية أو مواسات.

ومما زاد في حزنها، إخراج أراضيها (فدك) من يدها، وهناك قضايا وقضايا ساعدت علىٰ إنحراف صحة فاطمة (عليها السلام)، واشتداد علتها واستيلاء الهزال عليها، فكانت تبكي ليلها ونهارها، ومنعوها عن البكاء، فكانت تخرج إلىٰ قبر حمزة سيد الشهداء، أو إلىٰ البقيع، أو إلىٰ بيت بناه لها أمير المؤمنين خارج المدينة وسماه (بيت الأحزان).

وعاشت بعد أبيها مظلومة مهظومة باكية العين محترقة القلب منهدّة الركن معصّبة الرأس حليفة الفراش عليلة مريضة. تلك والله أُم المصائب فهل ترك

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ـ وتاريخ اليعقوبي.

رسول الله (صلّى الله عليه وآله) بضعة كانت أحب إليه من فاطمة، لتلقىٰ كل تلك الويلات من هؤلاء المنحرفين؟

ودخل عليها علي (عليه السلام) قبل وفاتها فوجدها تغسل ثياب أولادها وتغسل رؤوسهم، فسألها عما دعاها إلىٰ العمل المجهد؟

فقالت: يا ابن عم إنه قد نعيت إليَّ نفسي، وأنني لا أرىٰ ما بي إلّا أنني لاحقة بأبي، ساعة بعد ساعة، وأنا أُوصيك بأشياء في قلبي.

قال لها علي (عليه السلام): أوصيني بما أحببت يا بنت رسول الله.

فجلس عند رأسها، وأخرج من كان في البيت، ثم قالت: يا ابن عم ما عهدتني كاذبة ولا خائنة ولا خالفتك منذ عاشرتني!!!

قال علي (عليه السلام): معاذ الله! أنتِ أعلم بالله، وأبر، وأتقىٰ، وأكرم، وأشد خوفاً من الله من أن أُوبخك بمخالفتي، وقد عزَّ عليَّ مفارقتك وفقدك، إلّا أنه أمرٌ لا بدَّ منه. والله لقد جدّدتِ عليَّ مصيبة رسول الله (صلّى الله عليه وآله)، ولقد عظمت وفاتك وفقدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون، من مصيبة ما أفجعها وآلمها وأمضّها وأحزنها!! هذه والله مصيبة لا عزاءَ عنها، ورزية لا خلف لها.

ثمّ بكيا جميعاً، وأخذ علي رأسها وضمّها إلىٰ صدره ثمّ قال: «أوصيني بما شئت، فإنك تجديني وفياً، أُمضي كل ما أمرتني به وأختار أمرك علىٰ أمري».

فقالت: «جزاك الله عني خير الجزاء، يا ابن عم أوصيك أولاً: أن تتزوج بعدي بابنة أُختي أمامة، فأنها تكون لوَلدَيَّ مثلي، فان الرجال لا بدَّ لهم من النساء.

أُوصيك يا ابن عم: أن تتخذ لي نعشاً، فقد رأيت الملائكة صوروا لي صورته، فقال لها: صِفيه لي. فوصفته، فاتخذه لها.

ثم قالت: أُوصيك أن لا يشهد أحد جنازتي من هؤلاء الذين ظلموني، فانهم عدوي وعدو رسول الله، ولا تترك أن يصلي عليَّ أحد منهم، ولا من

أتباعهم، وادفني ليلاً إذا هدأت العيون، ونامت الأبصار. إلىٰ آخر وصاياها.....

ثم فارقت روحها الحياة، روحي فداها، وانطفأ من عالم الوجود نورٌ كان امتداداً لنور رسول الله (صلّى الله عليه وآله). وامرأة ليست كالنساء كانت وما زالت وستبقىٰ المثل الأعلىٰ، والمنار المرشد في سبيل الحياة المضطربة رحلت الزهراء مظلومة، مضطهدة، مغصوبة حقها.

وإنتشر الخبر، فصاح أهل البيت صيحة واحدة، واجتمعت نساءُ بني هاشم في دارها فصرخن صرخة واحدة كادت المدينة تتزعزع من صراخهن. وإزدحم الناس علىٰ باب بيت الامام ينتظرون خروج الجنازة، فخرج أبو ذر ونادىٰ: إنصرفوا فإن إبنة رسول الله قد أُخِّر إخراجها هذه العشية. فتفرق الناس.

وجنَّ الليل، ومضىٰ شطر منه، فقام علي (عليه السلام) وغسّل إبنة رسول الله من علىٰ ثيابها وحنّطها بفاضل حنوط أبيها رسول الله، وكفّنها في أكفانها، ثم أرسل إلىٰ عمار، والمقداد، وسلمان، وأبي ذر، وعقيل، والزبير، وبريدة، ونفر من بني هاشم، فلمّا حضروا صلّىٰ عليها علي ودفنوها، ولم يعلم أحد حتّىٰ اليوم أين مدفنها؟ ولا يعرف أحد موضع قبرها، ففي البقيع قبر ينسب إليها، وفي رواية انها دفنت في الروضة المطهرة بين القبر والمنبر، وأُخرىٰ انها دفنت في بيتها، هذا ماصح عند المحدثين والله العالم بموضع قبرها، وسيبقىٰ قبرها مجهولاً عند الناس حتّىٰ يظهر الطالب بدمها حجة آل محمد (صلّى الله عليه وآله).

ولعلّ في هذا الكتمان أسراراً تستدعي إنتباه المسلمين إلىٰ ما جرىٰ علىٰ إبنة رسول الله (صلّى الله عليه وآله) والوحيدة من بعد أبيها، وحتىٰ تاريخ وفاتها، وموقع قبرها مجهول ليومنا هذا للتحري عن السبب المبرر لتلك الوصية ولعل

هذا الإخفاء رمز يرمز إلىٰ معاني وامور يعرفها الفطن الذكي.

وقد إختلف المسلمون في المدة التي عاشت فيها فاطمة (عليها السلام) بعد وفاة أبيها رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقيل: عاشت بعد أبيها أربعين يوماً، أو خمسة وسبعين، أو خمسة وتسعين يوماً، أو ستة أشهر، وفارقت الحياة وكانت أول أهل البيت لحوقاً بالنبي (صلّى الله عليه وآله).

أنهد ركن الإمام بفقد الزهراء سيدة النساء، وإزدادت مصيبته بأطفاله الأربعة: (الحسن والحسين وزينت وأم كلثوم) الذين فقدوا أمهم في عنفوان شبابها، بعد أن فُجعوا بجدهم البار العطوف، الذي كان يمطر عليهم حنانه الأبوي، ويشملهم عطفه النبوي.

وممّا زاد في أحزان الامام، وبلغ به الاضطهاد أقصىٰ درجة، هو تنفيذ وصايا فاطمة بصورة سِرّية، كمباشرته تغسيلها، وتحنيطها، وتكفينها، والصلاة عليها، ودفنها سرّاً لا جهراً، وليلاً لا نهاراً، وإخفاء موضع قبرها، وغير ذلك من الأمور التي كان من الصعب المستصعب علىٰ قلب الإمام تنفيذها وإنجازها.

فقد ماتت فاطمة ودفنت كأنها إمرأة غريبة لا يعرفها أحد، وكأنها ليست ببضعة رسول الله وحبيبته، وإبنته الوحيدة!!

وكان الامام (عليه السلام) يتجلّد في تلك المصيبة رعايةً ليتامىٰ فاطمة، إلىٰ أن دفنها في تلك الساعة من تلك الليلة وهو يحاول أن لا يطّلع عليه أحد، فيكون سبباً للحيلولة دون تطبيق وصايا فاطمة وتنفيذها، إلىٰ أن أدّىٰ جميع الوصايا كما ينبغي، فلمّا نفض يده من تراب القبر هاج به الحزن، فأرسل دموعه علىٰ خديه، وحوّل وجهه إلىٰ قبر رسول الله (صلّى الله عليه وآله) فقال:

«السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك من إبنتك وحبيبتك وقرة عينك وزائرتك، والبائتة في الثرىٰ ببقعتك، النازلة بجوارك، المختار لها الله سرعة اللحاق بك. قلّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، وضعف عن سيدة النساء

تجلّدي، إلّا أن لي في التأسي بسُنّتك، والحزن الذي حلَّ بي لفراقك، موضع التعزي. ولقد وسّدتك في ملحود قبرك بعد أن فاضت نفسك علىٰ صدري، وغمّضتك بيدي، وتوليتُ أمرك بنفسي».

نعم، وفي كتاب الله أنعم القبول، وإنا لله وإنا إليه راجعون. قد إسترجعت الوديعة، وأُخذت الرهينة، واختلست الزهراء، فما أقبح الخضراء والغبراء!!

يا رسول الله: أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهّد، لا يبرح الحزن من قلبي، أو يختار الله لي دارك التي فيها أنت مقيم، كمدٌ مقيّح، وهمٌّ مهيّج، سرعان ما فرَّق الله بيننا، إلىٰ الله أشكو، وستنبئك إبنتك بتظاهر أُمتّك عليَّ، وعلىٰ هضمها حقها، فاستخبرها الحال، فكم من غليل معتلج بصدرها، لم تجد إلىٰ بثّه سبيلاً، وستقول، ويحكم الله وهو خير الحاكمين.

سلام عليك يا رسول الله، سلام مودّع لا سَئِمٍ ولا قالٍ، فإن أنصرف فلا عن ملالة، وإن أُقم فلا عن سوء ظني بما وعد الله الصابرين، والصبر أيمن وأجمل، ولولا غلبة المستولين علينا، لجعلت المقام عند قبرك لزاماً، والتلبث عنده عكوفاً، ولأعولت إعوال الثكلىٰ علىٰ جليل الرزية، فبعين الله تدفن إبنتك سرّاً ويهتضم حقها قهراً، ويمنع إرثها جهراً، ولم يَطُل العهد، ولم يَخلق منك الذكر، وإلىٰ الله ـ يا رسول الله ـ المشتكىٰ، وفيك أجمل العزاء، فصلوات الله عليها وعليك ورحمة الله وبركاته.

وينسب إليه (عليه السلام) هذه الأبيات:

نفسي علىٰ زفراتها محبوسة ... يا ليتها خرجت مع الزفرات

لا خير بعدك في الحياة وإنما ... أبكي مخافة أن تطول حياتي

ثمّ جعل يقول:

أرىٰ عِلَلَ الدنيا عليَّ كثيرة ... وصاحبها حتّىٰ الممات عليل

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وكل الذي دون الفراق قليل

وإن إفتقادي فاطم بعد أحمد ... دليل علىٰ أن لا يدوم خليل

لقد تم بحمد الله وتوفيقه القسم الأول من كتاب «عليّ المرتضىٰ» عليه السلام ضمن السلسلة الذهبية لموسوعة «المصطفىٰ والعترة».

وسيلي القسم الثاني قريباً إن شاء الله.

ذلك في الفاتح من شهر محرم الحرام سنة اثني عشر وأربعمائة وألف ١٤١٢ من الهجرة النبوية، علىٰ مهاجرها آلاف التحية والسلام.

في دار الهجرة «قم المقدسة عش آل محمد(ص)»، سائلاً المولىٰ القدير أن يتقبل منا هذا اليسير، ويعفو عنا الكثير إنه سميع بصير.

وآخر دعوانا إن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

حسين الشاكري

فهرست كتاب الإمام علي المرتضىٰ (ع)

توطئة ٧

المقدمة ١٣

الفصل الأول: ولادته وطفولته ٢١

فاطمة بنت أسد الهاشمية ٣٠

القابه وكناه ٣٣

سيرة الإمام علي (ع) ٣٧

معاناته ٣٧

حصيلة الاعداد النبوي للإمام ٣٨

مرحلة ما بعد الهجرة ٤٤

في خلافة أبي بكر ٤٩

في خلافة عمر بن الخطاب ٥١

في خلافة عثمان ٥٤

جباية الأموال ٦٣

رقابة الأسواق ٦٦

الزهد ونكران الذات ٦٧

مساواة أهل بيته بسائر الناس ٧٠

موقف الإمام (ع) من عثمان ٧٢

حرب الناكثين في البصرة ٧٩

حرب القاسطين في صفين ٨٤

حرب المارقين في النهروان ٨٩

مستشهد لا محالة ١٠٠

نصوص الامامة ١٠١

علاقة الإمام (ع) بربه ١٠٤

مصاديق زهد الإمام ١٠٩

هذا علي في عدله ١١٤

عفوه (ع) ١١٨

الفصل الثاني: عبادته وتهجده ١٢٣
دعاء الصباح ١٢٦
دعاء كميل بن زياد ١٢٩
من ادعيته في النصف من شعبان ١٣١
زهده ١٣٤
كتابه (ع) إلىٰ عثمان بن حنيف ١٣٨
من خطبة له (ع) في وصف المتقين ١٤٢
علم علي وحكمته ١٤٤
مناقبه وفضائله (ع) ١٦٠
فقه وقضاءه ١٦٣
قضاياه في حياة الرسول (ص) ١٦٦
قضاؤه (ع) في ثور قتل حماراً ١٧٤
قضاؤه (ع) في أربعة سقطوا عن الرُّبية ١٧٥
قضاؤه (ع) في رجلين يتغذيان لأحدهما خمسة أرغفة ١٧٦
من حكمه وقضاءه ١٧٨
شجاعة الإمام علي (ع) ١٧٩
جوده وصدقاته ١٨٢
عدله (ع) ١٩١
بلاغته وفصاحته ١٩٧
خطبة له (ع) يذكر فيها عجيب خلقة الطاووس ١٩٩
خطبة له (ع) يذكر فيها بديع خلقة الخفاش ٢٠٥
خطبة له (ع) وهي المعروفة بالشقشقية ٢٠٧
خطبه الفريدة ٢١٤
شعره (ع) ٢١٨
الفصل الثالث: المبيت على فراش النبي (ص) ليلة الهجرة ٢٢٥
هجرته (ع) بالفواطم ٢٣٦
الزواج الميمون: زواجه من فاطمة (ع) ٢٤٢
الفصل الرابع: فضائله (ع): حديث الثقلين ٢٥١

المؤاخاة بين النبي وعلي (عليهما السلام) ٢٥٥
نِعْمَ الأخ أخوك يا علي ٢٥٧
أحب إخواني إليَّ علي ٢٥٩
حديث الطائر المشوي ٢٦٠
علي أحب الخلق إلىٰ الله ورسوله (ص) ٢٦١
حديث سد الأبواب ٢٦٢
حديث الدار ٢٦٥
علي (ع) قسيم الجنّة والنار ٢٦٧
علي (ع) يتصدق بالخاتم ٢٧٤
تبليغ علي (ع) سورة البراءة ٢٧٩
ردّ الشمس لعلي ٢٨٢
علي يكسر الأصنام ٢٨٤
استجابة دعائه ٢٨٨
مفاخرة علي (ع) عمه العباس وشيبة ٢٩٠
آية النجوىٰ ٢٩٢
سورة (هل أتىٰ) ٢٩٥
آية التطهير ٢٩٩
آية المودّة ٣٠٢
آية المباهلة: علي نفس النبي (ص) ٣٠٤
الفصل الخامس: من أحاديث الرسول (ص) في شأن علي (ع) ٣٠٩
شبهه بالأنبياء ٣١١
شبهه بالملائكة ٣١١
والِ علياً تحيا محمدياً ٣١٢
علي نور سُبِّح الله قبل الخلق ٣١٣
أنا وأنت أبوا هذه الأُمة ٣١٤
أنا وعلي من شجرة واحدة ٣١٥
علي يؤدي دين النبي (ص) ٣١٦
حديث الكساء ٣١٦

شيعتك هم المؤمنون ٣١٧
ولاية علي حبل الله ٣١٨
حب آل محمد ٣١٨
أوسمة متفرقة ٣١٩
محبي علي في الجنّة ٣١٩
يغفر الله لمحبي علي ٣٢٠
يغفر الله لشيعة علي ٣٢٠
علي إمام المتقين ٣٢١
علي يقاتل علىٰ التأويل ٣٢٦
علي مع الحق والحق مع علي ٣٢٦
الفصل السادس: الحروب والغزواة: معركة بدر الكبرىٰ ٣٢٧
معركة أُحد ٣٤٢
معركة الخندق ٣٦٠
غزوة بني قريضة ٣٧٩
علي في غزوة خيبر ٣٨٤
فتح مكّة ٣٩٣
غزوة حنين ٤٠٠
الفصل السابع: عود علىٰ بدء ٤١٧
حجة الوداع ٤١٧
يوم الغدير ٤٢٠
إكمال الدين ٤٢٥
نزول العذاب ٤٢٥
بعث أُسامة ومرض النبي (ص) ٤٣٠
الفصل الثامن: إلتحاق النبي (ص) بالرفيق الأعلىٰ ٤٣٥
سقيفة بني ساعدة ٤٣٩
تجهيز النبي (ص) ودفنه ٤٤٢
محنة علي والزهراء (عليهما السلام) ٤٤٥
فهرست المحتوىٰ ٤٦١

صدر للمؤلف

١ ـ عليٌ في الكتاب والسنة ـ ثلاثة أجزاء ـ الطبعة الثالثة، ترجم إلى اللغة الإنجليزية، والهندية (أوردو)، وسيترجم إلى الفرنسية والفارسية قريباً.

٢ ـ موسوعة المصطفىٰ والعترة «بمجموعة الشاكري» صدر منه:

الجزء الأول ـ محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

الجزء الثاني والثالث ـ علي المرتضىٰ عليه السلام.

الجزء الرابع ـ فاطمة الزهراء عليها السلام.

الجزء الخامس ـ الحسن المجتبىٰ عليه السلام.

الجزء السادس ـ الحسين الشهيد عليه السلام.

الجزء السابع ـ السجاد علي عليه السلام.

٣ ـ الصفوة من الصحابة والتابعين ـ الجزء الأول.

٤ ـ النجاة من الذنوب ـ كتاب اخلاقي تربوي اجتماعي قصصي.

٥ ـ مع العلاّمة الأميني.

٦ ـ سلسلة الثقافة الإسلامية.

الحلقة الأولى ـ الكبائر من الذنوب ـ الطبعة الثالثة.

الحلقة الثانية ـ المنتخب من الأدعية والزيارات للحج والعمرة.

الحلقة الثالثة ـ الأربعون حديثاً.

الحلقة الرابعة ـ الحج وما يدور في فلكه.

الحلقة الخامسة ـ خواطر وعبر.

الحلقة السادسة ـ الحسنات والسيئات.

الحلقة السابعة ـ التوابون في التاريخ.

الحلقة الثامنة ـ الدعاء وأثره في تهذيب النفس.

سيصدر قريباً

١ ـ ذكرياتي.

٢ ـ سياحة حول العالم ـ خلال أربعين عاماً ١٩٥٠ ـ ١٩٩٠.

٣ ـ المنتقىٰ من الكشكول الكامل ـ للعلاّمة بهاء الدين العاملي.

٤ ـ تتمة موسوعة المصطفىٰ والعترة «بمجموعة الشاكري»:

الجزء الثامن ـ الباقر محمد عليه السلام.

الجزء التاسع ـ الصادق جعفر عليه السلام.

الجزء العاشر ـ الكاظم موسىٰ عليه السلام.

الجزء الحادي عشر ـ الرضا عليّ عليه السلام.

الجزء الثاني عشر ـ الجواد محمد عليه السلام.

الجزء الثالث عشر ـ الهادي علي عليه السلام.

الجزء الرابع عشر ـ العسكري الحسن عليه السلام.

الجزء الخامش عشر ـ المهدي المنتظر (عج).

الجزء السادس عشر ـ أبو الفضل العباس ومسلم بن عقيل عليهما السلام.

الجزء السابع عشر ـ عقيلة الهاشميين زينب بنت علي عليها السلام والمعصومة فاطمة عليها السلام.

الجزء الثامن عشر ـ زيد بن علي والحسين بن علي ـ صاحب فخ ـ

أسألهُ تعالى ان يوفق ويسدد لإتمامها. آمين

مكتبة الروضة العيدروسية
٤٦٩٠
٢٤/ر/٢٠٠٥

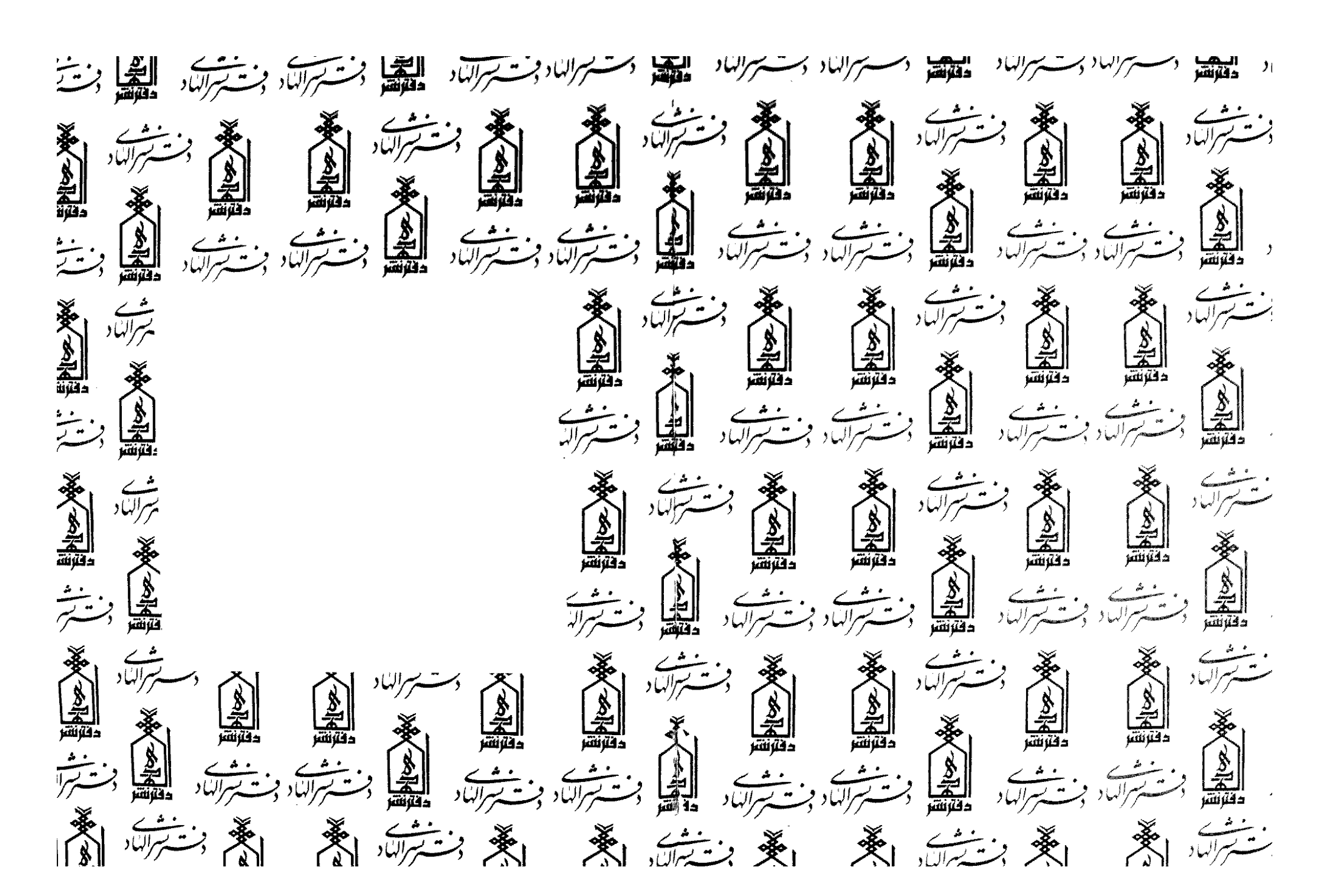
دفتر نشر الهاد